



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة الملك سعود  
كلية التربية  
قسم الثقافة الإسلامية  
شعبة العقيدة والمذاهب المعاصرة

# مسائل النبوة من كتاب أحاديث الأنبياء من الجامع الصحيح للإمام البخاري دراسة عقديّة

بإشراف وتقديم الاستكمال متطلبات درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

**إعداد**

الطالبة / صفية بنت سيالي أحمد الأمير



**إشراف**

الدكتور / الفصح الماحي أحمد

الفصل الدراسي الأول

١٤٤٢ هـ - ١٤٤١ م



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

**جامعة الملك سعود**

كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

شعبة العقيدة والمذاهب المعاصرة

# مسائل النبوة من كتاب أحاديث الأنبياء من الجامع الصحيح للإمام البخاري دراسة عقديّة

بمّح مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد

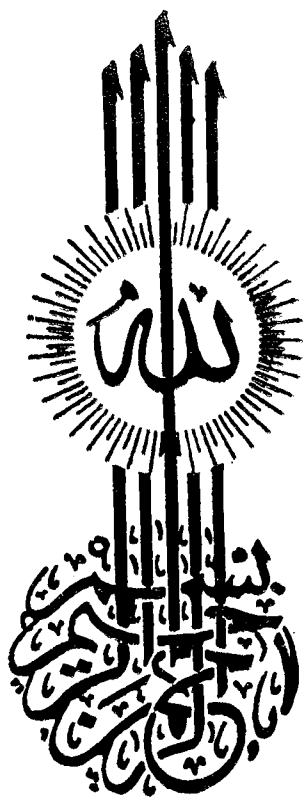
الطالبة/ صفية بنت سيّاني أحمد الأمير

إشراف

الدكتور/ الشفيح الماّحي أحمد

الفصل الدراسي الأول

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



## المقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهٗ عِوَجًا﴾ (١)

الحمد لله الذي أنزل إلينا كتاباً" فيه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا تنقضى عجائبه ولا يشيع منه العلماء، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم".

"وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً، ففتحتم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعيننا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً فأشرفت برسالته الأرض بعد ظلماتها وتألفت به القلوب بعد شتاتها، فأقام الملة العوجاء وأوضح به المحجة البيضاء وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره أرسله ﷺ على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب حين خُرف الكلم وبُذلت الشرائع واستند كل قوم إلى ظلمة آرائهم وحكموا على الله وبين عبادهم بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم فهدى الله به الخلائق وأوضح به الطرائق وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور وأبصر به من العمى وأرشد به من الغي وجعله قسيم الجنة والنار وفرّق به ما بين الأبرار والفجار وجعل الهدى والفلاح في اتباعه وموافقته، والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته، فميّز به بين أهل الفلاح وأهل الفجور وامتحن به الخلائق في قبورهم، فهم في القبور عنه مسؤولون وبه ممتحنون فمن اهتدى بهديه اهتدى ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدى، فصلى الله عليه وعلى سائر الرسل والأنبياء ما لاح نجم وبدا وعلى لآله وصحبه والتابعين ومن اقتدى". (٣)

(١) الكهف / ١

(٣) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)، انظر مقدمة الرسل والرسالات لعمر الأشقر/ ص ٦٠٥.



أما بعد: فإن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية، ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتضى وسنة نبيه المصطفى وأن باقي العلوم فهي إما آلات لفهمها أو أجنبية عنهما.

وقد شرفني الله عز وجل ويسر لي طريقاً للعلم الشرعي فاخترت دراسة أحاديث الأنبياء من أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل ألا وهو كتاب الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله) الذي هبت عليه نفحة القبول والخلود، واعتنت به الأمة اعتناءً يندر نظيره في تاريخ العلم والتأليف في العصور الإسلامية، فتقدمت بما اخترت إلى قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود وعرضت خطتي على مجلس الكلية الموقر فأقرها، فحملت الأمانة وبذلت ما في الوسع والطاقة وواصلت ساعات النهار بالليل واجتهدت اجتهاداً يعرفه كل من سار مساري، واستعنت بالله فكان لي نعم المعين،، فله الحمد من قبل ومن بعد.

### أهمية الموضوع وأسباب الاختيار:

- (١) أهمية الجامع الصحيح للبخاري كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي (السنة المطهرة).
- (٢) أهمية الإيمان بالأنبياء في حياة المسلم في الدنيا والآخرة.
- (٣) عدم وجود دراسة أكاديمية سابقة تعنى بكتاب أحاديث الأنبياء من الجامع الصحيح للبخاري فتجمع متفرقة وتحقق في مسأله.

### أهداف البحث:

- (١) أن يكون المسلم على عقيدة صحيحة في قضية يخرج المسلم بفقدانها من الإيمان إلى الكفر.
- (٢) تأصيل مبدأ الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في كل مسائل العقيدة وغيرها.
- (٣) استخراج المسائل العقديّة المتعلقة بالأنبياء من الجامع الصحيح للبخاري وحصرها وترتيبها ودراستها والتحقيق فيها.
- (٤) الرد على المخالفين في بعض قضايا النبوات ممن ينتسبون إلى الإسلام ويخالفون ما جاء به خير الأنام (عليه الصلاة والسلام).

## تساؤلات البحث:

يجب هذا البحث على أسئلة يصعب حصرها في هذا المقام ومن ذلك على سبيل المثال:

١. هل هناك فرق بين النبي والرسول؟ وإذا كان فما هو؟
٢. ما معنى الوحي إلى الأنبياء وإلى غيرهم؟
٣. ما هي الأصول المشتركة بين الأنبياء؟ وما ذا عن اختلاف الشرائع وهل شرع من قبلنا شرع لنا؟
٤. ما الجمع بين النصوص الثابتة الدالة على النهي عن التفضيل بين الأنبياء وبين النصوص الدالة على إثبات تفاضلهم؟
٥. ما هي صفات الأنبياء التي يشتركون فيها مع غيرهم؟
٦. ما هي أبرز ما خص الله به الأنبياء وتميزوا به دون سائر البشر؟
٧. ما حكم الإيمان بآيات الأنبياء؟ وهل حصول الخوارق ممكن لغيرهم؟ وإذا كان نعم فكيف يفرق بين خوارق الأنبياء وغيرهم؟
٨. ما المقصود بعصمة الأنبياء مع ما ذكر الله عز و جل في كتابه من صدور بعض الذنوب منهم ثم توبتهم منها؟
٩. هل من سوى الأنبياء معصومين؟
١٠. هل هناك أمور خص الله بها بعض أنبيائه دون باقي الأنبياء؟
١١. من هو خليل الله وما المقصود بذلك؟
١٢. هل إبراهيم عليه السلام قد كذب - أو شك؟
١٣. ما المقصود باستثناء موسى عليه السلام من الصعق؟
١٤. ما معنى كون عيسى كلمة الله وروحه - وما المقصود بوفاته ورفعه؟
١٥. كيف نجمع بين قضية ختم النبوة بمحمد ﷺ وبين قضية نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان؟ أو ما هي صفة نزول عيسى في آخر الزمان؟
١٦. من هو المهدي ، وما هي النصوص الدالة على ذلك؟

## خطة البحث:

رتبت البحث على تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة سطرت فيها أهم النتائج وأربعة فهارس كالتالي:

**التمهيد:** وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** حياة الإمام البخاري (رحمه الله).

**المبحث الثاني:** التعريف بالجامع الصحيح للإمام البخاري (رحمه الله).

**المبحث الثالث:** التعريف بكتاب الأنبياء ومكانته في صحيحه.

**المبحث الرابع:** منهج الإمام البخاري (رحمه الله) في عرض العقيدة.

## الباب الأول

### معالم النبوة في كتاب الأنبياء

ويتكون من أربعة فصول:

**الفصل الأول: النبوة والرسالة،** وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** الفرق بين النبي والرسول وأول الأنبياء والرسول، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** التعريف اللغوي والاصطلاحي للنبوة والرسالة، والفرق بين النبي

والرسول.

**المطلب الثاني:** أول الأنبياء وأول الرسل.

**المبحث الثاني:** الوحي إلى غير الأنبياء، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** الوحي إلى غير الأنبياء في القرآن الكريم.

**المطلب الثاني:** الوحي إلى الأنبياء في القرآن الكريم.

**المطلب الثالث:** الفرق بين الوحي إلى الأنبياء وإلى غيرهم في القرآن الكريم.

**المبحث الثالث:** النبوة في النساء والجن، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** النبوة في النساء.

**المطلب الثاني:** النبوة في الجن.

**الفصل الثاني: الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام**، وفيه ثلاثة مباحث.:

**المبحث الأول:** الأنبياء الذين وردت أسماءهم في القرآن والسنة، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** الأنبياء الذين وردت أسماءهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة

وبيان أولى العزم منهم.

**المطلب الثاني:** الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

**المطلب الثالث:** أهمية الإيمان بالرسول.

**المبحث الثاني:** ترتيب مجيء الأنبياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** وفيه مسألتان.

الأولى: قواعد لا بد منها.

الثانية: ذكر اجتهاد بعض العلماء في ترتيب الأنبياء عليهم السلام.

**المطلب الثاني:** التحقيق في ترتيب مجيء الأنبياء.

**المبحث الثالث:** من اختلف في نبوتهم من الصالحين، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** الخضر عليه السلام.

**المطلب الثاني:** ذو القرنين.

**المطلب الثاني:** لقمان.

**الفصل الثالث: رسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**، وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** أصول مشتركة بين الأنبياء، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** وحدة العقيدة.

**المطلب الثاني:** وحدة الدعوة.

**المطلب الثالث:** خُلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

**المبحث الثاني:** اختلاف شرائع الأنبياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** تقرير اختلاف شرائع الأنبياء من القرآن والسنة.

**المطلب الثاني:** هل شرع من قبلنا شرع لنا؟.

**الفصل الرابع: تفاضل الأنبياء ، وفيه ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول:** النصوص المثبتة لتفاضل الأنبياء، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** النصوص المثبتة لتفاضل الأنبياء.

**المطلب الثاني:** أفضل الأنبياء والرسول.

**المطلب الثالث:** بم يتفاضل الأنبياء والرسول؟

**المبحث الثاني:** ما جاء من النهي عن التفضيل بين الأنبياء.

**المبحث الثالث:** تحقيق القول في تفاضل الأنبياء.

## **الباب الثاني**

### **صفات الأنبياء وخصائصهم**

ويتكون من أربعة فصول:

**الفصل الأول: صفات الأنبياء البشرية ، وفيه أربعة مباحث:**

**المبحث الأول:** الأنبياء خلق من خلق الله (بشريتهم)، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** بشرية الأنبياء في القرآن والسنة.

**المطلب الثاني:** الحكمة من بشرية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

**المبحث الثاني:** عبادة الأنبياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** عبادة الأنبياء في القرآن والسنة.

**المطلب الثاني:** أثر العبادة في الثبات على طريق الدعوة إلى الله .

**المبحث الثالث:** تعرض الأنبياء للبلاء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** نماذج من تعرض الأنبياء للبلاء من القرآن والسنة.

**المطلب الثاني:** دلالة شدة البلاء.

**المبحث الرابع:** النهي عن الغلو في الأنبياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** النهي عن الغلو في الأنبياء في القرآن والسنة.

**المطلب الثاني:** أساليب الدعوة إلى الاستقامة وترك الغلو والتقصير في القرآن

الكريم.

**الفصل الثاني: خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفيه ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول: خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالنوم والرؤى، وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: تام أعينهم ولا تام قلوبهم.**

**المطلب الثاني: رؤيا الأنبياء.**

**المبحث الثاني: خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالموت واليلى، وفيه أربعة مطالب:**

**المطلب الأول: يقبرون حيث يموتون.**

**المطلب الثاني: حياة الأنبياء في القبور .**

**المطلب الثالث: الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء .**

**المطلب الرابع: تخيير الأنبياء عند الموت.**

**المبحث الثالث: نصر الأنبياء على أعدائهم.**

**الفصل الثالث: الأنبياء وخوارق العادات وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: معجزات الأنبياء وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: معنى المعجزة في اللغة والاصطلاح.**

**المطلب الثاني: نموذج لمعجزات الأنبياء ( الإسراء والمعراج ).**

**المبحث الثاني: كرامات الأولياء، وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: معنى الكرامة، وبيان معتقد أهل السنة والجماعة**

**فيها مع الأدلة.**

**المطلب الثاني: الرد على المخالفين لمعتقد أهل السنة والجماعة**

**في الكرامة .**

**الفصل الرابع: عصمة الأنبياء** ، وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** المقصود بعصمة الأنبياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** معنى العصمة والنصوص الدالة على إمكانية صدور بعض الذنوب من الأنبياء.

**المطلب الثاني:** المسائل الأساسية في قضية عصمة الأنبياء.

**المبحث الثاني:** العصمة لغير الأنبياء والرد على من قال بذلك، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** مفهوم الولاية والإمامة في الكتاب والسنة وعند غلاة الرافضة والصوفية.

**المطلب الثاني:** الرد على غلاة الصوفية والرافضة في القول بعصمة الأولياء والأئمة.

### **الباب الثالث**

#### **مسائل عقديّة خاصة ببعض الأنبياء**

ويتكون من أربعة فصول:

**الفصل الأول: إبراهيم عليه السلام** ، وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** نفي استقسام إبراهيم عليه السلام بالأزلام.

**المبحث الثاني:** إثبات الخلة لإبراهيم عليه السلام، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** معنى الخلة وأدلة ثبوتها لإبراهيم عليه السلام.

**المطلب الثاني:** الرد على المخالفين ممن نفى الخلة عن إبراهيم عليه السلام.

**المطلب الثالث:** هل محمد ﷺ خليل الرحمن أم حبيبه؟

**المبحث الثالث:** نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام.

**المبحث الرابع:** كذبات إبراهيم عليه السلام.

**الفصل الثاني: موسى عليه السلام** ، وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** تكليم الله لموسى والرد على من أنكر ذلك. وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** مذهب السلف في كلام الله عز وجل.

**المطلب الثاني:** ثبوت تكليم الله لموسى عليه السلام.

**المطلب الثالث:** مذهب المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الكلام والرد عليهم إجمالاً.

**المبحث الثاني:** لطم موسى لملك الموت والرد على من أنكر ذلك.

**المبحث الثالث:** استثناء موسى عليه السلام من الصعق يوم القيامة.

**الفصل الثالث: عيسى عليه السلام ، وفيه أربعة مباحث:**

**المبحث الأول:** عيسى عليه السلام كلمة الله وروح منه والمقصود بذلك.

**المبحث الثاني:** رفع عيسى عليه السلام، وهل مات قبل ذلك؟.

**المبحث الثالث:** نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، وبم يحكم؟

**المبحث الرابع:** المهدي وعيسى عليهما السلام.

**الفصل الرابع: محمد ﷺ ، وفيه ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول:** فضل محمد ﷺ على الأنبياء جميعاً.

**المبحث الثاني:** إثبات المقام المحمود ل محمد ﷺ يوم القيامة.

**المبحث الثالث:** محمد ﷺ خاتم الأنبياء.



## منهجي في البحث:

- (١) تأصيل القضايا الواردة في هذه الرسالة بالاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام السلف الصالح.
- (٢) استقصاء كل ماله صلة بمسائل النبوت في الجامع الصحيح.
- (٣) عزو الآيات القرآنية التي استدلت بها إلى سورها وأرقامها دون ما استدلت به من نقلت عنه من العلماء.
- (٤) تخريج الأحاديث التي استدلت بها وقد أخرج الأحاديث التي ذكرها من نقلت عنه من العلماء.
- (٥) عندما أستدل بالأحاديث فإن أول ما أهتم به من كتب السنة صحيح البخاري إلا إذا لم أجد فيه شيء يفيد في دراسة المسألة.
- (٦) قد اكتفي بعض الأحيان بما ورد عند البخاري لوضوح تلك القضية عنده ومحاولة للبعد عن الإطالة.
- (٧) استقصاء جميع الأدلة في قضية ما ليس هدي في إنما أهدف بالدرجة الأولى إلى الاستدلال بقدر ما يكمل به التحقيق في المسألة أو إثباتها والدلالة عليها.
- (٨) الرجوع إلى مصادر العلم الشرعي الأصلية في دراسة مسائل الرسالة والاعتضاد في الغالب بالمراجع الحديثة.
- (٩) أحرص على كتابه خلاصة فيما يحتاج إلى ذلك من المباحث أو المطالب إلا ما كان واضحاً أو الخلاف فيه قوي ومتشعب أو ضعيف لا دليل عليه فإني لا أذكر فيه خلاصة.
- (١٠) عند ذكر اسم الكتاب في الهامش فإني أكتفي باسمه دون الإشارة إلى بيانات الكتاب اعتماداً على ذكرها في الفهرس الخاص بالمصادر والمراجع إلا ما خشيت الالتباس فيه مع غيره.
- (١١) ذيلت البحث بفهارس أربعة وهي: (أ) فهرس الآيات.  
(ب) فهرس الأحاديث.  
(ج) فهرس المصادر والمراجع.  
(د) فهرس الموضوعات.
- (١٢) ثم ختمت البحث بخاتمة وفيها سطرت أهم النتائج التي توصلت إليها.

وأخيراً وبعد شكر الله تعالى أولاً وآخر (وظاهراً وباطناً) على تيسيره وتسهيله، فإنني أسأله المزيد من عونه وتوفيقه، ولا أدعي الكمال فما ادعاه أحدٌ إلا وهو بنقيضه فسبحانه من له الكمال وحده. وحسي أنني بذلت ما في الوسع والطاقة فما كان من صواب فمن الله عز وجل وأحمده عليه وما كان غير ذلك فأستغفر الله منه وهو حسي ونعم الوكيل.

ثم لا يفوتني في النهاية أن أتوجه بخالص الشكر إلى جامعة الملك سعود متمثلة في كلية التربية قسم الثقافة الإسلامية والتي أتاحت لي فرصة الاستمرار في طلب العلم. ثم أتوجه بالشكر إلى فضيلة المشرف الكريم الدكتور/ الشفيع المالحى أحمد الذي أفدت من أخلاقه قبل ملاحظاته فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر إلى مشايخي الفضلاء الذين تشرفت بالدراسة على أيديهم في كلية الدراسات العليا وأخص منهم فضيلة الدكتور/ محمد عبد الحافظ وفضيلة الدكتور/ محمد عبد الله الوهبي والأستاذ الدكتور/ محمد رؤف وأس قلعتي جي والأستاذ الدكتور/ مهدي رزق الله، والأستاذ الدكتور/ صابر طعيمة.

كذلك أتوجه بالشكر إلى والدي الكريمين الذين لم ينسياني مع ما هم فيه من بلاء الدنيا ولأوائها من خالص دعواتهم وأطيبها. كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى فضيلة الدكتور/ رشاد محمد السنوسي الذي كان له الفضل بعد الله في التحاقني بالدراسات العليا في مجال العلم الشرعي متحملاً في سبيل ذلك مصاعب لا تخفى على السائرين في طريق تحصيله وقد كانت توجيهاته وآراءه خير رافد ومعين فجعله الله في ميزان حسناته ونفعني بملأ أعاني عليه.

كذلك أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من أسدى لي نصحاً أو علمني حرفاً أو وهبني ملاحظة قيمة أو تشجيعاً مشمراً أو توجيهاً نافعاً وعلى رأسهم:

فضيلة الدكتور/ عبد العزيز العبد اللطيف

والدكتور/ غالب سياني الأمير

والأستاذ المحاضر/ إبراهيم أبو هادي

والأستاذة/ فوزية سياني الأمير

والأستاذة/ إنصار سياني الأمير

كما أتوجه بالثناء على الله والشكر له أن رزقني طابعاً للبحث حافظاً لكتابه وطالباً للعلم الشرعي فأفدت منه في أثناء الرسالة وبعدها فجزاه الله خير الجزاء ورزقه الفردوس الأعلى وهو الأستاذ/ حسن العواجي . ولزوجته الكريمة التي تعاونت معي في ذلك فكانت نعم الأخت خالص الدعاء.

وأسأل الله تعالى أن يحسن لهم الأجر والثوبة جميعاً وأن يجعل ذلك في ميزان حسناقم يوم القيامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة/ صفية بنت سياني الأمير.

## **التمهيد**

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** حياة الإمام البخاري (رحمه الله).

**المبحث الثاني:** التعريف بالجامع الصحيح للإمام البخاري (رحمه الله).

**المبحث الثالث:** التعريف بكتاب الأنبياء ومكانته في صحيحه.

**المبحث الرابع:** منهج الإمام البخاري (رحمه الله) في عرض العقيدة.

## المبحث الأول حياة الإمام البخاري

نسبه ومولده ونشأته وذكائه ورحلته لطلب العلم:

"هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه وقيل بَدْرُزْبَه وهي لفظة بخارية معناها الزَّرْع"<sup>(١)</sup> "الجعفي، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى، قال المستنير بن عتيق: أخرج لي ذلك محمد بن إسماعيل بخط أبيه، وجاء ذلك عنه، وكان بَرْدُزْبَه فارسياً على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي وأتى بخارى فتنسب إليه نسبة ولاء عملاً بمذهب من يرى أن من أسلم على يده شخص كان ولاؤه له، وإنما قيل له الجعفي لذلك"<sup>(٢)</sup>،

وقال ابن حجر: "وأما ولده إبراهيم بن المغيرة فلم نقف على شيء من أخباره وأما والد محمد فقد ذُكرت له ترجمة في كتاب الثقات لابن حبان فقال في الطبقة الرابعة: إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري يروي عن حماد بن زيد ومالك وروى عنه العراقيون، وذكره ولده في التاريخ الكبير فقال: إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة سمع من مالك وحماد بن زيد وصافح ابن المبارك، قال وراقه سمعت محمد بن خراش يقول سمعت أحميد بن حفص يقول: دخلت على إسماعيل والد أبي عبدالله عند موته فقال: لا أعلم من مالي درهماً من حرام ولا درهماً من شبهة، ومات إسماعيل ومحمد صغير فنشأ في حجر أمه ثم حج مع أمه وأخيه أحمد وكان أسن منه فأقام هو بمكة مجاوراً يطلب العلم ورجع أخوه أحمد إلى بخارى فمات بها، وروى غنجلر في تاريخ بخارى و اللالكائي في شرح السنة في باب كرامات الأولياء منه أن محمد بن إسماعيل ذهب عيناه في صغره فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام فقال لها: يا هذه قد رد على ابنك بصره بكثرة دعائك، قال فأصبح وقد رد الله عليه بصره"<sup>(٣)</sup> وعند الذهبي: "لكثرة بكائك أو كثرة دعائك"<sup>(٤)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء / ج ١٢ / ص ٣٩١.

(٢) هدي الساري مقدمة فتح الباري / ص ٥٠١.

(٣) المصدر السابق / ص ٥٠١ - ٥٠٣.

(٤) سير أعلام النبلاء / ج ١٢ / ص ٣٩٣.

" وأسند إلى محمد بن أبي حاتم قال: قلت لأبي عبد الله كيف كان بدء أمرك؟ قال: أهدمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، فقلت: كم كان سنك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم فأخذ القلم مني وأحكم كتابه وقال صدقت، فقبل للبخاري: ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة فلما طعنت في ست عشرة كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة فلما حججت رجعت أخى بها وتخلفت في طلب الحديث".<sup>(١)</sup>

" وقد أدرك عبد الرزاق وأراد أن يرحل إليه وكان يمكنه ذلك فقيل له إنه مات فتأخر عن التوجه إلى اليمن ثم تبين أن عبد الرزاق كان حياً فصار يروي عنه بواسطة، قال ولما طعنت في ثمانى عشرة وصنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت كتاب التاريخ في المدينة عند قبر النبي ﷺ وكنت أكتبه في الليالي المقمرة قال: وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت أن يطول الكتاب، وقال سهل بن السري: قال البخاري: دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين وإلى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع الخدثين، وقال حاشد بن إسماعيل: كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فلمناه بعد ستة عشر يوماً فقال: قد أكثرتم عليّ فأعرضوا عليّ ما كتبتم، فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، وقال محمد بن الأزهر السجستاني: كنت في مجلس سليمان بن حرب والبخاري معنا يسمع ولا يكتب فقيل لبعضهم: ماله لا يكتب؟ فقال: يرجع إلى بخاري ويكتب من حفظه".<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر السابق / ج ١٢ / ص ٣٩٣.

(٢) هدي الساري / ص ٥٠٢.

قال عنه الحافظ بن كثير (رحمه الله): "قد ذكروا أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظه من نظرة واحدة والأخبار في ذلك كثيرة، ودخل مرة إلى سمرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق وخطوا الرجال في الأسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها ثم قرءوها على البخاري (رحمه الله) فرد كل حديث إلى إسناده وقوم تلك الأحاديث كلها وما تعنتوا عليه فيها ولم يقدروا أن يمسكوا عليه سقطه في إسناد ولا متن، وكذلك صنع في بغداد".<sup>(١)</sup>

وقال عن نفسه كذلك: "كُتِبَ عن ألف شيخ وأكثر عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر ما عندي حديث إلا أذكر إسناده".<sup>(٢)</sup>

### مشائخه وتلاميذه:

قال ابن حجر (رحمه الله): "عن محمد بن أبي حاتم عنه - أي البخاري - قال: كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث، وقال أيضاً: لم أكتب إلا عن قال الإيمان قول وعمل، قلت وينحصرون في خمس طبقات:

الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين مثل محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد ومثمل مكّي بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبي عبيد ومثمل أبي عاصم النبيل حدثه عن يزيد بن أبي عبيد أيضاً ومثمل أبي نعيم حدثه عن الأعمش وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين.

الطبقة الثانية: من كان في عصره لكنه لم يسمع من ثقات التابعين.

الطبقة الثالثة: هي الوسطى من مشائخه وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الاتباع كسليمان بن حرب ونعيم بن حماد وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وأبي بكر وعثمان ابني أبي شيبه وأمثال هؤلاء، وهذه الطبقة قد شاركه مسلم في الأخذ عنهم.

(١) البداية والنهاية / ج ١١ / ص ٢٨، وانظر هدي الساري / ص ٥١١.

(٢) سير أعلام النبلاء / ج ١٢ / ص ٤٠٧.

الطبقة الرابعة: رفاؤه في الطلب ومن سمع قبله قليلاً كمحمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة وجماعة من نظرائهم وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه أو ما لم يجده عند غيرهم.

الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد سمع منهم للفائدة كعبد الله بن حماد وعبدالله ابن أبي العاص الخوارزمي وغيرهم، وقد روى عنهم أشياء يسيرة وعمل في الرواية عنهم ممن روى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع قال: لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمّن هو فوقه وعمّن هو مثله وعمّن هو دونه، وعن البخاري أنه قال: لا يكون المحدث كاملاً حتى يكتب عمّن هو فوقه وعمّن هو مثله وعمّن هو دونه".<sup>(١)</sup>

وقد ذكر الذهبي تعدادهم ونسبتهم باعتبار الأقاليم والأمصار التي رحل إليها وجمع من علمائها، فذكر أن أول سماعه بيخارى من عبدالله بن محمد الجعفي ومحمد بن سلام البيكندي وجماعة ليسوا من كبار شيوخه، ثم سمع بليخ من مكّي بن إبراهيم وهو من عوالي شيوخه، وسمع بمرو من عبدالله بن عثمان وعلي بن الحسن بن شقيق وجماعة، وبنيسابور من يحيى بن يحيى وجماعة، وبالري من إبراهيم بن موسى، وببغداد إذ قدم العراق في آخر سنة عشر ومنتين من محمد بن عيسى بن الطباع وسريح بن النعمان ومحمد بن سابق وعفان، وبالبصرة من من أبي عاصم النبيل والأنصاري وعبد الرحمن بن حماد ومن محمد بن عرعرة وحجاج ابن منهال وعبدالله بن رجاء وعدة، وبالكوفة من عبيد الله بن موسى وأبي نعيم وخالد بن مخلد وطلق بن غنام وخالد بن يزيد المقرئ ممن قرأ على حمزة، وبمكة من أبي عبد الرحمن المقرئ وخلاد بن يحيى وحسان بن حسان البصري وأبي الوليد أحمد بن محمد الأزرقى والحُميدي، وبالمدينة من عبد العزيز الأويسي وأيوب بن سليمان بن بلال وإسماعيل بن أبي أويس، وبمصر سعيد بن أبي مريم وأحمد بن أشكاب وعبدالله بن يوسف وعدة، وبالشام أبا اليمان وآدم بن أبي إياس وعلي بن عياش وأمّ سواهم<sup>(٢)</sup>. ثم قال الذهبي: "وقد رُتّب

(١) هدي الساري / ص ٥٠٣، بتصرف.

(٢) سير أعلام النبلاء / ج ١٢ / ص ٣٩٤، ٣٩٥.



شيخنا أبو الحجاج المزني شيوخ البخاري وأصحابه على المعجم كعادته وذكر خلقاً سوى من ذكرت".<sup>(١)</sup>

أما عن تلاميذه فلا يمكن ذكرهم جميعاً ذلك لأنه تصدر للحديث وهو صغير فكثير الآخذون عنه، حتى أن أهل البصرة في أول مرة قدم عليهم فيها كانوا يعدون في الطرقات خلقه في طلب الحديث حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه وهو إذ ذاك شاب لم يخرج وجهه - يعني شعر وجهه - ثم لما قدم البصرة مرة أخرى فينادي المنادي يا أهل العلم قد قدم محمد بن إسماعيل فيقومون فيرون شاباً لم يكن في لحيته شيء من البياض يصلي خلف الاسطوانة في جامع البصرة ويسألونه الإملاء فيجلس لهم بالغداة وقد حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألف".<sup>(٢)</sup>

وفي بغداد يذكر مستمليه صالح بن محمد البغدادي فيقول: كنت أستملي له ويجلس في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً، ويذكر نحو هذا محمد بن يوسف بن عاصم فيقول: رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستمليين ببغداد وكان قد اجتمع في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل".<sup>(٣)</sup>

وذكر الذهبي عن محمد بن يوسف الفزبري أنه كان يقول: سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل فما بقي أحد يرويه غيري".<sup>(٤)</sup>

ومن كبار الآخذين عنه من الحفاظ: صالح بن محمد الملقب جزرة ومسلم بن الحجاج وأبو الفضل أحمد بن سلمة وأبو بكر بن إسحاق بن خزيمه ومحمد بن نصر المروزي وأبو عبدالرحمن النسائي وأبو عيسى الترمذي وعمر بن محمد البحيري وأبو بكر بن أبي الدنيا وأبو بكر البزار وحسين بن محمد القباني ويعقوب بن يوسف الأخرم وعبدالله بن محمد بن

(١) المصدر السابق / ج ١٢ / ص ٣٩٧.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي / ج ٢ / ص ١٥٠، وانظر هدي الساري / ص ٥١١، و سير أعلام النبلاء / ج ١٢ / ص ٥٠٩.

(٣) المصدر السابق / ج ٢ / ص ٤٠، وانظر هدي الساري / ص ٥٠٩.

(٤) سير أعلام النبلاء / ج ١٢ / ص ٣٩٨، وانظر هدي الساري / ص ٥١٦.

ناجية وسهل بن شاذويه البخاري وعبدالله بن واصل والقاسم بن زكريا المطرز وأبو قريش  
محمد بن جمعة ومحمد بن محمد بن سليمان الباغندي ومحمد بن عبدالله الجنيد والحسين بن  
إسماعيل الحاملي البغدادي وهو آخر من سمع عنه الحديث ببغداد.<sup>(١)</sup>

### تصانيفه:

ذكر ابن حجر<sup>(٢)</sup> (رحمه الله) تصانيفه والرواة عنه، وسأكتفي بتعدادها فقط خشية  
الإطالة:

١. الجامع الصحيح.
٢. المسند الكبير.
٣. رفع اليدين في الصلاة.
٤. التفسير الكبير.
٥. القراءة خلف الإمام.
٦. كتاب الأشربة.
٧. الأدب المفرد.
٨. كتاب الهبة.
٩. التاريخ الكبير.
١٠. كتاب العلل.
١١. التاريخ الأوسط.
١٢. كتاب الكنى.
١٣. التاريخ الصغير.
١٤. أسامي الصحابة.
١٥. خلق أفعال العباد.
١٦. كتاب الفوائد.
١٧. كتاب الضعفاء.
١٨. كتاب الوجدان.
١٩. الجامع الكبير.
٢٠. كتاب المبسوط.

(١) هدي الساري / ص ٥١٧ بتصرف.

(٢) انظر هدي الساري / ص ٥١٦، ٥١٧.

## ثناء الناس عليه وتعظيمهم له:

قال ابن حجر (رحمه الله): " فأولهم مشايخه، قال سليمان بن حرب ونظر إليه يوماً فقال: هذا يكون له صيت، وكذا قال أحمد بن حفص نحوه، وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه وقال: هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي، وقال حاشد بن إسماعيل: قال لي أبو معصب أحمد بن أبي بكر الزهري: محمد بن إسماعيل أفتقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل، وقلل عبدالله بن عثمان المروزي: ما رأيت يعني شاباً أبصر من هذا وأشار إلى محمد بن إسماعيل، وقال قتيبة بن سعيد: جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل وهو في زمانه كعمر في الصحابة، وعن قتيبة أيضاً قال: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية، وسئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمد بن إسماعيل فقال قتيبة للسائل: هذا أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلي بن المديني قد ساقهم الله إليك وأشار إلى البخاري، وكان محمد بن سلام البيكندي يقول: كلما دخل علي محمد بن إسماعيل تحيرت ولا أزال خائفاً منه يعني يخشى أن يخطئ بحضرته، وقال حاشد بن إسماعيل: رأيت إسحاق بن راهويه جالساً على المنبر والبخاري جالس معه وإسحاق يحدث فمر بحديث فأنكره محمد فرجع إسحاق إلى قوله وقال: يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفة بالحديث وفقهه، وقال الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري حدثني فتح بن نوح النيسابوري قال: أتيت علي بن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالساً عن يمينه وكان إذا حدث التفت إليه مهابة له.

وقال أبو حاتم الرازي: لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل، قال: العجلي: ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعان إليه وكان أمة من الأمم ديناً فاضلاً يحسن كل شيء، وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل، وقال أبو عيسى الترمذي: لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخاري، وقال له مسلم: أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك، وقال عبدالله بن حماد الأيلي: لوددت أني كنت شعرة في جسد محمد بن إسماعيل".<sup>(1)</sup>

ثم قال ابن حجر (رحمه الله): "ولو فتحت باب الثناء عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس ونفدت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له، وبعد ما تقدم من ثناء مشايخه عليه لا يحتاج إلى حكاية من تأخر لأن أولئك إنما أثنوا بما شاهدوا ووصفوا ما علموا بخلاف من بعدهم فإن ثنائهم ووصفهم مبني على الاعتماد على ما نُقل إليهم، وبين المقامين فرق ظاهر وليس العيان كالخبر".<sup>(١)</sup>

### سيرته وشمائله وزهده وفضائله:

قال ابن حجر (رحمه الله): "قال وراقه سمعته - أي محمد بن إسماعيل - يقول: ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه، كنت أمر إنساناً فيشتري لي، قيل له: ولم؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط. وقال: رأيتُه استلقى ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج، فقلت له: إني سمعتك تقول ما أتيت شيئاً بغير علم فما الفائدة في الاستلقاء، قال: أتعبت نفسي اليوم وهذا ثغر خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وأخذ أهبة فإن غامضنا العدو كان بنا حراك. وقال: وسمعته يقول لأبي معشر الضريير: اجعلني في حل يا أبا معشر، فقال: من أي شيء؟ فقال رويت حديثاً يوماً فنظرت إليك وقد أعجبت به وأنت تحرك رأسك ويديك فبسمتُ من ذلك، قال: أنت في حل يرحمك الله يا أبا عبدالله. قال: وسمعته يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة، فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك التاريخ يقولون فيه اغتيال الناس، فقال: إنمدا روينا ذلك رواية ولم أنقله من عند أنفسنا وقد قال النبي ﷺ: "بس أخو العشرة". قال: وسمعته يقول: ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة حرام.

قلت: وللبخاري في كلامه على الرجال توقُّ زائد وتحرُّ بليغ يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل فإن أكثر ما يقول سكت عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا، وقل أن يقول كذاب أو وضاع وإنما يقول كذبه فلان، رماه فلان يعني بالكذب.

أخبرني أحمد ابن عمر اللؤلؤي عن الحافظ أبي الحجاج المزني أخبرنا محمد بن أحمد بن سليمان حدثنا أحمد بن محمد بن عمر سمعت بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أفي اغتبت أحداً. وقد كان قليل الأكل جداً كثير الإحسان إلى الطلبة مفرط الكرم.

وقال الحاكم أبو عبدالله الحافظ: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع به أصحابه فيصلي بهم ويقراً في كل ركعة عشرين آية وكذلك إلا أن يختم القرآن وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليالٍ. وأخرج الحاكم في تاريخه من شعره:

اغتمت في الفراغ فضل ركوع      فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم      ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

قلت: وكان من العجائب أنه هو وقع له ذلك أو قريباً منه، ولما نعي إليه عبدالله بن

عبدالرحمن الدارمي الحافظ أنشد:

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم      وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع.

وقال الحافظ أبو الفضل أحمد بن بن علي السليماني: سمعت علي بن محمد بن منصور

يقول: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبدالله فرجع إنسان من لحيته قذاه وطرحها إلى

الأرض، قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس فلما غفل الناس رأته مد يده

فرجع القذاة من الأرض فأدخلها في كفه فلما خرج من المسجد رأته أخرجها وطرحها على

الأرض".<sup>(١)</sup>

وفاته:

وبعد حياة حافلة بطلب العلم وحفظه ونشره حدثت له (رحمه الله) محنة فاقمه أمير بخارى خالد الذهلي بالقول بمخلق القرآن وطلب من البخاري أن يقرأ الجامع الصحيح بين يديه فامتنع تكريماً للعلم وقال لرسوله: إني لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين فين كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضرن في مسجدي أو في داري فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر من الله يوم القيامة أي لا أكرم العلم. فكانت هذه الحادثة سبباً للوحشة بينهما ومفارقة أبي عبدالله البخاري البلد. (١)

فذهب إلى (خرتلك) قرية من قرى سمرقند وكان له بها أقرباء فترل عندهم، قال ابن عبد الجبار: فسمعت ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه: اللهم قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، قال: فما أتم الشهر حتى قبضه الله. وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت غالب بن جبريل - وهو الذي نزل عليه البخاري (بخرتلك) - يقول: إنه أقام أياماً فمرض حتى وجّه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون فيه الخروج إليهم فأجاب وقبياً للركوب وليس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها وأنا آخذ بعضده قال: أرسلوني فقد ضعفت فأرسلناه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقبضى ثم سال منه عرق كثير، وكان قد قال لنا: كفنوني في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة، قال: ففعلنا فلما أدرجناه في أكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياماً، وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين وكانت مدة عمره اثنى وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً تغمده الله برحمته آمين". (٢)

ولم تذكر المصادر شيئاً عن نسله بل غاية ما ذكر أنه تسرى بخارية ثم أعتقها بعدد، ولكن بقي له (علم يُنتفع به) نسأل الله أن يجمعنا وإياه والدينا في جنات النعيم.

تلك بعض الجوانب عن حياة البخاري وقد صنف العلماء (رحمهم الله) فيها المصنفات وألفوا فيه التواليف ولكن حسبي في هذا المقام ما ذكرت ،، والله المستعان.

(١) انظر هدي الساري/ ص ٥١٨.

(٢) المصدر السابق / ص ٥١٨. وانظر الأعلام / ج ٦/ ص ٢٥٩.

## المبحث الثاني

### التعريف بالجامع الصحيح للإمام البخاري

اسمه وموضوعه ومكانته:

اسمه: اشتهر اسم كتاب البخاري بـ(صحيح البخاري) غير أن العلماء (رحمهم الله) قد ذكروا أن البخاري أراد له اسماً معيناً هو أظهر في بيان مراد البخاري منه وإن كان ما اشتهر به الكتاب دالاً أيضاً على أبرز ما اشترطه مؤلفه له، وقد ذكر ابن الصلاح أن اسم الكتـلب هو: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)<sup>(١)</sup>، وذكر ابن حجر اسماً آخر هو: (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)<sup>(٢)</sup>

موضوعه: أما عن أصل موضوعه فقد ذكر ابن حجر أن البخاري (رحمه الله) قد التزم فيه الصحة فلا يورد فيه إلا حديثاً صحيحاً وأنه استفاد من تسميته إياه: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، ثم رأى أن لا يخلية من الفوائد الفقيهيه والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الواسعة، قال الشيخ محيي الدين: ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها، وقد ضمن أبواب من التراجم ما حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار.<sup>(٣)</sup>

وقد أطال ابن حجر وغيره من العلماء في بيان موضوع الجامع ومنهجيته، وحسبنا هنا الإشارة فقط إلى ذلك.

(١) علوم الحديث لابن الصلاح / ص ٢٣.

(٢) هدي الساري / ص ١٠.

(٣) المصدر السابق / ص ١٠، ١٥.

إن الجامع الصحيح له أهمية خاصة تميزه من بين سائر مؤلفاته ولا يوجد مكان على وجه الأرض وصل إليه الإسلام إلا وتجد صحيح البخاري فيه وهذا الكتاب المبارك من أهم وأبرز الأمور التي دعت الأمة الإسلامية إلى تلقيب الإمام البخاري بإمام المحدثين وأمير المؤمنين في الحديث ولم يحصل قط وعلى امتداد التاريخ الإسلامي أن نال أي مصنف لأي محدث أو مؤلف أو إمام أو فقيه من المتقدمين والمتأخرين ما ناله هذا الكتاب من الفضل والشرف والقبول لدى الأمة - عدا كتاب الله - تخضع له الأمة الإسلامية كلها قال ابن خلدون في مقدمته: "ولقد سمعت كثير من شيوخنا رحمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة" وهذا الكتاب لا يجمع الوحي الذي نزل على محمد وإلهاماته وأفعاله وأقواله فحسب بل مع ذلك ذكر فيه تفسير أكثر المواضع المشككة في القرآن<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الفزيري أن من سمعة بلغ عددهم تسعون ألفاً.<sup>(٢)</sup>

قال: النووي (رحمه الله): "اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: البخاري ومسلم رحمهما الله وتلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخاري رحمه الله أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري رحمه الله هو المذهب المختار الذي قال الجماهير وأهل الإتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث".<sup>(٣)</sup>

وقال الإمام النسائي (رحمه الله): "ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخاري".<sup>(٤)</sup>  
وقال أبو الحسن الدارقطني الحافظ: "لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء" وقال أيضاً: "إنما أخذ مسلم كتاب البخاري فعمل فيه مستخرجاً وزاد فيه أحاديث".<sup>(٥)</sup>

وروي أن مسلم قال له: "لا يغيضك إلا حاسد وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك".<sup>(٦)</sup>

(١) سيرة الإمام البخاري للمباركفوري / ص ١٥٩، ١٦٣.

(٢) هدي الساري / ص ٥١٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ١ / ص ١٤.

(٤) المصدر السابق / مج ١ / ج ١ / ص ٥١٤، وانظر العبارة نفسها في هدي الساري / ص ٥١٤.

(٥) هدي الساري / ص ٥١٤.

(٦) المصدر السابق / ص ٥١٣.



## السبب الباعث على تصنيفه ومنهجه في ذلك التصنيف:

قال ابن حجر (رحمه الله): "اعلم أن آثار النبي ﷺ لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين:

أحدهما: أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهبوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم،

وثانيهما: لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار، وكانوا يصنفون كل باب على حدة إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدوتوا الأحكام ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسخ على منوالهم ثم رأى بعض الأئمة منهم أن يفرّد حديث النبي ﷺ خاصة، فقلّ إمام من الحفاظ إلا وصنف حديثه على المسانيد ومنهم من صنف على الأبواب وعلى المسانيد معاً، فلما رأى البخاري هذه التصانيف ورواها وانتشق رباها واستجلى محياها وجدها حسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت الصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف فلا يقال لغته سمين، فحرّك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين، وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقّه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهوية وذلك فيما أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر اللؤلؤي عن الحافظ المزني قال أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري: كنا عند إسحاق بن راهوية فقال: لو جمعت كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ، قال: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح.<sup>(١)</sup>

أما عن منهجية البخاري في هذا الصحيح وشروطه فيه: فقد اشترط البخاري (رحمه الله) على نفسه قبل قبل أن يدوّن الحديث الطهارة، قال (رحمه الله): "ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين" وقال: "صنفت الجامع من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله".<sup>(٢)</sup> وقال: "ما أدخلت فيه حديثاً إلا بعدما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته".<sup>(٣)</sup>

(١) هدي الساري / ص ٨، ٩.

(٢) المصدر السابق / ص ٥١٣.

(٣) سر أعلام النبلاء / ج ١٢ / ص ٤٠٦، ٤١٢.

أما عن شرطه في تخريجه للأحاديث في صحيحه فلم يُنقل عنه ولا عن غيره من الأئمة أنه قال: شرطت أن أخرج في كتابي مما يكون على الشرط الفلاني وإنما يعرف ذلك من سبر كتبهم، وقد ذكر بن حجر عند تقريره أن الجامع أصح الكتب المصنفة في الحديث النبوي أن شرط البخاري أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات وأن يكون إسناده متصلاً غير مقطوع، وإن كان للصحابي راويان فصاعداً فحسن وإن لم يكن إلا راوٍ واحد وصح الطريق إليه كفى، وشرطه في رواياته الطبقة الأولى وهم غاية في الصحة حيث جمعوا بين الحفظ والإتقان وطول الملازمة<sup>(١)</sup>

والبخاري يوب بآية أو حديث أو غيرها وهذه إحدى مزايا البخاري في جامععه إذ أودع في هذه التراجم الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فسانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة.<sup>(٢)</sup>

وعلى ذلك فإن الإمام البخاري يرمي إلى غرضين أساسيين في تأليفه للجامع الصحيح:  
 أولهما: انتخاب وجمع تلك الأحاديث التي اتفق على صحتها المحدثون قبل الإمام البخاري أو المعاصرون له ولذلك سماه "الجامع الصحيح من أحاديث رسول الله وسننه وأيامه".  
 وثانيهما: استنباط المسائل الفقهية واستخراج النكات الحكيمة والأحاديث الأخرى أن تسمى بنتائج النظرة الدقيقة التي منحها الله للبخاري التي يذكرها في تراجم أبوابه بين حين وآخر، ومراعاة هذا الغرض - أي استخراج المسائل الفقهية - ما كان يبالي بتكرار المتن ولكنه مع ذلك كان يلتزم أن لا يتكرر المتن والإسناد معاً من كل الوجوه بل التكرار في مضمون الحديث فقط وبكثرة الأسانيد المختلفة يرتفع الحديث من الآحاد إلى الشهرة أو التواتر المعنوي وهذا التكرار يزيده حسناً إلى حسن، وهو في استنباطه للمسائل يتبع أسلوباً حسناً جداً وهو أنه أول ما يستدل يستدل بالآيات القرآنية ويراعي قبل كل شيء التطبيق والتوفيق بين الآية والحديث، وفي طيه تفسير الآية بالحديث أو الحديث بالآية، له أسلوب

(١) هدي الساري / ص ١١، وانظر الإمام البخاري إمام الحفاظ والمحدثين / نقي الدين الندوي / ص ١٠٨.

(٢) المصدر السابق / ص ١١.

لطيف ودقيق في الاستدلال حتى أن كثيراً من غير العارفين يقعون في حيرة ويجعلونه هدفاً  
لظعنهم واعتراضهم.

ولما كانت المسائل الفقهية واستنباطها من أهم أغراضه اكتفى في كثير من الأبواب  
بالإشارة إلى الحديث فيقول: فيه عن فلان ويشير إلى الحديث الذي سبق ذكره سواء كان  
قريباً أو بعيداً، وأحياناً يذكر في بعض التراجم متن الحديث فقط ويحذف السند أو يذكره  
معلقاً، وهناك تراجم وأبواب كثيرة يذكر فيها عدة أحاديث وأحياناً يكتفي بحديث واحد  
وأحياناً يذكر الآيات القرآنية فقط، وكل هذه الأساليب تدل على أن استنباط المسائل  
الفقهية من أهم أهداف صحيح البخاري وأغراضه الأساسية.

وتوجد بعض التراجم ليس فيها أي حديث ولا آية ولا أثر صحابي ولا قول تابعي بل  
مجرد فراغ وهذا في صورة إن عرضت له مسألة ولم يستحضر دليلها فكتب المسألة بعنوان  
ترجمة الأبواب على أمل أن ينظر فيها ويذكر فيها الأحاديث أو الآيات فيما بعد في الرد أو  
التأييد إلا أن المنية عاجلته، وفي بعض الأمكنة يوجد الحديث ولا يوجد عليه ترجمة ولا بلب  
وهذا في حالة إذا تيقن صحة الحديث وأدخله في الكتاب إلا أنه لم يجد فرصة الاستنباط منه.

أما عن التراجم فقد راعى الإمام البخاري في تراجم أبواب صحيحه مقاصد عالية رفيعة  
وأهدافاً سامية نبيلة، ففي بعض الأحيان يشير إلى النكات الفقهية الدقيقة وأحياناً أخرى يبين  
الأصول الحديثية وعللها الغامضة التي تحتاج إلى نظر ثاقب وفهم صائب وفطنة خارقة  
وذكاء موهوب مع سعة الأفق وكثرة الاطلاع ، أما الطبايع المعكوسة الزائفة والعقول  
الضيقة والأنظار المحدودة أو ألتك الذين يتقيدون بالأصول الموروثة أو تفرجات أهل الرأي  
فقد حُرّموا من الوصول إلى دقائق تراجم الإمام البخاري،

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

مع أن حكم الفقهاء والمحدثين في شأن تراجم البخاري أصبح مضرِباً للمثل وهو قولهم: "فقه البخاري في تراجمه" وتبين أهمية تراجم أبواب الجامع الصحيح من أن كثيراً من أجله المحدثين وفحول المصنفين قد ألفوا تأليفات مستقلة على مقاصد تراجمه الجليلة والإشارات الخفية الغامضة.<sup>(١)</sup>

وقد عرض البخاري مؤلفه على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث، قال العقيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة.<sup>(٢)</sup>

وقال عن نفسه: كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه جملة الحديث إذا كان الرجل فهماً فإن لم يكن سألته أن يخرج إليّ أصوله ونسخته، وأما الآخرون لا يبالون ما يكتبون وكيف يكتبون.<sup>(٣)</sup>

(١) سيرة الإمام البخاري / ص ١٧٠، ١٧١. وقد ذكر الشيخ عبد السلام المباركفوري تفصيل مقاصد التراجم

في هذا المؤلف نفسه / ص ١٧٤، ١٧٥ فلتراجع.

(٢) هدي الساري / ص ٩، ٥١٤.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ١ / ص ٨.

## مدة تأليفه للجامع ومكان ذلك وعدد أحاديثه:

مدة ومكان تأليفه: قال ابن حجر (رحمه الله): "قال البخاري (رحمه الله): صنفت الجامع من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله، وقال عمر بن محمد بن بجير البجلي: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثاً حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته، قلت: الجمع بين هذا وبين ما تقدم أنه كان يصنفه في البلاد أنه ابتداء تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها ويدل عليه قوله أنه أقام فيه ستة عشر سنة فإنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها، وقد روى ابن عدي عن جماعة من المشايخ أن البخاري حوّل تراجم جامعه بين قبر النبي ﷺ ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين، قلت: ولا ينافي هذا أيضاً ما تقدم لأنه يُحمل على أنه في الأول كتب في المسودة وهنا حوله من المسودة إلى الميضية.<sup>(١)</sup>

عدد أحاديثه: قال ابن حجر (رحمه الله): قال الشيخ تقي الدين بن الصلاح فيما روياه عنه في علوم الحديث: عدد أحاديث صحيح البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون بالأحاديث المكررة، قال وقيل: إنما يأسقاط المكرر أربعة آلاف، هكذا أطلق ابن الصلاح وتبعه الشيخ محي الدين النووي في مختصره "<sup>(٢)</sup>.

غير أن ابن حجر (رحمه الله) يرى غير ذلك فقال: "فجميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والتابعات على ما حررته وأتقنته سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً فقد زاد على ما ذكروه مائة حديث واثنان وعشرون حديثاً."<sup>(٣)</sup>

وقال بعد ذكره عدد الأحاديث والتعليق والتابعات في كل موضع على ترتيب من سبقوه: "فجميع ما في الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً وهذه العدة خارجة عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات على التابعين فمن بعدهم."<sup>(٤)</sup>

(١) هدي الساري / ص ٥١٣، ٥١٤.

(٢) المصدر السابق / ص ٤٩١.

(٣) المصدر السابق / ص ٤٩٢.

(٤) المصدر السابق / ص ٤٩٣.

## المؤلفات في الجامع الصحيح:

لم يحظَ كتاب من كتب النشر في المكتبة العالمية بعناية الناس مثلما حظي كتاب: (الجامع الصحيح) للإمام البخاري فقد اعتنى العلماء والمؤلفون به شرحاً له واستنباطاً للأحكام منه وتكلموا على رجاله وتعليقه وشرحاً لغريبه وبياناً لمشكلات إعرابه إلى غير ذلك، وقد تكاثرت شروحه حتى قال صاحب (كشف الظنون): إنها تنوف على اثنين وثمانين شرحاً وذلك ما عدا ما ألف بعد عصر صاحب الكشف.<sup>(١)</sup>

وذكر الدكتور تقي الدين الندوي المظاهري أن عدد شروحه والتعليقات عليه بلغت إلى واحد وثلاثين ومائه كتاباً.<sup>(٢)</sup>

وذكر الدكتور عبد الغني عبد الخالق: أن شروح وتعليقات ومختصرات الجامع مائة وخمسة عشر كتاباً، تسعة وخمسون شرحاً مخطوط واثنا عشرة شرحاً مطبوع، وثمانية وعشرون تعليقياً ما بين مخطوط ومطبوع، وست عشرة مختصراً ما بين مطبوع ومخطوط.<sup>(٣)</sup> وقد ذكر العلامة عبد السلام المباركفوري أن من الصعب جداً أن يستقصى المرء كل تلك الشروح والمؤلفات التي ألفت حول صحيح البخاري.<sup>(٤)</sup>

ومن أعظم ما ألف في شرح صحيح البخاري كتاب فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وهو الشرح الذي قال فيه الشوكاني: "لا هجرة بعد الفتح" قال صاحب كشف الظنون: "وشهرته وانفراده بما يشتمل عليه من الفوائد الحديثية والنكات الأدبية والفوائد الفقهية تعني عن وصفه". وقد انتشر في الأنحاء ولم يترك شيئاً للشراح المتأخرين وكل من جاء بعده فهم عيال عليه وتلقي بقبول عدم النظر حتى أن الأمراء اشتروه بوزنه من الدنانير.<sup>(٥)</sup>

(١) الإمام البخاري لتقي الدين الندوي المظاهري / ص ١٤٠، وصاحب الكشف هو: الملا كاتب جلي.

(٢) المرجع السابق / ص ١٤١.

(٣) الإمام البخاري وصحيحه / ص ٢٠٣ - ٢٤٥.

(٤) سيرة الإمام البخاري / ص ١٨٥.

(٥) المرجع السابق / ص ١٩٣، ١٩٤.

## المبحث الثالث

### التعريف بكتاب الأنبياء ومكانته في صحيحه

رقم الكتاب في الجامع الصحيح هو الستون ويشمل على أربعة وخمسين باباً معظمها مسائل عقديّة، وقد عرف بهذا الكتاب ابن حجر (رحمه الله) فقال: " اشتمل كتاب أحاديث الأنبياء وما بعده من ذكر بني إسرائيل من الأحاديث المرفوعة على مائتي حديث وتسعة أحاديث المكرر منها فيه وفيما مضى مائة وسبعة وعشرون حديثاً والخالص اثنان وثمانون حديثاً المعلق منها ثلاثون طريقاً وسائرهما موصول وافقه مسلم على تخريجها سوى حديث عائشة " الأرواح جنود" وحديث: " قال رجل رأيت السد" وهذان معلقان وحديث أبي هريرة " يلقى إبراهيم أباه " وحديث ابن عباس في قصة زمزم وبناء البيت بطوله، وحديثه في تعويد الحسن والحسين وحديث سيرة بن معبد وحديث أبي الشموس وحديث أبي ذر وهذه الثلاثة معلقات وحديث أم رومان في قصة الإفك وحديث أبي هريرة " إنما سمى الخضر" وحديث أبي مسعود في يونس عليه السلام وحديث الخاصرة وحديث عبدالله بن عمر " بلغوا عني" وحديث أبي هريرة: " إن اليهود لا يصبغون" وحديث عائشة في الطاعون وحديث أبي مسعود في الحياء وفيه من الآثار من الصحابة فما بعدهم ستة وثمانون أثراً والله أعلم".<sup>(١)</sup>

وهو كتاب عظيم قد اشتمل أحاديث لم توجد في غيره في جزء هام من العقيدة لا يكتمل إيمان المرء إلا به وهو مع ما قبله " كتاب بدء الخلق" ومع ما بعده " كتاب المناقب"، ثم كتاب "فضائل أصحاب النبي" ثم كتاب "مناقب الأنصار" ثم "المغازي" أشبه بكتاب تلميحي متسلسل . ويبدو والله وأعلم أنه كان قاصداً وضعه في هذا الموضوع مع ما قبله وما بعده.

وقد ذكر فيه مسائل عقديّة هامة ومفصلة متعلّقة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبتدئاً  
بآدم عليه السلام ثم نوح وإدريس ثم هود وصالح ثم إبراهيم ثم إسماعيل ثم إسحاق ثم لوط ثم  
يعقوب ويوسف ثم موسى وشعيب إلى أن اختتم ذلك بعيسى عليهم جميعاً الصلاة والسلام  
وقد تبدأ أبواب هذا الكتاب بآيات تناسب ما ذكره في الباب من أحاديث ولم يخرج من  
ذلك إلا ما قلّ مما لا يوجد ما يدل عليه في القرآن الكريم.

وحرصت في هذه الرسالة على جمع كل مسائل العقيدة المتعلّقة بهذا الكتاب وترتيبها  
ودراستها والتحقّق فيها مع الحرص على ذكر روايات البخاري في كل مسألة ولم يخرج -  
حسب ظني - من ذلك إلا ما كان من المسائل العقديّة التي درستها لتعلّقها بمجال دراستي  
وليس لها ذكر عند البخاري ( رحمه الله).



## المبحث الرابع

### منهم البخاري ( رحمه الله ) في عرض العقيدة

من خلال الإطلاع على الجامع الصحيح وبعض ما ألف فيه يتضح أن منهج البخاري ( رحمه الله ) هو نفس منهج السلف الصالح رضوان الله عليه أجمعين لم يخالفهم في شيء قط ومن أبرز سمات هذا المنهج ما يلي:

(١) الاعتماد - في تقرير العقيدة - على الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة اعتماداً ينياً واضحاً.

أما عن القرآن الكريم فيتضح اعتماد البخاري ( رحمه الله ) عليه في جامعته وضوحاً لا يحتاج معه إلى كثير فحص، ذلك أن الناظر في تراجمه يجد أنه قد ضمّن كثير من الأبواب جزء من آية كريمة أو أكثر والتي تقرر أو تؤكد مضمون الباب أو تدل على شيء مما دل عليه.

وأما اعتماده على السنة المطهرة في أعلى درجات صحتها وثبوتها فيتضح ذلك بالاستقراء من أمور:

أ) ما اشترطه البخاري على نفسه في صحيحه - فقد اشترط على نفسه صحة كل ما يكتبه من الأحاديث واعتمد أعلى الروايات وأثبتها.

ب) الاستفادة من الرواية الصحيحة في تقرير أمر عقدي أو حكم شرعي وإن أدى ذلك إلى تكرارها أو تقطيعها.

(٢) اهتمام البخاري ( رحمه الله ) بالآثار الواردة عن الصحابة رضوان الله عليهم وهذا أيضاً أمر في غاية الجلاء والوضوح وهو منهج تميز به السلف الصالح عمن غيرهم تمسكاً بقوله ﷺ: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها....." (١).

- (٣) اهتمام البخاري (رحمه الله) بأقوال التابعين الذين أخذوا العلم عن صحابة رسول ﷺ.
- (٤) تفسير الغامض وشرح المهم سمة واضحة في كتاب الجامع الصحيح للبخاري واعتماده على أهل اللغة المبرزين كأبي عبيده والفراء وغيرهم.
- (٥) في المسائل العقيدية التي ضلّت فيها الفرق الكلامية كان البخاري (رحمه الله) ثابتاً على قول السلف الصالح متبعاً للقرآن والسنة ومن ذلك مسألة الأسماء والصفات عموماً ومسألة تكليم الله عز وجل لموسى خصوصاً.
- (٦) ويتبع ذلك حرصه الشديد على الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة وعدم الدخول مع المتكلمين في المصطلحات الحادثة المتدعة التي ضلوا بها وأضلوا.
- (٧) عناية البخاري (رحمه الله) بالعقيدة والأحكام الشرعية عناية كبرى ويتضح ذلك بالنظر إلى كتاب الجامع الصحيح فوجد الكتاب مشتملاً على كثير مما يحتاجه المؤمن في الدنيا من معتقدات علمية وعملية.
- (٨) إفراده بعض المباحث العقيدية بكتب مستقلة كالوحيد والإيمان والقدر ولم يجعلها تحت مسمى واحد وذلك لأن هذه الأبواب زلت فيها أقدام وضلت فيها عقول. وإفرادها وبيانها وإظهارها لا بد منه بخلاف لو ذُكرت مع غيرها جملةً.
- (٩) ذكره للخلاف في المسائل الاجتهادية وهذا يدل على فهم عميق للعقيدة والتفريق بين المسائل الثابتة و المسائل الاجتهادية الخلافية.

هذا ما تمكنت من ذكره والحمد لله رب العالمين من قبل ومن بعد.

## الباب الأول

### معالم النبوة في كتاب الأنبياء

ويتكون من أربعة فصول:

**الفصل الأول:** النبوة والرسالة، وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** الفرق بين النبي والرسول وأول الأنبياء والرسل.

**المبحث الثاني:** الوحي إلى غير الأنبياء.

**المبحث الثالث:** النبوة في النساء والجن.

**الفصل الثاني:** الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** الأنبياء الذين وردت أسماءهم في القرآن والسنة.

**المبحث الثاني:** ترتيب مجيء الأنبياء.

**المبحث الثالث:** من اختلف في نبوتهم من الصالحين.

**الفصل الثالث:** رسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** أصول مشتركة بين الأنبياء.

**المبحث الثاني:** اختلاف شرائع الأنبياء.

**الفصل الرابع:** تفاضل الأنبياء، وفيه ثلاث مباحث:

**المبحث الأول:** النصوص المثبتة لتفاضل الأنبياء.

**المبحث الثاني:** ما جاء من النهي عن التفضيل بين الأنبياء.

**المبحث الثالث:** تحقيق القول في تفاضل الأنبياء.

## الفصل الأول النبوة والرسالة

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** الفرق بين النبي والرسول وأول الأنبياء والرسل، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** التعريف اللغوي والاصطلاحي للنبوة والرسالة، والفرق بين النبي والرسول.

**المطلب الثاني:** أول الأنبياء وأول الرسل.

**المبحث الثاني:** الوحي إلى غير الأنبياء، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** الوحي إلى غير الأنبياء في القرآن الكريم.

**المطلب الثاني:** الوحي إلى الأنبياء في القرآن الكريم.

**المطلب الثالث:** الفرق بين الوحي إلى الأنبياء وإلى غيرهم في القرآن الكريم.

**المبحث الثالث:** النبوة في النساء والجن، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** النبوة في النساء.

**المطلب الثاني:** النبوة في الجن.

# المبحث الأول

## الفرق بين النبي والرسول وأول الأنبياء والرسول

### المطلب الأول

#### التعريف اللغوي والاصطلاحي للنبوة والرسالة، والفرق بين النبي والرسول

النبي والرسول من الألفاظ التي وردت في القرآن والسنة في كثير من المواضع، وقبل بيان الفرق بينهما من حيث معناهما الاصطلاحي نورد معناهما في اللغة:

#### النبي في اللغة:

للنبي في اللغة معنيان: قيل بالهمز من النبأ وهو الخبر، وقيل من النبوة والنباوة وهي الارتفاع.

قال ابن منظور (رحمه الله): "النبوة والنباوة والنبي ما ارتفع من الأرض، والنبي العَلَمُ من أعلام الأرض التي يُهتدى بها، قال بعضهم: ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلق الله وذلك لأنه يُهتدى به، وقال الزجاج: القراءة المُجْتَمَع عليها في النبيين والأنبياء طرح الهمز، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن من هذا، واشتقاقه نبأ وأنبا أي أخبر"<sup>(١)</sup>

وقال الفيروز أبادي (رحمه الله): "النباوة ما ارتفع من الأرض كالنبوة والنبي"<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب الأصفهاني (رحمه الله): "وقال بعض العلماء هو من النبوة أي الرفعة وسُمي نبياً لرفعته عن سائر الناس المدلول عليه بقوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾"<sup>(٣)</sup>. ولا مانع من اجتماع التعريفين في مُعَرَّفٍ واحد. فالنبي هو مُخْبِر عن الله تعالى، وهو أيضاً مرتفع المكانة وله الشرف والفضل في قومه"<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب / ج ١٥ / ص ٣٠٢، بتصرف.

(٢) القاموس المحيط / ص ١٧٢٣.

(٣) المفردات / ص ٤٨٢.

(٤) دراسات في النبوة والرسالة / ص ٨٣.

## الرسول في اللغة:

قال ابن منظور (رحمه الله): "الإرسال: التوجيه وهو الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قولهم جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة. وسُمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أي ذو رسالة، والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة، وأرسلت فلاناً فهو مُرسل ورسول".<sup>(١)</sup>

وقال الفيروز أبادي (رحمه الله): "الإرسال: التسليط والإطلاق والإهمال والتوجيه، والاسم الرّسالة بالكسر والفتح، والرسول: المرسل، والجمع: أرسل وأرسل ورسل".<sup>(٢)</sup>

وقال الراغب الأصفهاني (رحمه الله): "أصل الرّسل: الانبعاث على النّوذة، ويُقال ناقلة رِسْلة: سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرسول المنبعث".<sup>(٣)</sup>

والخلاصة من كل ما سبق أن النبي هو في اللغة: المُخبر عن الله سبحانه الهادي لقومه وهو أشرفهم منزلة وأعلاهم قدراً. والرسول في اللغة: هو الموجه المبعوث إلى قوم ليؤدي إليهم رسالة ويبلغهم أمراً".<sup>(٤)</sup>

(١) لسان العرب / ج ١١ / ص ٢٨٣-٢٨٤، بتصرف.

(٢) القاموس المحيط / ص ١٣٠٠.

(٣) المفردات / ص ١٩٥.

(٤) دراسات في النبوة والرسالة / ص ٨٤.

## النبى والرسول في الاصطلاح:

اختلف العلماء (رحمهم الله تعالى) في تعريف (النبى) و(الرسول) والتفريق بينهما، وهذا الاختلاف ناتج عن أمرين:

الأول: فهم كل منهم للنصوص التي ورد فيها لفظ (النبى) أو لفظ (الرسول).  
الثاني: عدم وجود نص شرعي ثابت يفرق بينهما على وجه الدقة.

ويمكن حصر ذلك الخلاف في قولين:<sup>(١)</sup>

### القول الأول:

وهو رأي القائلين بالفرق بين النبى والرسول وأنه ليس كل نبى رسول، واستدلوا بأدلة كثيرة. وهذا هو قول الجمهور، وهم مع ذلك قد اختلفوا فيما بينهم في تحديد معنى كل من النبى والرسول.

ومن الأدلة التي استدلوا بها:

✓- استدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾.<sup>(٢)</sup>

، قالوا: فقد عطف النبى على الرسول، والقاعدة أن العطف يقتضى المغايرة فدل على أن النبى غير الرسول.

يقول الكلبي في تفسيره لهذه الآية: "النبى أعم من الرسول، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً، فقدم الرسول لمناسبته لقوله: ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾ وأخر النبى لتحصيل العموم، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل في ذلك من كان نبياً غير رسول"<sup>(٣)</sup>.

ويقول د. سليمان العودة: "فورود كلمة رسول وكلمة نبى في آية واحدة معطوفة أحدهما على الأخرى يدل على أن لكل واحد منهما معنىً خاصاً بها إذ لا زيادة في القرآن ولا تكرار بلا فائدة"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر معالم النبوة في الكتاب والسنة /ص٢٩، وانظر أعلام النبوة /ص٣٧،٣٨.

(٢) الحج /٥٢.

(٣) معالم النبوة /ص٢٩.

(٤) من نبأ المرسلين /ص١٠.

- واستدلوا كذلك بقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾. (١)

قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسيره لهذه الآية: " في هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأخرى لأن كل رسول نبي ولا ينعكس ذلك، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ " (٢).

ثم ذكر (رحمه الله) حديثاً نسبته للإمام أحمد والترمذي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي " (٣).

- واستدلوا بما رواه ابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ سئل عن آدم: أنبي هو؟ قال: "نعم، نبي مكلم".

قال الشيخ محمد العنمين: " ولكنه ليس برسول والدليل قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: " أن الناس يذهبون إلى نوح فيقولون: " أنت أول الرسل بعثه الله إلى أهل الأرض " وهذا نص صريح بأن نوحاً أول الرسل " (٤).

- واستدلوا بحديث رواه الطبراني في الأوسط والبخاري من حديث أبي ذر الغفاري قال: قلت يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: "آدم"، قلت: يا رسول الله ونبي كان؟ قال: "نعم، نبي مكلم" قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: "ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً". وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً" وفي الحديث مقال غير أن الألباني صححه في مشكاة المصابيح. (٥)

(١) الأحزاب / ٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٤٩٣.

(٣) المصدر السابق / ج ٣ / ص ٤٩٣.

(٤) المجموع الثمين / ج ٢ / ص ٢٤٧.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٨٥، وانظر مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني / ج ٣ / ١٥٩٩. حديث رقم: ٥٧٣٧.



أما عن تحديد الفرق بين النبي والرسول، فهذا قد اختلف فيه جمهور العلماء. ومن أشهر الفروق والتي أخذ بها كثير منهم: ما ذكره ابن أبي العز الحنفي (رحمه الله) حيث قال: "وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي ليس برسول، فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها".<sup>(١)</sup>

وقال السفاريني (رحمه الله): "فالنبي هو إنسان أُوحي إليه بشرع وإن لم يُؤمر بتبليغه، فإن أمر بتبليغه فهو رسول أيضاً، فبين الرسول و النبي عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، والرسول أفضل من النبي إجماعاً لتميزه بالرسالة لأنها تتمر هداية الأمة".<sup>(٢)</sup>

وقال الشيخ حافظ الحكمي (رحمه الله): "الرسول هو من أُوحي إليه وأمر بالتبليغ، أما من أُوحي إليه ولم يُؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط وليس برسول، فكل رسول نبي ولا عكس".<sup>(٣)</sup> واختار هذا بعض المعاصرين كالشيخ محمد علي الصابوني<sup>(٤)</sup>، والشيخ محمد خليل هراس<sup>(٥)</sup>. ومناسبة هذا التفريق للدلالة اللغوية - التي أشرنا إليها سابقاً - قوية وهي واضحة للمعنى العربي<sup>(٦)</sup>.

غير أن هذا التفريق قد رده بعض العلماء ومنهم العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup>

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ج ١ / ص ١٥٥.

(٢) مختصر لوامع الأنوار / ص ٤٤٩.

(٣) معارج القبول / ج ١ / ص ٩٥.

(٤) النبوة والأنبياء للصابوني / ص ١٤.

(٥) شرح العقيدة الواسطية / ص ١٨.

(٦) دراسات في النبوة والرسالة / ص ٨٥.

(٧) الحجج / ص ٥٢.

قال (رحمه الله): " وآية الحج هذه تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي من أوحى إليه وحى ولم يؤمر بتبليغه وأن الرسول هو النبي الذي أوحى إليه وأمر بتبليغ ما أوحى إليه غير صحيح، لأن قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الآية يدل على أن كلاهما مُرسل وأتقيا مع ذلك بينهما تغاير، واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل ومع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من لم يُترَل عليه كتاب وإنما أوحى إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يُرسلون ويُؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بينه تعالى بقوله: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾<sup>(١)</sup> وعلى هذا فالرسول عنده هو من أوحى إليه بشرع جديد أما النبي فهو المبعوث لتقرير شرع من قبله، لذلك فإن النبي ﷺ قد شبه علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول.<sup>(٢)</sup> وإلى هذا ذهب الحافظ ابن حجر (رحمه الله) في تفريقه بين النبي والرسول<sup>(٣)</sup>، وكذلك ذهب إليه البيضاوي<sup>(٤)</sup>.

كذلك قد رد ما ذهب إليه شارح الطحاوية وصاحب لوامع الأنوار بعض المعاصرين، ومنهم الدكتور عمر سليمان الأشقر وتابعه بعض الباحثين كالدكتور سليمان العودة<sup>(٥)</sup> وعبد الآخر حماد.<sup>(٦)</sup>

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: " وهذا الذي ذكروه بعيد لأمر:

الأول: أن الله نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

الثاني: أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا يترَل وحيه ليكتمه ويُدفن في صدر واحد من الناس ثم يموت هذا العلم بموته.

(١) أضواء البيان / ج ٥ / ص ٥٠٣.

(٢) انظر جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف / ج ٢ / ص ٣٧٧.

(٣) الفتح / ج ٦ / ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل / ج ٢ / ص ٩٥، ٩٦.

(٥) من نيا المرسلين / ص ١١.

(٦) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية / ص ٢٠٤.

الثالث: قول الرسول ﷺ: "عُرِضَ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ الرَّجُلَانِ وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ" فدل على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم.<sup>(١)</sup>

كذلك من الأحاديث الدالة على أن النبي مُبَلِّغٌ عن الله قوله ﷺ عن أنس بن مالك (رضي الله عنه): "أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً"<sup>(٢)</sup>.

وعنه (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة"<sup>(٣)</sup>.

كذلك قوله ﷺ: "أنا أول شفيع في الجنة لم يُصَدَّقْ نبي من الأنبياء ما صُدِّقْتُ، وإن من الأنبياء نبياً ما يُصَدِّقُه من أمته إلا رجل واحد"<sup>(٤)</sup>.

ومن الفروق بين النبي والرسول ما ذكره عبد القاهر البغدادي حيث قال: "وكل رسول لله عز وجل نبي وليس كل نبي رسولاً له، والفرق بينهما أن النبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله"<sup>(٥)</sup>.

وقد ذكر الجاحظ فرقاً قريباً من ذلك فقال: "الرسول هو المتبدئ بوضع الشرائع والأحكام، والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره"<sup>(٦)</sup>.

ومن الفروق كذلك ما ذكره التفتازاني حيث قال: "الرسول إنسان مؤيد بالمعجزة بعنه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ الأحكام، وقد يُشترط فيه الكتاب بخلاف النبي فإنه أعم"<sup>(٧)</sup>.

(١) الرسل والرسالات / ص ١٤-١٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب الشفاعة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب الشفاعة.

(٤) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب الشفاعة.

(٥) أصول الدين / ص ١٥٤.

(٦) أعلام النبوة / ص ٣٨.

(٧) شرح العقائد النسفية / ص ١٨.

ويلزم من ذلك أن لا يكون يونس ولوط وإسماعيل وشعيب رسلاً، لأنه لم يتزل عليهم كتاباً وقد ثبتت رسالتهم بنص القرآن الكريم.<sup>(١)</sup>

ومن الفروق كذلك: "أن الرسول هو الذي تنزل الملائكة عليه بالوحي، والنبي هو الذي يُوحى إليه في نومه".<sup>(٢)</sup>  
وهذا غير صحيح، فأدم نبي ومع ذلك فهو مُكَلِّم تكليم معانية كما ورد ذلك في حديث صحيح عند ابن حبان سيأتي ذكره.

ومن الفروق ما ذكره قطرب حيث قال: "الرسول هو المبعوث إلى أمة والنبي هو المحدث الذي لا يُبعث إلى أمة".<sup>(٣)</sup>  
وهذا أيضاً غير صحيح فإن أنبياء بني إسرائيل قد بُعثوا إلى أمتهم ومع ذلك خوطبوا بالأنبياء ولم يخاطبوا بأنهم المحدثون.

ومن الفروق كذلك ما ذكره ابن حزم، فقال في تعريف النبي: "من أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبئاً له بأمر ما فهو نبي بلا شك"<sup>(٤)</sup>  
وقال في موضع آخر: "معنى النبوة: أن ينبي الله عز وجل من يشاء من عباده بوحي يُعلِّمُهُ به ما يكون قبل أن يكون، وتفسير الرسالة: هو أن يرسل الله من يشاء من عباده بما شاء إلى من شاء من خلقه".<sup>(٥)</sup>

وعلى هذا فابن حزم (رحمه الله) يرى العموم في الوحي ولهذا التزم ابن حزم بنبوة النساء، فكان يقول بأن مريم وأم موسى وامرأة فرعون كنَّ نبيات وأن كل من أوحى الله إليه فهو نبي سواء رجل أو امرأة.

(١) معالم النبوة / ص ٣٣.

(٢) أعلام النبوة / ص ٣٨. وانظر فتح القدير / ج ٣ / ص ٤٦١.

(٣) المصدر السابق / ص ٣٨.

(٤) الفصل في الملل والنحل / ج ٣ / ص ١٨٦.

(٥) الدررة فيما يجب اعتقاده / ص ٣٨٠-٣٨١.

وبالتزامه بلازم قوله في التفريق بين النبي والرسول خالف الإجماع على بطلان القول بنوثة النساء كما سيأتي.

ومن الفروق ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) - وهو تفريق قريب من تفريق الشيخ محمد الأمين الشنقيطي<sup>(١)</sup> - حيث قال: "فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبي بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليلبغه رسالته من الله بما أوحى إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يُرسل هو إلى أحد يلبغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ ﴾ وقوله: ﴿ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ فذكر الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح، وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء كثيث وإدريس عليهما السلام وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً"<sup>(٢)</sup> وقال: "فقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ دليل على أن النبي مرسل، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قومه بما لا يعرفون بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق كالعالم، ولهذا قال النبي ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"<sup>(٣)</sup>.

وقال في موضع آخر: "فالنبوثة داخلة في الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، فالأنبياء أعم والنبوثة نفسها جزء من الرسالة، فالرسالة تتناول النبوثة وغيرها بخلاف النبوثة فإنها لا تتناول الرسالة"<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا فالنبي عند شيخ الإسلام: هو من أوحى الله إليه لكنه لم يُرسل إلى قوم كافرين ليخرجهم من الكفر إلى الإيمان، أما الرسول فهو من أُرسل قوم كفار يدعوهم للتوحيد"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف / ج ٢ / ص ٣٧٧.

(٢) النبوات / ص ٢٥٥.

(٣) المصدر السابق / ص ٢٥٦.

(٤) مجموع الفتاوى / ج ٧ / ص ١٠.

(٥) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية / الحاشية / ص ٢٠٤.

وقد رد شيخ الإسلام (رحمه الله) على رأي القائلين بأن الرسول هو من يأتي بشريعة جديدة، فقال (رحمه الله): "وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فإن يوسف كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة، قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْتَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا. وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾" (١).

وقد اعترض على تفريق ابن تيمية (رحمه الله) بعض الباحثين، قالوا: "إن الأنبياء يمكن أن يُبعثوا إلى كفار كما أنهم قد يعثوا إلى مؤمنين، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢)، قالوا: فإن هذه الآية عامة فكل نبي يعثه الله له أعداء من الجرمين وهم الكفار.

واستدلوا كذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣) قالوا: والاستهزاء كفر، فدل على أن النبي قد يُبعث إلى كفار.

واستدلوا كذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجِرَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٤) قالوا: والأسرى هؤلاء من الكفار، والذين يقاتلونهم الأنبياء، وقد نزلت هذه الآية في غزوة بدر عندما قاتل الرسول ﷺ المشركين وهي عامة في حق النبي ﷺ وفي حق غيره من الأنبياء.

"والآيات في ذلك كثيرة جداً فكما أن الله يبعث الأنبياء للمؤمنين فإنه يبعثهم للكافرين" (٥).

والخلاصة أن القرآن قد ساوى بين النبي والرسول في الوحي وفي التبليغ، ومع ذلك فإن هناك فرقاً بينهما بنص القرآن والسنة لكن لم يبين ذلك الفرق فيهما بياناً دقيقاً. فالله أعلم.

(١) البينات / ص ٢٧٥.

(٢) الفرقان / ٣١.

(٣) الزحرف / ٧.

(٤) الأنفال / ٦٧.

(٥) انظر مباحث في البينات / معاضرات للدكتور عبدالله القرني / جامعة أم القرى

## القول الثاني:

وهو رأي القائلين بعدم الفرق بين النبي والرسول، بل يرون أنه لا يصح إثبات نبي ليس بمرسَل، وهذا مذهب المعتزلة ومن وافقهم، وقد سلّكوا في بيان مذهبهم مسلكين: المسلك الأول: الرد على أدلة من يقول بوجود فرق بين النبي والرسول. المسلك الثاني: أدلة خاصة بهم.

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: "والذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هو أنهما يثبتان معاً ويزولان معاً في الاستعمال، حتى لو ثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام وهذا هو أمانة إثبات كلتي اللفظين المتفتحين في الفائدة".<sup>(١)</sup>

ورد على من استدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾<sup>(٢)</sup> فقال: "وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ فإنه لا يدل على ما ذكره لأن مجرد الفعل لا يدل على اختلاف الجنسين، ألا ترى أنه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الأنبياء ثم لا يدل على أن نبينا ليس من الأنبياء، وكذلك فإنه تعالى فصل بين الفاكهة وبين النخل والرمان ولم يدل على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة، كذلك هنا"<sup>(٣)</sup>.

وقد مال إلى القول بالترادف سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد، وإن كان قد فرق في غيره<sup>(٤)</sup>، فقال: "النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه وكذا الرسول وقد يُخص بمن خُص بشريعة وكتاب"<sup>(٥)</sup>.

وعلى هذا فالظاهر أن التفتازاني تناقض في هذه القضية، فتارة يميل إلى التفريق وتارة إلى عدمه، ولم ينتصر لأحدهما في أقواله.

(١) شرح الأصول الخمسة / ص ٥٦٨.

(٢) الحج / ص ٥٢.

(٣) شرح الأصول الخمسة / ص ٥٦٨.

(٤) انظر شرح العقائد النسفية / ص ١٨. وقد مر معنا ذلك.

(٥) شرح المقاصد / ج ٥ / ص ٥.

والرد على أصحاب هذا القول: أنه يتبين بظاهر القرآن الكريم والسنة المطهرة أن هناك فرقاً بين النبي والرسول ولعل العمدة في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾<sup>(١)</sup>، مع ما ورد في السنة المطهرة من حديث أبي ذر (رضي الله عنه) الذي نص على عدد الأنبياء وعدد الرسل، وهذا الحديث وإن اختلف في ثبوته إلا أن من العلماء من صححه كما سيأتي، وهو ظاهر الدلالة في أن بينهما فرقاً، كذلك حديث البراء بن عازب (رضي الله عنه) الذي ورد فيه "ونبيك الذي أرسلت".

وقد ذكر هذه الأدلة الشيخ حمود التويجري (رحمه الله) في رده على من لم يفرق بين النبي والرسول بل جعل كل نبي رسول فقال: "قوله - أي ابن محمود - " أن كل نبي فإنه رسول وأنه لا فرق بين الرسول والنبي إلا بمجرد الاسم والمسمى واحد" فجوابه من وجهين أحدهما: أن يقال: قد دل القرآن والسنة على التفريق بين الرسول والنبي، والقرآن الكريم هو حجة الله على العالمين. فأما الدليل من القرآن فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ فقد فرق تبارك وتعالى بين الرسول والنبي وعطف النبي على الرسول، والعطف يقتضي المغايرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الإيمان: "وعطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكرهما" انتهى.

وسياًتي قول الرازي: "أن عطف النبي على الرسول يوجب المغايرة، وهو من باب عطف العام على الخاص" انتهى.

وإدخال حرف (لا) بين واو العطف والمعطوف صريح في التفريق بين الرسول والنبي كقوله تعالى: ﴿ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ وقوله: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاوِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاوِيٍّ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ وأمثال هذه الآيات.



وقد جاء في "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس" ما نصه: ﴿وما أرسلنا﴾ من قبلك يا محمد من رسول مرسل ولا نبي محدث ليس بمرسل ﴿إِلَّا إِذَا تَمَّتْ﴾ قرأ الرسول أو حدث النبي ﴿أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ في قراءة الرسول وحديث النبي " انتهى.

وقال ابن جرير في تفسير هذه الآية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ فتأويل الكلام: ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم ولا نبي محدث ليس بمرسل إلا إذا تمّ.. " انتهى.

وقال القاضي عياض: "المعنى: وما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبي ليس مرسل إلى أحد"

وقال الثعالبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾: "الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً وما ورثه إياه شفاهاً، والنبي الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً" انتهى.

وقال الواحدي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾: "الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً ومحاورته شفاهاً، والنبي الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً". قال وهذا معنى قول الفراء: "الرسول النبي المرسل، والنبي الخدث الذي لم يرسل" وقال البغوي في تفسير هذه الآية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾: "وهو الذي يأتيه جبريل عياناً ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ وهو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً وكل رسول نبي وليس كل نبي رسول"

وقال الرازي في تفسير هذه الآية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الآية: "المسألة الأولى: من الناس من قال: الرسول هو الذي حدث وأرسل والنبي هو الذي لم يرسل ولكنه أُلهم أو رأى في النوم، ومن الناس من قال: أن كل نبي رسولاً، وهو قول الكلبي والفراء. وقالت المعتزلة: "كل رسول نبي وكل نبي رسول ولا فرق بينهما" ثم ذكر الرازي أن هذه الآية دالة على أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، قال: لأنه عطف على الرسول وذلك يوجب المغايرة وهو من باب عطف العام على الخاص".

وقال القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ... ﴾ الآية: "وقال الفراء: الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً، والنبي الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، قال المهدي: وهذا هو الصحيح، وكذا ذكر القاضي عياض واحتج بحديث أبي ذر وأن الرسل من الأنبياء ثلاثمائة وثلاثة عشر".

وقال عبدالله بن أحمد النسفي في الكلام على قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾: "وهذا دليل على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي، بخلاف ما يقول البعض من أنهما واحد".

وقال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ... ﴾ الآية قال: "والرسول والنبي اسمان لمعنيين، فإن الرسول أخص من النبي، وقدم الرسول اهتماماً لمعنى الرسالة وإلا فمعنى النبوة هو المتقدم، ولذلك رد رسول الله ﷺ على البراء حين قال: "وبرسولك الذي أرسلت" خرجه في الصحيح. وأيضاً فإن قوله: "وبرسولك الذي أرسلت" تكرير الرسالة وهو معنى واحد فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه بخلاف: "ونبيك الذي أرسلت" فإنهما لا تكرر فيهما، وعلى هذا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً".

وقال ابن كثير في تفسيره سورة المدثر بعدما قرر أن أول ما نزل من القرآن سورة (اقرأ) قال: "وقوله تعالى: ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ أي شمر عن ساق العزم وأنذر الناس، وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة".

وأما الدليل من السنة ففي عدة أحاديث، أحدها ما رواه الإمام أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن البراء بن عازب (رضي الله عنهما) قال: قال لي رسول الله ﷺ: "إذا أويت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: (اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وأجأت ظهري إليك رغبةً رهبةً إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت) فإن مت مت على الفطرة، واجعلهم آخر ما تقول" فقلت أستذكرهن "وبرسولك الذي أرسلت" قال: "لا، ونبيك

الذي أرسلت"، وفي رواية الترمذي: قال البراء: "وبرسولك الذي أرسلت" قال: فطعن بيده في صدري ثم قال: "، وبنبيك الذي أرسلت"، وهذا الحديث صريح في التفريق بين الرسول والنبى وقد استدل به غير واحد من أكابر العلماء على التفريق بينهما".<sup>(١)</sup>

---

(١) دراسات في النبوة والرسالة /ص ٨٩-٩٤، بتصرف. نقلاً عن "فتح المعبود في الرد على ابن محمود"

للشيخ حمود التويجيري (رحمه الله).

## المطلب الثاني أول الأنبياء وأول الرسل

### أولاً: إثبات نبوة آدم:

ورد في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ذكر آدم عليه السلام، وما ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١) قال ابن كثير (رحمه الله) عند بيانه لعنى (اصطفاء آدم) في هذه الآية: "يُخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، فاصطفى آدم عليه السلام حلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه الجنة ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكم" (٢).

وقال الله سبحانه وتعالى مخاطباً آدم عليه السلام: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ (٣) وظاهر الآية يقتضي تكليم الله عز وجل لآدم عليه السلام، والتكليم المباشر يقتضي الاصطفاء بالنبوة لذلك العبد المكلم.

إذاً فإن دلالة نصوص القرآن الكريم على نبوة آدم واضحة وإن كانت غير صريحة تماماً كما ورد في حق غيره من الأنبياء الواردة أسماءهم في القرآن الكريم.

غير أنه قد جاء في السنة الصحيحة ما يدل صراحة على نبوة آدم عليه السلام، وما ورد في ذلك حديث أبي أمامة (رضي الله عنه): أن رجلاً قال يا رسول الله: أنبيي كان آدم؟ قال: "نعم" قال: فكيف كان بينه وبين نوح؟ قال: "عشرة قرون" (٤)

وعلى هذا فإن آدم عليه السلام أول الأنبياء على الإطلاق، وهذا مما اتفق عليه الأنبياء رحمهم الله بلا خلاف (٥).

(١) آل عمران / ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٣٥٨.

(٣) البقرة / ٣٣.

(٤) رواه ابن حبان في ، انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان / ج ٢ / ص ٢٤٤ ، ٢٥.

(٥) انظر دراسات في النبوة والرسالة / ص ١٧٦.

## ثانياً: أول الرسل إلى أهل الأرض:

دلت نصوص الشريعة الصحيحة على أن نوح عليه السلام هو أول الرسل إلى أهل الأرض، ومنها حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) وفيه: "يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض"<sup>(١)</sup>

كما ورد في ذلك أيضاً حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) غير أن الذي قال: "انتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض" هو آدم عليه السلام.<sup>(٢)</sup>  
وكلا الحديثين يدلان صراحة على أن نوحاً عليه السلام هو أول رسول إلى أهل الأرض.

كما يدل على ذلك كثير من نصوص القرآن الكريم ومنها: قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾<sup>(٣)</sup>  
وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾<sup>(٤)</sup>  
وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾<sup>(٥)</sup>  
وكل هذه النصوص تجعلنا نجزم في يقين بثبوت رسالة نوح عليه السلام وأنه أول الرسل إلى أهل الأرض.

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب: "ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه".

(٢) صحيح مسلم / كتاب الإيمان / باب الشفاعة.

(٣) النساء/ ١٦٣.

(٤) الأحزاب / ٧.

(٥) المؤمنون / ٢٣.

### ثالثاً: ذكر صورة الخلاف بين العلماء في رسالة آدم عليه السلام:

ذكرت فيما سبق ثبوت نبوة آدم عليه السلام بالكتاب والسنة غير أن بعض العلماء (رحمهم الله) قد ذهب إلى القول برسالته أيضاً، وقد نقل ذلك ابن حجر (رحمه الله) وغيره، فقال: "وأما كونه أول الرسل أي نوح عليه السلام فقد استشكل بأن آدم كان نبياً وبالضرورة تعلم أنه كلن على شريعة من العبادة وأن أولاده أخذوا ذلك عنه، فعلى هذا فهو رسول إليهم فيكون هو أول رسول، فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم: "إلى أهل الأرض" لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل، أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد أنه رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أرسل إليهم مع تفرقهم في عدة بلاد، وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة" (١).

وقال القاضي عياض: "... ويمثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما إلى من معهما وإن كانا رسولين، فإن آدم إنما أرسل لبنيه ولم يكونوا كفاراً بل أمر بتعليمهم الإيمان وطاعة الله تعالى، وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة نوح إلى كفار أهل الأرض، قال القاضي: وقد رأيت أبا الحسن بن بطال ذهب إلى أن آدم ليس برسول ليسلم من هذا الاعتراض، وحديث أبي ذر الطويل ينص على أن آدم وإدريس رسولان" (٢).

وقال ابن تيمية (رحمه الله): "وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ دليل على أن النبي مُرسل ولا يُسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق كالعالم، ولهذا قال النبي ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء" (٣).

ونقل ابن كثير (رحمه الله) عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (٤) قوله: "كانوا على هدى جميعاً فكان أول من بُعث نوحاً" وقال ابن كثير: "وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس، لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض" (٥).

(١) الفتح / ٦ج / ص ٤٢٩، ٤٣٠. وهنا إشكال ذكره ابن حجر (رحمه الله) وهو: الجمع بين أن نوح أول الرسل إلى أهل الأرض وبين قول الرسول ﷺ: "وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ويُبعث إلى الناس عامة" وأجاب عنه بأن بعث نوح إلى أهل الأرض باعتبار الواقع بخلاف بعثه نبينا محمد ﷺ لقومه وغير قومه، انظر الفتح / ج ١١ / ص ٤٤٢، ج ١ / ص ٥٢١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ٣ / ص ٥٥.

(٣) النبوات / ص ٢٥٦.

(٤) البقرة / ٢١٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٢٥٠، ج ٢ / ص ٢٢٣.

وذهب إلى ذلك علماء معاصرون، ومنهم الشيخ حافظ الحكمي (رحمه الله) حيث قال: "إن نوحاً أول الرسل والنبين بعد الاختلاف، قال الله تعالى لبيه ﷺ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ لأن أمته أول من اختلف وعُيِّرَ وبذل كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وإلا فآدم قبله كان نبياً رسولاً وكان الناس أمة واحدة على دينه".<sup>(١)</sup>

وذهب إلى ذلك أيضا العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله) في إحدى وجهي الجمع بين حديث أبي أمامة الوارد في صحيح ابن حبان والذي جاء فيه: أن رسول الله ﷺ سئل عن آدم أنبيء مرسل؟ فقال: "نعم، نبي مكلم" وبين حديث الشفاعة الذي جاء فيه: "يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض" - الذي سبق ذكره - فقال (رحمه الله): "والظاهر أنه لا طريق للجمع إلا من وجهين: الأول: أن آدم عليه السلام أُرسِلَ إلى زوجته وذريته في الجنة ونوح أول رسول أُرسِلَ في الأرض، ويدل على هذا الجمع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما: ويقول: "اتنوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض..". الحديث، فقوله: "إلى أهل الأرض" لو لم يرد به الاحتراز عن رسول بُعثَ لغير أهل الأرض لكان ذلك الكلام حشواً بل يُفهم من مفهوم مخالفته ما ذكرنا، ويستأنس له بكلام ابن عطية". ثم ذكر (رحمه الله) الوجه الثاني فقال: "إن آدم أُرسِلَ إلى ذريته وهم على الفطرة لم يصدر منهم كفر فاطاعوه، ونوح أول رسول أُرسِلَ لقوم كافرين ينهاهم عن الإشراف بالله تعالى".<sup>(٢)</sup>

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله): "كان نوح عليه الصلاة والسلام أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض بعدما وقع الشرك فيها، أما آدم فجاءت أحاديث تدل على أنه نبي ورسول مكلم لكنها لا يُعتمد عليها لضعف أسانيدھا، ولا شك أنه أوحى إليه بشرع وأنه على شريعة من ربه عليه الصلاة والسلام وكانت ذريته على شريعته توحيد الله".<sup>(٣)</sup>

(٤) معارج القبول / ج ٢ / ص ٩٨، ٩٩.

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف / ج ٢ / ص ٣٩٣، ٣٩٤.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة / ج ٢ / ص ٦٥.

وفي نظري - والله أعلم - أن لهذا الخلاف ثلاثة أسباب:

(١) وجود الفرق من الأصل بين المعنى الشرعي للنبي والرسول بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولولا ثبوت ذلك الفرق بينهما لكان كل رسول نبي والعكس.

(٢) ورود نصوص شرعية صحيحة وثابتة في كون نوح عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض.

(٣) ورود حديث أبي ذر (رضي الله عنه) الوارد في عدد الأنبياء الذي اختلف العلماء في صحته اختلافاً كبيراً، فهم ما بين مصحح له أو مُضعف أو مبطل<sup>(١)</sup>، وقد عارض هذا الحديث أحاديث الشفاعة الصحيحة التي تثبت أولوية رسالة نوح عليه السلام، ولو ثبت هذا الحديث - حديث أبي ذر - لجنح جميع العلماء إلى الجمع بينه وبين تلك الأحاديث، غير أن الاضطراب فيه أوجد هذا الاختلاف الكبير. فالذين ثبت لديهم قالوا برسالة آدم عليه السلام وحاولوا الجمع بينه وبين أولوية رسالة نوح عليه السلام، والذين لم يثبت لديهم قالوا بنبوة آدم وأولوية رسالة نوح عليه السلام استناداً إلى أحاديث الشفاعة الصحيحة التي اعتمدوا عليها.

(٤) كذلك مما تسبب في الاختلاف ورود حديث أبي أمامة (رضي الله عنه) الذي رواه ابن حبان في صحيحه وجاء فيه أن الرسول سئل عن آدم أني مرسل؟ فقال: "نعم، نبي مكلم".

(١) الحديث ساقى في الباب الأول/ الفصل الثاني / المبحث الأول/ المطلب الثاني، وقد رواه ابن حبان في صحيحه وأحمد في مسنده والحاكم، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وضححه من المعاصرين العلامة الألباني، وانظر ما قاله ابن كثير عنه في تفسيره / ج ١ / ص ٥٨٥، ٥٨٦.



## إدريس عليه السلام

### أولاً: إثباتات نبوة إدريس عليه السلام:

جاء ذكر إدريس عليه السلام في القرآن الكريم في آيات عدة منها قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (١)  
كما جاء ذكره في السنة الصحيحة في حديث الإسراء الطويل الذي جاء فيه أن رسول الله ﷺ مرَّ به في السماء فقال له إدريس: "مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح". (٢)  
وفي هذه النصوص دلالة صريحة على أن إدريس عليه السلام نبي مقرب أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصدقية ورفع مكاناً علياً.

غير أن الخلاف في رسالته خلاف غير محسوم لعدم وجود الدليل على ذلك بنفي أو إثبات، وقد ذكره النووي (رحمه الله) فقال: "قال الإمام أبو عبدالله المازري: قد ذكر المؤرخون أن إدريس جد نوح عليه السلام فإن قام دليل على أن إدريس أرسل أيضاً لم يصح قول النساين أنه قبل نوح لإخبار النبي ﷺ عن آدم أن نوحاً أول رسول بُعث، وإن لم يقم دليل جازماً قالوا: وصح أن يُحمل على أن إدريس كان نبياً غير مرسل، قال القاضي عياض: وقد قيل أن إدريس هو إلياس وأنه كان نبياً في بني إسرائيل كما جاء في بعض الأخبار مع يوشع بن نون، فإن كان هكذا سقط الاعتراض، قال القاضي: "ومثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما إلى من معهما وإن كانا رسولين، فإن آدم إنما أرسل لئنه ولم يكونوا كفاراً بل أمر بتعليمهم الإيمان وطاعة الله تعالى، وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة نوح إلى كفار أهل الأرض". (٣)

وهو عليه السلام في السماء الرابعة كما في حديث الإسراء في البخاري ولذلك ترجم البخاري للباب بقوله: "باب ذكر إدريس وقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ " وهو مكان عليّ بغير شك، واستشكل بعضهم ذلك بأن غيره من الأنبياء أرفع مكاناً منه ثم أجاب بأنه لم يرفع إلى السماء من هو حي غيره وهذا فيه نظر لأن عيسى قد رفع إلى السماء وهو حي على الصحيح. كما أن رفع إدريس وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وما ذكره الطبري من كلام كعب الأحبار لابن عباس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ من الإسرائيليات، والله أعلم بصحة ذلك (٤).

(١) مريم / ٥٦-٥٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب: إدريس عليه السلام.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي / مح / ١ / ج / ٣ / ص ٥٥.

(٤) الفتح / ج / ٦ / ص ٤٣٢، ٤٣٣.

## ثانياً: زمن إدريس عليه السلام:

اختلف العلماء في إدريس عليه السلام من حيث موقعه في شجرة الأنبياء، وسبب هذا الخلاف روايتان وردتا كلتاهما عند البخاري (رحمه الله). روى في إحدهما: "أن إدريس هو جد أبي نوح ويُقال جد نوح"،<sup>(١)</sup> وروى في الرواية الأخرى عن ابن مسعود وابن عباس: "أن إلياس هو إدريس"<sup>(٢)</sup>،

قال ابن حجر (رحمه الله): "أما قول ابن مسعود فوصله عبد بن حميد وابن أبي حاتم بإسناد حسن عنه قال: "إلياس هو إدريس، ويعقوب هو إسرائيل". وأما قول ابن عباس فوصله جويبير في تفسيره عن الضحاك عنه، وإسناده ضعيف، ولهذا لم يجزم به البخاري"<sup>(٣)</sup> وقد أخذ بهذا أبو بكر ابن العربي فقال: "إن إدريس لم يكن جداً لنوح، وإنما هو من بني إسرائيل، لأن إلياس قد ورد أنه من بني إسرائيل".

قال ابن كثير (رحمه الله): "واستأنسوا لذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء أنه لما مرَّ به عليه السلام قال له: "مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح" ولم يقل كمال قال آدم وإبراهيم: "مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح"، قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال كما قالوا له."<sup>(٤)</sup>

وهذا الاستدلال رده ابن كثير (رحمه الله) فقال: "وهذا لا يدل ولا بد، لأنه قد لا يكون الراوي حفظه جيداً، أو لعله قاله على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبي البشر وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين".<sup>(٥)</sup>

(١) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الأنبياء/ باب: ذكر إدريس عليه السلام.

(٢) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الأنبياء/ باب: " وإن إلياس لمن المرسلين".

(٣) الفتح / ج ٦ / ص ٤٣٠.

(٤) قصص الأنبياء/ص ٦٤.

(٥) المصدر السابق /ص ٦٤.

وقد أجاب ابن حجر (رحمه الله) بمثله وإن كان قد اختلف مع ابن كثير في الحكم على الاستدلال، فقال عنه: "وهو استدلال جيد إلا أنه قد يُجاب عنه بأنه قال ذلك على سبيل التواضع والتلطف فليس ذلك نصاً كما زعم - أي ابن العربي -" (١)

ورجح ابن كثير (رحمه الله) أن إدريس في عمود نسب الرسول ﷺ وليس من أنبياء بني إسرائيل فقال: "وكان أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام، وهو في عمود نسب رسول الله ﷺ على ما ذكره غير واحد من علماء النسب." (٢)

ورجحه كذلك أبو الحسن الماوردي (رحمه الله) فقال: "إدريس آخر نبي بُعث قبل الطوفان." (٣) وفرَّق بينه وبين إلياس، وجعل إلياس نبياً من أنبياء بني إسرائيل بين موسى وعيسى. (٤)

كذلك رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) فقال: "وقد ثبت في الصحيح أن نوح أول رسول بُعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس عليهما السلام وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً." (٥)

وعلى هذا فالراجح أن إدريس عليه السلام في عمود نسب النبي ﷺ، ويقى الخلاف في كونه جد نوح أو جد أبي نوح قائماً إذ لا دليل صحيح يُرجع إليه في هذه المسألة، (٦) والله أعلم.

(١) الفتح / ج ٦ / ص ٤٣٠.

(٢) قصص الأنبياء / ص ٦٢.

(٣) أعلام النبوة / ص ٤٦.

(٤) المصدر السابق / ص ٥٢.

(٥) النبوات / ص ٢٥٥.

(٦) انظر الفتح / ج ٦ / ص ٤٣٢.

## ومما سبق أخلص إلى عدة أمور:

- (١) أن هناك فرقاً في المعنى الشرعي بين النبي والرسول بنصوص الشريعة الثابتة.
- (٢) أن تحديد ذلك الفرق أمر يصعب الجزم به لعدم ورود نص شرعي يفيدنا في ذلك.
- (٣) أن أول الأنبياء على الإطلاق هو آدم عليه السلام.
- (٤) أن أول الرسل إلى أهل الأرض هو نوح عليه السلام.
- (٥) قول بعض العلماء بأولوية رسالة آدم ومحاولة الجمع بين ذلك وبين الأحاديث الصحيحة التي تثبت أولوية رسالة نوح بسبب حديث أبي ذر الطويل الوارد في عدد الأنبياء، وأن هذا الحديث قد اختلف فيه العلماء اختلافاً واسعاً.
- (٦) أن إدريس عليه السلام نبي بنص القرآن والسنة.
- (٧) اختلاف العلماء في موقع إدريس عليه السلام من شجرة الأنبياء بسبب الاختلاف في الروايات التي وردت عند البخاري، وعدم وجود نص من القرآن أو صحيح السنة عن رسول الله ﷺ بذلك.

## المبحث الثاني الوحي إلى غير الأنبياء

- ورد ذكر الوحي في القرآن الكريم في آيات كثيرة جداً وهي على نوعين:
- آيات ورد فيها ذكر الوحي والموحي إليه غير الأنبياء.
  - آيات ورد فيها ذكر الوحي والموحي إليه هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ويهدف هذا المبحث - بالدرجة الأولى - إلى توضيح الفرق بين الوحي إلى الأنبياء وإلى غيرهم ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم، مبتدئة ذلك بتوضيح معنى الوحي في اللغة ثم عرض الآيات الواردة مصنفة حسب التقسيم الذي اخترته لها، ومن ثم استخراج الفرق بين الوحيين من خلال النظر في تلك الآيات ومعرفة أقوال العلماء المفسرين والله المستعان.

## الوحي في اللغة:

معنى الوحي في اللغة:

قال ابن منظور (رحمه الله): "الوحي الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقىته إلى غيرك، وأصل الوحي إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام وحياً وكذلك الإشارة والإيماء يُسمى وحياً والكتابة تسمى وحياً"<sup>(١)</sup>

وقال ابن فارس (رحمه الله): (وحي) : "الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم قبي إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة والوحي: الكتاب والرسالة وكل ما ألقىته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان. وأوحى الله تعالى وَحَى قَالَ: وَحَى لها القرار فاستقرت. وكل ما في باب الوحي فراجع إلى هذا الأصل الذي ذكرناه"<sup>(٢)</sup>

وقال ابن حجر (رحمه الله): "الوحي لغة: الإعلام في خفاء، والوحي أيضاً الكتابة والمكتوب والبعث والإلهام والأمر والإيماء والإشارة والتصويت شيئاً بعد شيء، وقيل أصله التفهيم وكل ما دلت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو إشارة فهو وحي."<sup>(٣)</sup>

وعلى ذلك فالمعنى الذي يرجع إليه الوحي في اللغة هو الإلقاء في خفاء أو الإلهام أو الإشارة.

(١) لسان العرب / ج ١٥ / ص ٣٧٩ و ٣٨١.

(٢) معجم مقاييس اللغة / ج ٦ / كتاب الواو ص ٩٣.

(٣) الفتح ج ١ / ص ١٤.

## المطلب الأول

### الوحي إلى غير الأنبياء في القرآن الكريم

ينقسم الوحي إلى غير الأنبياء في القرآن الكريم إلى قسمين:

القسم الأول: الآيات التي كان الموحى فيها هو الله سبحانه ومعنى الوحي فيها:

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾<sup>(١)</sup>

قال الطبري (رحمه الله) عند هذه الآية: " وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ وإن كانت متفقة المعاني، فقال بعضهم قذفت في قلوبهم وقال آخرون ألهمتهم.<sup>(٢)</sup>

وقال ابن كثير (رحمه الله): " وهذا أيضا من الامتنان عليه (عليه السلام) بأن جعل له أصحابا وأنصارا ثم قيل إن المراد بهذا الوحي وحي إلهام كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ... ﴾ الآية، وهو وحي إلهام بلا خلاف وكما قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ التَّحْلِ أَنْ آتِخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ - ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ... ﴾ الآية، وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا قال الحسن البصري: "ألهمهم الله عز وجل ذلك"

وقال السدي: "قذف في قلوبهم ذلك" ويحتمل أن يكون المراد وإذ أوحيت إليهم بواسطة فدعوهم إلى الإيمان بالله وبرسوله واستجابوا لك وانقادوا وتابَعوك<sup>(٣)</sup>.

(١) المائدة / ١١١.

(٢) جامع البيان / ج٥ / ص١٧٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج٢ / ص١١٥.

وقال محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله): قال بعض أهل العلم: المراد بالإيحاء إلى الحوارين الإلهام ، ويدل على ورود الإيحاء في القرآن بمعنى الإلهام كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...﴾ الآية يعني ألهما قال بعض العلماء: ومنه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ وقال بعض العلماء معناه: "أوحيت إلى الحوارين إيحاءً حقيقياً بواسطة عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام".<sup>(١)</sup>

٢ - وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

لم يذكر الطبري أو ابن كثير (رحمهما الله) شيئاً حول معنى الوحي هنا شيئاً.

وقال محمد رشيد رضا (رحمه الله): "﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ عند إلقائه فيه وحياً إلهامياً علم أنه منا

مضمونه".<sup>(٣)</sup>

وقال الألوسي (رحمه الله): "وأوحينا إليه" الضمير ليوسف أي أعلمناه عند ذلك تبشيراً له بما يؤول إليه أمره، وإزالة لوحشته وتسلية له. وكان ذلك على ما روي عن مجاهد بالإيهام وقيل: بالإلقاء في مبشرات المنام، وقال الضحاك وقاتدة: بإرسال جبريل عليه السلام إليه.<sup>(٤)</sup>

٣- وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾:<sup>(٥)</sup>

قال الطبري (رحمه الله) قال قاتدة في معنى ذلك: قذفنا في قلبها وليس بوحى نبوة.<sup>(٦)</sup>

وقال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾<sup>(٧)</sup>

وقد مر معنا ما ذكره ابن كثير في الوحي إلى أم موسى عند حديثه عن الوحي إلى الحوارين وقال في موضع آخر حول قوله تعال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾ الآية: "وهذا الوحي وحي إلهام وإرشاد كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

(١) أضواء البيان ج ٢/ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) يوسف / ١٥.

(٣) تفسير القرآن الحكيم / ج ١٢/ص ٢٦٦.

(٤) روح المعاني / مج ٤/ج ١٢/ص ١٩٨.

(٥) القصص / ٧.

(٦) جامع البيان مج ١١/ج ٢٠/ص ٣٧.

(٧) طه / ٣٨.



فَاسْئَلِكِ سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ...﴾ الآية، وليس هو بوحى نبوة كما زعمه ابن حزم وغير واحد من المتكلمين، بل الصحيح الأول كما حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة.<sup>(١)</sup>

وقال الألوسي (رحمه الله) في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: والظاهر أن الإيحاء إليها كان بإرسال ملك، ولا يتنافى حكاية أبي حيان الإيحاء على عدم نبوتها لما أن الملائكة عليهم السلام قد ترسل إلى غير الأنبياء وتكلمهم، وإلى هذا ذهب قطرب وجماعة وقال مقاتل منهم: أن الملك المرسل إليها هو جبريل عليه السلام. وعن ابن عباس، وقتادة أنه كان إلهاما، ولا ياباه قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ نعم هو أوفق بالأول. وقال قوم: إنه كان رؤيا منام صادقة قص فيها أمره عليه السلام، وأوقع الله تعالى في قلبها اليقين، وحكى عن الجبائي: أنها رأت في ذلك رؤيا فقصتها على من تثق به من علماء بني إسرائيل فعبرها لها، وقيل كان يخبر نبي في عصرها إياها.<sup>(٢)</sup>

٤- وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾:<sup>(٣)</sup>

لم يذكر أبرز علماء التفسير كالطبري وابن كثير والألوسي كلاما حول معنى الوحي هنا، وكل ما قالوه في ذلك لا يظهر منه معنى الوحي، ومنه قول ابن كثير (رحمه الله) على سبيل المثال: "هذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها، وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك وتمجد أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين يوحى إليه فيما بينه وبينهم أن يشتوا الذين آمنوا"<sup>(٤)</sup>

(١) قصص الأنبياء/ ص ٣٩٨.

(٢) روح المعاني/ ج ٧ / ص ٢٠ / ص ٤٥.

(٣) الأنفال ١٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم/ ج ٢ / ص ٢٩٢.

٥ - وقال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾<sup>(١)</sup>  
 قال الطبري (رحمه الله): "وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق"<sup>(٢)</sup>  
 وقال ابن كثير (رحمه الله) "أي ورتب مقررا في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة وما  
 فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو"<sup>(٣)</sup>

وقال الألوسي (رحمه الله): "﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾: أي خلق في كل منها ما  
 استعدت له واقتضت الحكمة أن يكون فيها من الملائكة والنبات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا  
 الله تعالى كما يقتضيه كلام السدي وقناة، فالوحي عبارة عن التكوين كالأمر مقيد بما قيد  
 به المعطوف إليه من الوقت، أو أوحى إلى أهل كل منها أوامره وكلفهم ما يليق بهم من  
 التكليف، كما قيل: فالوحي بمعناه المشهور من بين معانيه ومطلق عن القيد المذكور أو مقيد  
 به فيما أرى، واحتمال التقييد والإطلاق جار في قوله تعالى ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾  
 أي من الكواكب وهي فيها وإن تفاوتت في الارتفاع والانخفاض على ما يقتضيه الظاهر أو  
 بعضها فيها وبعضها فيما فوقها ولكنها لكونها كلها تُرى متألثة عليها صح كون تزيينها  
 بها"<sup>(٤)</sup>

٦ - وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾<sup>(٥)</sup>.

روى الطبري عن مجاهد (رحمهما الله) في هذه الآية: "أي: أمرها فألقت ما فيها  
 وتخلت."<sup>(٦)</sup>

وقال ابن كثير (رحمه الله): "قال البخاري: أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى  
 إليها واحد، وكذا قال ابن عباس أوحى لها أي أوحى إليها. والظاهر أن هذا مضمن بمعنى:  
 أذن لها، وقال مجاهد: أوحى لها أي أمرها، وقال القرطبي: أمرها أن تنشق عنهم."<sup>(٧)</sup>

(١) فصلت / ١٢.

(٢) جامع البيان / مع ١٢ / ج ٢٤ / ص ١٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٤ / ص ٩٣.

(٤) روح المعاني / مع ٨ / ج ٢٤ / ص ١٠٣.

(٥) الزلزلة / ٥، ٤.

(٦) جامع البيان / مع ١٥ / ج ٣٠ / ص ٣٣٨.

(٧) تفسير القرآن العظيم / ج ٤ / ص ٥٣٩.

وقال الألوسي (رحمه الله): "والوحي يحتمل أن يكون وحي إلهام وأن يكون وحي يرسل بأن يرسل سبحانه إليها رسولا من الملائكة بذلك." (١)

٧ - وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾. (٢)

نقل الطبري (رحمه الله) عند تفسيره هذه الآية أقوال المفسرين حول معنى الوحي إلى النحل، فروى عن مجاهد أنه قال: ألهمها إلهاما. وروى عن معمر: كذف في نفسها، وروى كذلك عن ابن عباس أنه قال: أمرها أن تأكل من الثمرات وأمرها أن تتبع سبل رها ذللا. (٣)

وقال ابن كثير (رحمه الله): "المراد بالوحي هنا الإلهام والهداية والإرشاد للنحل" (٤) كما ذكر ذلك ابن القيم (رحمه الله) فقال: "ورد لفظ الوحي في القرآن بمعان ومنها أنه جيء بمعنى الأمر والتسخير كوحيه سبحانه إلى النحل" (٥)

وقال الألوسي (رحمه الله) في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾: "ألهمها وألقى في روعها وعلمها بوجه لا يعلمه إلا اللطيف الخبير، وفسر بعضهم الإيحاء إليها بتسخيرها لما أريد منها ومنعوا أن يكون المراد حقيقة الإيحاء لأنه إنما يكون للعقلاء وليس النحل منها. والصوفية على ما ذكره الشعراي لا يمتنعون إرادة الحقيقة وقد أثبتوا في سائر الحيوانات رسلا وأنبياء والشرع يأبي ذلك." (٦)

(١) روح المعاني / مج ١٠ / ج ٣٠ / ص ٢٦٩.

(٢) النحل / ٦٨.

(٣) جامع البيان / مج ٨ / ج ١٤ / ص ١٨٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ٥٧٥.

(٥) مدارج السالكين / ج ١ / ص ٤٥.

(٦) روح المعاني / مج ٥ / ج ١٤ / ص ١٨٢.

القسم الثاني : الآيات التي كان الموحى فيها غير الله سبحانه وتعالى ومعنى الوحي فيها:

١ - قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾. (١)

قال الطبري (رحمه الله): " (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) أي يلقي الملقى منهم القول الذي زينه وحسنه بالباطل إلى صاحبه ليغتر به من سمعه فيضل عن سبيل الله" (٢)

وقال ابن كثير (رحمه الله): " أي يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف، وهو المزوق الذي يغتر به سامعه من الجهلة بأمره" (٣) ثم نقل قول عكرمة (رضي الله عنه): عندما سأله رجل فقال ما تقول في الوحي؟ قال عكرمة: الوحي وحيان، قال الله تعالى: ﴿عَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ وقال الله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (٤).

٢- وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونََ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيَجَادِلُوكُمْ﴾. (٥)

قال الطبري (رحمه الله): "وأما إيماءهم إلى أوليائهم فهو إشارتهم إلى ما أشاروا لهم إليه إما بقول وإما رسالة وإما كتاب". (٦)

ونقل ابن كثير (رحمه الله) كلام ابن عمر (رضي الله عنهما) عندما قال له رجل إن المختار يزعم أنه يُوحى إليه قال صدق وتلا هذه الآية ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونََ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ ونقل كذلك عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قوله في الوحي عندما جاءه رجل فقال يا ابن عباس زعم أبو إسحاق أنه أوحى إليه الليلة، فقال ابن عباس: "صدق هما وحيان: وحي الله ووحى الشيطان، فوحى الله إلى محمد ﷺ ووحى الشيطان إلى أوليائه" (٧).

(١) الأنعام / ١١٢.

(٢) جامع البيان/ مج ٥ / ح ٨ / ص ٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ١٦٧.

(٤) المصدر السابق / ج ٢ / ص ١٦٧.

(٥) الأنعام / ١٢١.

(٦) جامع البيان/ مج ٥ / ح ٨ / ص ٢٨.

(٧) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ١٧٠، ١٧١.

٣ - وقال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾. (١)

قال الطبري (رحمه الله): " أشار إليهم، وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك مما يُفهم به عندما يريد" (٢).

وقال ابن كثير (رحمه الله): " فأوحى إليهم أي إشارة خفيفة سريعة" (٣).

وقال الألوسي (رحمه الله): "﴿ فأوحى إليهم ﴾ أي أوما إليهم وأشار، كما روى عن قتادة وابن منبه والكلبي والقرطبي، وهو إحدى الروايتين عن مجاهد ويشهد له قوله تعالى (إلا رمزا)، وروى عن ابن عباس: " كتب لهم على الأرض أن سبحوا بكرة وعشيا". وقال عكرمة: " كتب على ورقة" وجاء إطلاق الوحي على الكتابة في كلام العرب" (٤).

والخلاصة في معنى الوحي في القرآن الكريم لغير الأنبياء عموما يرجع إلى المعنى اللغوي للوحي الذي هو الإلقاء والإلهام أو القذف في القلب أو الأمر والتسخير أو الإشارة. وليس المقصود به وحي النبوة أو وحي الرسالة أو التشريع. فالوحي إلى الأنبياء هو الذي يستفاد منه نبوة أو رسالة أما الوحي إلى غير الأنبياء فلا يستفاد منه ذلك، وإنما يُفسر بما ورد في اللغة، لأن القرآن إنما نزل باللسان العربي فيبقى على معناه اللغوي ولا يُصرف عنه إلا بدليل شرعي ثابت. ولذا كان من أهم الشروط التي يجب أن تكون في المفسر علمه باللغة العربية. (٥)

(١) مريم / ١٧.

(٢) جامع البيان / مج ٩ / ج ١٦ / ص ٦٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ١١٣.

(٤) روح المعاني / مج ٦ / ج ١٦ / ص ٧١.

(٥) انظر التفسير والمفسرون / ج ١ / ص ٢٧٥. وانظر مباحث في علوم القرآن / ص ٣٣١.

## المطلب الثاني

### الوحي إلى الأنبياء في القرآن الكريم

ورد ذكر الوحي إلى الأنبياء في القرآن الكريم في آيات كثيرة جداً ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِيَدَيْهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري (رحمه الله) عند تفسيره لهذه الآية: "وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه الله إلا وحياً يوحى الله إليه كيف يشاء أو إلهاماً وإما غيره، أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه ﷺ أو يرسل الله من ملائكته إما جبريل وإما غيره فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء أن يوحيه إليه من أمر وهي"<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن كثير (رحمه الله): "هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في روع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً لا يتماهى فيه أنه من الله عز وجل كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها أجلها فاتقوا الله وأجللوا في الطلب". وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها وقوله عز وجل: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِيَدَيْهِ مَا يَشَاءُ﴾ كما يرسل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"<sup>(٥)</sup>.

(١) الأنعام / ١٩.

(٢) النساء / ١٦٣.

(٣) الشورى / ٥١.

(٤) جامع البيان / مج ١٣ / ج ٢٥ / ص ٥٨-٥٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم / ج ٤ / ص ١٢١، ١٢٢.

وقال ابن حجر (رحمه الله): " حصر الله تكليمه لغيره في ثلاثة أوجه وهي: الوحي، بأن يلقي في روعه ما يشاء، أو يكلمه بغير واسطة من وراء حجاب، أو يرسل إليه رسولا فيبلغه عنه".<sup>(١)</sup>

وقال السيوطي (رحمه الله) في معنى الوحي إلى الأنبياء: " الوحي ما يوحي الله إلى نبي من الأنبياء فينبئه في قلبه فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابه، ولكنه يحدث به الناس حديثا وبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه".<sup>(٢)</sup>

وقال محمد رشيد رضا (رحمه الله): " وحي الله إلى أنبيائه هو ما يلقيه إليهم من العلم الضروري الذي يخفيه عن غيرهم بعد أن يكون أعد أرواحهم لتلقيه بواسطة أو بغير واسطة"<sup>(٣)</sup>

وعلى هذا فالوحي شرعا: هو إعلام من الله باصطفائه لعبده بنبوة أو رسالة، وما يترتب على ذلك من أوامر ونواه، ويكون - هذا الوحي - بإحدى طرق ثلاث بينها الله في كتابه مع تبليغه الناس بما أمره الله به.<sup>(٤)</sup>

(١) الفتح ج ٨ / ص ٤٧٥.

(٢) الإنفان / ح ١ / ص ٥٩.

(٣) تفسير القرآن الحكيم / مج ٦ / ص ٦٨.

(٤) انظر الرسل والرسالات / ٦١ - ٦٣.

## المطلب الثالث

### الفرق بين الوحي إلى الأنبياء وإلى غيرهم في القرآن الكريم

لا شك أن هناك فرقا بين الوحي إلى الأنبياء وإلى غيرهم في القرآن الكريم وقبل أن أوضح ذلك الفرق أود أن أبين قضية هامة ولصيقة بما نحن بصدده، كما أنها مدخل إلى الفرق بين الوحيين. وهي أن المراتب الثلاث للوحي المذكورة في القرآن الكريم إضافة إلى الرؤيا ليست جميعها خاصة بالأنبياء كما ذكر ابن القيم (رحمه الله)<sup>(١)</sup> بل الصواب أن ما يختص منها بالأنبياء هو مرتبة التكليم المباشر أما باقي المراتب فإن كان مقصود ابن القيم أنها لا تحصل لغير الأنبياء بحيث يُستفاد منها نبوة أو رسالة فذلك حق، وأما إن كان مقصوده أنها لا تحصل لغيرهم بإطلاق فهذا غير صحيح. والصواب أن هذه الأنواع من الوحي يشاركون فيها غيرهم مع نفي نبوتهم أو رسالتهم إذ لا يلزم من الإلهام أو الإلقاء في القلب أو الرؤيا الصادقة أو نزول الملك أن يكون ذلك نبوة أو رسالة<sup>(٢)</sup>.

ويدلنا على ذلك عموم قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر﴾، فكلمة بشر يدخل فيها النبي وغير النبي. كما يدلنا عليه إرسال الملك لمريم عليها السلام بنص القرآن الكريم، وما حصل من الإلهام لأُم موسى والحواريين والنحل. كما يدلنا عليه كذلك السنة الصحيحة الثابتة أن عمر (رضي الله عنه) كان مُحدّث ملهم وما حصل من رؤيا بعض الصحابة رضي الله عنهم وتحقق وقوعها<sup>(٣)</sup>.

أما عن تسمية ما يحصل لغير الأنبياء بأنه (وحي) فذلك صحيح من حيث معناه اللغوي ومن حيث وجود قدر مشترك بين الوحيين. أما من حيث أنه وحي يستفاد منه نبوة أو رسالة فهذا غير صحيح بلا شك. إذ أن ما حصل للرسول ﷺ من النفت في الروح ليس هو ما حصل لعمر من التحديث والإلهام أو ما حصل لأُم موسى وإن كان بينهما قدر مشترك وهو الإلقاء في القلب بطريقة خفية كما أن ما حصل للرسول ﷺ من الرؤيا ليس هو ما حصل للصحابة في ذلك، وعلى هذا يُجمل إطلاق لفظ الوحي السوارد في القرآن الكريم لغير الأنبياء.

(١) مدارج السالكين/ ج ١/ ص ٤٤.

(٢) ولهذا عرف الراغب الأصفهاني الوحي بأنه: "الكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه"، انظر المفردات/ ص ٥١٥.

(٣) انظر النبوات/ ص ٢٤٦، ٢٤٧.



قال ابن تيميه (رحمه الله) : ولا بد في القياس من قدر مشترك بين المشبه والمشبّه به مثل جنس الوحي والتزييل فإن الشياطين يزولون على أوليائهم ويوحون إليهم<sup>(١)</sup>.

وقد أطلق شيخ الإسلام على ما يحصل لغير الأنبياء مما سماه القرآن وحيا (الوحي العام) وعلى هذا فإن ما يحصل للأنبياء من الوحي هو (الوحي الخاص) فقال (رحمه الله): وليس كل من أوحى إليه الوحي العام يكون نبياً فإنه قد يوحى إلى غير الناس قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ - كما أنه قد أوحى إلى بشر وهم ليسوا أنبياء - قلل تعالى عن يوسف وهو صغير: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ يتناول وحي الأنبياء وغيرهم كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "قد كان في الأمم قبلكم مُحدّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم". وقال عبادة بن الصامت: "رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في منامه"، فهؤلاء المحدّثون الملهمون المخاطبون يُوحى إليهم هذا الحديث الذي هو لهم خطاب وإلهام وليسوا بأنبياء معصومين مصدّقين في كل ما يقع لهم، فإنه قد يوسوس لهم الشيطان بأشياء لا تكون من إحاء الرب بل من إحاء الشيطان، وإنما يحصل الفرقان بما جاءت به الأنبياء فهم الذين يفرقون بين وحي الرحمن ووحى الشيطان، فإن الشياطين أعداءهم وهم يوحون بخلاف وحي الأنبياء. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَإِن الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِن أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، فالنبي صادق مصدوق ليس في شيء مما أنبأه الله به شيء من وحي الشيطان، وهذا بخلاف غير النبي فإنه وإن كان قد يُلهم ويُحدث ويُوحى إليه أشياء من الله ويكون حقا فقد يلقي إليه الشيطان أشياء ويشبهه هذا بهذا فإنه ليس نبيا لله<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى ج ١٢ / ص ١٨.

(٢) النبوات/ ٢٤٦-٢٤٧.

## المبحث الثالث النبوة في النساء والجن

### المطلب الأول النبوة في النساء

أجمع جمهور المسلمين على أن الذكورة شرط من شروط النبوة. وأظهر الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

ويدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذَّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذَّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري (رحمه الله) عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾: وما أرسلنا يا محمد من قبلك إلا رجالا لا نساء ولا ملائكة نوحى إليهم آياتنا بالدعاء إلى طاعتنا وإفراد العبادة لنا ﴿ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ يعني من أهل الأمصار دون البوادي لأنهم كانوا أعلم وأحكم من أهل العمود<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن كثير (رحمه الله) في الآية السابقة نفسها: "يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء وهذا قول جمهور العلماء كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة، فإن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم وحي تشريع<sup>(٥)</sup>".

(١) يوسف / ١٠٩.

(٢) النحل / ٤٣.

(٣) الأنبياء / ٧.

(٤) جامع البيان / مج ٨ / ج ١٣ / ص ١٠٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ٤٩٦.

وقال السفاريني (رحمه الله) في بيان شروط النبوة :

"وشرط من أكرم بالنبوة حرية ذكورة كقوة"

ثم بين مقصوده بشرط الذكورة فقال : " أي أن يتصف بالذكورة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ فأثبت الرسالة للرجال الموحى إليهم وأشعر بنفسه ذلك عن غيرهم فلا تكون أنثى نية"<sup>(١)</sup>

وقال الشوكاني (رحمه الله) في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ : " وتدل الآية على أن الله سبحانه لم يعث نبياً من النساء ولا من الجن، وهذا يرد على من قال: إن من النساء أربع نيات : حواء وآسية وأم موسى ومريم. وقد كان بعثة الأنبياء من الرجال دون النساء أمراً معروفاً عند العرب حتى قال قيس بن عاصم في سجاح المتنبئة:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا  
فلعنة الله والأقوام كلهم على سجاح ومن باللوم أغرانا<sup>(٢)</sup>.

غير أن بعض العلماء قد ذهب إلى جواز انتفاء ذلك الشرط من النبوة وأن الله قد أنعم على بعض النساء بالنبوة. وأبرز من قال بذلك: أبو الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم. قال ابن حجر (رحمه الله) ملخصاً مجمل أقوالهم: " وقد نُقل عن الأشعري أن في النساء عدة نيات وحصرهم ابن حزم في ست: حواء و سارة و هاجر و أم موسى و آسية و مريم، وأسقط القرطبي سارة و هاجر ونقله في التمهيد عن أكثر الفقهاء. وقال القرطبي: الصحيح أن مريم نبية، وقال عياض: الجمهور على خلافه، ونقل النووي في "الأذكار" أن الإمام - أي الجويني - نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية، ونسبه في شرح المهذب لجماعة، وعن الحسن: ليس في النساء نية ولا في الجن. وقال السبكي الكبير: لم يصح عندي في هذه المسألة شيء ونقله السهيلي في آخر "الروض" عن أكثر الفقهاء"<sup>(٣)</sup>.

(١) مختصر لواع الأنوار/ص ٤٥٢.

(٢) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة /ص ٦٧٠.

(٣) الفتح / ج ٦/ص ٥٤٢. وانظر أيضا ص ٥١٥، ٥١٦.

وأكثر من دافع عن جواز النبوة في النساء ابن حزم (رحمه الله) وبين ما ذهب إليه على وجه التفصيل فقال: "ما نعلم للمانعين حجة أصلاً إلا أن بعضهم نزع في ذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ وهذا أمر لا يُنَازَعُونَ فِيهِ، ولم يدع أحد أن الله أرسل امرأة، وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة. فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبأ له بأمر ما فهو نبي بلا شك وليس هذا من باب الإلهام الذي هو طبيعة لقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾".<sup>(١)</sup>

ثم أورد عدة أدلة على نبوة كل من مريم وأم إسحاق وأم موسى، بناها جميعاً على مفهوم النبوة لديه حيث أنه يرى أن كل من أوحى الله إليه فهو نبي كما سبق ذكر ذلك. فقال (رحمه الله) في إثبات نبوة أم موسى: "وجدنا أم موسى عليها السلام قد أوحى الله إليها بالقاء ولدها في اليم وأعلمها بأنه سيرده إليها ويجعله نبياً. فهذه نبوة صحيحة لا شك فيها، وبضرورة العقل يدري كل ذي تمييز صحيح أنها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت يالقاتها ولدها في اليم برؤيا تراها أو بما يقع في نفسها أو قام في هاجسها في غاية الجنون، فصح يقينا أن الوحي الذي ورد لها في إلقاء ولدها في اليم كالوحي الوارد على إبراهيم في الرؤيا في ذبح ولده"<sup>(٢)</sup>

وقال في تدليله على نبوة أم إسحاق: "جاء القرآن بأن الله تعالى أرسل ملائكة إلى نسله فأخبروهم بوحي حق من الله تعالى، فبشروا أم إسحاق بإسحاق عن الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ. قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ فهذا خطاب الملائكة لأم إسحاق عن الله عز وجل بالبشارة لها بإسحاق ثم يعقوب ثم بقولهم لها أ تعجبن من أمر الله؟ لا يمكن البتة أن يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه"<sup>(٣)</sup>

(١) الفصل في المثل والأهواء والنحل / ج ٣ / ص ١٨٦.

(٢) المصدر السابق / ج ٣ / ص ١٨٧.

(٣) المصدر السابق / ج ٣ / ص ١٨٧.

كما دلت على نبوة مريم فقال: " ووجدناه تعالى قد أرسل جبريل إلى مريم أم عيسى عليهما السلام فحاطبها وقال لها: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ فهذه النبوة صحيحة بوحى صحيح ورسالة من الله تعالى إليها. كما قد قال وقد ذكر من الأنبياء عليهم السلام في سورة كهيعص وذكر مريم من جملتهم ثم قال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم، وليس قوله عز وجل: ﴿وَأُمَّهُ صَدِيقَةٌ﴾ يمنع من أن تكون نية فقد قال تعالى: ﴿يوسف أيها الصديق﴾ وهو مع ذلك نبي رسول الله وهذا ظاهر<sup>(١)</sup>

وقال في إثبات نبوة امرأة فرعون: " ويلحق بهم عليهم السلام في ذلك امرأة فرعون بقول الرسول ﷺ: " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم " والكمال في الرجال لا يكون إلا لبعض المرسلين عليهم السلام لأن من دونهم ناقص عليهم بلا شك، وكان تخصيصه ﷺ بالكمال مريم وامرأة فرعون تفضيلاً لما على سائر من أوتيت النبوة من النساء بلا شك. إذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة لم يكمل.

فصح بهذا الخبر أن هاتين المرأتين كملتا كمالاً لم يلحقهما معه امرأة غيرهن أصلاً، وإن كنَّ بنصوص القرآن نبيات وقد قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ فالكمال في نوعه هو الذي لا يلحقه أحد من أهل نوعه، فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر الرسل ومنهم نبينا محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام بلا شك للنصوص الواردة فيهما بذلك في فضلها على غيرهما، وكل من ذكر من النساء عليه الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup>.

واعترض ابن كثير على ابن حزم (رحمهما الله) ورد على استدلاله السابق رداً مجملاً فقال: "إن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات آدم وحي تشريع، وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل وأم موسى ومريم بنت عمران أم عيسى نيات واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وبقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾ الآية، وبأن الملك جاء إلى مريم وبشرها بعيسى عليه السلام وبقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ وهذا القدر حاصل لمن ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نيات بذلك. فإن أراد القائل بنوهم هذا القدر من التشريف، فهذا لا شك فيه ويبقى الكلام معه في أن هذا هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة بمجرد أم لا؟ الذي عليه أهل السنة والجماعة وهو الذي نقله الشيخ: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم أنه ليس في النساء نبية وإنما فيهم صديقات كما قال تعالى مخبراً عن أشرفهم مريم بنت عمران حيث قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ الطَّعَامِ﴾ فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقية، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام فهي صديقة بنص القرآن<sup>(١)</sup>.

ويمكن الرد على ما ذهب إليه ابن حزم ومن وافقه تفصيلاً كالآتي:

أولاً: ما يتعلق بمفهوم النبوة عنده وأنها مجرد إحياء الله لبعض عبادته بشيء من علم الغيب فهذا غير مسلم به لأنه لا يلزم من الوحي نبوة أو رسالة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾<sup>(٢)</sup>. ولا يعني بهذا الوحي أن الحوارين أصبحوا أنبياء وإلا لوصفهم الله بذلك. "كذلك فقد توقف الرسول صلى الله عليه وسلم في نبوة ذي القرنين مع إخبار القرآن بأن الله أوحى إليه قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتُ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتُ تُتَّخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا﴾"<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ٤٩٦.

(٢) المائدة / ١١١.

(٣) الرسل والرسالات / ص ٨٨.

ثانياً: أنه لا يلزم من إرسال الملائكة أن يكون المرسل إليه نبياً وإلا لزم أن يكون الثلاثة الذين امتحنهم الله ( الأقرع ، والأبرص ، والأعمى ) أنبياء وكذلك الرجل الذي ذهب يزور أخأله في الله في قرية أخرى نبياً بمجرد مجيء الملائكة إليهم، ولكن الصحيح عدم التلازم في ذلك . كذلك جاء جبريل يعلم الصحابة أمر دينهم بسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة يشاهدونه ويسمعونه<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: أن قوله بأن مريم قد ذكرت ضمن الأنبياء الذين قال الله بعد ذكرهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾، لا يلزم أن تكون داخلية في عمومهم أو أن تكون منهم لأن الله ذكرها وذكر أنها صديقة ولم يخبر أنها نبية بينما أخبر عن الآخرين أنهم أنبياء. والضمير هنا يعود على الأنبياء المذكورين في السورة فمجرد ذكرها معهم لا يلزم أن تكون نبية.

رابعاً: أما عن نفيه لوصف مريم بأنها صديقة فقط بدليل أن يوسف قد وُصف بذلك ، فالجواب : أن يوسف وُصف بذلك من قبل الرجل السائل وإنما وصفه القرآن بالنبوة والرسالة المتضمنة لأعلى مراتب البشر عند الله أما مريم ابنة عمران فقد وصفها القرآن بالصديقية والمقام مقام تشریف فلو كانت نبية لوصفها الله بما هو أعلى من مرتبة الصديقية .

خامساً : كذلك فإنه لا يلزم من وصف يوسف بالصديقية ووصفه بالنبوة أن تكون مريم كذلك صديقة و نبية لأنه لم يرد في حقه نص بالنبوة في القرآن الكريم بخلاف يوسف فإنه وُصف بالنبوة والرسالة ووصف بما دونها (الصديقية)، كما وُصف بحبي عليه السلام بكونه سيداً و حضوراً ووصف بالنبوة . وكما وُصف إبراهيم بأنه أواه حليم ووصف بالنبوة كذلك .

سادسا : أما عن استدلاله بحديث رسول الله ﷺ : " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون " وقوله أن الكمال في الرجل لا يكون إلا لبعض المرسلين عليهم السلام، فيرد عليه كما يلي:

أ - لا يلزم من لفظ الكمال الوارد في الحديث الذي احتجوا به النبوة ، لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في باب، فالمراد بلوغ النساء الكاملات النهائية في جميع الفضائل التي للنساء وعلى ذلك فالكمال هنا كمال غير الأنبياء.

ب - كما أنه ورد في بعض الأحاديث النص على أن خديجة من الكاملات وهذا يبين أن الكمال هنا ليس كمال نبوة.

ج- أنه قد ورد في بعض الأحاديث : " أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم ابنة عمران " رواه أحمد وإسناده جيد، وهذا يبطل القول بنبوة من عدا مريم كأم موسى وآسية لأن فاطمة ليست نبية جزما وقد نص الحديث على أنها أفضل من غيرها فلو كانت أم موسى وآسية نبيتان لكانتا أفضل من فاطمة<sup>(١)</sup> .

سابعا: أن مخذورات التي قلت في إرسال رسول من النساء قائمة في بعث نبية من النساء، وهي مخذورات كثيرة تجعل المرأة لا تستطيع القيام بحق النبوة، كالحيض والحمل والولادة والاضطرابات النفسية المصاحبة لذلك.<sup>(٢)</sup>

ثامنا: قد يكون وحي الله إلى هؤلاء النسوة، إنما وقع مناما وقد علمنا من الشرع أن من الوحي ما يكون مناما ، وهذا يقع لغير الأنبياء<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق /ص ٨٨.

(٢) المرجع السابق /ص ٨٥، ٨٧.

(٣) المرجع السابق/ص ٨٧.



تاسعاً: لا حجة لهم في النصوص الدالة على اصطفاء الله لمريم، فالله قد صرح بأنه اصطفى غير الأنبياء. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ واصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ومن آلهما من ليس نبي جزماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

والخلاصة في هذا: أن النبوة في النساء من المسائل الخلافية التي لم يرد فيها نص يثبت أو نفي ومن قال بنفيها إما لأنه اعتمد عدم الدليل أو لاعتماده على كلام الحسن البصري (رحمه الله) وغيره من علماء الأمة المتقدمين وهو كلام موقوف على أصحابه وأما من قال بنوهم فقد كان اعتماده على قضية حصول وحي لهم بنص القرآن ثم تقرير بنوهم بعد ذلك تقريراً قد يعتمد فيه على العقل أحياناً دون أن يكون هناك نص صريح في هذه المسئلة وكذلك فإن جميع ما استدلووا به يمكن الرد عليه جملة وتفصيلاً.

والصحيح أنه لا يمكن القول بنبوة أحد دون أن يكون النص قد جاء بذلك سواءً رجل أو امرأة ولم يرد نص شرعي ثابت صريح بنبوة أحد من النساء. والله أعلم

## المطلب الثاني النبوة في الجن

أثبتت نصوص الشريعة وجود خلق مكلفون ومثابون ومعاقبون غير البشر، وهم الجن الذين يختلف أصل خلقهم وتكوينهم عن البشر، كما تختلف طبيعتهم. وقد ترجم البخاري (رحمه الله) باباً في صحيحه عن تكليف الله للجن فقال: "باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم".<sup>(١)</sup> وهذا ثابت فالآيات والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، غير أن العلماء (رحمهم الله) قد اختلفوا في النبوة فيهم.

قال الطبري (رحمه الله): "اختلف أهل التأويل في الجن هل أرسل منهم إليهم أم لا، فقال بعضهم: قد أرسل منهم إليهم رسل كما أرسل إلى الإنس وقال آخرون: لم يرسل منهم إليهم رسول ولم يكن من الجن قط رسول مرسل، وإنما الرسل من الإنس خاصة فأما من الجن فالتنذر"<sup>(٢)</sup>

وقال ابن تيمية (رحمه الله): "اختلفوا هل يكون في الجن رسل. و الأكثرون على أنه لا رسل فيهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ وعن الحسن البصري قال: "لم يبعث الله نبياً من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء" ذكره عنه طائفة منهم البغوي وابن الجوزي، وقال قتادة: "ما تعلم أن الله أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى لأنهم كانوا أعلم وأحكم من أهل العمود" رواه ابن أبي حاتم وذكره طائفة"<sup>(٣)</sup>

وعلى ذلك فهناك قولان في هذه المسألة:

القول الأول: رأي من قال أن في الجن نذر وليسوا رسلا، وهم أدلة استدلوا بها على قولهم وردوا على المعارضين لهم.

القول الثاني: رأي من قال أن في الجن رسل أو أنبياء، وهم أدلة استدلوا بها على قولهم وردوا على المعارضين لهم كذلك.

(١) الجامع الصحيح / كتاب بدء الخلق.

(٢) جامع البيان/م ج ٥ / ٨٥/ص ٤٧.

(٣) النبوات/ص ٣٩٦.

## أدلة القائلين بأن الجن نُذِر وليس فيهم رسل:

استدلوا على ذلك بقول ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ قال: "هم الجن لقوا قومهم وهم رسل إلى قومهم".

قال ابن جرير تعليقا على ذلك: "فتأويل الآية على هذا التأويل الذي تأوله ابن عباس: ألم يأتكم أيها الجن و الإنس رسل منكم، فأما رسل الإنس فرسل من الله إليهم وأما رسل الجن فرسل رسل الله من بني آدم، وهم الذين إذا سمعوا القرآن ولّوا إلى قومهم مندرين".<sup>(١)</sup> ونقل ابن كثير (رحمه الله) كذلك بعض ما استدلوا به فقال: "استدلوا بقوله: ﴿وَلَوْ أَلْسَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ويقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، ويقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ وقوله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الْتُبَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ فكل نبي بعثه الله تعالى بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته".<sup>(٢)</sup>

## أدلة القائلين بأن من الجن رسلا:

استدل القائلون بأن من الجن رسلا بظاهر قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾<sup>(٣)</sup>

وعلى رأس من استدل بهذه الآية الضحاك بن مزاحم فيما رواه عنه الطبري حيث سئل عن الجن هل كان فيهم نبي قبل أن يُبعث النبي؟ فقال: "ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ يعني بذلك رسلا من الإنس ورسلا من الجن، فقالوا: بلى".<sup>(٤)</sup>

(١) جامع البيان/ مج ٥/ ج ٨/ ص ٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم/ ج ٤/ ص ١٧٠.

(٣) الأنعام / ١٣٠.

(٤) جامع البيان / مج ٥/ ج ٨/ ص ٤٨، ٤٩.

وردوا على استدلال القول الأول فقالوا: "إن الله تعالى ذكره أخبر أن من الجن رسلا إليهم كم أخبر أن من الإنس رسلا أرسلوا إليهم، قالوا: ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجن بمعنى أنهم رسل الإنس، جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس بمعنى أنهم رسل الجن. قالوا: وفي فساد هذا المعنى ما يدل على أن الخبرين جميعا بمعنى الخبر عنهم أنهم رسل الله لأن ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره".<sup>(١)</sup>

والمقصود أن الذين يردون تأويل الضحاك قالوا بما هو خلاف المعتاد من اللفظ، ولو صدق في رسل الجن لصدق في رسل الإنس لعدم الفرق<sup>(٢)</sup>.

واستدل الضحاك كذلك - بما نقله عنه الطبري - بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ مع ضمنية إطلاق لفظ الأمة على جميع الأحياء، لقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>

ورد أصحاب القول الأول على أصحاب القول الثاني في استدلالهم بقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، فقالوا: المراد من مجموع الجنسين، فيصدق على أحدهما وهو الإنس كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ والمقصود أي من أحدهما<sup>(٤)</sup> " فقد يُطلق القرآن المجموع مرادا به البعض كقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ وكقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ مع أن العاقر واحد منهم".<sup>(٥)</sup>

(١) المصدر السابق مج ٥/٨-٤٩.

(٢) تفسير القرآن الحكيم / ج ٨ / ص ١٠٦.

(٣) المصدر السابق / ج ٨ / ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤) جامع البيان / مج ٥ / ج ٨ / ص ٤٨. وانظر تفسير القرآن العظيم / ج ٤ / ص ٧٠.

(٥) أضواء البيان / ج ٢ / ص ١٦٠.

غير أن هذا الذي ذهب إليه أصحاب القول الأول في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ من أن المراد به أحدهما وهو المالح خاصة دون العذب وأن معنى ذلك من بعضهما أو من أحدهما قد رده جماعة من أهل العلم ومنهم العلامة محمد الأمين الشنقيطي ومحمد رشيد رضا (رحمهما الله).

قال محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله): "وأعلم أن ما ذكره الحافظ ابن كثير (رحمه الله) وغيره من أجلاء العلماء في تفسير هذه الآية من أن قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ يُراد به البحر المالح خاصة دون العذب غلط كبير ولا يجوز القول به لأنه مخالف لمخالفة صريحة لكلام الله تعالى لأن الله ذكر البحرين المالح والعذب بقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ثم صرح باستخراج اللؤلؤ والمرجان فيهما جميعاً بقوله: ﴿وَمَنْ كُلُّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ والحلية المذكورة هي اللؤلؤ والمرجان فقصره على المالح مناقض للآية كما ترى".<sup>(١)</sup>

وجملة القول في الخلاف: أنه ليس في المسألة نص قطعي. والظواهر التي استدل بها الجمهور يحتمل أن تكون خاصة برسول الإنس، وليست أقوى من ظاهر الآيات التي استدل بها على كون الرسل من الفريقين. والجن عالم غيبي لا نعرف عنه إلا ما ورد به النص وقد دل القرآن وكذا الحديث الصحيح على رسالة نبينا محمد ﷺ إليهم، وحكى الله تعالى عن الذين استمعوا القرآن منهم أنهم قالوا: ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ فظاهرة أنه كان مرسلًا إليهم. فتحن نؤمن بما ورد ونفوض فيما عدا ذلك إلى الله تعالى. ثم إنه تعالى وصف الرسل الذين أرسلهم إلى الفريقين منهم بقوله: ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾<sup>(٢)</sup>

(١) أضواء البيان / ج ٢ / ص ١٦٠. وانظر تفسير القرآن الحكيم ج ٨ / ص ١٠٦.

(٢) تفسير القرآن الحكيم / ج ٨ / ص ١٠٧.

## الفصل الثاني

### الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وفيه ثلاثة مباحث..:

**المبحث الأول:** الأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن والسنة، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** الأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة

وبيان أولي العزم منهم.

**المطلب الثاني:** الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

**المطلب الثالث:** أهمية الإيمان بالرسول.

**المبحث الثاني:** ترتيب مجيء الأنبياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** وفيه مسألتان.

الأولى: قواعد لا بد منها.

الثانية: ذكر اجتهاد بعض العلماء في ترتيب الأنبياء عليهم السلام.

**المطلب الثاني:** التحقيق في ترتيب مجيء الأنبياء.

**المبحث الثالث:** من اختلف في نبوتهم من الصالحين، وفيه ثلاثة مطالب :

**المطلب الأول:** الخضر عليه السلام.

**المطلب الثاني:** ذو القرنين.

**المطلب الثاني:** لقمان.

## المبحث الأول

### الأنبياء الذين وردت أسماءهم في القرآن والسنة

#### المطلب الأول

#### أسماء الأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم والسنة

##### المطهرة، وبيان أولي العزم منهم

قص الله عز وجل في القرآن الكريم خبر عدد من الأنبياء وأسماءهم وحالهم مع أقوامهم. ولأهمية هذه القضية في العقيدة الإسلامية من الناحيتين: العقدية الخالصة و الدعوية، وجب الاهتمام بها وإلقاء الضوء عليها فيما يتسع له المقام وما تسمح به حدود الرسالة. والله المستعان.

#### من هم الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم؟

ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم أسماء عدد من الأنبياء في آيات وسور عدة، وبلغ مجموع ما ذكر القرآن منهم خمسة وعشرين نبيا. قال ابن كثير (رحمه الله) في قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾: "وهم آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان إلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين وسيدهم محمد ﷺ" (١).

ويقول محمد رشيد رضا (رحمه الله): "أجمع الآيات لأسماء الأنبياء قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وأجمع السور لقصصهم: هود وطسم الشعراء ومنهم هود وصالح وشعيب وهم من العرب". (٢)

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ١/ص ٥٨٥.

(٢) تفسير القرآن الحكيم / مج ٦/ص ٧٠.

وكذلك ورد ذكر بعضهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَيُوسُفَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾<sup>(١)</sup>

وهؤلاء الذين ورد ذكرهم كلهم من بني إسرائيل عدا عشرة قال ابن كثير (رحمه الله): عن ابن عباس قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: "آدم ونوح وهود وصلاح وشعيب وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام"<sup>(٢)</sup>.

والمتصف منهم بالنبوة في القرآن الكريم صراحة جميعهم عدا اثنان هما:

(١) آدم عليه السلام:

فإن لفظ النبوة لم يذكر بإزاءه في القرآن الكريم بخلاف غيره من الأنبياء. غير أن نبوته ظاهرة بمقتضى ما تدل عليه النصوص، فإن الله عز وجل قد ذكر أنه اصطفاها كما أنه سبحانه خاطبه بلا واسطة وشرع له في ذلك الخطاب فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه وهذا دليل على نبوته وهو رأي جمهور العلماء ولم يخالف فيه أحد وإنما الخلاف في رسالته<sup>(٣)</sup>.

كما أن السنة قد دلت على نبوته صراحةً فيما رواه أبي أمامة (رضي الله عنه) أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون<sup>(٤)</sup>.

(٢) ذو الكفل عليه السلام

ولم يذكر لفظ النبوة بإزاءه في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾<sup>(٥)</sup>. وقال تعالى: ﴿وأذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾<sup>(٦)</sup>.

ولم يُذكر اسمه في القرآن في غير هذين الموضعين.

(١) النساء / ١٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ١٨٧. ( سقط لفظ آدم من الطبعة التي اعتمدت عليها فأضفته ).

(٣) انظر النبوة والأنبياء للصابري / ص ١٣٨، ١٣٩.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، وذكره ابن حجر في الفتح / ج ٦ / ص ٤٢٩.

(٥) الأنبياء / ٨٥.

(٦) ص / ٤٨.



قال: ابن كثير (رحمه الله) عند تفسيره للآية الأولى: "وأما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام وقد تقدم ذكره في سورة مريم وكذا إدريس عليه السلام وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قُرِنَ مع الأنبياء إلا وهو نبي وقال آخرون إنما كان رجلاً صالحاً ولكن ملكاً عادلاً وحكماً مقسطاً وتوقف ابن جرير في ذلك والله أعلم"<sup>(١)</sup>.  
غير أنه قد ذكر (رحمه الله) في موضع آخر أن القول بنبوته هو المشهور، ومال هو إلى القول بذلك.<sup>(٢)</sup>

هذا بالنسبة لتحقيق القول في اتصاف من ذكرنا سابقاً بالنبوة أما من ورد ذكرهم في القرآن الكريم باسم الأسباط وذكرهم في سياق ذكره للأنبياء فهذا ما سيأتي الكلام فيه مفصلاً (إن شاء الله).

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ١٩٠.

(٢) البداية والنهاية / مح ١ / ج ١ / ص ٢١٠، وانظر المصدر السابق / ج ٣ / ص ١٩٠.

## الأسباط

أورد القرآن الكريم ذكر الأسباط في مواضع هي:

قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالْتِّيُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا. وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا. رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ آتَنَّهُمْ آتَتْهَا غُصَّةٌ أَسْبَاطًا أُمَّمًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وقد ذكر ابن كثير (رحمه الله) كلام العلماء في المقصود بالأسباط فقال: "قال أبو العالية والربيع وقناة: "الأسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط" وقال الخليل ابن أحمد وغيره: "الأسباط في بني إسرائيل كالقبايل في بني إسماعيل" وقال الزمخشري في الكشاف: "الأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الإثني عشر وقد نقله الرازي عنه وقرره ولم يعارضه: وقال البخاري: "الأسباط قبائل في بني إسرائيل" وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط هاهنا - أي في قوله تعالى قوله ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ - شعوب بني إسرائيل وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين

(١) البقرة / ١٣٦.

(٢) البقرة / ١٤٠.

(٣) آل عمران / ٨٤.

(٤) النساء / ١٦٣-١٦٤.

(٥) الأعراف / ١٦٠.



وقال محمد رشيد رضا (رحمه الله) عند قوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ قَبْلِهِ وَمَا نَحْنُ بِمُشْرِكِي آلِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١): "والأسباط أولاد يعقوب والفرق أو الشعوب الاثني عشر المتشعبة منهم قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيطًا ﴾ (٢) وقد ورد أن أولاد يعقوب كانوا أنبياء ولم يرد أنهم كانوا مرسلين، فإن صح هذا فالمراد بالأسباط الإطلاقات الأولى، وإلا كان في الكلام تقدير مضاف أي: أنبياء الأسباط، كأنه قال وسائر أنبياء بني إسرائيل. وهو المختار، ولم يصح في نبوة غير يوسف من أبناء يعقوب شيء." (٢)

وقال عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ... ﴾ (٣) الآية: "الأسباط جمع سبط وهو يطلق على ولد الولد، وأسباط بني إسرائيل اثنا عشر سبطاً، فكل نسل ولد من أولاد يعقوب العشرة وولدي ابنه يوسف يُسمى سبطاً، ولذلك قيل إن الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في ولد إسماعيل. وأما أبناء يعقوب العشرة آباء الأسباط الأخرى فهم: (١) رُوبِين (٢) شمعون (٣) يهوذا (٤) سياكر (٥) بولون (٦) بنيامين (٧) دان (٨) نفتالي (٩) جلد (١٠) أشير (١١) فسلالة هؤلاء مع سلالة ابني يوسف هم اثنا عشر سبطاً، والمراد بالوحي إلى الأسباط الوحي إلى الأنبياء الذين بُعثوا فيهم وخص منهم بالذكر أشهر المرسلين لأن لهم كتباً يُهتدى بها." (٤)

وقال: "والمشهور عند المفسرين أن الأسباط هم أولاد يعقوب، ولذلك استشكلوا الوحي إليهم وكونهم من النبيين مع ما بينه الله من كيدهم لأخيه يوسف وكذبهم على أبيهم وغير ذلك مما لا يليق بالنبيين. وأجاب بعضهم بأن ذلك كان فيهم قبل النبوة، ولا يرضى هذا من يقول: أن الأنبياء معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها، وهم يقولون بعموم هذه العصمة وإن كان الدليل الذي يحتجون به خاصاً بالرسول منهم. وقد علمت أن

(١) البقرة / ١٣٦.

(٢) تفسير القرآن الحكيم مج ١/ص ٤٨٣.

(٣) النساء / ١٦٣.

(٤) لم يثبت في أسماء إخوة يوسف شيء من القرآن أو السنة المطهرة، ولعل محمد رشيد رضا ومن قبله الطبري وغيرهما

(رحمهم الله جميعاً) قد اعتمدوا في ذلك على كتب أهل الكتاب. وانظر الفتح / ج ٨/ص ٢١٣.

(٤) تفسير القرآن الحكيم / مج ٦/ص ٦٨، ٦٩.

إطلاق لفظ الأسباط على أبناء إسرائيل من صلبه خاصة غلط وأن المتفق عليه عند أهل الكتاب عامة هو ما ذكرناه وما حاجتهم الله تعالى إلا بما هو معروف عندهم فالآية لا تدل على نبوة إخوة يوسف من أولاد يعقوب".<sup>(١)</sup>

ورجح الدكتور عمر الأشقر: أن الأسباط هم أولاد يعقوب من صلبه وقد كانوا اثني عشر رجلاً فيقول: "الأنبياء الذين سبق ذكرهم (الخمسة والعشرون) المذكورون في القرآن بأسمائهم، وهناك بعض الأنبياء أشار القرآن إلى نبوتهم ولكننا لا نعرف أسمائهم وهم الأسباط. والأسباط هم أولاد يعقوب وقد كانوا اثني عشر رجلاً عرفنا القرآن بواحد منهم وهو يوسف، والباقي وعددهم أحد عشر رجلاً لم يعرفنا الله بأسمائهم ولكنه أخبر بأنه أوحى إليهم"<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فالمسألة خلافية بين أهل العلم ولم يترجح فيها شيء لعدم وجود نص ثابت يحسم النزاع. غير أنه يجب الإيمان بما ورد في القرآن من أن الأسباط قد أوحى الله إليهم وأنزل عليهم، إيماناً مجملًا.

قال الشيخ حافظ الحكمي (رحمه الله): "الإيمان بالرسول يجب إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل. وقد ذكر الله تعالى في كتابه منهم آدم ونوحاً وإدريس وهوداً وصالحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوطاً وشعياً ويونس وموسى وهارون وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود وسليمان وأيوب وذكر الأسباط جملة وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق/ص ٦٩.

(٢) الرسل والرسالات/ص ١٩.

(٣) مختصر معارج القبول/ص ٢٠١-٢٠٢.

## أولو العزم من الرسل

الأنبياء قسماً: أنبياء فقط وأنبياء ورسل. وهؤلاء الرسل قد اختار الله سبحانه وتعالى منهم أولو العزم وهم أفضل الأنبياء والرسل قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(١)</sup>.<sup>(٢)</sup>

### معنى العزم في القرآن الكريم:

وأما عن معنى العزم في القرآن الكريم فيقول الراغب الأصفهاني (رحمه الله): "العزم عقد القلب على إمضاء الأمر"<sup>(٣)</sup>.

قال حافظ الحكمي (رحمه الله): "والعزم الجزم والجد والصبر وكمال العقل، ولم يرسل الله تعالى رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة غير أن هؤلاء أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم ولذا خصّوا بالذكر في سورة الأحزاب وكذا في سورة الشورى"<sup>(٤)</sup>.

### المراد بأولي العزم من الرسل :

وهم عل قول أكثر العلماء خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم.<sup>(٥)</sup> وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه في أكثر من موضع.

قال ابن أبي العز (رحمه الله): "وأما أولو العزم فقد قيل فيهم أقوال أحسنها ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة: أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم. قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا

(١) الأحقاف/٣٥.

(٢) راجع الرسل والرسالات / ص ٢١٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن/ كتاب العين/ص ٣٣٤.

(٤) مختصر معارج القبول / ص ٢٠٢.

(٥) انظر المنحة الإلهية بتهديب الطحاوية/ص ١٩٧، مختصر معارج القبول/ص ٢٠٢، ومختصر نواعم الأنوار/ص ٤٦٨.

الرسل والرسالات/ص ٢١٧. الإيمان أركانها، حقيقته، ونواقضه/ص ٧٤.

وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ  
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» (١).

وقال الشيخ حافظ الحكمي (رحمه الله): "وهؤلاء الخمسة هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهي إلى نبينا محمد ﷺ. (٢) كما في حديث الشفاعة الطويل الوارد في صحيح البخاري وغيره.

### الأقوال في المراد بأولي العزم:

قال ابن كثير (رحمه الله): "وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال وأشهرها أفهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ، وقد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي الأحزاب والشورى. وقد يُحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل فتكون (من) في قوله ﴿من الرسل﴾ لبيان الجنس والله أعلم". (٣)

ثم ذكر حديثاً عن أبي حاتم عن الشعبي عن مسروق عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "ظل رسول الله ﷺ صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم قال: يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهاها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي، ولا قوة إلا بالله". (٤)

(١) المنحة الإلهية بهتذب الطحاوية /ص/ ١٩٧-١٩٨. وانظر مختصر لواعم الأنوار /ص/ ٤٦٩.

(٢) مختصر معارج القبول /ص/ ٢٠٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم /ج ٤/ص ١٧٢. وانظر مختصر لواعم الأنوار /ص/ ٤٦٩.

(٤) المصدر السابق /ج ٤/ص ١٧٢.

وأورد الشيخ حافظ الحكمي (رحمه الله) الأقوال في ذلك فقال: " قيل أنهم الخمسة الذين ذكرنا وهو قول ابن عباس وقتادة ومن وافقهما وهو الأشهر، وقيل أنهم الذين أُمرُوا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين قاله الكلبي، وقيل هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام وهم المذكورين على النسق في سورة الأعراف وهود والشعراء، وقال مقاتل هم ستة: نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر، وقوله (وإسحاق صبر على الذبح) هو قول مرجوح أو مردود وإنما كان الذبيح إسماعيل عليه السلام كما يُفهم من سورة الصافات وسورة هود، وقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم، لم يبعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت (من) للتجنيس لا للتبعيض كما يُقال: اشتريتُ أكسية من الخبز وأردية من البز،

وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾<sup>(١)</sup>.



## الأنبياء الذين ورد ذكرهم في السنة المطهرة:

ترجم البخاري ( رحمه الله) في كتاب الأنبياء<sup>(١)</sup> لعدد كبير من الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وبقي من المذكورين في القرآن ولم يترجم لهم خمسة: هارون واليسع ويحيى وذا الكفل ومحمد عليهم الصلاة والسلام. .

وقد ذكر أصحاب الحديث الآخرون - غير البخاري - بعض هؤلاء الأنبياء أيضاً ولستُ أهدف هنا إلى استقصاء ذلك، إنما أردت أن أبين أن هؤلاء الأنبياء كما ورد ذكرهم في القرآن الكريم فقد ورد ذكر بعضهم في السنة المطهرة كذلك.

## المطلب الثاني

### الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم والسنة

اتضح من المطلب السابق أن الله قد قص علينا في كثير من السور والآيات أخبار أنبياء ورسول كرام. غير أنه قد نص أيضا - كما نصت السنة - على أن الله سبحانه وتعالى قد بعث أنبياء ورسول إلى أقوامهم ولم يقص علينا من أخبارهم أو أحوالهم شيئا.

المسألة الأولى: نصوص القرآن الكريم الدالة على بعث الله لأنبياء ورسول ولم يقص علينا من أخبارهم شيئا:

قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولم يصف الطبري (رحمه الله) على ظاهر هذه الآية شيئا إذ يقول: "ويعني بذلك جل ثناؤه: إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح وإلى رسل قد قصصناهم عليك ورسول لم نقصصهم عليك".<sup>(٢)</sup>

وقال ابن كثير (رحمه الله): "﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي من قبل هذه الآية يعني في السور المكية وغيرها وقوله ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي خلقا آخرين لم يُذكروا في القرآن".<sup>(٣)</sup>

وقال محمد رشيد رضا (رحمه الله): "﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي كالمرسلين إلى الأمم المجهول علمها وتاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك كأمم الشرق والصين واليابان والهند وأمم بلاد الشمال (أوربة) وأمم القسم الآخر من الأرض (أمريكا)".<sup>(٤)</sup>

(١) النساء/ ١٦٤.

(٢) جامع البيان / مح/ ٤/ ج/ ٦/ ص/ ٣٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج/ ١/ ص/ ٥٨٥.

(٤) تفسير القرآن الحكيم / ج/ ٦/ ص/ ٧٠.

ومما ورد في ذلك هو قوله عز وجل: ﴿حَمِ عَسَق. كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. (١)

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله): "يعني ما تضمنته هذه السورة من المعلنين قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور، وأوحاه من قبلك على رسله، على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية. وقوله في هذه الآية: ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: لم يُصرح هنا بشيء من أسماء الذين من قبله الذين أوحى الله إليهم كما أوحى إليه ولكن قد بين أسماء جماعة منهم في سورة النساء وبين فيها أن بعضهم لم يقصص خبرهم عليه وأنه أوحى إليهم وأرسلهم لقطع حجج الخلق في دار الدنيا" (٢).

كذلك من الأدلة الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾. (٣)

قال الطبري (رحمه الله): "﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ أي من أولئك الذين أرسلنا إلى أمهم من قصصنا عليك ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ نأهم" (٤).

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله): "ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الله تبارك وتعالى قص على نبيه ﷺ أنباء بعض الرسل أي كnoch وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى وأنه لم يقصص عليه أنباء الرسل الآخرين" (٥).

وهناك آيات أخرى دلت على ذلك - كما ذكر ذلك الشنقيطي - نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (٦) ونحو قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (٧) وغير ذلك من الآيات.

(١) الشورى / ١-٣.

(٢) أضواء البيان / ج٧/ص٩٥. بتصرف.

(٣) غافر / ٧٨.

(٤) جامع البيان / مج١٢/ج٢٤/ص١٠٨-١٠٩.

(٥) أضواء البيان / ج٧/ص٦٣.

(٦) إبراهيم / ٩.

(٧) الفرقان / ٣٨.

المسألة الثانية: نصوص السنة المطهرة الدالة على أن هناك أنبياء ورسول أخفى الله أمرهم:

وهذه النصوص تثبت وجودهم كنصوص القرآن الكريم، غير أنها بينت عددهم بيمثل م يذكر القرآن ذلك. وهي روايات كثيرة ومختلفة في طرقها وقد حصل اختلاف شديد بين العلماء في درجة ثبوتها.

ومنها ما رواه الطبري عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: "بعث النبي ﷺ بعد ثمانية آلاف من الأنبياء منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل" (١).

وروى كذلك عن سلمان عن النبي ﷺ قال: "بعث الله أربعة آلاف نبي" (٢).

وروى عن جابر عن عبد الله بن يحيى أثراً عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في قوله: «مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ» قال: "بعث الله عبدا حبشيا نبياً فهو الذي لم نقصص عليك" (٣).

ولم يعلق الطبري على تلك الروايات كما لم يذكر الرواية المشهورة والأولى بالصحة وهي "رواية أبي ذر"، غير أن ابن كثير (رحمه الله) قد استدرك ذلك فعلق على الروايات، كما ذكر روايات أخرى على وجه التفصيل، فأجاد وأفاد، وبين الضعيف منها والأقرب إلى الصحة، فقال (رحمه الله): "وقد اختلف في عدد الأنبياء والمرسلين، والمشهور حديث أبي ذر الطويل فيما رواه ابن مردويه (رحمه الله) في تفسيره حيث روى عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: "قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاث عشر جم غفير... الحديث، وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم البستي في كتابه الأنواع والتقسام، وقد وسمه بالصحة وخالف أبو الفرج ابن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات واتهم إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث. والله أعلم" (٤).

وعلى هذا فالحديث مختلف في صحته اختلافاً كبيراً.

(١) جامع البيان / مج ١٢ / ج ٢٤ / ص ١٠٩.

(٢) المصدر السابق / مج ١٢ / ج ٢٤ / ص ١٠٩.

(٣) المصدر السابق / مج ١٢ / ج ٢٤ / ص ١٠٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٨٥، ٥٨٦.

كما ذكر (رحمه الله) حديث أبي ذر كنعنو ما تقدم من طريق أخرى عن الإمام أحمد وغيره، وقال معقبا: "وسياق رواية الإمام أحمد أثبت وأولى بالصحة ورجال إسناده هذا الحديث لا بأس به"<sup>(١)</sup>.

غير أن ابن أبي العز ومحمد رشيد رضا (رحمهما الله) لم يصح شيء عندهم في عدد الأنبياء<sup>(٢)</sup>. وقد صحح هذا الحديث من المعاصرين العلامة الألباني في مشكاة المصابيح<sup>(٣)</sup>.

ومما ذكرتُ يتبين أن عدد الأنبياء أمر يصعب - مع اختلاف الروايات واختلاف درجة ثبوتهما - الجزم به، ومهما يكن فإن مقصود الشارع ليس هو معرفة عددهم على وجه التحديد وإنما المقصود هو الإيمان الجمل بأن الله قد بعث أنبياء ورسلا إلى أمم غير أنه سبحانه لم يذكر لنا من أمرهم شيئا لحكمة يعلمها هو سبحانه وتعالى. ولو كان مقصوده الإيمان بعددهم لأظهر ذلك وبينه، فالشارع لم يدع شيئا مما يوجه على العباد إلا بينه أشد بيان وأوضحه ولم يدع فيه للآراء اختلافاً ولا للعقول أو القلوب ارتياباً.

ولذلك قال محمد رشيد رضا (رحمه الله): "ولا نخوض في إحصاء الأنبياء والرسول فإنه لا يعلم إلا بوحى من الله"<sup>(٤)</sup>.

وقال العلامة محمد علي الصابوني: "وهؤلاء - أي الأنبياء المذكورة أسماؤهم وأحوالهم - يجب الإيمان بهم (تفصيلاً) بمعنى أنه يتعين التصديق برسالتهم وبأشخاصهم وأسمائهم لأنهم ذكروا في القرآن الكريم، أما بقية الأنبياء فيجب الإيمان بهم (جملة) بمعنى أن تصدق بأن هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذكروا في الكتاب العزيز، لأن الله قد أخبر عنهم بقوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير (رحمه الله) عند قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ...﴾<sup>(٦)</sup> الآية: "وقال ابن عباس ومجاهد وقاعدة: تفرضهم تركهم، وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي مكان من الأرض إذ لا فائدة لنا فيه

(١) المصدر السابق / ج ١ / ص ٥٨٧.

(٢) انظر تهذيب الطحاوية / ص ١٩٧. وتفسير القرآن الحكيم / ج ٦ / ص ٧١.

(٣) مشكاة المصابيح تحقيق الألباني / ١٥٩٩/٣.

(٤) تفسير القرآن الحكيم / ج ٦ / ص ٧١.

(٥) النبوة والأنبياء للصابوني / ص ١٥.

(٦) الكهف / ١٧.

ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً، وقال ابن إسحاق هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء، والله أعلم بأي بلاد الله هو ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه فقد قال ﷺ: "ما تركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به"، فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه".<sup>(١)</sup>

### المسألة الثالثة: الحكمة من إخفاء خبر بعض الأنبياء والرسل علينا:

لم يرد في القرآن الكريم أو السنة الثابتة عن المعصوم ﷺ إظهار حكمة إخفاء أمر أولئك الأنبياء، غير أن بعض العلماء قد اجتهد في بيان ذلك، وإن كان يكفي من الأمر التسليم لله عز وجل. فهو سبحانه الحكيم، وأفعاله لا تخرج عن مقتضى الحكمة التي يعلمها هو سبحانه وتعالى.

قال محمد رشيد رضا (رحمه الله): "وإنما لم يقص الله علينا خبر الذين أرسلهم إلى أولئك الأقوام لأن حكمة ذكر الرسل وفوائد بيان قصصهم له ﷺ لا تتحقق بقصص أولئك الجاهول حالهم وحال أمهم عند قومه وجيران بلاده من أهل الكتاب، فالعبرة والتشبيث والذكرى والاحتجاج على نبوته ﷺ، كل ذلك يظهر في قصص من ذكرهم من الرسل دون من لم يذكرهم.

وحسبنا العلم بأن الله تعالى أرسل الرسل في كل الأمم، فكانت رحمته بهم عامة لا محصورة في شعب معين احتكرها لنفسه كما يزعم أهل الكتاب غير مبالين بكونه لا يليق بحكمة الله، ولا ينطبق على سعة رحمته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وقال ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٧٥.

(٢) تفسير القرآن الحكيم / ج ٦ / ص ٧٠، ٧١.

## المطلب الثالث

### أهمية الإيمان بالرسول

أولاً: معنى الإيمان بالرسول:

قال الشيخ حافظ الحكمي (رحمه الله): "معنى الإيمان بالرسول التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يُعبد من دونه، وأنهم هدوا الخلق هداية دعوة ودلالة وإرشاد كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وقال تعالى ﴿وَأَنْتَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ﴾. وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله عز وجل هو مقلب القلوب ومصرف الأمور، ليس للملك مقرب ولا لنبي مرسل تصريف شيء منها فضلا عن دونهما، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وأن جميعهم صادقون مصدقون أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا حرفا ولم يغيروا ولم يزدوا فيه من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا، واتخذ محمد ﷺ خليلا، وكلم موسى تكليما، ورفع إدريس مكانا عليا، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله تعالى فضّل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات فنؤمن بجمعهم تفصيلا فيما فصل وإجمالا فيما أجمل"<sup>(١)</sup>.

وقال الدكتور محمد نعيم ياسين: "ويجب علينا أن نعتقد بأنهم أكمل الخلق علما وعملا، وأصدقهم وأكملهم أخلاقا، وأن الله سبحانه خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وأنه عصمهم ونزههم عن الكذب والخيانة والكنمان والتقصير في التبليغ وعن الكبائر كلها والصغائر. كما يجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله جميعاً كانوا رجالا من البشر، فلم يكونوا من الملائكة ولم يبعث الله أنثى. ونؤمن أن الله سبحانه لم يخصهم بطائع أخرى غير الطوائع البشرية، وإنما اختارهم سبحانه من الرجال يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق وينلمون ويجلسون ويضحكون وهم أزواج وذرية، ويتعرضون للأذى وتمتد إليهم أيدي الظلمة وينالهم الاضطهاد، وأنهم يموتون، وقد يُقتلون بغير حق، وأنهم يتألون ويصيهم المرض وسائر

الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية بين الخلق، وقد دل على ذلك كثير من النصوص منها قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ .

وقد قال رسول الله ﷺ: "... ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النسوة"، وكان ﷺ يمرض ويتألم، وكان يصيبه الحر والجوع والعطش والغضب والضجر والتعب، ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه. ونؤمن أنهم لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية، فلا يتصرفون في الكون ولا يملكون النفع أو الضر، ولا يؤثرون في إرادة الله تعالى، ولا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وقال أيضاً: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾

وإنما خصهم الله عز وجل بمؤهلات من المزايا والفضائل والأخلاق تؤهلهم لتلقي الوحي والاضطلاع بأعباء الرسالة ليكونوا قدوة للناس وأسوة يقتدى بهم في أمور الدين والدنيا وأن أفضلهم وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا محمد بن عبدالله ﷺ. (١)



## ثانيا : حكم الإيمان بالرسول:

قال ابن كثير (رحمه الله): "أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً. ونص على أعيان من الرسل وأجل ذكر بقية الأنبياء وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ (١).

وقال في موضع آخر: "والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصية أو التشهي، تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً إنما هو عن عرض وهوى وعصية، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسوله (٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي (رحمه الله): "علينا الإيمان بمن سمي الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً أنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله. فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾. وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم يتونه بيانا لا يسع أحداً من أرسلوا إليه جهله ولا يحل له خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣).

وقال الشيخ حافظ الحكمي (رحمه الله): "الإيمان برسول الله متلازم، من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَأَنْفِرُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ١٨٧. وانظر منهج الإمام الشوكاني في العقيدة / ص ٥٦٠، ٥٦١.

(٢) المصدر السابق / ج ١ / ص ٥٧٢.

(٣) المحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية / ص ١٩٧.

يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا. وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١).

ثالثاً: أثر الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

- (١) بيان سعة رحمة الله عز وجل، وذلك أنه لا يعذب أحداً قبل بعث الرسل. وهذا يغرس في النفس حب الله عز وجل وحب طاعته وترك معصيته.
- (٢) الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في سيرهم إلى الله عز وجل من الناحيتين العقديّة البحتة و الدعوية، وما ينتج عن ذلك من
  - أ) الاستقامة وصلاح النفس وتركيتها وتطهيرها.
  - ب) نشر دين الله في الأرض.
- (٣) من خلال قصص الأنبياء، نلاحظ أن هناك خصال مشتركة بينهم جميعاً ، مدارها على أمرين:
  - أ) كثرة العبادة والإخلاص فيها لله عز وجل.
  - ب) الصبر ومواصلة الجهاد.
- فعندما يضل الركب عن الطريق وتسود الجاهلية ويصبح المؤمن غريباً بين أهله وقومه ويجد فيهم الاستهزاء والصدود والتخذيل والشيط في هذه الغربة، يتذكر المؤمن الأنبياء وأحوالهم مع أقوامهم وبلوغهم أرفع المعاني الخلقية المتمثلة في الصبر وكظم الغيظ ومواصلة الجهاد.
- (٤) أخذ العبرة من تاريخهم وحياتهم وجهادهم ونصر الله لهم مهما طالّت المدة وتقادم العهد.

ومما سبق أخلص إلى ما يلي:

- (١) ذكر الله عز وجل أسماء خمسة وعشرين نبياً في كتابه الكريم، وقص علينا أخبار كثير منهم.
- (٢) وجوب الإيمان بأن الله قد أوحى إلى الأسباط وأنزل عليهم، إيماناً مجملاً لثبوت ذلك في القرآن الكريم وإن لم يبين لنا من هم هؤلاء الأسباط.
- (٣) أولو العزم من الرسل هم أفضل أنبياء الله بنص القرآن الكريم.
- (٤) الراجح في أولو العزم من الرسل أنهم خمسة وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
- (٥) وجوب الإيمان بما أثبت الله في القرآن الكريم من بعثة أنبياء ورسل لم يقص علينا من أخبارهم شيئاً.
- (٦) إخفاء الله عز وجل أحوال وأخبار أنبياء ورسل لحكمة بالغة يعلمها هو سبحانه وتعالى.
- (٧) الإيمان بالرسل كلهم (جملة وتفصيلاً) أحد أركان الإيمان الستة، والكفر بواحد منهم كفر بالله تعالى وبجميع الرسل.

## المبحث الثاني ترتيب مجيء الأنبياء

رتب العلماء (رحمهم الله تعالى) الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم ترتيباً زمنياً  
معيناً.

فماذا عن حقيقة هذا الترتيب، وهل له أصل في الكتاب والسنة؟! هذا ما أردت  
الوقوف عليه والله المستعان...

## المطلب الأول وفيه مسألتان

المسألة الأولى: قواعد لا بد منها للمبحث:

عند الحديث عن هذه المسألة لا بد من بيان أمور هامة لا يستقيم هذا المبحث إلا بذكرها وهي:

أولاً: إن المصدر الأساسي لمعرفة ترتيب مجيء الأنبياء هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .  
ثانياً: أخبرت نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن ترتيب مجيء بعض الأنبياء على وجه صريح ومحدد، كما في مجيء آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم، غير أنهم لم يبين زمن البعض الآخر من الأنبياء كشعيب وذا الكفل ويونس وغيرهم.  
ثالثاً: من الأنبياء من ذكرت الفترة التي بعثهم الله فيها في القرآن الكريم ولكنه لم يحدد ترتيبهم التاريخي مثل بعض أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا بعد يوسف عليه السلام وقبل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، كأيوب ويونس واليسع وإلياس وغيرهم .  
رابعاً: أن بعض العلماء والمؤرخين (رحمهم الله تعالى) قد اجتهدوا في تحديد ترتيب بعض الأنبياء، رغم عدم ورود نصوص بذلك من الكتاب أو السنة ، ولذا فلا يمكن بحال الجزم بهذا الترتيب واعتماده<sup>(١)</sup>.

خامساً: وردت في القرآن الكريم آيات ذكر فيها جمع من الأنبياء غير أنه لم يكن ترتيبهم جميعاً في الآية مقصوداً به الترتيب الزمني لمجيئهم، ولم أقف على الحكمة من ذلك الترتيب، فلا يدل على الترتيب الزمني كما لا يدل على الفضل فالله أعلم به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): " إن الابتداء قد يكون كثيراً بغير الأفضل بل يبتدأ بالشيء لأسباب متعددة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ ولم يدل ذلك على أن نوحاً أفضل من إبراهيم والنبي ﷺ أفضل"<sup>(٢)</sup>.

(١) وقد ذكرت هنا الترتيب المذكور في تأريخ ابن كثير (رحمه الله) لأنه من آخر المؤرخين، وقد اهتم كثيراً بكلام من قبله.

كما أنه من الحفاظ المهتمين بالحديث الصحيح قال الدكتور سليمان العودة عنه: وهو أكثر انتقاءاً للروايات من قبله، ومؤلفه

منهج في التعامل مع الإسرائيات ذكره في مقدمة كتابه، كما أن له وفقات وتعليقات مفيدة، (انظر من نبأ المرسلين / ص ٣٢٣).

ومن هذه الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتْنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيَّ قَوْمِهِ تَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وذكر تعالى في سورة مريم ترتيبهم على هذا النحو: زكريا وابنه يحيى ثم عيسى ثم إبراهيم ثم موسى وأخاه هارون ثم إسماعيل ثم إدريس عليهم جميعا الصلاة والسلام.

#### المسألة الثانية: ذكر اجتهاد بعض العلماء في ترتيب الأنبياء عليهم السلام:

روى ابن عساكر من طريق الكلبي أنه قال: "أول نبي بُعث إدريس ثم نوح ثم إبراهيم ثم إسماعيل ثم إسحاق ثم يعقوب ثم يوسف ثم لوط ثم هود ثم صالح ثم شعيب ثم موسى وهارون ثم إلياس ثم اليسع ثم عوفي بن سويلخ بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب ثم يونس بن متى من بني يعقوب ثم أيوب بن زراح بن أموص ليفرز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم"<sup>(٣)</sup>. قال ابن كثير (رحمه الله): "وفي هذا الترتيب نظر، فإن هوداً وصالحاً المشهور أنهما بعد نوح وقبل إبراهيم، والله أعلم"<sup>(٤)</sup>.

وذكر (رحمه الله) ترتيباً آخر عند قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾<sup>(٥)</sup> فقال: "وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن، وهم آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف أيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين وسيدهم محمد ﷺ"<sup>(٦)</sup>.

(١) الأضام/ ٨٣-٨٦.

(٢) الأنبياء/ ٨٥.

(٣) البداية والنهاية/ مج ١/ ج ١/ ص ٢٠٦-٢٠٧. وانظر/ ص ٣١٤.

(٤) المصدر السابق/ مج ١/ ج ١/ ص ٢٠٧.

(٥) النساء/ ١٦٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم/ ج ١/ ص ٥٨٥.

أهذا في تفسيره أما في تأريخه فقد ترجم (رحمه الله) لهم قريبا من ذلك غير أنه ذكر ذا الكفل بعد أيوب وذكر يونس بعدهما، أما شعيب فقد ترجم له بعد لوط عليهم السلام.<sup>(١)</sup>  
كما أن البخاري - من قبله - قد رتب من ترجم لهم من الأنبياء على نحو قريب مما ذكره ابن كثير (رحمهما الله)<sup>(٢)</sup>.

كذلك رتب الماوردي الأنبياء على هذا النحو: آدم ثم إدريس - وهو آخر نبي بُعث قبل الطوفان - ثم نوح ثم إبراهيم الخليل ثم ذكر أبناء إبراهيم فذكر إسحاق ثم يعقوب ثم ذكر أنبياء بني إسرائيل فذكر أن أولهم موسى وآخرهم عيسى ، وذكر إلياس وزكريا ويحيى بن زكريا ثم اليسع ثم يونس بن متى ثم ذكر عيسى ثم محمد ثم أنبياء العرب هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد ولم يرتبهم.<sup>(٣)</sup>

(١) انظر البداية والنهاية/ مج ١/ ج ١ و ج ٢.

(٢) انظر الجامع الصحيح/ كتاب الأنبياء.

(٣) انظر أعلام النبوة للماوردي/ ص ٤٤ - ٥٢.

## المطلب الثاني

### التحقيق في ترتيب مجيء الأنبياء عليهم السلام

أولاً: آدم عليه السلام:

بين القرآن الكريم كما أشارت السنة المطهرة- إلى نبوة آدم عليه السلام وقد ذكرت ذلك سابقاً.<sup>(١)</sup>

أما عن زمن مجيئه فهو أول الأنبياء على الإطلاق بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.<sup>(٢)</sup> قال قتادة في هذه الآية: "رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين"<sup>(٣)</sup> مشيراً إلى آدم ونوح عليهما السلام.

وروي عن الحسن في الآية نفسها قوله: "فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم، كانوا هم الأنبياء الأتقياء المطيعين لربهم".<sup>(٤)</sup>

أما في السنة فقد روى أبو أمامة رضی عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كلن آدم؟ قال: "نعم". فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: "عشرة قرون".<sup>(٥)</sup>

قال: ابن كثير: "وهذا على شرط مسلم ولم يخرججه".<sup>(٦)</sup>

وقد نقل عبد القاهر البغدادي الأجماع على ذلك فقال: "أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل إلى الناس آدم عليه السلام".<sup>(٧)</sup>

(١) انظر الباب الأول/ الفصل الثاني/ المبحث الأول.

(٢) آل عمران/ ٣٣.

(٣) جامع البيان/ مج ٣/ ج ٣/ ص ٣١٧.

(٤) المصدر السابق/ مج ٣/ ج ٣/ ص ٣١٧، ٣١٨.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه. وذكره ابن حجر في الفتح/ ج ٦/ ص ٤٢٩. كما ذكره القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن).

(٦) البداية والنهاية/ مج ١/ ج ١/ ص ٩٣.

(٧) أصول الدين/ ص ١٥٩.



ثانياً: إدريس عليه السلام :

ورد ذكر إدريس عليه السلام في القرآن الكريم في مقام الصديقة والنبوة غير أن القرآن لم يبيّن موقعه من شجرة الأنبياء والرسول (عليهم الصلاة والسلام) ولم يحدد وقت مجيئه. وقد ذكرت الخلاف في زمن إدريس عليه السلام سابقاً بما يعني عن الإعادة هنا<sup>(١)</sup>. والصواب الذي ذكره بعض أهل العلم ومنهم البخاري والطبري وابن حجر وابن كثير (رحمه الله) أن إدريس في عمود نسب نوح وأن الله قد نبأه قبل نوح وبعد آدم عليهم جميعاً الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: نوح وهود وصالح (عليهم السلام):

ذكر الله عز وجل نبوة هؤلاء الأنبياء في كتابه صراحةً. أما عن زمن مجيئهم فقد دل ظاهر القرآن على أن نوحاً قد جاء بعد نبي الله آدم وقبل إبراهيم عليهم السلام. ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير (رحمه الله): "اصطفى نوحاً عليه السلام وجعله أول رسول بعثه إلى أهل الأرض لما عبد الناس الأوثان أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وانتقم له لما طالت مدته بين ظهراي قومه يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً"<sup>(٤)</sup>.

وقال في موضع آخر: "فنوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لما عبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول أهل الموقف يوم القيامة"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الباب الأول / الفصل الثاني/ المبحث الأول.

(٢) وابن كثير (رحمه الله) هو أكثر من انتصر لذلك ودافع عنه ورجحه. أما البخاري (رحمه الله) فقد اكتفى بذكره فقط،

انظر الجامع الصحيح/ كتاب الأنبياء/ باب ذكر إدريس عليه السلام، والفتح/ ج٦/ص٤٣٠.

(٣) آل عمران/ ٣٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم/ ج١/ص٣٥٨.

(٥) قصص الأنبياء /ص٦٥.

وفي السنة المطهرة ورد ذكر نوح بعد آدم في حديث الشفاعة وقيل إبراهيم عليهم السلام في بعض الروايات. (١) كما ورد ذكر نوح بعد آدم في حديث أبي أمامة الذي ذكرناه قبل قليل .

وروى البخاري (رحمه الله) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قوله: " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام" (٢).

أما عن زمن مجيء هود وصالح فإن ظاهر القرآن والسنة يقتضيان مجيء هود بعد نوح ومجيء صالح بعد هود عليهم السلام.

ومما يدل على ذلك أن الله عز وجل قد قرن الحديث عن قومها بالحديث عن قوم نوح في غير ما موضع من كتابه العزيز ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾ (٥) وغيرها.

قال ابن كثير (رحمه الله): " والمقصود أن عاداً ، وهم عاد الأولى وكانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان وكانت أصنامهم ثلاثة، صداً وضموداً وهراً فبعث الله فيهم أحاهم هوداً كما قال الله تعالى بعد ذكر قوم نوح: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾" (٦). وقال: " لا خلاف في أن عاداً قبل ثمود" (٧).

(١) انظر الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب قول الله عز وجل: ( ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) وكتاب التفسير /

باب قول الله عز وجل: ( ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً).

(٢) ذكره ابن كثير (رحمه الله) في البداية والنهاية / مج ١ / ج ١ / ص ٩٤. وذكره ابن جرير الطبري في تفسيره للآية ٢١٣ من سورة البقرة / مج ٢ / ج ٢ / ص ٤٥٥.

(٣) التوبة / ٧٠.

(٤) إبراهيم / ٩.

(٥) الحج / ٤٢.

(٦) البداية والنهاية / مج ١ / ج ١ / ص ١١٣.

(٧) المصدر السابق / مج ١ / ج ١ / ص ١١٥.

رابعاً: إبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف (عليهم جميعاً الصلاة والسلام)

• إبراهيم الخليل عليه السلام:

ذكر الله عز و جل نبوته ورسالته في القرآن الكريم وبين سبحانه وتعالى كذلك زمن مجيئه فأخبر أنه قد جاء بعد نوح وهود وصالح (عليهم الصلاة والسلام).

قال تعالى فيما يدل على ذلك: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَبَيْنَ نُوْحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾<sup>(٣)</sup>. وغير

هذه الآيات

• لوط عليه السلام:

أخبر الله عز و جل في كتابه عن نبوة لوط وبين أنه جاء في الفترة التي جاء فيها إبراهيم عليه السلام ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>

كما بين قصة لوط مع قومه وإهلاكهم بعد كفرهم وتكذيبهم، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَن يُدْيِهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾<sup>(٥)</sup>  
وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ. إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ. يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ. وَلَمَّا جَاعَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) التوبة / ٧٠.

(٢) الأحراب / ٧.

(٣) الحديد / ٢٦.

(٤) العنكبوت / ٢٦.

(٥) هود / ٧٠.

(٦) هود / ٧٤-٧٧.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاعَتِ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِأَبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ. قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ. وَلَمَّا أَنْ جَاعَتِ رُسُلَنَا لُوطًا سَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (١)

#### • أولاد إبراهيم الخليل عليهم السلام :

صرح القرآن الكريم بأن إبراهيم عليه السلام قد رزق بولديه إسماعيل ثم إسحاق على كبر، قال تعالى على لسانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٢) كما صرح بنبوته إسماعيل ونبوته إسحاق عليهما السلام كما ذكرت ذلك سابقاً (٣)،

وعلى هذا فإن زمن مجيئهم ظاهر لا خلاف فيه.

#### • يعقوب عليه السلام:

أخبر القرآن الكريم عن نبوة يعقوب وأنه من ذرية إبراهيم الخليل قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (٦) وقال أيضاً: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فَضَحَكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧) وقال كذلك: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨)

(١) العنكبوت / ٣١-٣٣.

(٢) إبراهيم / ٣٩.

(٣) انظر الباب الأول / الفصل الثاني / المبحث الأول / المطلب الأول.

(٤) مريم / ٤٩.

(٥) العنكبوت / ٢٧.

(٦) الأنبياء / ٧٢.

(٧) هود / ٧١.

(٨) البقرة / ١٣٢.

وجاء في السنة المطهرة توضيح هذه الآيات . فبينت أن يعقوب ابن إسحاق عليهما السلام: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "الكريم ابن الكريم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم".<sup>(١)</sup>

#### • يوسف عليه السلام :

أما عن يوسف عليه السلام فقد بين القرآن الكريم نبوته ورسالته كما بين زمن مجيئه وأنه قد جاء في زمن يعقوب وقبل موسى وهو ابن نبي الله يعقوب (عليهم جميعاً الصلاة والسلام).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ. قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ...﴾<sup>(٢)</sup> الآيات

وقال تعالى على لسان يوسف: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾<sup>(٣)</sup>

وقال سبحانه على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُنْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن نَّبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾<sup>(٤)</sup>

وجاء ذكر يوسف عليه السلام في السنة المطهرة في الحديث السابق الذي ورد فيه أن رسول الله ﷺ قال: "الكريم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم".<sup>(٥)</sup>

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب قوله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين).

ورواه الإمام أحمد في مسنده في مرويات ابن عمر.

(٢) يوسف / ٤-٦.

(٣) يوسف / ٣٨.

(٤) غافر / ٣٤.

(٥) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب قوله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين).

وانظر مسند الإمام أحمد / مرويات ابن عمر.

خامساً: الأنبياء بعد يوسف عليهم السلام:

ذكر القرآن الكريم أنبياء غير الذين سبق ذكرهم وبين ترتيب مجيء بعضهم تحديداً وإجمالاً غير أنه لم يبين ترتيب مجيء البعض الآخر إلا على وجه الإجمال فقط والذي أقصد بالإجمال ويدل عليه ظاهر القرآن أن جميع من جاء من الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام إنما هم من ذريته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن كثير (رحمه الله) عند قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾: "أي من قبله هديناه كما هديناه ووهبنا له ذرية صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة أما نوح عليه السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض لإلّا من آمن به وهم الذين صحبوه في السفينة جعل الله ذريته هم الباقين فالناس كلهم من ذريته، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز و جل بعده نبياً لإلّا من ذريته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ الآية وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾<sup>(٤)</sup> والأنبياء الذين بعد يوسف (عليه السلام) هم: أيوب و ذو الكفل وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان و الياس و اليسع وزكريا ومحي و عيسى ومحمد (صلى الله عليهم وسلم أجمعين)

(١) الحديد / ٢٦.

(٢) الأنعام / ٨٣-٨٦.

(٣) العنكبوت / ٢٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ١٥٤-١٥٥.

• أيوب عليه السلام :

وهو من ذرية إبراهيم كما نص القرآن - وبينته سابقاً - وأما عن زمن مجيئه تحديداً فلم يرد في القرآن ما يدل على ذلك دلالة واضحة سوى ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ ﴾<sup>(١)</sup>

غير أن هذه الآية وما بعدها لم يكن مقصودها ترتيب الأنبياء المذكورين فيها ترتيباً زمنياً، وعلى ذلك فلا يعتمد في قضية الترتيب إلا فيما يتفق وما دل عليه القرآن والسنة في سياقات أخرى.

غير أن من علماء التاريخ والنسب من ذكر أيوب بعد يوسف عليهما السلام. وقد حكى ابن كثير الأقوال فيه فقال: " قال ابن إسحاق كان رجلاً من الروم وهو أيوب بن زراح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل وحكي ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام وقيل كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم القي في النار فلم تحرقه والمشهور الأول لأنه من ذرية إبراهيم عليه السلام كما قررنا عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ﴾. الآيات من أن الضمير عائد على إبراهيم دون نوح عليه السلام.<sup>(٢)</sup>

ولعل ما حكاه ابن كثير عن ابن إسحاق سبب اجتهاده (رحمه الله) في ذكره له بعد يوسف عليه السلام.

وقال ابن حجر (رحمه الله): هو أيوب بن ساري بن رغوالب بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وقيل اسم أبيه حوص والباقي سواء. وزعم بعض المتأخرين أنه من ذرية روم بن عيص ولا يثبت ذلك وحكي ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام وأن أباه كان ممن آمن بإبراهيم وعلى هذا فكان قبل موسى وقال ابن إسحاق: الصحيح أنه كان من بني إسرائيل ولم يصح في نسبه شيء إلا أن اسم أبيه أمص والله أعلم وقال الطبري: كان بعد شعيب وقال ابن أبي خيثمة كان بعد سليمان<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا فالاختلاف فيه يصعب ترجيح شيء منه والله أعلم .

(١) الأنعام/ ٨٤.

(٢) البداية والنهاية / مج ١/ ج ١/ ص ٢٠٦.

(٣) الفتح / ج ٦/ ص ٤٨٤.

## • ذو الكفل عليه السلام :

جاء ذكره في القرآن الكريم في موضعين هما :

قوله تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى : ﴿ وَادْخُلْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾<sup>(٢)</sup>

أما عن زمنه فإن القرآن الكريم لم يذكر ذلك تحديداً . وهو من ذرية إبراهيم عليه السلام .  
غير أن بعض العلماء قد ذكروا أنه ابن لأيوب عليهما السلام لأن القرآن الكريم قد ذكره بعد قصة أيوب في كلا الموضعين اللذين سبق ذكرهما قريباً<sup>(٣)</sup> والله أعلم .

## • شعيب عليه السلام :

ذكر القرآن الكريم شعيباً عليه السلام وصرح بنبوته ورسالته ، وذكر قصة قومه وهلاكهم .

أما عن زمن مجيئه فلم يرد في القرآن شيء صريح بذلك لا إجمالاً ولا تفصيلاً .

غير أنه قد جاء ذكر قصته مع قومه بعد ذكر قصة قوم لوط في مواضع من القرآن الكريم .

لذا فقد أخذ بعض العلماء المؤرخين من ذلك أن شعيباً قد جاء بعد لوط عليهما السلام .  
ويؤكد ذلك قوله تعالى على لسان شعيب : ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا  
أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾<sup>(٤)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) : " كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط ، وكلنوا بعدهم بمدة قريبة"<sup>(٥)</sup> .

وقال في معنى : ﴿ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ : " قيل معناه في الزمان أي ما بالعهد من قدم  
لما قد بلغكم ما أحل بهم على كفرهم وعتوهم ، وقيل معناه وما هم منكم ببعيد في الخلقة

(١) الأنبياء / ٨٥ .

(٢) ص / ٤٨ .

(٣) انظر البداية والنهاية / مج ١ / ج ١ / ص ٢١٠ .

(٤) هود / ٨٩ .

(٥) البداية والنهاية / مج ١ / ج ١ / ص ١٧٣ .



والمكان وقيل في الصفات والأفعال المستقبحة...." ثم قال: "والجمع بين هذه الأقوال ممكن فإنهم لم يكونوا بعديدين منهم لا زماناً ولا مكاناً ولا صفات" (١)

غير أن العلماء المؤرخين - غير ابن كثير - قد ذكروا أقوالاً أخرى في زمن مجيئه: فمنهم من قال أن شعبياً من آمن بإبراهيم يوم أحرق بالنار وهاجر معه إلى الشام ذكر ذلك ابن عساكر وابن قتيبة قال ابن كثير: "وفي هذا كله نظر" (٢)، أما ابن إسحاق فقد نسبته إلى لاوي بن يعقوب قال ابن حجر: "ولا يثبت" (٣).

وذكر بعضهم أنه في زمن موسى عليه السلام قال ابن كثير: "وهذا مشهور عند كثير من العلماء قاله الحسن البصري وغير واحد، ورواه ابن أبي حاتم عن مالك بن أنس أنه بلغه أن شعبياً هو الذي قص عليه موسى القصص ثم قال له: "لا تخف نجوت من القوم الظالمين" (٤)

غير أن هذا القول قد رده ابن كثير (رحمه الله) بالآية السابقة في سورة هود فقال: "كلن شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة، لأنه قال لقومه: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنكُمْ بَعِيدٌ﴾ وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه بين الخليل وموسى عليه السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة كما ذكر ذلك غير واحد...". ثم قال: "وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده، ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه يثرون.. والله أعلم، قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: يثرون هو ابن أخي شعيب عليه السلام"، وعن أبي حمزة عن ابن عباس قال: "الذي استأجر موسى يثربي صاحب مدين" رواه ابن جرير به ثم قال: "الصواب أن هذا لا يُدرك إلا بالخبر، ولا خير تجب به الحجة في ذلك" (٥).

(١) المصدر السابق / مج ١/ ج ١/ ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) المصدر السابق / مج ١/ ج ١/ ص ١٧٣.

(٣) الفتح / ج ٦/ ص ٥١٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ج ٣/ ص ٣٨٤.

(٥) المصدر السابق / ج ٣/ ص ٣٨٤-٣٨٥.

• يونس عليه السلام :

أخبر القرآن الكريم عنه وصرح برسالته وذكر قصته مع قومه كما ذكره مع جملة من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام غير أنه لم يبن وقت مجيئه ولا يوجد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك سوى أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام .

أما عن الآيات التي جاء فيها ذكره فلا يقصد فيها الترتيب الزمني فمره يذكر بعد عيسى وأيوب قال تعالى : ﴿ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ﴾<sup>(١)</sup> ومره يذكر بعد إسماعيل : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، ومره يذكر بعد لوط كما في سورة الصافات . ومره أخرى يذكر بعد ذي الكفل كما في سورة الأنبياء .

ولا يوجد في كلام العلماء المؤرخين ما يدل على وقت مجيئه أو نسبه البتة، قال ابن حجر (رحمه الله): " لم أفق على شيء من الأخبار على اتصال نسبه وقد قيل أنه كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس"<sup>(٣)</sup>.

• موسى وهارون عليهما السلام :

ذكر الله عز وجل موسى عليه السلام في مواضع كثيرة ومتفرقة من القرآن الكريم وأخبر عن إرساله إلى فرعون وبني إسرائيل وقصته معهما .

كما أخبر عن هارون بأنه أخ لموسى نبي وقد نبأه الله بعد موسى عليه السلام وفي حياته بعدما طلب موسى ذلك من الله عز وجل قال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا . وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) النساء/ ١٦٣ .

(٢) الأنعام/ ٨٦ .

(٣) الفتوح/ ج٦/ ص ٥٢٠ ، وانظر البداية والنهاية/ مج ١/ ج ١/ ص ٢١٦ وما بعدها .

(٤) مريم/ ٥١-٥٣ .

(٥) طه/ ٢٩-٣٢ .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ﴾<sup>(١)</sup> وغيرها من الآيات. أما عن زمن مجيء والترتيب التاريخي له بين الأنبياء تحديداً فلم يذكر القرآن شيء من ذلك سوى أنه من أنبياء بني إسرائيل فهو من ذرية إبراهيم عليه السلام وأنه قد جاء بعد يوسف عليه السلام قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾<sup>(٢)</sup> وقد ذكر المؤرخين نسبه بما يفيد رجوعه إلى الأسباط أولاد يعقوب عليهم السلام<sup>(٣)</sup>. ولم يذكر خلاف بين العلماء في نسبه عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

#### • داود وسليمان عليهما السلام :

ذكر الله داود وسليمان في كتابه وبين اصطفايته لهما بالنبوة والرسالة وبين أهمهما من ذرية الخليل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَكُلًّا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ ﴾<sup>(٦)</sup> كما بين سبحانه نبوة سليمان لنيي الله داود فقال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ ﴾<sup>(٧)</sup> وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾<sup>(٨)</sup>

وعلى هذا فقد حدد القرآن الكريم زمن مجيء سليمان بالنسبة لنيي الله داود عليهما السلام، غير أنه لم يحدد زمن مجيئهما بالنسبة لأنبياء بني إسرائيل سوى موسى عليه السلام، حيث ورد ما يدل على مجيء داود بعد موسى وهارون عليهما السلام بمدة، وذلك في قصة قتل داود لجالوت<sup>(٩)</sup>.

(١) الأعراف / ١٤٢ .

(٢) غافر / ٣٤ .

(٣) انظر البداية والنهاية / مج ١ / ج ١ / ح ٢٢٢٢ .

(٤) الفتح / ج ٦ / ص ٤٨٧ .

(٥) النساء / ١٦٣ .

(٦) الأنعام / ٨٤ .

(٧) النمل / ١٦ .

(٨) ص / ٣٠ .

(٩) انظر سورة البقرة / ٢٤٥-٢٥١ . وانظر الفتح / ج ٦ / ص ٤٧١ .

ولهذا فإن ما ذكره علماء التاريخ والنسب في ترتيب مجيئهما بين أنبياء بني إسرائيل (غير موسى) يبقى اجتهاداً قابلاً للخطأ والصواب. والله أعلم

#### • إلیاس علیه السلام:

بین القرآن الکریم نبوة إلیاس علیه السلام وإرساله إلى قومه، قال تعالى بعد قصة موسى وهارون: ﴿وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيَّاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

غير أن القرآن لم يحدد وقت مجيئه.

قال ابن كثير (رحمه الله): "وعن ابن مسعود أنه قال: "إلياس هو إدريس" وإليه ذهب الضحاك ابن مزاحم وحكاة قتادة ومحمد بن إسحاق، والصحيح أنه غيره. والله أعلم"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر (رحمه الله) حول ما رواه البخاري عن ابن مسعود وابن عباس ممن أن إلیاس هو إدريس: "أما قول ابن مسعود فوصله عبد بن حميد وابن أبي حاتم بإسناد حسن عنه قال: "إلياس هو إدريس، ويعقوب هو إسرائيل". وأما قول ابن عباس فوصله جويبير في تفسيره عن الضحاك عنه، وإسناده ضعيف، ولهذا لم يجزم به البخاري، وقد أخذ أبو بكر بن العربي من هذا أن إدريس لم يكن جداً لنوح وإنما هو من بني إسرائيل، لأن إلیاس قد ورد أنه من بني إسرائيل"<sup>(٤)</sup>.

وقد رجح ابن تيمية أن إلیاس من أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا بعد موسى.<sup>(٥)</sup>

والله أعلم.

(١) الصفات/ ١٢٣.

(٢) الأنعام/ ٨٥.

(٣) البداية والنهاية/ مج ١/ ج ١/ ص ٣١٦.

(٤) الفتح/ ج ٦/ ص ٤٣٠.

(٥) النبوات/ ص ٤١.

• اليسع عليه السلام :

ذكره الله عز و جل مع جملة من الأنبياء الكرام في آيتين فقط من كتابه قال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾<sup>(٢)</sup> وكلا الآيتين لم يكن مقصودهما الترتيب .

ولذا فالله أعلم بزمن مجيئه تحديداً. غير أنه من ذرية الخليل عليه السلام بنص القرآن الكريم.

وقد نقل ابن كثير عن قتادة عن الحسن قوله: " كان بعد إلياس اليسع عليهما السلام فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله عز و جل إليه"<sup>(٣)</sup>.

كما نقل ابن كثير عن ابن عساكر أنه يرجع في نسبه إلى يوسف عليه السلام وقال: "ويقال هو ابن عم إلياس النبي عليهما السلام ويقال كان مستخفياً معه بجبل قاسيون من ملك بيبعلبك ثم ذهب معه إليها فلما رُفِعَ إلياس خلفه اليسع في قومه ونباه الله بعد"<sup>(٤)</sup>.

• زكريا ويحيى وعيسى (عليهم السلام) :

ذكر القرآن الكريم نبوة هؤلاء الأنبياء عليه الصلاة والسلام قال تعالى ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

كما بين القرآن الكريم أنهم قد جاءوا في فترة زمنية واحدة فأثبت نبوة يحيى لزكريا عليه السلام عندما بين كفالة زكريا لمريم ثم ذكر قصة الرزق الذي يجده زكريا عندها ثم طلبه الله أن يرزقه الولد كما يرزق مريم ذلك الرزق العجيب فبشره الله (يحيى) بعد ذلك الدعاء وذكر قصة مجيء عيسى عليه السلام من مريم بلا أب بقدرة الله عز و جل في تلك الفترة نفسها وأن عيسى آخر أنبياء بني إسرائيل.

(١) الأعام/ ٨٦.

(٢) ص/ ٤٨.

(٣) البداية والنهاية/ مج ١/ ج ٢/ ص ٥.

(٤) المصدر السابق/ مج ١/ ج ٢/ ص ٥.

(٥) الأعام/ ٨٥.

قال تعالى ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ لَشَاءَ لِيَرْزُقُكَ مِنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. فَتَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُنْشِرُكَ بِحَيِّى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>  
 وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ مِنْ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>  
 قال ابن كثير (رحمه الله): "والمحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء: فرمرت بابني الخالة يحي وعيسى" وهما ابنا الخالة على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث"<sup>(٥)</sup>.

وأما عن ختم عيسى ابن مريم لأنبياء بني إسرائيل فظاهر قد دل عليه الكتاب والسنة. ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾<sup>(٦)</sup>  
 ومن نصوص السنة الدالة على ختم عيسى ابن مريم لأنبياء بني إسرائيل قوله ﷺ: "إذا آمن الرجل بعيسى ثم آمن بي فله أجران"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن حجر (رحمه الله): "هذا الحديث فيه إشارة إلى أنه لم يكن بين عيسى وبين نبينا ﷺ ني".<sup>(٨)</sup>

(١) آل عمران/ ٣٧-٣٩.

(٢) النساء/ ١٧١.

(٣) الصف/ ٦.

(٤) المائدة/ ٤٦.

(٥) البداية والنهاية/ مج ١/ ج ٢/ ص ٥٠.

(٦) الحديد/ ٢٦-٢٧.

(٧) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ( واذكر في الكتاب مريم إذ ابنتت من أهلها مكانا شرقيا )

(٨) الفتح/ ج ٦/ ص ٥٦٥.

كما يدل على ذلك قوله ﷺ: "أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي"<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر (رحمه الله) عند هذا الحديث: "ووقع في رواية عبدالرحمن بن آدم: "وأنا أولى الناس بعيسى لأنه لم يكن بيني وبينه نبي" واستدل به على أنه لم يعث بعد عيسى أحد إلا نبياً ﷺ، وفيه نظر لأنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة (يس) كانوا من أتباع عيسى. والمراد أنه لم يعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى"<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فإن الترتيب الزمني لهؤلاء الأنبياء (زكريا ويحيى وعيسى) معلوم دلنا عليه القرآن الكريم وزادته السنة المطهرة وضوحاً.

#### • محمد (ﷺ) خاتم الأنبياء والمرسلين:

وهو خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup> كما أشارت السنة إلى ذلك المعنى في كثير من الأحاديث الصحيحة والتي سيأتي ذكرها - إن شاء الله - .

وقد بعثه الله عز وجل إلى الجن والإنس كافة وبين ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

قال تعالى حكاية عن الجن ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup> وقد جاء بشرع مهيمٍ على جميع الشرائع السماوية السابقة. وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء/باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذ ابنتت من أهلها مكاناً شرقياً)

(٢) الفتح/ ج٦/ص٥٦٤، بتصرف يسير.

(٣) الأحزاب/ ٤٠.

(٤) سبأ/ ٢٨.

(٥) الأحقاف/ ٣١.

(٦) المائدة/ ٤٨.

وقد بشر به عيسى عليه السلام فقال تعالى حكاية عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (١)

وكان إرساله على حين فترة من الرسل وهو نبي عربي من ذرية إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليه السلام وقد بين القرآن والسنة وقت مجيئه وترتيبه بين الأنبياء فهو آخر الأنبياء جميعاً ولا نبي بعده .

### ومما مضى نخلص إلى ما يأتي:

- (١) بين الله عز وجل ترتيب بعض الأنبياء ولم يبين ترتيب كثير آخرين.
- (٢) كل من ذكر القرآن أنه من الأنبياء وقد جاء بعد إبراهيم عليه السلام فهو من ذريته.
- (٣) اعتماد ترتيب معين لجميع الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم غير صحيح.
- (٤) عدم أهمية معرفة ترتيب مجيء الأنبياء، ولو كان مهماً لبينه القرآن الكريم أو السنة غاية البيان، وإنما المهم هو الاقتداء بهم والتأسي بأخلاقهم وصفاتهم وصبرهم وجهادهم والاعتناظ بما حصل لأقوامهم، والبعد عن أسباب ذلك. وهذا كله قد يُبين غاية البيان وأكمّله في كتاب الله.
- (٥) وجوب الإيمان بترتيب من ذكر القرآن ترتيبهم من الأنبياء، مثل كون آدم أول الأنبياء ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم إبراهيم وذريته، وأن يحيى ابن زكريا وأن عيسى قبل محمد ﷺ وأن محمد ﷺ خاتم النبيين ولا نبي بعده.



## المبحث الثالث

### من اختلف في نبوتهم من الصالحين

بيّنتُ فيما سبق أسماء الأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وإضافة إلى هؤلاء الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) فقد أورد القرآن الكريم ذكر أناس آخرين. من هم هؤلاء المذكورين؟ هل هم مجرد أولياء صالحون؟ أم أنهم أنبياء مقربون؟ هذا ما أردت الوقوف عليه وبيانه.

ومن أبرز من تحدث عنهم القرآن دون التصريح بنبوّتهم ثلاثة وهم: الخضر وذو القرنين ولقمان عليهم السلام.

وسوف أتناول بالدراسة كلاً منهم على حدة، والله المستعان.

## المطلب الأول الخضر عليه السلام

لم يرد في القرآن الكريم اسم الخضر مصرحاً به، وإنما وردت قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح فقط، غير أن السنة الصحيحة قد ذكرت اسمه<sup>(١)</sup>، ولذا فقد أجمع العلماء (رحمهم الله) على أن المقصود بالعبد العالم في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(٢)</sup> هو الخضر عليه السلام. وإن كانوا قد اختلفوا فيه من حيث اسمه ونسبه ونبوته وحياته اختلافاً كبيراً<sup>(٣)</sup>.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله) عند الآية السابقة: "هذا العبد المذكور في هذه الآية هو الخضر عليه السلام بإجماع العلماء ودلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبي ﷺ. وهذه الرحمة والعلم اللدني اللذان ذكر الله امتنانه عليه بهما لم يبين هنا هل هما رحمة النبوة وعلمها أو رحمة الولاية وعلمها، والعلماء مختلفون هل هو نبي أو رسول أو ولي".<sup>(٤)</sup>

والذي يعيننا هنا هو البحث في قضية نبوته من خلال ما ورد عنه في القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال علماء الأمة في ذلك.

### نبوة الخضر عليه السلام:

اختلف العلماء (رحمهم الله) في هذه القضية، فمنهم من يرى نبوته وهم جماعة كبيرة من العلماء المتقدمين والمتأخرين. ومنهم من لا يرى نبوته، وهؤلاء اختلفوا إلى فريقين واستدل كلا الفريقين بأدلة على ما ذهبوا إليه. غير أن من العلماء من آثر التوقف في أمره إما بالتعبير عن ذلك وإما بالسكوت عند ذكر الخلاف فيه وعدم الترجيح. وفيما يلي بيان لهذا مفصلاً.

(١) انظر الجامع الصحيح / كتاب التفسير / باب: (فلما بلغا جمع بينهما نسيا حوتهما..). الآية.

(٢) الكهف/ ٦٥.

(٣) انظر البداية والنهاية / ج ١ / ص ٣٠٣.

(٤) أضواء البيان / ج ٤ / ص ١٢.

## القول الأول: قول من يرى نبوة الخضر عليه السلام:

وقد ذهب إلى القول بذلك كثير من أهل العلم - كما ذكرت - ومنهم ابن كثير في تاريخه و القرطبي في تفسيره والنووي في التهذيب وابن حجر في الفتح وغيرهم، كما نقل ابن حجر عن الثعلبي قوله: "هو نبي في جميع الأقوال"<sup>(١)</sup>، ونقل عن ابن جرير قوله: "وُبُعِثَ الخضر معه نبياً"<sup>(٢)</sup>، وكذلك نقل ابن كثير عن الرماني القول بهذا والاستدلال له.

ومن المعاصرين من ذهب إلى نبوته ومنهم محمد الأمين الشنقيطي وقد قال بعد ذكره أدلة إثبات نبوة الخضر عليه السلام: "وعزا الفخر الرازي في تفسيره القول بنبوته للأكثرين"<sup>(٣)</sup>. وقال أبو حيان في تفسيره: "الجمهور على أنه نبي"<sup>(٤)</sup>.

## الأدلة على نبوة الخضر عليه السلام:

١- استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(٥)</sup>

قال محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله) عند استدلاله على نبوة الخضر بالآية السابقة: "اعلم أن الرحمة تكرر إطلاقها على النبوة في القرآن وكذلك العلم المؤتمى من الله تكرر إطلاقه فيه على علم الوحي، فمن إطلاق الرحمة على النبوة قوله تعالى في الزخرف: ﴿وَقَلُّوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ أي نبوته، حتى يتحكموا في إنزال القرآن على رجل عظيم من القريتين، وقال تعالى في سورة الدخان: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ وقوله تعالى في آخر القصص: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾. ومن إطلاق إتياء العلم على النبوة قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ وقوله: ﴿وَأِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.<sup>(٦)</sup>

(١) الزهر النضر في نبأ الخضر/ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق/ص ٢٨.

(٣) أضواء البيان/ ج ٤/ص ١٢٥.

(٤) الزهر النضر في نبأ الخضر/ص ٢٩.

(٥) الكهف/ ٦٥.

(٦) أضواء البيان / ج ٤/ص ١٢١، ١٢٢.

٢- وما يدل على نبوته قوله تعالى ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَٰ رُشْدًا. قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا. قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾<sup>(١)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله): "فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد، بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه، فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً، ولم تكن لموسى - وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة - كبير رغبة ولا عظيم طلب في علم ولي غير واجب العصمة، ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه ولو أنه يمضي حقاً من الزمان - قبل ثمانين سنة - ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه واتبعه في صورة مستفيد منه دل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه، وقد خص من العلوم اللدنية والأسرار النبوية بما لم يُطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم، وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرماني على نبوة الخضر عليه السلام"<sup>(٢)</sup>.

٣- وما يدل على نبوته قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾<sup>(٣)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله): "لما فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلّى قال بعد ذلك: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ يعني ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمرت به وأوحى إلي فيه"<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن حجر (رحمه الله): "ومن أوضح ما يستدل به على نبوة الخضر قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾"<sup>(٥)</sup>

وقال محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله): "ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا ، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي إذ

(١) الكهف/٦٦-٧٠.

(٢) البداية والنهاية / مج ١/ ج ١/ ص ٣٠٦.

(٣) الكهف / ٨٢.

(٤) البداية والنهاية/ مج ١/ ج ١/ ص ٣٠٦.

(٥) الفتح / ج ١/ ص ٢٦٥.

لا طريق تُعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا، ولا سيما قتل الأنفس البرينة في ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها لأن العدوان على أنفس الناس وأمواهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى. وقد حصر تعالى طرق الإنذار في الوحي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ و(إنما) صيغة حصر<sup>(١)</sup>.

٤- من الأدلة كذلك: قتل الخضر للغلام.

قال ابن كثير (رحمه الله): "أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام، وهذا دليل مستقل على نبوته وبرهان ظاهر على عصمته، لأن السوي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يُلقى في خلده، لأن خاطره ليس بواجب العصمة إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق. ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم علماً منه بأنه إذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتهم له فيتابعانه عليه، ففي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته صيانة لأبويه من الوقوع في الكفر وعقوبته، دل ذلك على نبوته وأنه مؤيد من الله بعصمته"<sup>(٢)</sup>.

ونقل ابن كثير أن ابن الجوزي والرماني طرقا هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر.<sup>(٣)</sup>

وقال محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله): "فإن قيل قد يكون ذلك عن طريق الإلهام؟ فالجواب: أن المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة، وعدم الدليل على الاستدلال به، بل لوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به. وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق المُلهم دون غيره، وما يزعمه بعض الجبرية أيضاً من الاحتجاج بالإلهام في حق المُلهم وغيره جاعلين الإلهام كالوحي المسموع مستدلين بظاهر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، وبجبر "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" كله باطل لا يُعول عليه، لعدم اعتضاده بالدليل. وغير

(١) أضواء البيان/ ج ٤/ ص ١٢٢.

(٢) البداية والنهاية/ مع ١/ ج ١/ ص ٣٠٦.

(٣) المصدر السابق/ مع ١/ ج ١/ ص ٣٠٦.

المعصوم لا ثقة بخواطره لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان، وقد ضُمنت الهداية في اتباع الشرع ولم تُضمن في اتباع الخواطر والإلهامات" (١).

القول الثاني: قول من يرى بعدم نبوة الخضر عليه السلام:

قال ابن تيمية (رحمه الله): "وأكثر العلماء على أنه لم يكن نبياً، مع أن نبوة من قبلنا يقرب كثير منها من الكرامة، والكمال في هذه الأمة" (٢).

وهؤلاء على قسمين: منهم من يرى بولايته ومنهم من يرى بأنه من الملائكة.

أولاً: قول من يرى بولايته:

وذهب إلى القول بولايته جماعة من الصوفية وكذلك قال أبو علي بن أبي موسى من الخنابلة وأبو بكر الأنباري (٣). قال أبو القاسم القشيري في رسالته: "لم يكن الخضر نبياً إنما كان ولياً" (٤).

كما ذهب إلى ذلك من المعاصرين الشيخ ابن سعدي (رحمه الله) في تفسيره، حيث قال عند ذكره الفوائد من قصة الخضر مع موسى: "ومنها: أن ذلك العبد الذي لقيه ليس نبياً بل عبداً صالحاً، لأنه وصفه بالعبودية وذكر منه الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته ولو كان لذكر ذلك كما ذكره غيره، وأما قوله في آخر القصة: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل على الإلهام والتحديث كما قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾، ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً﴾. ومنها: تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى بلا شك أفضل من الخضر. ومنها: تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه ممن مهَّر فيه وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة، فإن موسى عليه السلام من أولي العزم من المرسلين الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم

(١) أضواء البيان / ج ٤ / ص ١٢٢.

(٢) مجموع الفتاوى / مج ٤ / ص ٣٣٨.

(٣) الزهر النضر في نبأ الخضر / ص ٣٠.

(٤) الرسالة القشيرية / ص ٣٥٧.

يعطٍ سواهم، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عنده فلهذا حرص على التعلم منه" (١).

ثانياً: قول من يرى أنه ملك من الملائكة:

أما القول بأنه ملك من الملائكة وليس من البشر وإنما يتصور في صورة الآدميين فلا دليل لهم عليه. (٢)

قال ابن حجر (رحمه الله): "وحكى الماوردي قولاً ثالثاً أنه ملك من الملائكة يتصور في صورة الآدميين مغيراً ذاته" (٣).

غير أن العلماء قد أنكروه، قال ابن كثير (رحمه الله): "وأما كونه ملكاً من الملائكة فغريب جداً" (٤).

وقال النووي (رحمه الله): "وقيل كان ملك من الملائكة، وهذا غلط" (٥).

وعلى ذلك فلا دليل صحيح لهؤلاء يستندون إليه فيما ذهبوا إليه وهم كمن قال تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ (٦)

القول الثالث: وهم الذين توقفوا في هذه المسألة:

إما بالسكوت عن الترجيح عند عرض الخلاف كشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) حيث اكتفى بذكر الخلاف في نبوته (٧)، وإما بالإعراب عن ذلك، ومنهم كما ذكر ابن حجر: أبو الخطاب بن دحية إذ يقول: "لا ندري هل هو ملك أو نبي أو عبد صالح" (٨).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ص ٤٣٣. بتصرف.

(٢) انظر كشف الإلباس/ص ٢٩.

(٣) الزهر النضر في نبأ الخضر/ص ٣٠.

(٤) البداية والنهاية/مع ١/ج ١/ص ٣٠٦.

(٥) المجموع/ج ٥/ص ٢٧٦.

(٦) انظر كشف الإلباس/ص ٢٩.

(٧) انظر مجموع الفتاوى/ج ٤/ص ٣٣٨.

(٨) الزهر النضر في نبأ الخضر/ص ٣١.

وعلى هذا فالراجح في هذه المسألة هو التوقف فلا يُجزم بأنه نبي ولا يُجزم بأنه ليس نبي، لأنه لا يصح الجزم بنبوة أحد إلا بالنص وليس بالاجتهاد، وعلى ذلك فيمكن أن يكون نبياً ويمكن أن يكون مجرد ولي. والله أعلم.

### ومما سبق أخلص إلى عدة أمور وهي:

- (١) أن الجزم بنبوة الخضر أو عدمها صعب لعدم توفر الأدلة الصريحة بأحد الأمرين.
- (٢) أن معرفة كون الخضر نبياً أم لا، لا يفيدنا في ديننا، ولو كان مقصداً من مقاصد الشرع لبينه أوضح بيان، وعلى ذلك: فإنه لا يعيننا من أمر الخضر إلا ما ورد في الكتاب أو السنة.
- (٣) أن ما ادعته المبتدعة من المتصوفة من تفضيل الولي على النبي والقول بالحقيقة والشريعة وجواز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني ضلال وهوى ليس لهم مستند في ذلك لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ، بل مجموع النصوص الكريمة ضد ذلك. وإن إثبات نبوة الخضر لا يرددهم عن غيهم شيئاً، وذلك لأن البدع لا أصول لها في الشرع، إنما هي هوى يتلمس له بعد ذلك جزء من نصٍ مقطوع أوله عن آخره، أو تفسير بعيد غريب أو قول شاذ أو حديث موضوع أو مجرد ظن وتخمين لا يعتمد على نص صحيح. وعلى هذا فلا يجب السعي الحثيث والحرص الشديد لإثبات نبوة الخضر من أجل الرد على المتصوفة. إنما يُرد عليهم بالنصوص الأخرى الصريحة في تلك القضية وغيرها من القضايا التي جاءوا فيها بالبدع والشركيات بل والكفر أيضاً. نسأل الله أن يعصمنا من الهوى وأن يرزقنا اتباع كتابه وسنة رسوله ﷺ.



## المطلب الثاني

### ذو القرنين

ذكر الله عز و جل ( ذا القرنين) والمهام العظيمة التي قام بها والتي ذكرت في آخر سورة الكهف غير أنه لم يصرح بنبوته، لذا فقد اختلف العلماء رحمهم الله في ذلك.

قال ابن حجر(رحمه الله): " وقد اختلف في ذي القرنين فقليل كان نبياً وهذا مروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص وعليه ظاهر القرآن، وقد ذهب إلى ذلك الفخر الرازي في تفسيره.<sup>(١)</sup>

والمقصود أن ظاهر القرآن يقتضي نبوته لمخاطبة الله إياه في قوله سبحانه: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾<sup>(٢)</sup> ومن المعلوم الثقرر في الشريعة أن خطاب الله عز و جل لأحد من خلقه خطاباً مباشراً يُعتبر أحد أنواع الوحي الخاص بالأنبياء كما مر سابقاً.<sup>(٣)</sup>

كما نقل ابن حجر (رحمه الله) عن وهب بن منبه: " أنه كان عبداً صالحاً"<sup>(٤)</sup>، ونقل عن الزبير عن علي بن أبي طالب قوله: " كان رجلاً أحب الله فأحبه الله، بعثه الله إلى قومه فضربوه على قرنه ضربة مات منها ثم بعثه الله إليهم فضربوه على قرنه ضربة مات منها ثم بعثه الله فسمى ذو القرنين".<sup>(٥)</sup> قال ابن حجر: " أخرج سفيان بن عيينة في جامعته نحوه وزاد: " ولم يكن نبياً ولا ملكاً" وسنده صحيح سمعناه في الأحاديث المختارة للحافظ الضياء، وفيه إشكال لأن قوله: " ولم يكن نبياً" مغاير لقوله: " بعثه الله إلى قومه" إلا أن يُحمل البعث على غير رسالة النبوة، وقيل كان ملكاً من الملائكة حكاها الثعلبي، وقيل كان من الملوك وعليه الأكثر وقد تقدم من حديث علي ما يومي إلى ذلك"<sup>(٦)</sup>.

(١) الفتح / ج ٦ / ص ٤٤١.

(٢) الكهف / ٨٦.

(٣) انظر الباب الأول / الفصل الأول / المبحث الثاني.

(٤) الفتح / ج ٦ / ص ٤٤١.

(٥) المصدر السابق / ج ٦ / ص ٤٤١.

(٦) المصدر السابق / ج ٦ / ص ٤٤٢.

وقال ابن كثير (رحمه الله) بعد قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾<sup>(١)</sup> الآيات: "ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وأن بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط، والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين وقيل كان نبياً وقيل رسولاً وأغرب من قال ملكاً من الملائكة وقد حُكي هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فإنه سمع رجلاً يقول لآخر: "يا ذا القرنين فقال: "مه! ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميت بأسماء الملائكة" ذكره السهيلي. وقد روى الحافظ ابن عساكر من حديث أبي محمد بن أبي نصر عن أبي إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن أبي ذؤيب حدثنا محمد بن حماد أنبأنا عبد الرازق عن معمر عن أبي ذؤيب عن المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): "لا أدري أتبع كان لعيناً أم لا، ولا أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا؟ ولا أدري ذو القرنين كان نبياً أم لا" وهذا غريب من هذا الوجه.

وقال إسحاق بن بشير بن عثمان بن الساج عن خصيف عن عكرمة عن عباس قال: كان ذو القرنين ملكاً صالحاً رضي الله عمله وأثنى عليه في كتابه وكان منصوراً وكان الخضر وزيره وذكر أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمثلة المشاور الذي هو من الملك بمثلة الوزير في إصلاح الناس اليوم، وقد ذكر الأزرقي وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل<sup>(٢)</sup>. غير أنه قد أخرج الحاكم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ): "لا أدري ذا القرنين كان نبياً أم لا"<sup>(٣)</sup>.

وعلى ذلك فالتوقف فيه هو الصواب وليسعنا ما وسع رسول الله ﷺ.

(١) الكهف / ٨٣.

(٢) البداية والنهاية / مج ١ / ج ٢ / ص ٩٥.

(٣) الفتوح / ج ٦ / ص ٤٤١.

يقول الدكتور عمر الأشقر: " والأفضل أن يُتوقف في إثبات النبوة لهذين: - أي ذي القرنين وتبع - لأنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: " ما أدري أتبع نبياً أم لا، وما أدري ذا القرنين نبياً أم لا"، فإذا كان الرسول الله ﷺ لا يدري فحسن أحرى بأن لا ندري" (١).

### ومما سبق أخلص إلى أمور:

- (١) اختلاف الصحابة والعلماء في ذي القرنين ربما يكون راجعاً لعدم بلوغهم هذا الحديث عن المعصوم ﷺ .
- (٢) التسليم لما سلم به رسول ﷺ وعدم الخوض لمعرفة نبوة ذي القرنين أو عدمها لعدم المصدر الشرعي في ذلك.
- (٣) أن معرفة نبوة ذي القرنين لا تفيدنا في الدنيا أو الآخرة، إذ أن الشارع لم يترك أمراً فيه نفع لنا في الدنيا أو الآخرة إلا بينه أشد بيان.

## المطلب الثالث

### لقمان

ورد ذكر لقمان، اسمه، والإخبار عما أعطاه الله من الحكمة وبعض من وصاياه في سورة كاملة من القرآن الكريم سُميت باسمه. غير أن القرآن لم يصرح بنبوته أو رسالته أيضاً. لذا فقد اختلف العلماء (رحمهم الله) فيه على قولين.

قال ابن كثير (رحمه الله): "اختلف السلف في لقمان هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين، الأكثرون على الثاني"<sup>(١)</sup>. وقال الماوردي (رحمه الله): "واختلف في نبوته، فزعم الأكثرون أنه لم يكن نبياً"<sup>(٢)</sup>.

وقال الطبري (رحمه الله) عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>: "ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين، والعقل، والإصابة في القول الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل"<sup>(٤)</sup>، ثم ذكر أقوال السلف في ذلك فروى عن قتادة قوله في حكمة لقمان: "أي الفقه في الإسلام، ولم يكن نبياً ولم يوح إليه" وروى عن مجاهد قوله: "كان لقمان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً" وروى عن مجاهد وسعيد بن المسيب وابن عباس وخالد الربيعي وعمرو بن قيس: "أنه كان عبداً أسوداً غليظ الشفتين مصفح القدمين حبشياً أو نوبياً"<sup>(٥)</sup>.

ولم ينقل عن أحد القول بنبوته سوى عكرمة، ذكر ذلك الطبري وابن كثير وابن حجر (رحمهم الله)،

قال الطبري: حدثنا ابن وكيع قال حدثني أبي عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة قال: "كان لقمان نبياً"<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٤٤٣.

(٢) أعلام النبوة / ص ٥٢.

(٣) لقمان / ١٢.

(٤) جامع البيان / مج ١١ / ج ٢١ / ص ٨١.

(٥) المصدر السابق / مج ١١ / ج ٢١ / ص ٨١، ٨٢.

(٦) المصدر السابق / مج ١١ / ج ٢١ / ص ٨٢، ٨٣.

وقال ابن كثير بعد ذكره لجملة من الآثار كالوارد ذكرها عند الطبري والتي ورد فيه نفي نبوته أو التي وورد فيها أنه كان أسوداً: "فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً ومنها ما هو مشعر بذلك، لأن كونه عبداً قد مسّه الرق ينافي كونه نبياً لأن الرسل كانت تُبعث في أحساب قومها، ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً وإنما يُنقل كونه نبياً عن عكرمة إن صح السند إليه، فإنه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة قال: "كان لقمان نبياً" وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف والله أعلم".<sup>(١)</sup>

وقال ابن حجر: "ويقال أن عكرمة تفرد بقوله كان نبياً، أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق إسرائيل عن جابر عن عكرمة، قلت وجابر هو الجعفي ضعيف"<sup>(٢)</sup>.

ومما سبق أخلص إلى أن: لقمان لم يكن نبياً وإنما كان رجلاً صالحاً، والقول بنبوته قول شاذ لم يقل به أحد سوى عكرمة،، والله أعلم.

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٤٤٣.

(٢) الفتح / ج ٦ / ص ٥٣٧. وأما ما ذكره الموردي من أن سعيد بن المسيب قال بنبوته فإنه لم يذكر

سنداً لذلك، انظر أعلام النبوة / ص ٥٢.

## الفصل الثالث

### رسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** أصول مشتركة بين الأنبياء، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** وحدة العقيدة.

**المطلب الثاني:** وحدة الدعوة.

**المطلب الثالث:** خُلُق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

**المبحث الثاني:** اختلاف شرائع الأنبياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** تقرير اختلاف شرائع الأنبياء من القرآن والسنة.

**المطلب الثاني:** هل شرع من قبلنا شرع لنا؟.

## المبحث الأول أصول مشتركة بين الأنبياء

أخبر الله عز و جل في كتابه الكريم عن جوانب متعددة فيما يتعلق برسالة الأنبياء أعظمها وأهمها على الإطلاق أساس الرسالة وأصلها وهو عقيدة الإسلام التي جاء بها جميع الرسل ثم بيان دعوة الأنبياء وأساليبهم في ذلك إضافة إلى الحديث عن أخلاقهم عليهم الصلاة والسلام.

ولما لهذه القضية من صلة لا تخفى بمجال الدراسة، فقد تطرقت إلى تقريرها وبيانها معتمدة في ذلك على كتاب الله عز و جل وسنة رسوله ﷺ .

## المطلب الأول وحدة العقيدة

إن مبعث جميع الأنبياء بالرسالات السماوية من لدنه سبحانه وتعالى، ولذا فإن جميع الأنبياء يتفقون في العقيدة من حيث الإيمان بها والعمل بمقتضاها والدعوة إليها. وهم يسرون على خط واحد من أولهم إلى آخرهم عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

قال الإمام محمد بن علي الشوكاني (رحمه الله): "اعلم أنه قد روي عن جماعة من أكابر علماء الإسلام أن الشرائع كلها اتفقت على إثبات التوحيد على كثرة عدد الرسل والمرسلين وكثرة كتب الله عز وجل، فالتوحيد هو دين العالم أوله وآخره وسابقه ولاحقه، ومن خالف في ذلك فجعل الله عز وجل شريكاً وعبد الأصنام فإنه كما أرشد إليه القرآن حكاية عنهم بقوله: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾" (١).

ويقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: "الرسالات التي جاء بها الأنبياء جميعاً منزلة من عند الله العليم الحكيم الخبير، ولذلك فإنها تمثل صراطاً واحداً يسلكه السابق واللاحق" (٢). وقال محمد رشيد رضا (رحمه الله): "والحق أن الإسلام هو دين محمد ودين المسيح ودين جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكن المحال هو الجمع بين دين القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبين الديانة البولسية المبنية على أن الثلاثة واحد حقيقة وأن الواحد ثلاثة حقيقة" (٣).

ويقول عبد الوهاب عبد السلام طويلة: "والأنبياء جميعاً يدعون إلى أصول مشتركة لا تختلف في حقيقتها وجوهرها وينون أحكامهم على أسس متناسقة" (٤).

وقد عرض القرآن الكريم الوحدة في عقيدة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتفصيل والإجمال في مواضع متعددة، ومما جاء في ذلك:

(١) إرشاد النقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات/ص ٥

(٢) الرسل والرسالات/ص ٢٤٣.

(٣) تفسير القرآن الحكيم / ج ٦/ص ٥٦.

(٤) ميثاق النبيين/ص ٢٨. وانظر الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه /ص ٧٥.



- قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾<sup>(١)</sup>  
قال ابن كثير (رحمه الله) في هذه الآية: " (وهي) كما قال الله: ﴿ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَانِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ، فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفترة شاهدة بذلك أيضاً، والمشركون لا برهان لهم وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد" <sup>(٢)</sup>.

وقال العلامة عبد الرحمن بن سعدي (رحمه الله): " فكل الرسل الذين من قبلك مع كتبهم زبدة رسالتهم وأصلها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وبيان أنه الإله الحق المعبود وأن عبادة ما سواه باطلة" <sup>(٣)</sup>.

- وقال الله تعالى: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾<sup>(٤)</sup>

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾<sup>(٥)</sup>  
قال ابن كثير (رحمه الله) : " قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ " يقول: دينكم دين واحد" كما قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ وقال رسول الله ﷺ : " نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد" يعني أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله كما قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) الأنبياء/ ٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ٣/ ص ١٧٦.

(٣) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ٤٧٠.

(٤) فصلت/ ٤٣.

(٥) الأنبياء/ ٩٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم / ج ٣/ ص ١٩٤. بتصرف يسير.

وقال العلامة عبد الرحمن بن سعدي (رحمه الله) عند الآية نفسها: "وما ذكر الأنبياء عليهم السلام قال مخاطباً للناس: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: هؤلاء الرسل المذكورون هم أمتكم وأمتكم الذين بهم تأتمون وبهديتهم تقتدون كلهم على دين واحد وصراط واحد والرب أيضاً واحد، ولهذا قال: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ الذي خلقكم وربيتكم بنعمتي في الدين والدنيا، فإذا كان الرب واحداً والنبي واحداً والدين واحداً وهو عبادة الله وحده لا شريك له بجميع أنواع العبادة كان وظيفتكم والواجب عليكم القيام بها"<sup>(١)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) في شرحه هذه الآية: "يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد ﷺ والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وفي الحديث: "نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد" أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم لقوله جل جلاله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>(٣)</sup>

وقال العلامة عبد الرحمن بن سعدي (رحمه الله) عند الآية نفسها: "هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها وأزكاها وأطهرها دين الإسلام الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار وصفوة الصفوة وهم أولو العزم من المذكورين في هذه الآية"<sup>(٤)</sup>.

(١) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان /ص ٤٧٩.

(٢) الشورى/ ١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم/ ج ٤/ ١٠٩.

(٤) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان /ص ٧٠٠.

وقال الشوكاني (رحمه الله) في تفسيره: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ أي من التوحيد ودين الإسلام وأصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل وتوافق عليها الكتب ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآن وشرائع الإسلام والبراءة من الشرك ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ مما تطابقت عليه الشرائع، ثم بين ما وصَّى به هؤلاء فقال: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ أي توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في التحفة المهدية عن الآية نفسها: "فأمر الرسل بإقامة الدين وأن لا يتفرقوا فيه ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح "إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد والأنبياء إخوة لعلات وإن أولى الناس بابن مريم لأنا، إنه ليس بيني وبينه نبي" قال الشارح الشيخ فالح آل مهدي: "الغاية من إنزال الكتب السماوية جمعها وإرسال الرسل كلهم هي عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه"<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام أيضاً في موضع آخر: "ولما كان أصل الدين الذي هو دين الإسلام واحداً وإنما تنوعت الشرائع، فدينهم واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو يُعبد في كل وقت بما أمر في ذلك الوقت وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت، ولم يشرع الله لنبي من الأنبياء أن يعبد غير الله البتة قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾"<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير / ج ٤ / ص ٥٣٠.

(٢) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية / ص ٣٣٩.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم / ج ٢ / ٨٣٨-٨٣٩. يتصرف يسير.

ما هي عقيدة الرسل (عليهم الصلاة والسلام)؟:

اتضح مما سبق أن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد أجمعوا على اعتقاد دين واحد وهو دين التوحيد (الإسلام). فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لهم من أولهم إلى آخرهم وقد رضوا به وساروا على هدايه ودعوا إليه.

يقول الشيخ محمد العثيمين (حفظه الله): "إن علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها قدراً وأوجبها مطلباً لأنه العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى وأساس شرائعه، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup> وما يدلنا أيضاً على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٢)</sup>

ويدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

كما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ. قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالتَّبْيُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَأُفَرِّقَنَّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن كثير عن الآية الأولى: "إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يتقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى خُتموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إلا من جهته، فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ يدين على غير شريعته فليس بمقبل، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) رسائل في العقيدة/ص ٥.

(٢) آل عمران/ ١٩.

(٣) آل عمران/ ٦٧.

(٤) آل عمران/ ٨٣-٨٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم/ ج ١/ص ٢٤٣.

ويقول الدكتور عمر سليمان الأشقر عن الآية نفسها: "والإسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتفت به كل الأنبياء، فنوح يقول لقومه: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، والإسلام هو الدين الذي أمر الله به أبا الأنبياء إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ويوصي كل من إبراهيم ويعقوب أبناءه قائلاً: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، وأبناء يعقوب يجيبون أباهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، وموسى يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ تَحِبُّونَ بِاللَّهِ فَقَلِّبْهُ تَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾، والحواريون يقولون لعيسى: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ﴾، وحين سمع فريق من أهل الكتاب القرآن قالوا: ﴿آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾، فالإسلام شعار عام كان يدور على ألسنة الأنبياء منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية<sup>(١)</sup>.

أما في السنة المطهرة فقد روى البخاري (رحمه الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر (رحمه الله) عند هذا الحديث: "والعلات بفتح المهملة: الضرائر، وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهم شتى. ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع"<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن تيمية (رحمه الله) عند هذا الحديث أيضاً: "وهذا الدين هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام قال تعالى عن نوح: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي﴾ إلى قوله: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وقال عن إبراهيم: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّا مِنْ سَفَاهَةٍ نَفْسَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وقال عن موسى: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ تَحِبُّونَ بِاللَّهِ فَقَلِّبْهُ تَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ وقال في حوارِي المسيح: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّآ

(١) الرسل والرسالات / ص ٢٤٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذ ابنتت من أهلها مكاناً شرقياً)

(٣) الفتح / ج ٦/ ص ٥٦٤. وانظر البداية والنهاية / مج ١/ ج ٢/ ص ١٤٢.

مُسْلِمُونَ» وقال فيمن تقدم من الأنبياء: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ وقال عن بلقيس أنها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري كذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ﴿آمنا بالله وما أنزل ..﴾ الآية"<sup>(٢)</sup>. قال ابن حجر (رحمه الله): "وزاد الإسماعيلي: ﴿وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلينا وإلهمكم واحد ونحن له مسلمون﴾"<sup>(٣)</sup>.

ونخلص مما سبق إلى أن دين الأنبياء واحد وهو دين الإسلام والتوحيد الخالص الذي لا تشوبه شوائب الشرك أو البدع أو الكبر أو الهوى. "فهذا الدين فرضه الله على البشر منذ خلقهم، جاء به آدم وإدريس ونوح وإبراهيم وآل إبراهيم وآل عمران، وقد تم برسالة خاتم النبيين"<sup>(٤)</sup>.

(١) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية/ص ٣٤٠-٣٤١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب التفسير/ باب قوله: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾.

(٣) الفتح/ ج ٦/ص ٢٠.

(٤) الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسول/ص ٣١٨. وانظر منهاج الأنبياء في الدعوة إلى الله/ص ٢٤.

وانظر معارج القبول/ ج ٢/ص ٩٧.

## المطلب الثاني

### وحدة الدعوة

إن للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وظائف جليلة ومهمات جسيمة بينها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ومنها: دعوة الخلق إلى عبادة الله وحده، وهذه الحقيقة - كما يقول الشوكاني رحمه الله - هي الوظيفة الأساسية التي بعث الله من أجلها الرسل الكرام وأنزلت من أجلها الكتب السماوية، وقد بذل الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام جهوداً عظيمة في سبيل دعوة الناس إلى الله واستعملوا فيه أساليب مختلفة من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك كما قصه الله علينا في كتابه العزيز.<sup>(١)</sup>

ومع ذلك فإن هذه الدعوة المباركة قواعد وأسس عامة من أهمها:

أولاً: دعوتم إلى عقيدة التوحيد وترك الشرك والكفر والبدع.

ثانياً: إنذارهم جميعاً أقوامهم الدجال.

ثالثاً: تحذيرهم أقوامهم عاقبة الكفر والعصيان، ويتضمن ذلك عقيدة البعث.

رابعاً: تبشيرهم المؤمنين بالنصر في الدنيا والفوز في الآخرة بمجنات النعيم.

خامساً: أخذهم الميثاق على أنهم لن يُبعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به.

وفيما يلي استعراض لهذه الأسس مع ذكر أبرز مميزات دعوة الأنبياء، والله المستعان.

## أولاً: دعوة الأنبياء إلى عقيدة التوحيد وترك الشرك والكفر والبدع:

تين مما سبق إجماع الرسل على عقيدة واحدة، وسوف أشير هنا إلى دعوة الأنبياء إلى تلك العقيدة من خلال نصوص القرآن الكريم.

ومما ورد في ذلك: ما ذكره الله عز وجل من أن نوحاً وإبراهيم وهوداً وصالحاً وشعياً كلهم قد قالوا لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(٣)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(٤)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(٥)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾<sup>(٦)</sup>

وقال تعالى على لسان موسى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾<sup>(٧)</sup>

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾<sup>(٨)</sup>

وقال تعالى عن محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(٩)</sup>

وكل الآيات السابقة تقتضي وحدة الدعوة لدى الأنبياء وأن أساس هذه الدعوة هو

التوحيد.

(١) الأعراف / ٥٩، ٧٣، ٨٥.

(٢) الأعراف / ٥٩.

(٣) الأعراف / ٧٣، هود / ٦١.

(٤) الأعراف / ٦٥، هود / ٥٠.

(٥) الأعراف / ٨٥، هود / ٨٤.

(٦) الزخرف / ٢٦، ٢٧، وانظر العنكبوت / ١٦.

(٧) طه / ٩٨.

(٨) المائدة / ٧٢.

(٩) ص / ٦٥.



قال محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله) في هذا المعنى: " كل دعوات الرسل هي مضمون: ﴿لا إله إلا الله﴾ التي قام عليها أمر السموات والأرض وخلق من أجلها الجنة والنار وبعث رسل الله عليهم الصلاة والسلام، ولهذا كان كل رسول إنما يبدأ قومه بالدعاء إليها كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾" (١)

ويقول في موضع آخر: "فإخلاص العبادة لله وحده دعوة عامة الرسل وأشدهم فيه احتياطاً خاتمهم ﷺ، ولذا منع بعض الأمور التي كانت مباحة عندهم احتياطاً في توحيد الله في عبادته جل وعلا. فالسجود لمخلوق في شريعته السمحة كفر بالله تعالى مع أنه كان جائزاً في شرع غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى عن يعقوب وأولاده في سجودهم ليوסף: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾ ولذلك أمر نبينا ﷺ أن يقول للناس: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وقد تقرر عند الأصوليين واليدين أن لفظ "إنما" من أدوات الحصر فدللت الآية على حصر الوحي إليه ﷺ في أصله الأعظم الذي هو (لا إله إلا الله) لأنها دعوة جميع الرسل وغيرها من شرائع الإسلام وفروعها التابعة لها، ولهذا صار مكذب رسول واحد مكذباً لجميع الرسل لأن دعوتهم واحدة" (٢).

ويقول العلامة عبد الرحمن بن سعدي (رحمه الله) عند تفسيره قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ (٣) الآية: "ولما أخبر عن كمال الرسل وما أعطاهم من الفضل والخصائص وأن دينهم واحد ودعوتهم إلى الخير واحدة، كان موجب ذلك ومقتضاه أن تجتمع الأمم على تصديقهم والانقياد لهم لما آتاهم من البينات التي على مثلها يؤمن البشر، ولكن أكثرهم انحرفوا عن الصراط المستقيم ووقع الاختلاف بين الأمم" (٤).

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف / ج ٢ / ص ٣٧٨.

(٢) المرجع السابق / ج ٢ / ص ٣٨٠، ٣٨١.

(٣) البقرة / ٢٥٣.

(٤) نيسر الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ٩١.

ويقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: "ولبُّ دعوات الرسل وجوهر الرسالات السماوية هو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ ما يُعبد من دونه، وقد عرض القرآن هذه القضية وأكدها في مواضع متعددة، مرةً يذكر دعوة الرسل (تفصيلاً) ومرةً ينص على أنه أرسل الرسل جميعاً بهذه المهمة الواحدة (إجمالاً)".<sup>(١)</sup>

ويقول الدكتور عبدالله نومسوك: "إن المهمة الكبرى التي بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي دعوة الخلق إلى عبادته وإقامة دينه وإفراجه بجميع أنواع العبادة، والتحذير من الشرك، وكذلك تذكيرهم بالبعث والنشور. وعلى هذا اتفق جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مصدقاً بعضهم بعضاً، فما من نبي إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾".<sup>(٢)</sup>

### مميزات دعوة الأنبياء:

تميزت دعوة الأنبياء بعدة أصول ذكرها الدكتور سليمان العودة على النحو التالي:

- ١- أن دعوتهم ربانية، فهي ليست رغبة ذاتية نابغة من ذكائهم أو بسبب تألمهم لواقعهم بل هي تكليف إلهي: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ﴾
- ٢- أساس دعوتهم إخلاص العبادة لله وحده ونبذ الشرك والوثنية وتعريف الناس بخالقهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾
- ٣- الإيمان بالغيب سمة بارزة في دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والغيب كل ما غاب عن الإنسان ولم يستطع عقله إدراكه وتصوره إلا بوحي من الله، كالإيمان بالله وصفاته والإيمان بالملائكة واليوم الآخر والجنة والنار ونحو ذلك.
- ٤- الزهد في الدنيا وإثارة الآخرة وعدم طلب أجر مقابل دعوتهم ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) الرسل والرسالات / ص ٢٤٤، بتصريف وزيادة ما بين الأقواس. وانظر معارج القبول / ج ٢ / ص ٩٧.

(٢) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة / ص ٦٥٩.

(٣) من نبي المرسلين / ص ١٨.

## ثانياً: إنذار الأنبياء أقوامهم الدجال:

ودل على ذلك ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: "إني لأنذركموه وما من نبي إلا أنذر قومه لقد أنذر نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور"<sup>(١)</sup>

وروى أيضاً عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه إنه أعور وأنه يجيء معه بمثال الجنة والنار فالتى يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه"<sup>(٢)</sup>

قال ابن حجر (رحمه الله) عند قوله ﷺ: "وما من نبي إلا وقد أنذر قومه": "زاد في رواية معمر" لقد أنذره نوح قومه" وفي حديث أبي عبيدة بن الجراح عند أبي داود والترمذي وحسنه: "لم يكن نبي بعد نوح إلا وقد أنذر قومه الدجال" وعند أحمد: "لقد أنذره نوح أمته والنيون من بعده" أخرجه من وجه آخر عن ابن عمر. وقد استشكل إنذار نوح قومه بالدجال مع أن الأحاديث قد أثبتت أنه يخرج بعد أمور ذكرت وأن عيسى يقتله بعد أن ينزل من السماء فيحكم بالشرعة المحمدية، والجواب: أنه كان وقت خروجه أخفى على نوح ومن بعده فكأنهم أنذروا به ولم يذكر لهم وقت خروجه فحذروا قومهم من فتته، ويؤيده قوله ﷺ في بعض طرقه: "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه" فإنه محمول على أن ذلك كان قبل أن يتبين له وقت خروجه وعلاماته، فكان يجوز أن يخرج في حياته ﷺ ثم بُين له بعد ذلك حاله ووقت خروجه فأخبر به فبذلك تجتمع الأخبار. وقال ابن العربي: "إنذار الأنبياء قومهم بأمر الدجال تحذير من الفتنة وطمأنينة لها حتى لا يززع عن حسن الاعتقاد وكذلك تقريب النبي ﷺ له زيادة في التحذير، وأشار مع ذلك إلى أنهم إذا كانوا على الإيمان ثابتين دفعوا الشبه باليقين"<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الأنبياء / باب قول الله عز وجل ( ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه)، وانظر كتاب الفتى باب ذكر الدجال.

(٢) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الأنبياء / باب قول الله عز وجل ( ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه)، وانظر كتاب الفتى باب ذكر الدجال.

(٣) الفتوح / ج ٦ / ص ١٠٢، ١٠٣.

وقال عند قوله ﷺ " ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه ": " قيل إن السور في اختصاص النبي ﷺ بالنبيه المذكور مع أنه أوضح الأدلة في تكذيب الدجال، أن الدجال يخرج في أمته دون غيرها ممن تقدم من الأمم، ودل الخبر على أن علم كونه يختص بخروجه بهذه الأمة كان طوى عن غير هذه الأمة كما طوى عن الجميع علم وقت قيام الساعة".<sup>(١)</sup>

وقال ابن كثير (رحمه الله) عند حديثه عن نوح عليه السلام: "فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق بأن الله قد بعث نوحاً بالحق وأنزل عليه الحق وأمره به وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ولم يدع شيئاً مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به ولا شيئاً مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه وحذرهم منه، وهكذا جميع الرسل، حتى أنه حذر قومه المسيح الدجال - وإن كان لا يتوقع خروجه في زمانهم - حذراً عليهم وشفقة ورحمة بهم".<sup>(٢)</sup> ثم ذكر الحديثين اللذين رواهما البخاري واللتين سبق ذكرهما

ثالثاً: تحذيرهم أقوامهم عاقبة الكفر والمعاصي:

ويدل على تحذير الأنبياء لأقوامهم كثير من الآيات القرآنية، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى عن شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَّوِطٌ مِنْكُمْ بَعِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً عن شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾<sup>(٤)</sup>

وقال تعالى عن صالح عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ. وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾<sup>(٥)</sup>

وقال تعالى عن هود: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾<sup>(٦)</sup>

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٧)</sup>

(١) هود / ٢٥، ٢٦.

(٢) الشعراء / ١٠٦-١١٥.

(٣) هود / ٨٩.

(٤) هود / ٩٣.

(٥) هود / ٦٤، ٦٣.

(٦) هود / ٥٧.

(٧) هود / ١٧.

رابعاً تبشيرهم المؤمنين بالنصر في الدنيا والفوز في الآخرة:

ويدل على ذلك القرآن الكريم في كثير من آياته، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوْحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أُنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

وقال تعالى على لسان هود: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٤)

وقال تعالى عن صالح: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنَ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ. وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِمِينَ﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِمِينَ﴾ (٦)

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٧)

(١) هود / ٢٣.

(٢) هود / ٤٠-٤٩.

(٣) هود / ٥٢.

(٤) هود / ٥٨.

(٥) هود / ٦٦-٦٧.

(٦) هود / ٩٤.

(٧) غافر / ٥١.

خامساً: أخذهم الميثاق على أمهم بالإيمان بمحمد ﷺ (إن جاء وهم أحياء):

وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١)

قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسير الآية: "يخبر الله تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه سلام لهما أتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من إتياع من بعث بعده ونصرته ولهذا قال تعالى وتقدس ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ أي لهما أعطيتكم من كتاب وحكمة ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾

وقال ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وقتادة والسدي يعني: المهدي. وقال علي بن أبي طالب وابن عباس (رضي الله عنهما): "ما بعث الله نبي من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه". (٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "والله تعالى جعل من دين الرسل أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمنن به وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمنن به قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ قال ابن عباس: "لم يبعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه". (٣)

(١) آل عمران / ٨١.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٣٧٧، ٣٧٨.

(٣) مجموع الفتاوى / ج ٣ / ص ٩٢.

ويقول الدكتور محمد سرور زين العابدين: " من حكم الله العجيبة أن جميع أنبياء الله يعرفون خاتم الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام، وما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولنصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولنصرنه وتوجت هذه المعرفة ليلة الإسراء حيث كان محمد ﷺ إمامهم لما اجتمعوا ببيت المقدس".<sup>(١)</sup>

ومما سبق نخلص إلى : أن الأنبياء متفقون في أصل الدعوة فكلهم قد دعا قومهم إلى التوحيد كم أنهم قد حذروا أقوامهم من الدجال، وكذلك فقد ذكروا لأقوامهم محمد ﷺ وبشروا به ودعوا إلى اتباعه إذا ظهر في حياتهم، كما أنهم قد حذروا من الكفر وبينوا عاقبته وبشروا المؤمنين بالفوز بنصر الدنيا وجنة الآخرة.



## المطلب الثالث

### خُلِقَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

تحدثت نصوص الشريعة عن خُلُقِ الأنبياء وما هم عليه من الكمال البشري الفريد، وعدت ذلك من الأصول العظيمة المشتركة بينهم.

وقد بوب البخاري (رحمه الله) في كتاب الأنبياء أبواباً ذكر منها ما يدل على شدة حياءهم وصبرهم عليهم السلام، كما أنه قد أفرد باباً في الصبر وآخر في الحياء في غير كتاب الأنبياء. ونظراً لما لهذه القضية من صلة بمجال دراستي فقد أحبيت التعرض لها ومعرفة ما كان عليه الأنبياء في ذلك رغبة في التأسى بهم والسير على طريقهم القويم، والله المستعان.

## حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

قال ابن القيم (رحمه الله) في معنى الحياء: "الحياء من الحياة ومن (الحيا) للمطر وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح وكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم".<sup>(١)</sup>

وروى مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "الحياء شعبة من الإيمان".<sup>(٢)</sup>

ولا شك أن الأنبياء أحياء الناس قلوباً وهم أعظم الناس إيماناً لذا فهم أشد الناس حياءً. وقد ورد في السنة المطهرة ذكر حياء الأنبياء جملة وتفصيلاً.

ومما ورد في ذلك ما رواه البخاري (رحمه الله) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن موسى عليه السلام كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فأروه عريانا أحسن ما خلق الله وأبراه مما يقولون وقام حجرٌ فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثة أو أربعة أو خمسة قال فذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾".<sup>(٣)</sup>

(١) مدارج السالكين / ج ٢ / ص ٢٤٨.

(٢) صحيح مسلم / كتاب الإيمان / باب الحياء شعبة من الإيمان.

(٣) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب رقم (٢٨). وانظر كتاب التفسير /

باب: (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) سورة الأحزاب.

وقد ذكر ابن كثير (رحمه الله) عند تفسيره لهذه الآية ذلك الحديث كما نقل رواية أخرى في هذه الآية فقال: "عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: " صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون عليه السلام فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته كان ألين لنا منك وأشد حياء فأذوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا على مجالس بني إسرائيل فتكلمت بموته فما عرف موضع قبره إلا الرخم وإن الله جعله أصم أبكم".<sup>(١)</sup>

قال ابن كثير: "وهكذا رواه ابن جرير ثم قال وجائز أن يكون هذا هو المراد بالأذى وجائز أن يكون الأول هو المراد قلت يحتمل أن يكون الكل مراداً وأن يكون معه غيره والله أعلم".<sup>(٢)</sup>

وفي رواية علي بن أبي طالب دليل على شدة حياء هارون عليه السلام أيضاً.

ومما ورد في حياء الأنبياء، حياء سيدنا محمد ﷺ . فقد روى لبخاري عن أباسعيد قال: "كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها"<sup>(٣)</sup>. وزاد مسلم: "وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه".<sup>(٤)</sup>

قال النووي (رحمه الله): "ومعنى (عرفنا الكراهة في وجهه) أي لا يتكلم به لحياته، بل يتغير وجهه فنفهم نحن كراهته، وفيه فضيلة الحياء وهو من شعب الإيمان وهو خير كله ولا يأتي إلا بخير، وهو محثوث عليه ما لم ينته إلى الضعف والنحو".<sup>(٥)</sup>

ومما يدل على حياء الأنبياء جملة ما رواه الترمذي عن أبي أيوب قال: قال النبي ﷺ: "الحياء والتعطر والسواك والتكاح من سنن المرسلين"<sup>(٦)</sup>.

روى البخاري كذلك عن أبو مسعود قال: قال النبي ﷺ: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت".<sup>(٧)</sup>

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٥٢٠.

(٢) المصدر السابق / ج ٣ / ص ٥٢٠. وانظر الفتح / ج ٨ / ص ٣٩٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأدب / باب الحياء. وانظر كذلك: كتاب المناقب / باب صفة النبي ﷺ.

(٤) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الفضائل / باب كثرة حياءه ﷺ.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ٥ / ج ١٥٥ / ص ٧٨.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه / كتاب التكاح / باب ما جاء في كثرة التزوج والحث عليه ، وقال حسن غريب.

(٧) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأدب / باب: إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

قال محمود محمد الخزندار عند هذا الحديث: "ويكفي في فضيلة الحياء وأثره أن الأنبياء السابقين حذروا من كسر حاجز الحياء لنلا يقع المرء في كل القبائح وليس له رادع ولا وازع"<sup>(١)</sup>.

ومما يدل أيضاً على حياء الأنبياء ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم إلى أن قال: فيقول لست هناكم ويذكر ذنبه فيستحي ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون فيقول: لست هناكم ويذكر سؤاله ربه ما ليس به علم فيستحي" إلى أن قال عن موسى: "فيأتون فيقول لست هناكم ويذكر قتل النفس بغير نفس فيستحي من ربه"<sup>(٢)</sup>.

قال محمود محمد الخزندار: "وكما أن الحياء أدب مع الخلق فإن أسمى صورة الأدب مع الخالق وقد ورد أن عدداً من الأنبياء (آدم، نوح، موسى) تطلب منهم الشفاعة يوم الموقف وكل منهم متحرج ويمنعه الحياء من الجرأة على الشفاعة"<sup>(٣)</sup>.  
فهو خلق كريم ارتضاه الله لنفسه، فقد روى النسائي في سننه: "إن الله عز وجل حيي ستر يحب الحياء والستر"<sup>(٤)</sup>.

وروى ابن ماجه: "إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً"<sup>(٥)</sup>.

وارتضاه الله للملائكة: فقد ورد في صحيح مسلم عن عائشة قالت: "كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحالة فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم

(١) هذه أخلاقنا / ص ٣٢٥.

(٢) إرواه البخاري في صحيحه / كتاب التفسير / باب قوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها)، وانظر كتاب الرقاق / باب صفة الجنة والنار.

(٣) هذه أخلاقنا / ص ٣٢٤، ٣٢٥.

(٤) صحيح سنن النسائي / كتاب الفسل.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه / كتاب الدعاء / باب رفع اليدين في الدعاء.

تفتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تفتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت  
ثيابك، فقال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة"،<sup>(١)</sup>  
قال النووي (رحمه الله): "وفيه فضيلة ظاهرة لعثمان وجلالته عند الملائكة، وأن الحياء  
صفة جميلة من صفات الملائكة"<sup>(٢)</sup>. كما أن فيه دلالة ظاهرة على حياء النبي ﷺ.

### وأخلص مما سبق إلى عدة أمور:

- (١) أن الحياء وصية النبوة الأولى وصفة المرسلين البارزة.
- (٢) الحياء وقاية من الوقوع في المعاصي، وشعبة من شعب الإيمان.
- (٣) الحياء خلق ارتضاه الله لنفسه ورضيه لملائكته ولأنبيائه، أفلا نتخلق نحن أيضاً به  
ونتأسى بهم في ذلك.

(١) رواه مسلم في صحيحه / كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم / باب فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ٥ / ج ١٥٩ / ص ١٦٩.

## صبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الصبر من صفات الأنبياء البارزة وحالهم فيه على قسمين:

صبر على أقوامهم في طريق دعوتهم إلى الله، وصبر على البلاء في أنفسهم أو ذرياتهم وأموالهم.

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الصفة وأفاض في الحديث عنها، وبين صبر أنبيائه جملة وتفصيلاً، وأوصى به نبيه وشفوة خلقه محمد ﷺ .

ومما أخبر به سبحانه وتعالى في صبر الأنبياء صبر نوح عليه السلام على قومه ودعوتهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً ألف سنة إلا خمسين عاماً، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا سِكْبًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله): " قال محمد بن إسحاق: ولم يلق نبي من قومه من الأذى كما لقي نوح إلا نبي قتل. وقال يزيد الرقاشي: إنما سُمي نوحاً لكثرة ما نوح على نفسه"<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك صبر أيوب عليه السلام حيث قال تعالى عنه: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾<sup>(٤)</sup> وذلك في قصة ابتلاء الله له وصبره على ذلك البلاء العظيم

وقال عز وجل بع ذكره جملة من أنبيائه (عليهم الصلاة والسلام): ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) العنكبوت / ١٤ .

(٢) نوح / ٩-٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ٢٢٣ .

(٤) ص / ٤٤ .

(٥) الأنبياء / ٨٥ .

وقال عز وجل في صبر إسماعيل في قصة الذبح: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (١)

وقال تعالى عن يعقوب عليه السلام في قصة فقده يوسف "﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾" (٢)

وقال عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ (٣)

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام في آخر قصته مع إخوته ثم مع امرأة العزيز: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤)

وأكثر الأنبياء صبراً هم أولو العزم منهم، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَيَّ مَا كَذَّبُوا﴾ (٦)

قال محمد قطب عند تعليقه على الآية الأولى: "وواضح من الآية أن الصفة البارزة في أولئك الرسل (أولي العزم) هي الصبر، ذلك أمَّا الصفة التي يطلب الله عز وجل من رسوله الكريم ﷺ أن يتأسى بهم فيها من بين صفاتهم العديدة، وكل الرسل ذوو صبر وثبات وتحمل، فلا بد أن يكون اختصاص أولي العزم بهذا الوصف الذي وصفهم به الله في كتابه الكريم ناشئاً من زيادة في صفة الصبر عن الرسل العاديين، وقدرة فائقة على تحمل الشدائد، وثبات في مواجهة المواقف الصعبة التي جرت لهم في أثناء قيامهم بالدعوة إلى التوحيد. وفي حياة أولي العزم من الرسل عبرٌ خاصة لطول جهادهم وكثرة المواقف التي تعرضوا لها وثباتهم في وجه العواصف المنزللة التي تنخلع لها القلوب، واطمئنانهم إلى قدر الله ووعدده بالنجاة والنصر". (٧)

(١) الصفات / ١٠٢.

(٢) يوسف / ١٨.

(٣) الأعراف / ١٢٨.

(٤) يوسف / ٩٠.

(٥) الأحقاف / ٣٥.

(٦) الأنعام / ٣٤.

(٧) مقرر علم التوحيد / ص ٦٥، بتصرف يسير جداً.

ومما يدل على صبر الأنبياء من السنة المطهرة:

ما رواه البخاري (رحمه الله): عن الأعمش قال: سمعت شقيقا يقول: قال عبد الله قَسَمَ النبي ﷺ قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله، قلت: أما أنا لأقولن للنبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فساررتَه فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته ثم قال: "قد أودى موسى بأكثر من ذلك فصبر".<sup>(١)</sup>

وروى كذلك عن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذ بردانه جذبة شديدة قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعتاء.<sup>(٢)</sup>

وروى ابن ماجه عن عبد الله قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسخ الدم عن وجهه ويقول: (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).<sup>(٣)</sup>

وروى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُنحِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلِمْتُ مِنْ نَوْمِنِ قَالِ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي".<sup>(٤)</sup>

وأخلص من ذلك إلى عدة أمور:

- (١) عظم منزلة الصبر عند الله.
- (٢) وجوب التأسي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الصبر على البلاء في الدعوة إلى الله.
- (٣) للصبر عواقب حميدة في الدنيا والآخرة.

(١) رواد البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب رقم (٢٨) ، وانظر كذلك المصدر السابق نفسه.

(٢) رواد البخاري في صحيحه / كتاب الأدب / باب التيسم والضحك.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه / كتاب الفتن / باب الصبر على البلاء.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه / كتاب الفتن / باب الصبر على البلاء.



## المبحث الثاني اختلاف شرائح الأنبياء

بينتُ فيما سبق مواطن الاتفاق في رسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وسوف أُبينُ هنا مواطن الاختلاف وما استقل به كل رسول عن الآخر في دعوته لقومه مما لا يُخل بتلك الأصول في شيء.

## المطلب الأول

### تقرير اختلاف شرائع الأنبياء من القرآن والسنة

إن الأصل في اختلاف شرائع الأنبياء يرجع إلى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup> قال الطبري (رحمه الله) في تفسيره للآية: "والشريعة هي الشريعة بعينها، وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ومنه سُميت شرائع الإسلام شرائع لشروع أهله فيه. وأما المنهاج فبإن أصله: الطريق البين الواضح، يُقال منه: هو طريق نَهْجٍ وَمَنْهَجٍ: بَيِّن. ثم اختلف أهل التلويح في المعنى بقوله ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ فقال بعضهم: عُني بذلك أهل الملل المختلفة، أي أن الله جعل لكل ملة شريعة ومنهاجاً، وقال آخرون: بل عُني بذلك أمة محمد ﷺ وقالوا: إنما معنى الكلام: قد جعلنا الكتاب الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ أيها الناس لكلكم، أي لكل من دخل في الإسلام وأقرّ بمحمد أنه له نبي شريعة ومنهاجاً. وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه لكل أهل ملة منكم أيها الأمم جعلنا شريعة ومنهاجاً، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ولو كان عني بقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أمة محمد وهم أمة واحدة لم يكن لقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وقد فعل ذلك فجعلهم أمة واحدة معنى مفهوم، ولكن معنى ذلك على ما جرى به الخطاب من الله لنبيه محمد ﷺ: أنه ذكر ما كتب على بني إسرائيل في التوراة وتقدم إليهم بالعمل بما فيها ثم ذكر أنه قفى بعيسى بن مريم على آثار الأنبياء قبله وأنزل عليه الإنجيل وأمر من بعثه إليه بالعمل بما فيه، ثم ذكر نبينا محمداً ﷺ وأخبره أنه أنزل إليه الكتاب مصداقاً لما بين يديه من الكتاب وأمره بالعمل بما فيه والحكم بما أنزل إليه فيه دون ما في سائر الكتب غيره، وأعلمه أنه قد جعل له ولأمته شريعة غير شرائع الأنبياء والأمم قبله الذين قص عليهم قصصهم - وإن كان دينه ودينهم في توحيد الله والإقرار بما جاءهم به من

جاءهم به من عنده والانتهاه إلى أمره ونهيه واحداً - فهم مختلفو الأحوال فيما شرع لكل واحد منهم ولأتمته فيما أحل لهم وحرّم عليهم" (١).

وقال عند قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً... ﴾ الآية: "يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم لجعل شرائعكم واحدة ولم يجعل لكل أمة شريعة ومنهاجاً غير شرائع الأمم الأخرى ومنهاجهم فكنتم تكونون أمة واحدة لا تختلف شرائعكم ومنهاجكم، ولكنه تعالى ذكره يعلم ذلك؛ فخالف بين شرائعكم ليختبركم فيعرف المطيع منكم من العصاة، والعامل بما أمره في الكتاب الذي أنزله إلى نبيه ﷺ من المخالف" (٢).

وقال ابن كثير (رحمه الله): "هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسوله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "نحن معاشر الأنبياء إخوانة لعائلات ديننا واحداً" يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَوَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... ﴾ الآية، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس وخفيفاً فيزداد في الشدة في هذه دون هذه وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة والحجة الدامغة. قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ يقول: سيلاً وسنة، والسنن مختلفة هي في التوراة شريعة وفي الإنجيل شريعة وفي الفرقان شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل الله غيره التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام. وقيل المخاطب بهذه الآية هذه الأمة ومعناه لكل جعلنا القرآن منكم أيتها الأمة شرعة ومنهاجاً أي هو لكم كلكم تقتدون به، وحذف الضمير المنصوب في قوله: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴾ أي جعلناه يعني: القرآن شرعة ومنهاجاً أي سيلاً إلى المقاصد

(١) جامع البيان / مج ٤ / ج ٦٤ / ص ٣٦٦، ٣٦٥.

(٢) المصدر السابق / مج ٤ / ج ٦٤ / ص ٣٦٨.

الصحيحة وسنة أي طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً. والصحيح القول الأول ويدل على ذلك قوله تعالى بعده: ﴿ وَكَوْشَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ فلو كان هذا خطاباً لهذه الأمة لما صح أن يقول: ﴿ وَكَوْشَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ وهم أمة واحدة ولكن هذا خطاب لجميع الأمم للإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة لا ينسخ شيء منها ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً ﷺ الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة وجعله خاتم الأنبياء كلهم ولهذا قال: ﴿ وَكَوْشَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيُنْزِلُكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ أي: أنه تعالى شرع الشرائع المختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم ويشيهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله".<sup>(١)</sup>

وقال محمد رشيد رضا (رحمه الله) عند هذه الآية أيضاً: "أي لكل رسول أو كل أمة منكم أيها المسلمون والكتابيون أو أيها الناس جعلنا شريعة أوجبنا عليهم إقامة أحكامها، وطريقاً للهداية فرضنا عليهم سلوكه لتزكية أنفسهم وإصلاحها، لأن الشرائع العملية وطرق التزكية الأدبية تختلف باختلاف أحوال الاجتماع واستعداد البشر، وإنما اتفق جميع الرسل في أصل الدين وهو توحيد الله وإسلام الوجه له بالإخلاص والإحسان".<sup>(٢)</sup>

وقال العلامة ابن سعدي (رحمه الله): "﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي: سبيلاً وسنة، وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها. وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان فإنها لا تختلف فتشروع في جميع الشرائع. ﴿وَكَوْشَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً﴾ تبعاً لشريعة واحدة لا يختلف متأخرها ولا مقدمها ﴿وَلَكِنْ لِيُنْزِلُكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ فيختبركم وينظر كيف تعملون ويبتلي كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته، ويؤتي كل أحد ما يليق به، وليحصل التنافس بين الأمم فكل أمة تحرص على سبق غيرها ولهذا قال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي بادروا إليها وأكملوها ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ الأمم السليبة

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ٦٦.

(٢) تفسير القرآن الحكيم / ج ٦ / ص ٤١٢، ٤١٣.

واللاحقة كلهم سيجمعهم الله ليوم لا ريب فيه ﴿فَيَبْئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الشرائع والأعمال، فينبأ أهل الحق والعمل الصالح ويعاقب أهل الباطل والعمل السيئ".<sup>(١)</sup>

وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد".<sup>(٢)</sup>

قال ابن حجر (رحمه الله) عند هذا الحديث: "ومعنى الحديث: أن دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع".<sup>(٣)</sup>

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عند الحديث نفسه: "وهذا الدين هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام. فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر. والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت، فإذا أمر في الأول باستقبال الصخرة ثم أمرنا ثانية باستقبال الكعبة كان كل من الفعلين حين الأمر به داخلاً في الإسلام، فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين، وإنما تنوع بعض صور الفعل وهو وجهة المصلي، فكذلك الرسل وإن تنوعت الشريعة والمنهاج والوجهة والمنسك فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحداً كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد".<sup>(٤)</sup>

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان /ص ١٩٦-١٩٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه /كتاب الأنبياء/باب قول الله تعالى: ( واذكر في الكتاب مريم إذ ابنتت من أهلها مكاناً شرقياً).

(٣) الفتوح / ج ٦/ ص ٥٦٤.

(٤) النحلة المهدية شرح الرسالة التدمرية/ص ٣٤٠، ٣٤١. وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم/

ونقل النووي (رحمه الله) قول جمهور العلماء في معنى الحديث السابق فقال: "قال جمهور العلماء في معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فوقع فيها اختلاف"<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ حافظ الحكمي (رحمه الله): "وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو توحيد الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ونفي ما يضاد ذلك أو ينافي كماله. وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف، يفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء، ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك، ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس، لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا عز وجل ليلوكم فيما آتاكم، ليلوكم أيكم أحسن عملاً"<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني

### هل شرع من كان قبلنا شرع لنا

ذكر البعض أن شرائع الأنبياء واحدة واحتجوا لذلك بقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدِهِ﴾<sup>(٢)</sup> وما في معناها، وقالوا: إن هذه الآيات تدل على اتحاد الشرائع وأما قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>(٣)</sup> فقالوا عنه أن اللام هنا للاختصاص الحصري<sup>(٤)</sup>.

وقد رد أكابر العلماء على ذلك وذكروا ما يدل على نقيضه:

فقال الشيخ فالح بن مهدي آل مهدي: "إن القدر المشترك بين الأنبياء هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرعتهم ومناهجهم كما في قوله جل جلاله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وقوله سبحانه ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ..﴾ الآية، معناه كما قال أهل التفسير: شرع لكم ولمن قبلكم من الأنبياء ديناً واحداً يعني التوحيد ولم يعث الله نبياً قط إلا وصَّاه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم، وخص نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى بالذكر مع نبينا ﷺ لأنهم أرباب الشرائع، ثم أمرهم سبحانه بإقامة الدين وفهامهم عن الاختلاف فيه أي: لا يختلفوا في التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه فإن هذه قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الأديان فلا ينبغي الخلاف في مثلها وليس من هذا فروع المسائل التي تختلف فيها الأدلة وتعارض فيها الإمارات وتباين فيها الأفهام فإنها من مظان الاجتهاد ومواطن الاختلاف"<sup>(٥)</sup>.

(١) الشورى / ١٣.

(٢) الأنعام / ٩٠.

(٣) المائدة / ٤٨.

(٤) تفسير القرآن الحكيم / ج ٦ / ص ٤١٤.

(٥) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية / ص ٣٤٠.

وقال محمد رشيد رضا (رحمه الله): "أخرج غير واحد من رواة التفسير المأثور عن قتادة في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ يقول: سبيلاً وسنة والسنة مختلفة للتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء كي يعلم الله من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره التوحيد والإخلاص الذي جاءت به الرسل. وفي رواية عنه: الدين واحد والشريعة مختلفة. وروى ابن جرير من عدة طرق عن ابن عباس أنه قال في تفسير: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: سنة وسبيلاً وظاهر من قول قتادة أن الشريعة أخص من الدين إن لم تكن مباينة له، وأما الأحكام العملية التي تختلف باختلاف الأنبياء وهذا يوافق أو يقارب عرف الأمم حتى اليوم لا يطلقون اسم الشريعة إلا على الأحكام العملية بل يخصونها بما يتعلق بالقضاء وما يتخاصم فيه إلى الحكام دون ما يُدان لله تعالى به من أحكام الحلال والحرام، ولا تجد هذا الحرف في القرآن إلا في هذه الآية وفي قوله تعالى من سورة الشورى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وقوله منها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ وفي قوله من سورة الجاثية ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فأما شرع الدين فهو وضعه وإنزاله من عند الله وليس لغيره أن يشرع. فأيتا الشورى تدلان على أن وضع الله تعالى للدين ومحاطبة الناس به يسمى شرعاً بالمعنى المصدرى وليس مما نحن فيه. وأما آية الجاثية فقد روى ابن جرير عن قتادة أنه قال فيها: "الشريعة: الفرائض والحدود والأمر والنهي" وهو نص فيما ذكرنا من قصر الشريعة على الأحكام العملية دون العقائد والحكم والعبر التي يشتملها الدين. وتحرير القول أن الشريعة اسم للأحكام العملية وأما أخص من كلمة (الدين) وإنما تدخل في مسمى الدين من حيث أن العامل بما يدين الله تعالى بعمله ويخضع له ويتوجه إليه مبتغياً مرضاته وثوابه بإذنه.

والآية نص في أن شرع من قبلنا ليس شرع لنا مطلقاً سواء كانت اللام في قوله "لكل جعلنا" للاختصاص الحصري أم لا، خلافاً لمن قال به محتجين بقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ﴾ وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ﴾ الآية وما في معناها،



فأما الآية الأولى فقد بين ما شرعه تعالى فيها من التوصية وهو قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ فهذه وصية الله إلى الأمم على السنة جميع الرسل فهي لا تدل على اتحاد شرائعهم بل على خطر الاختلاف في الدين لأن الدين نزل لإزالة الخلاف الضار وإصلاح الأمة فالاختلاف فيه يجعل الإصلاح إفساداً والدواء داءً ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ولو كانت الآية عامية في الدين والشرعية لكان معناها أن ما شرعه الله لنا هو عين ما شرعه لنوح والبيّن من بعده ولم يكن معناها أننا مخاطبون بالأحكام العملية التي شرعها الله لقوم نوح ومن بعده وكون ما شرعه لنا هو عين ما شرعه لهم مناقض لقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ وكيف يتصور عاقل أن يكون المراد من الآية أن كل ما شرعه الله لقوم نوح هو شرع لنا إذا لم يرد في شريعتنا ما ينسخه، وهو خبر لا فائدة فيه إذ لا علم لنا بما شرعه تعالى لقوم نوح وكلام الله مزره عن العبث.

وأما قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فِيهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ فقد جاء بعد ذكر هدايته تعالى لطائفة من الأنبياء والمرسلين فلا يمكن أن يراد به العمل بشرائعهم العملية لعدم إعلانه تعالى بها وعدم الثقة بإعلام غيره - إن وجد - ولاختلافها ونسخ بعضها بعضاً . والصواب أن المراد بالافتداء هنا: موافقة سنتهم وسيرتهم في دعوة أقوامهم إلى الدين والصبر على أذاهم ونحو ذلك من خلائقهم الحسنة التي بينها الله تعالى في سيرتهم كما قال: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ . ولو دلت هذه الآية على أن شرع من قبلنا شرع لنا لدل عليها قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أيضاً، ولكننا مأمورين بأن نتبع من دون النبيين من الصديقين والشهداء والصالحين في جميع أحكام شرائعهم وجزئيات أعمالهم، كلا إن المراد بالهداية في هذا الباب: هداية القلوب بما وفقها الله له من الإخلاص ونور البصيرة، وحب الحق والخير وتحريمهما في العلم والعمل والوقوف عند حدود الله تعالى، فهم بهذا كانوا مهتدين وهذا هدايتهم وصراتهم، لا أحكام الشرائع التي حُوطب بها من عمل بها ومن لم يعمل".

وجملة القول: أن دين الله تعالى على ألسنة أنبيائه واحد في أصوله ومقاصده وهي توحيد الله وتربيته وإثبات صفات الكمال له والإخلاص له في الأعمال والإيمان باليوم الآخر والاستعداد له بالعمل الصالح. وأما الشرائع فهي مختلفة، وشرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، وموافقته لبعض الشرائع في بعض الأحكام كموافقته لبعض القوانين الوضعية في كونها لا يصح أن تكون سبباً لشرعها لنا، كما لا يصح أن تكون مانعاً، فإنما كنا مخاطبين بهذه الأحكام بزولها علينا لا بكونها شرعت لمن قبلنا، وما قال من قال: أن شرع من قبلنا شرع لنا إلا لعدم التفرقة بين أصل الدين والملة وبين الشريعة، لأن الجمهور يستخدم هذه الألفاظ استعمال المترادفات والتحقيق الفرق - كما قال قتادة - وعرفت تفصيله، يدل على ذلك ما ورد في (ملة إبراهيم) فإن الله تعالى سمي الإسلام ملة وأمر النبي ﷺ باتباع ملة إبراهيم وامتن على العرب بأنه أمرهم بملة أبيهم إبراهيم قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ وقال: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ فهذا هو الإسلام وهو بيان لملة إبراهيم الحنيفية السمحة التي كان عليها سائر الأنبياء من ذريته ومن قبله أيضاً، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وأما قوله تعالى في آخر سورة الحج: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ فالظاهر أن قوله فيه (ملة إبراهيم) منصوب على الاختصاص أي: الزموا ملة أبيكم إبراهيم وهي التوحيد الخالص والإخلاص لله الذي هو معنى الإسلام، وعلم منه أن لفظ الملة يُراد به أصل الدين وجوهره دون ما يتبع

ذلك من الشرائع وتفاصيل الأحكام، ومنه قول العلماء: (الكفر ملة واحدة) مع الجزم أن شرائع الكفار مختلفة متعددة<sup>(١)</sup>.

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله): "وكون شرع من قبلنا الثابت بشرعنا شرعاً لنا إلا بدليل على النسخ هو مذهب الجمهور، منهم مالك وأبو حنيفة وأحمد في أشهر الروايتين، وخالف الإمام الشافعي (رحمه الله) في أصح الروايات عنه فقال: وكون شرع من قبلنا الثابت بشرعنا ليس شرعاً لنا إلا بنص من شرعنا على أنه مشروع لنا، واستدل بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وحمل الهدى في قوله تعالى: ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ والدين في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ على خصوص الأصول التي هي التوحيد دون الفروع العملية، لأنه تعالى قال في العقائد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وقال: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَانِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، وقال في الفروع العملية: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ فدل ذلك على اتفاقهم في الأصول واختلافهم في الفروع كما قال ﷺ: "إنا معشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد".

غير أن الشنقيطي (رحمه الله) لم يُسلم بما ذكره العلماء قبله فقال: "أما حمل الهدى في آية: ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ والدين في آية ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ على خصوص التوحيد دون الفروع العملية فهو غير مُسلم، أما الأول: فلما أخرجه البخاري في صحيحه في تفسير سورة (ص) عن مجاهد أنه سأل ابن عباس: من أين أخذت السجدة في (ص)؟ فقال: أو ما تقرأ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ﴾، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ. فهذا نص صحيح صريح عن ابن عباس أن النبي ﷺ أدخل سجود التلاوة في الهدى في قوله تعالى: ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ ومعلوم أن سجود التلاوة فرع من الفروع لا أصل من الأصول، وأما الثاني: فلأن النبي ﷺ صرح في حديث جبريل الصحيح

المشهور أن اسم (الدين) يتناول الإسلام والإيمان والإحسان حيث قال: " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ وقال: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ .

وَصَرَّحَ ﷺ في الحديث المذكور بأن الإسلام يشمل الأمور العملية كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وفي حديث ابن عمر المتفق عليه: بُني الإسلام على خمس " ولم يقل أحد أن الإسلام هو خصوص العقائد دون الأمور العملية، فدل على أن الدين لا يختص بذلك في قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا... ﴾ الآية، وهو ظاهر جداً لأن خير ما يُفسر به القرآن هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وحاصل تحرير المقام في مسألة (شرع من قبلنا) أن لها واسطة وطرفين، طرف يكون فيه شرعاً لنا إجماعاً وهو ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا ثم يُبين لنا في شرعنا أنه شرع لنا كالقصاص، فإنه ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا في قوله تعالى: ﴿ وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ التَّفْسَ بِالتَّفْسِ ﴾ و يُبين لنا في شرعنا أنه مشروع لنا في قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِيهِ الْقَتْلَى ﴾ . وطرف يكون فيه غير شرع لنا إجماعاً، وهو أمران:

أحدهما: ما لم يثبت بشرعنا أصلاً أنه كان شرعاً لمن قبلنا، كما تَلَقَى من الإسرائيليات، لأن النبي ﷺ هانا عن تصديقهم وتكذيبهم فيها، وما هانا ﷺ عن تصديقه لا يكون مشروعاً لنا إجماعاً.

والثاني: ما ثبت في شرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا و يُبين لنا في شرعنا أنه غير مشروع لنا، كالأصار والأغلال التي كانت على من قبلنا، لأن الله وضعها هنا كما قال تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ لما قرأ: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ أن الله قال: "قد فعلت"، ومن تلك الأصار التي وضعها الله على لسان نبينا ﷺ : ما وقع لعبد العجل حيث لم تقبل توبتهم إلا بتقديم أنفسهم للقتل كما قال تعالى: ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

والواسطة: هي محل الخلاف بين العلماء، وهي ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا ولم يُبين لنا في شرعنا أنه مشروع لنا ولا غير مشروع لنا، وهو الذي قدمنا أن التحقيق كونه شرعاً لنا وهو مذهب الجمهور وقد رأيت أدلتهم عليه".<sup>(١)</sup>

وأخلص مما سبق إلى أمور هامة وهي:

- (١) أن دين الله عز وجل على ألسنة أنبيائه واحد في أصوله ومقاصده، أما الشرائع فمختلفة بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- (٢) أن اتفاق العقيدة لا يعني عدم الاختلاف في الشرائع.
- (٣) أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، وموافقته لبعض الشرائع في بعض الأحكام لا يعني أنه شرع لنا، بل أننا مخاطبين بهذه الأحكام بترؤلها علينا وفعل نينا لها أو إقراره بملا لا بكونها شرعت لمن قبلنا.

## الفصل الرابع تفاضل الأنبياء

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** النصوص المثبتة لتفاضل الأنبياء، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** النصوص المثبتة لتفاضل الأنبياء.

**المطلب الثاني:** أفضل الأنبياء والرسول.

**المطلب الثالث:** بم يتفاضل الأنبياء والرسول؟

**المبحث الثاني:** ما جاء من النهي عن التفضيل بين الأنبياء.

**المبحث الثالث:** تحقيق القول في تفاضل الأنبياء.

## المبحث الأول النصوص المثبتة لتفاضل الأنبياء

بين الله عز وجل فضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على سائر البشر، فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٣)</sup>

وقد اختارهم الله عز وجل بحكمته وعلمه واصطفاهم على سائر البشر وجعلهم أهلاً لهذا الاصطفاء، فهم أئمة الخير ومصايح الدجى، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وهم أبر الناس قلوباً وأرقهم طباعاً وأعمقهم علماً وأكثرهم خشية لله وأشدهم في سبيله تحملاً قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(٥)</sup>

وقريب منه قوله ﷺ عن أبي بكر وعمر: "هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين".<sup>(٦)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في تعريفه للولي: "الموافق التابع له فيما يحبه ويرضاه ويغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، وأفضل أولياء الله أنبياءه".<sup>(٧)</sup>

(١) الحج / ٧٥.

(٢) الأنعام / ٨٣ - ٨٦.

(٣) النساء / ٦٩.

(٤) الأنبياء / ٧٣.

(٥) الأنعام / ١٢٤.

(٦) رواه الترمذي / كتاب المناقب / باب ٥٣ / وهو في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير للألباني / ج ٢ / ص ١٣٩.

(٧) مجموع الفتاوى / ج ١١ / ص ١٦١.

ومن ذلك الفضل وعظيم المترلة التي خص الله الأنبياء بما على غيرهم من البشر، إلا أنهم ليسوا جميعاً بدرجة واحدة ، بل هم متفاوتون في الفضل كما دل على ذلك ظاهر القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن المعصوم عليه السلام . هذا ما أردت بيانه والجمع بينه وبين ما ورد من النصوص في النهي عن التفضيل بين الأنبياء، والله المستعان.



## المطلب الأول

### النصوص المثبتة لتفاضل الأنبياء

دلت نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة على أن هناك تفاوتاً بين الأنبياء، فليسوا جميعاً في درجة واحدة وإن استووا في أصل الاختيار والوحي والتبليغ وأنهم جميعاً أفضل البشر، وهذا قد أجمعت عليه الأمة<sup>(١)</sup>، ومما يدل على ذلك:

قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾<sup>(٢)</sup>  
وقال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾<sup>(٣)</sup>

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (رحمه الله) عند الآية الأولى: "يخبر الباري أنه فاوت بين الرسل في الفضائل الجليلة والتخصيصات الجميلة بحسب ما من الله به عليهم وقاموا به من الإيمان الكامل واليقين الراسخ والأخلاق العالية والآداب السامية والدعوة والتعليم والنفع العميم، فمنهم من اتخذ الله خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، ومنهم من رفعه فوق الخلائق درجات، وجميعهم لا سبيل لأحد من البشر إلى الوصول لفضلهم الشامخ. وخص الله عيسى ابن مريم أن آتاه البيّنات الدالة على أنه رسول الله حقاً وعبيده صدقاً، وأن ما جاء به من عند الله كله حق، فجعله يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وأيده بروح القدس أي: بروح الإيمان فجعل روحانيته فائقة روحانية غيره، فحصل له بذلك القوة والتأييد، وإن كان أصل التأييد بهذه الروح عاماً لكل مؤمن بحسب إيمانه كما قال: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ لكن ما لعيسى أعظم مما لغيره لهذا خصه الله بالذكر، وقيل إن روح القدس هو جبريل أيده الله بإعانتته ومؤازرته، لكن المعنى الأصح هو الأول." <sup>(٤)</sup>

(١) انظر الرسل والرسالات/ ص ٢١٧، ومنهج الإمام الشوكاني في العقيدة/ ص ٦٥٤.

(٢) البقرة / ٢٥٣.

(٣) الإسراء / ٥٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ ص ٩١.

وقال (رحمه الله) عند الآية الثانية ، عند أولها وهو قول الله عز وجل: ﴿ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : " من جميع الخلائق، فيعطي كلاً منهم ما يستحق وتقتضيه حكمته، ويفضل بعضهم على بعض في جميع الخصال الحسية والمعنوية، كما فضل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض بالفضائل والخصائص الراجعة إلى ما من به عليهم من الأوصاف المدوحة والأخلاق المرضية والأعمال الصالحة وكثرة الأتباع ونزول الكتب على بعضهم المشتملة على الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، كما أنزل على داوود زبوراً وهو الكتاب المعروف".<sup>(١)</sup>

وقال الشوكاني (رحمه الله) عند الآية الأولى: " والمراد بتفضيل بعضهم على بعض: أن الله سبحانه وتعالى جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر فكان الأكثر مزايا فاضلاً والآخر مفضولاً، وكما دلت هذه الآية على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض، كذلك دلت الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ أي أن هذا التفضيل على علم منه بمن هو أعلى رتبة ومن دونه ومن يستحق مزيد الخصوصية بتكثير فضائله وفواضله، وقد اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وجعل عيسى كلمته وروحه، وجعل لسليمان مُلكاً عظيماً، وغفر محمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر وجعله سيد ولد آدم. وفي هذه الآية دفع لما كان ينكره الكفار مما يحكيه رسول الله ﷺ من ارتفاع درجته عند الله عز وجل".<sup>(٢)</sup>

ومما يدل من السنة على أن الأنبياء ليسوا بدرجة واحدة من الفضل والمكانة، بل متفاوتون في مراتبهم ودرجاتهم: ما جاء على لسان نبينا محمد ﷺ في حديث الإسراء<sup>(٣)</sup> وحديث الشفاعة<sup>(٤)</sup> الطويلين.

(١) المصدر السابق / ص ٤١٢.

(٢) مهج الإمام الشوكاني في العقيدة / ص ٦٥٣، ٦٥٤.

(٣) انظر الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب: ذكر إدريس عليه السلام، وانظر كتاب الأنبياء / باب: (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً).

(٤) انظر الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)، وانظر كتاب التفسير / باب: (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً).

كذلك مما يدل على ذلك قوله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر".<sup>(١)</sup>

وفي حديث آخر: "أنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعني فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على ربي ولا فخر".<sup>(٢)</sup>

وأخرج المناوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلال الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري".<sup>(٣)</sup>

و عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرجع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نمة وقال: "أنا سيد الناس يوم القيامة.."<sup>(٤)</sup> الحديث.

و عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون".<sup>(٥)</sup>

(١) صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي / ج ١٣ / ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢) المصدر السابق / ج ١٣ / ص ١٠٣.

(٣) فيض القدير / ج ٥ / ص ٢٢٨٩.

(٤) انظر الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)، وانظر كتاب التفسير / باب: (ذرية من حللنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي / ج ٥ / كتاب المساجد ومواضع الصلاة. وذكره ابن أبي العز في شرح الطحاوية / ج ١ / ص ١٥٧، م قال المحقق: هو في صحيح مسلم وأخرجه الترمذي وأحمد والبخاري من حديث أبي هريرة.

## المطلب الثاني

### أفضل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

أما عن أفضل أنبياء الله ورسله فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) وأفضل أولياء الله هم أنبيأؤه وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم وأفضل المرسلين أولو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ، وأفضل أولى العزم محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا وخطبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغطه به الأولون والآخرون وصاحب لواء الحمد وصاحب الحوض المورود وشفيع الخلائق يوم القيامة وصاحب الوسيلة والفضيلة الذي بعثه بأفضل كنهه وشرع له أفضل شرائع دينه وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس . وجمع له ولأمته من الفضائل والחסن ما فرقه فيمن قبلهم قال ﷺ: " أنا أول من تنشق عنه الأرض " وقال ﷺ: " آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت فأقول أنا محمد فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك".<sup>(١)</sup>

وقال السفاريني (رحمه الله) : " وقد اختلف العلماء فيمن يلي النبي ﷺ في الفضيلة منهم - أي من أولى العزم - والمشهور : أنه إبراهيم خليل الرحمن لما ورد أن إبراهيم عليه السلام خير البرية خص منه محمد ﷺ بالإجماع فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عليهم السلام والثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين قال الحافظ ابن حجر : " لم أقف على نقل أيهم أفضل والذي يتقدم في النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم السلام ثم بعد أولي العزم فالواجب اعتقاد أن يليهم في الأفضلية سائر (الرسل) المكرمين بالرسالة منهم أفضل من الأنبياء عليهم السلام وبه يعلم أن الرسالة أفضل من النبوة ولو في شخص واحد، ثم الأفضل بعد الرسل الكرام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم متفلقون

في الفضيلة وبعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ﴾ فهذا واجب الاعتقاد تفصيلاً في من علم منهم وعلم حكمه وتفصيلاً ولو بدليل ظني صحيح وإجمالاً فيما علم منهم وعلم حكمه إجمالاً<sup>(١)</sup>.

وقال الشوكاني (رحمه الله تعالى) عند قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup> ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بأن لهم مزيد شرف وفضل لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومن أولي العزم من الرسل وتقديم ذكر نبينا ﷺ مع تأخر زمانه فيه من التشريف له والتعظيم مالا يخفى<sup>(٣)</sup>.

وقال حافظ الحكمي (رحمه الله) عند حديثه عن محمد ﷺ: " ( هو ) أفضل الخلق على الإطلاق بلا استثناء قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ قال أئمة التفسير من الصحابة فمن بعدهم: هو محمد ﷺ وقد أخذ الله عز وجل على جميع الرسل الميثاق في الإيمان به ونصرته وبشر به كل نبي قومه وبعث إلى الجن والأنس والأسود والأحمر كافة وأتى في الدنيا من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله . وقد ظهرت فضيلته ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إماماً وعلوه فوق الجميع مقاماً حتى جاور السبع الطباق إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله عز وجل وأختص ﷺ بأشياء آخر في سماحة شريعته ووضع الآصار عن أمته وكونه أكثرهم تابعاً وكذلك يبدو فضله في الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع وأول من يفتح باب الجنة وأول من يدخلها من الأمم أمته "<sup>(٤)</sup>.

(١) مختصر لواع الأنوار/ص ٤٦٩.

(٢) الشورى / ١٣.

(٣) منہج الإمام الشوكاني في العقيدة /ص ٦٥٤.

(٤) معارج القبول / ج ٢ / ٥١٨، ٥١٩، بتصرف.

## المطلب الثالث

### بم يتفاضل الأنبياء والرسل ( عليهم الصلاة والسلام )

كما سبق ذكره يتبين لنا أن الله فضل بعض الأنبياء على بعض بأمر ذكرته في القرآن الكريم وقد ذكر محمود رشيد رضا بعضها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ حيث قال: "والصريح بهذا التفضيل وذكر بعض المفضلين يشبه أن يكون استدراكاً مع ما ذكر في الآيات السابقة من إتياءه تعالى داود الملك والحكمة وتعليمه مما يشاء ، فهو يقول أنهم كلهم رسل الله فهم حقيقون بأن يتبعوا ويقتدى بهداهم وإن امتلز بعضهم على بعض بما شاء الله من الخصائص في أنفسهم وفي شرائعهم وأممهم، وقد بين هذا التفضيل في بعض المفضلين فقال: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ وهذا التكليم كان من الله لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى في سورة النساء: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ وفي سورة الأعراف: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ فهذه الآيات تدل على أن موسى قد حُصَّ بتكليم لم يكن لكل نبي مرسل وإن كان وحى الله تعالى عاماً لكل الرسل ويطلق عليه كلام الله تعالى قد قال الله تعالى في سورة الشورى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلَهًا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ ﴾ فجعل كلامه لرسله ثلاثة أنواع والظاهر أن تكليم موسى كان من النوع الثاني . وأما قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ فذهب جماهير المفسرين إلى أن المراد به نبينا محمد ﷺ ومن هذه الدرجات ما هو خصوصية في نفسه الشريفة ومنها ما هو كتابه وشريعته ومنها ما هو في أمته . وآيات القرآن تنبئ بذلك<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور عمر الأشقر في نفس الموضوع: " الذي يتأمل في الآيتين اللتين أخبرتا بتفاضل الأنبياء والرسل يجد أن الله فضل من فضل منهم بإعطائه خيراً لم يعطيه غيره أو برفعه درجته فوق درجة غيره أو باجتهاده في عبادة الله والدعوة إليه وقيامه بالأمر الذي وكل إليه"<sup>(٢)</sup>

ثم ذكر لذلك نماذج من القرآن الكريم فقال: "فداود عليه السلام فضله الله بإعطائه الزبور: ﴿وَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ وأعطى الله موسى التوراة ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ والكتاب هو التوراة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ وَأَعطى عيسى الإنجيل ﴿وَوَقَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ وقد أختص الله آدم بأنه "أبو البشر" خلق الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له" وفضل نوحاً بأنه "أول الرسل إلى أهل الأرض وسماه الله عبداً شكوراً" وفضل إبراهيم بتخاذه خليلاً: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وجعله للناس إماماً ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وفضل الله موسى برسالاته وبكلامه: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ واصطفاه لنفسه: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ وفضل عيسى بأنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكان يكلم الناس في المهد ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (١)

ثم قال: "ويتفاضل الأنبياء من جهة أخرى فإلني قد يكون نبياً لا غير ، وقد يكون نبياً ملكاً ، وقد يكون عبداً رسولاً ونقل كلاماً لشيخ الإسلام قانلاً : " فالنبي الذي كُذِّبَ ولم يتبع ، ولم يطع ، هذا نبي وليس بملك ، أما الذي صدق ، واتبع وأطيع فإن كان لا يلأمر إلا بما أمره الله به فهو عبد نبي ليس بملك وإن كان يأمر بما يريده مباحاً له فهو نبي ملك كما قال تعالى لسليمان : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتِنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فالنبي الملك هنا قسيم العبد الرسول ، كما قيل للنبي ﷺ : " اختر إمّا عبداً رسولاً وإمّا نبياً ملكاً" ، وحال العبد الرسول أكمل من حال النبي الملك كما هو حال نبينا محمد ﷺ فإنه كان عبداً رسولاً مؤيداً مطاعاً متبوعاً وبذلك يكون له مثل أجر من اتبعه ويتنفع به الخلق ويرحموا به ويرحم بهم ولم يختر أن يكون ملكاً لئلا ينقص لما في ذلك من الاستمتاع بالرياسة والمال عن نصيبه في الآخرة ، فالعبد الرسول أفضل عند الله من النبي الملك ولهذا كان أمر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم أفضل عند الله من داود وسليمان ويوسف" (٢)

## المبحث الثاني

### ما جاء من النهي عن التفضيل بين الأنبياء

وكما قرر الشرع فضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على سائر البشر وقرر التفاضل بين الأنبياء ، قرر كذلك قضية هامة وهي: (النهي عن المفاضلة بين الأنبياء) فما هي النصوص التي ورد فيها ذلك؟ وما هي درجة ثبوتها؟ هذا ما قصدت بيانه هنا، والله المستعان.



## النصوص الدالة على النهي عن المفاضلة بين الأنبياء

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "الناس يصعدون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور".<sup>(١)</sup>

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا. فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي، فقال: "لم لطمت وجهه؟" فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى روي في وجهه ثم قال: "لا تفضلوا بين أولياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث فإذا موسى أخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي؟"<sup>(٢)</sup>

قال ابن حجر (رحمه الله): "وفي آخر هذه الرواية: "ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى" ثم قال: "وقد وقع في حديث عبدالله بن جعفر عند الطبراني بلفظ: "لا ينبغي لعبد أن يقول.. إلخ".<sup>(٣)</sup>

وعن عبدالله (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: "لا يقولن أحدكم إني خير من يونس".<sup>(٤)</sup>

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى"، ونسبه إلى أبيه.<sup>(٥)</sup>

قال ابن حجر (رحمه الله): "وفي رواية للطبراني في حديث ابن عباس: "ما ينبغي لأحد أن يقول أنا عند الله خير من يونس"<sup>(٦)</sup>،

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر...) الآية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين).

(٣) الفتح / ج ٦ / ص ٥٢٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين).

(٥) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين).

(٦) الفتح / ج ٦ / ص ٥٢٠.

وفي رواية عن عبدالله عند البخاري: "ما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى" (١) وعن أبي هريرة بلفظ: "من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب". (٢)

وذكر ابن كثير (رحمه الله) الرواية السابقة باختلاف يسير ونسبها إلى الصحيحين فقلل عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال: أي خبيث، وعلى محمد ﷺ؟ فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى على المسلم، فقال رسول الله ﷺ: "لا تفضلوني على الأنبياء، فإن الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور، فلا تفضلوني على الأنبياء" وفي رواية: "لا تفضلوا على الأنبياء". (٣)

كما روي عن أبي هريرة بلفظ: "لا تخبروني على موسى". (٤)  
وروي كذلك عنه بلفظ: "لا تفضلوني على موسى". (٥).

وفي رواية أبي الفضل: "لا تفضلوا بين الأنبياء". (٦)

وفي حديث أبي سعيد بلفظ: "لا تخبروا بين الأنبياء". (٧)

وذكر ابن كثير (رحمه الله) رواية أخرى لهذا الحديث، وهي قوله ﷺ: "لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس ابن متى" (٨). (٩)

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب التفسير / باب (إنا أوحينا إليك...) إلى قوله (ويونس وهارون وسليمان).

(٢) رواه البخاري في صحيحه / كتاب التفسير / باب (إنا أوحينا إليك...) إلى قوله (ويونس وهارون وسليمان).

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٣٠٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الخصومات / باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي

ورواه أبو داود في سننه ، وانظر الفتح / ج ٧ / ص ٨٥.

(٥) رواه أحمد في مسنده في مرويات أنس سعيد الخدري وابن عباس، وذكره ابن حجر في الفتح / ج ٧ / ص ٨٦.

(٦) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

(٧) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، وأحمد في مسنده في مرويات أبي سعيد الخدري.

(٨) البداية والنهاية / مج ١ / ج ١ / ص ٢٢٢.

(٩) وقد حُرِّجَ هذه الأحاديث بطرقها الشيخ ناصر الدين الألباني في شرح العقيدة الطحاوية / ص ١٦٠ - ١٦٢.

## المبحث الثالث

### تحقيق القول في تفاضل الأنبياء

ذكرت فيما سبق مسألتين وهما:

الأولى: تقرير تفاوت الأنبياء عليهم السلام في الفضل، رغم أنهم أفضل البشر على الإطلاق.

الثانية: النهي عن التفضيل بينهم.

والمسألان ظاهرهما التعارض، وهنا سوف أستعرض اجتهاد العلماء (رحمهم الله تعالى)

في الجمع بين النصوص السابقة، والله المستعان.

كلام العلماء (رحمهم الله تعالى) في الجمع بين النصوص الواردة في مسألة تقرير

التفضيل بين الأنبياء والنهي عنا المفاضلة:

قال ابن كثير (رحمه الله): " فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية - أي قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ - وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين فرجع المسلم يده فلطم بها وجهه اليهودي فقال: أي خيث؟ وعلى محمد ﷺ؟ فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى على المسلم فقال رسول الله ﷺ: " لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الأنبياء" وفي رواية "لا تفضلوا بين الأنبياء" فالجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظر،

الثاني: أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع

الثالث: أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند الخصام

والتشاجر

الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصية

الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل وعليكم الانقياد والتسليم له

والإيمان به. (١)

وقال (رحمه الله) عند قوله تعالى: ﴿ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾: " وكما قال تعالى ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: " لا تفضلوا بين الأنبياء" فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد الشهى والعصية لا بمقتضى الدليل فإذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه ولا

خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء وأن أولي العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصا في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ وفي الشورى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ولا خلاف أن محمدا ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور<sup>(١)</sup>.

وقال (رحمه الله) عند حديثه عن فضل يونس: "قال الله تعالى ﴿وَإِنْ يُؤْتِسِرَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ وذكره الله تعالى في جملة الأنبياء الكرام في سورتي النساء والأنعام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام"<sup>(٢)</sup>. ثم ذكر بعد ذلك الروايات التي وردت عند البخاري ومسلم وأحمد والطبراني والتي جاءت في شأن يونس بن متى عليه السلام، ثم قال: "أي ليس لأحد أن يفضل نفسه على يونس، والقول الآخر لا ينبغي لأحد أن يفضلني على يونس بن متى، كما قد ورد في بعض الأحاديث: "لا تفضلوني على الأنبياء" وهذا من باب الهضم والتواضع منه صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله والمرسلين"<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن أبي العز الحنفي (رحمه الله) عند قول الطحاوي: "وسيد المرسلين"، قال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأنا أول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع"، فإن قيل يشكل على هذا قوله ﷺ: "لا تفضلوني على موسى، فإن الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشاً بساق العرش، فلا أدري هل أفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله"، فالجواب: أن هذا كان له سبب، فإنه كان قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه المسلم وقال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي ﷺ هذا، لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصية وهوى النفس كان مذموماً، بل نفس الجهاد إذا كان قاتل الرجل

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٤٦.

(٢) البداية والنهاية / مج ١ / ج ١ / ص ٢٢١.

(٣) المصدر السابق / مج ١ / ج ١ / ص ٢٢١-٢٢٢.

حجة وعصية كان مذموماً، فإن الله حرم الفخر وقد قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَهُ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ فَعَلِمَ أَنَّ الْمَذْمُومَ هُوَ التَّفْضِيلُ عَلَى وَجْهِ الْفَخْرِ أَوْ عَلَى وَجْهِ الْإِنْتِقَاصِ بِالْمَفْضُولِ، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ أَيْضاً قَوْلُهُ ﷺ: "لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ"، وَقَدْ أَجَابَ بَعْضُهُمْ بِجَوَابٍ آخَرَ وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: "لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ" هُوَ فِي عَنِ التَّفْضِيلِ الْخَاصِّ، أَي: لَا يُفْضَلُ بَعْضُ الرُّسُلِ عَلَى بَعْضٍ بِعَيْنِهِ، بِخِلَافِ قَوْلِهِ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ" فَإِنَّهُ تَفْضِيلٌ عَامٌ فَلَا يُنْعَمُ مِنْهُ". (١)

ثم قال (رحمه الله) فيما ورد من النهي عن التفضيل على يونس: "وأما ما يُروى أن النبي ﷺ قال: "لا تفضلوني على يونس" فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يُعتمد عليها، وإنما اللفظ الذي في الصحيح "لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى" وفي رواية "من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب" وهذا اللفظ يسدل على العموم، أي: لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، ليس فيه هي المسلمين أن يفضلوا محمداً على يونس، وذلك لأن الله تعالى أخبر عنه أنه التقمه الخوت وهو مليم أي: فاعل ما يلام عليه، وقال تعالى: ﴿ وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس فلا يحتاج إلى هذا المقام إذ لا يفعل ما يلام عليه، ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس كما قال أول الأنبياء وآخريهم، فأولهم آدم قد قال: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وآخريهم وأفضلهم وخاتمهم وسيدهم محمد ﷺ قال في الحديث الصحيح حديث الاستفتاح من رواية علي بن أبي طالب وغيره بعد قوله: "وجهت وجهي... إلى آخره" اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر ذنوبي جميعاً لا يغفر الذنوب إلا أنت" إلى آخر الحديث، وكذا قال موسى، وليس للأفضل أن يفخر على من دونه فكيف إذا لم يكن أفضل، فإن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، وقوله: "من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب" فإنه لو قُدِّرَ أنه كان أفضل

فهذا الكلام يصير نقصاً فيكون كاذباً، وهذا لا يقوله نبي كريم بل هو تقدير مطلق أي: من قال هذا فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتْ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وإن كان معصوماً من الشرك، لكن الوعد والوعيد لبيان مقادير الأعمال. وإنما أخبر ﷺ أنه "سيد ولد آدم" لأنه لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله ﷺ ولهذا أتبعه بقوله: "ولا فخر" كما جاء في رواية<sup>(١)</sup>.

ونقل الشيخ حافظ الحكمي (رحمه الله) كلام النووي في الروايتين فقال: "قال (رحمه الله): وفي الحديث الأول: قوله ﷺ " لا تفضلوا بين أنبياء الله" جواب من خمسة أوجه: أحدها: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به، والثاني: قاله أدباً وتواضعاً، والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضل، والرابع: إنما فهمي عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة، كما هو المشهور في سبب الحديث، والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة، فلا تفاضل فيها وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى.

وروى ابن كثير (رحمه الله تعالى) وجهاً آخر وهو: أن التفضيل ليس إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل وعليكم الانقياد له والتسليم والإيمان به.

قلتُ (قول الشيخ حافظ): الوجه الأول من كلام النووي ضعيف، والثاني والخامس فيهما نظر، والرابع قريب، ويقوى عندي الوجه الثالث مع ما ذكره ابن كثير، فليس التفضيل بالرأي ومجرد العصبية ولا بما يلزم منه تنقص المفضل والخط من قدره، كل هذا وما في معناه محرم قطعاً منهى عنه شرعاً وهو الذي غضب منه رسول الله ﷺ ولو لم يقصده ذلك الأنصاري (رضي الله عنه)، فغضب النبي ﷺ ونهيه عن ذلك تعليم عام للأمة وزجر بليغ لجمعهم كيلا يقع ذلك أو يصدر عن أحد منهم فيهلك، وأما التفضيل بما أكرمه الله عز وجل ورفع به درجته ونوه في الوحي بشرفه من الفضائل الشرعية والأخروية وغير ذلك

لما شهد الله تعالى به ورسوله ﷺ فهو الذي يجب اعتقاده والإيمان به والتصديق والانقياد له والتسليم، فلا يُؤخذ علم ما يختص بالله ورسوله إلا عن الله وعن رسوله ﷺ".<sup>(١)</sup>

كما أنه قد نقل (رحمه الله) كلام النووي أيضاً في حديث النهي عن التفضيل على يونس بن متى، فقال: "وقال النووي (رحمه الله تعالى) فيما قاله ﷺ في شأن يونس أنه ﷺ قال هذا زاجراً عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن من قصته، قال العلماء: وما جرى ليونس ﷺ لم يحط من درجة النبوة مثقال ذرة، وخصص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذكر. وأما قول ﷺ: "ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس" فالضمير قيل يعود إلى النبي ﷺ وقيل يعود إلى القائل، أي: لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادة أو غير ذلك من الفضائل، فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة، ويؤيد هذا التأويل الرواية التي فيها قوله ﷺ: "لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر (رحمه الله): "قال العلماء في فيه ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء: إنما هي عن ذلك من يقول برأيه لا من يقول بدليل أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يُترك للمفضول فضيلة، فالإمام مثلاً إذا قلنا أنه أفضل من المؤذن لا يستلزم نقص فضيلة المؤذن بالنسبة إلى الأذان، وقيل: النهي عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها كقوله تعالى: ﴿لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض لقوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وقال الحلبي: الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة، لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الأزدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر، فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي"<sup>(٣)</sup>.

(١) معارج القبول / ج ٢ / ص ٥٢٠-٥٢١، بتصرف. نقلاً عن صحيح مسلم بشرح النووي / مج ٥ / ص ١٥٥ / ج ٣٨، ص ٣٨.

(٢) المصدر السابق / ج ٢ / ص ٥٢١، ٥٢٢. نقلاً عن صحيح مسلم بشرح النووي / مج ٥ / ص ١٥٥ / ج ٣٢٢.

(٣) الفتح / ج ٦ / ص ٥١٤.



أما عن الأحاديث التي وردت بشأن يونس عليه السلام فيقول ابن حجر (رحمه الله) بعد إيراده لرواية ابن عباس: " لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس (ين) متى" ورواية أبي هريرة: " ولا أقول أن أحداً أفضل من يونس بن متى"، يقول: " وقد وقع في حديث عبد الله بن جعفر عند الطبراني الواردة بلفظ: " لا ينبغي لني أن يقول.. إلخ" وهذا يؤيد أن قوله في الطريق الأولى: (إني) المراد بها النبي ﷺ، وفي رواية للطبراني في حديث ابن عباس: " ما ينبغي لأحد أن يقول أنا عند الله خير من يونس" وفي رواية للطحاوي: " أنه سبحانه في الظلمات" فأشار إلى الخبرية المذكورة<sup>(١)</sup>.

غير أنه قال في موضع آخر عند قوله ﷺ: " ما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى" يُحتمل أن يكون المراد أن العبد القائل هو الذي لا ينبغي له أن يقول ذلك، ويُحتمل المراد بقوله: (أنا) رسول الله ﷺ وقاله تواضعاً، ودل حديث أبي هريرة: " من قلل أنا خير من يونس بن متى فقد كذب" على أن الاحتمال الأول أولى<sup>(٢)</sup>.

وللشوكاني (رحمه الله) في هذه القضية اجتهاد لم يذهب إليه أحد من العلماء، حيث قال بعد نقله لأقوال بعض الأئمة في الجمع بين النصوص السابقة: " وفي جميع هذه الأقوال ضعف، وعندي أنه لا تعارض بين القرآن والسنة، فإن القرآن دل على أن الله فضل بعض أنبيائه على بعض وذلك لا يستلزم أنه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض فإن المزاي التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله لا تخفى عليه منها خافية وليست بمعلومة عند البشر، فقد يجهل أتباع نبي من الأنبياء بعض مزاياه وخصوصياته فضلاً عن مزايا غيره، والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلاً وهذا مفضولاً، لا قبل العلم ببعضها أو بأكثرها أو بأقلها فإن ذلك تفضيل بالجهل وإقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له وهو ممنوع منه، فلو فرضنا أنه لم يرد في القرآن الإخبار لنا بأن الله فضل بعض أنبيائه على بعض لم يكن فيه دليل على أنه يجوز للبشر أن يفضلوا بين الأنبياء، فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك، وإذا عرفت هذا علمت أنه لا تعارض بين القرآن والسنة بوجه

من الوجوه، فالقرآن فيه الإخبار من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض والسنة فيها النهي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه، فمن تعرّض للجمع بينهما زاعماً أنهما متعارضان فقد غلط غلطاً بيناً<sup>(١)</sup>.

الجمع بين ما ورد من التفضيل بين الأنبياء وبين قوله تعالى: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>:

قال ابن كثير (رحمه الله) عند قوله تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كَيْبَهُ وَكُتِبَ لَهُ وَرُسُلِهِ لَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾: "فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزل من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته"<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد رشيد رضا (رحمه الله): "قال الأستاذ الإمام - أي محمد عبده - والمعنى: أن من شأن المؤمنين أن يقولوا هذا معتقدين أنهم في الرسالة والتشريع سواء كثر قوم الرسول منهم أم قلوا وكثرت الأحكام المنزل عليهم أم قلت وتقدمت البعثة أم تأخرت، وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فإن التفضيل ليس في أصل الرسالة والوحي كما تقدم في تفسير الآية، أقول: وفي هذا مزية للمؤمنين من هذه الأمة على غيرهم من أهل الكتاب الذين يفرقون بين الله ورسله ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض

(١) انظر منهج الإمام الشوكاني في العقيدة / ص ٦٥٧.

(٢) البقرة / ٢٨٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٣٤٢.

كانهم لم يعقلوا معنى الرسالة في نفسها، إذ لو عقلوها لما فرقوا بين من أوتوها، وقد رأيت غير واحد من أذكىاء النصارى يدرك هذه المزية".<sup>(١)</sup>

وقال الشيخ ابن سعدي (رحمه الله) عند نفس الآية: "أخبر في هذه الآية أن الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين آمنوا بهذه الأصول العظيمة وبجميع الرسل وجميع الكتب ولم يصنعوا صنع من آمن ببعض وكفر ببعض كحالة المتحرفين من أهل الأديان المحرفة".<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا فيتضح لنا الجمع بين الآية السابق وبين النصوص الثابتة الصحيحة الواردة في تقرير مفاضلة بعض الأنبياء على بعض بيان المراد من هذه الآية.

وأختم الحديث بكلام جيد لـ محمد علي الصابوني حيث قال: "إن المراد من التفريق بين الرسل في الآية الكريمة هو: أن يؤمن الإنسان ببعض الرسل ويكفر ببعض كما فعل أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث آمنوا برسالة بعض الأنبياء وكفروا برسالة الآخرين ففرقوا بذلك بين رسل الله تعالى، وقد بين الحق سبحانه وتعالى هذا المعنى في آيات كثيرة منها قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾، وليس المراد من التفريق بين الرسل التفضيل بينهم بدليل أن الله تعالى قد فضل بعضهم على بعض بصريح القرآن فقال عز من قائل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ فهذا المراد من الآية الكريمة قد أوضحته الآيات الأخرى كما أوضحه حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: "والذي نفسى بيده لا يسمع بي أحد من هؤلاء يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا أدخله الله النار".<sup>(٣)</sup>

(١) تفسير القرآن الحكيم / ج ٣ / ص ١٤٤.

(٢) تفسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المان / ص ١٠٠.

(٣) السورة والأنبياء للصابوني / ص ٢٢، ٢١.

## وأخلص مما سبق إلى عدة أمور أساسية:

- (١) فضل الأنبياء على البشر.
- (٢) إثبات التفاضل بين الأنبياء إذ ليسوا جميعاً على درجة واحدة من الفضل.
- (٣) أن النصوص التي ورد فيها النهي عن التفضيل بين الأنبياء إنما تختص بمن يقول ذلك بمجرد الرأي لا بدليل شرعي ثابت، أو بمن يقول ذلك على سبيل التنقص فهذا هو المنوع، والله أعلم.
- (٤) أن الأنبياء متفقون من حيث أصل اختيار الله إياهم للتبليغ عنه وهداية خلقه إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.<sup>(١)</sup>

## الباب الثاني

### صفات الأنبياء وخصائصهم

ويتكون من أربعة فصول:

**الفصل الأول:** صفات الأنبياء البشرية، وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** الأنبياء خلق من خلق الله (بشريتهم).

**المبحث الثاني:** عبادة الأنبياء.

**المبحث الثالث:** تعرض الأنبياء للبلاء.

**المبحث الرابع:** النهي عن الغلو في الأنبياء.

**الفصل الثاني:** خصائص الأنبياء، وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالنوم والرؤى.

**المبحث الثاني:** خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالموت والبعث.

**المبحث الثالث:** نصر الأنبياء على أعدائهم.

**الفصل الثالث:** الأنبياء وخوارق العادات، وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** معجزات الأنبياء.

**المبحث الثاني:** كرامات الأولياء.

**الفصل الرابع:** عصمة الأنبياء، وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** المقصود بعصمة الأنبياء.

**المبحث الثاني:** العصمة لغير الأنبياء والرد على من قال بذلك.

## الفصل الأول صفات الأنبياء البشرية

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** الأنبياء خلق من خلق الله (بشريتهم)، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** بشرية الأنبياء في القرآن والسنة.

**المطلب الثاني:** الحكمة من بشرية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

**المبحث الثاني:** عبادة الأنبياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** عبادة الأنبياء في القرآن والسنة.

**المطلب الثاني:** أثر العبادة في الثبات على طريق الدعوة إلى الله .

**المبحث الثالث:** تعرض الأنبياء للبلاء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** نماذج من تعرض الأنبياء للبلاء من القرآن والسنة.

**المطلب الثاني:** دلالة شدة البلاء.

**المبحث الرابع:** النهي عن الغلو في الأنبياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** النهي عن الغلو في الأنبياء في القرآن والسنة.

**المطلب الثاني:** أساليب الدعوة إلى الاستقامة وترك الغلو والتقصير في القرآن

الكريم.

## المبحث الأول الأنبياء خلق من خلق الله (بشريتهم)

إن من أبرز صفات الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) بشريتهم، وقد تحدثت نصوص الشريعة عن ذلك وقررت، يقول الدكتور محمد نعيم ياسين في ذلك: "يجب علينا أن نؤمن بأن الرسل جميعاً كانوا رجالاً من البشر، وأن الله سبحانه لم يخصهم بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية، وإنما اختارهم سبحانه من الرجال الذين يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق وينامون ويجلسون ويضحكون ولهم أزواج وذرية، ويتعرضون للأذى وتمتد إليهم أيدي الظلمة وينالهم الاضطهاد، وأنهم يموتون وقد يُقتلون بغير حق، وأنهم يتألمون ويصيبيهم المرض وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية بين الخلق، وقد على ذلك كثير من النصوص".<sup>(١)</sup>

لهذا المبحث علاقة لصيقة بمجال الدراسة، لذا أردت الوقوف عليه وبيانه، والله المستعان.

## المطلب الأول

### بشرية الأنبياء في القرآن والسنة

أولاً: بشرية الأنبياء في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة دلّت على بشرية الأنبياء، وأنهم رجال يأكلون ويشربون ويتزوجون، ومن ذلك:

قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير (رحمه الله) عند هذه الآية: "يقول تعالى راداً على من أنكر بعثة الرسل من البشر: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ أي: جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالاً من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ وقال تعالى: حكاية عن تقدم من الأمم لأنهم أنكروا ذلك فقالوا: ﴿ أَيْشِرْ يَهُدُونَنَا ﴾ ولهذا قال تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين آتوهم بشراً أو ملائكة وإنما كانوا بشراً وذلك من تمام نعمة الله على خلقه إذ بعث فيهم رسلاً منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم.

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ أي بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ أي: قد كانوا بشراً من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بضر لهم ولا ناقص منهم شيئاً كما توهمه المشركون في قولهم: ﴿ مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الشورى / ٥١.

(٢) الأنبياء / ٧-٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ١٧٤.



وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾<sup>(١)</sup>

وقال عن بشرية المسيح عليه السلام: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَتَى يُؤْفِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال عن بشرية محمد ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾<sup>(٣)</sup>

وقال كذلك: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾<sup>(٤)</sup>

وبين سبحانه أن ذلك أحد الأسباب الرئيسية التي صدت من الكفار عن قبول دعوة الرسل

فقال: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾<sup>(٥)</sup>

وقال عز وجل: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

وقال عز وجل: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثْنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٌ وَسُعْرٌ﴾<sup>(٧)</sup>

وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ

مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ

كَثِيرًا﴾<sup>(٨)</sup>

وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا

وَقَوْلُوا وَاسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>(٩)</sup>

(١) الرعد / ٣٨

(٢) المائدة / ٧٥

(٣) الكهف / ١١٠

(٤) الإسراء / ٩٣

(٥) الإسراء / ٩٤

(٦) إبراهيم / ١٠-١١

(٧) القمر / ٢٤

(٨) الأنعام / ٩١

(٩) النعاس / ٦

وقال: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾. (١)

كذلك نص القرآن الكريم على أن الأنبياء يقومون بأعمال البشر:

فنص على رعي موسى عليه السلام للغنم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ (٢)

كما نص على عمل داود عليه السلام وهو (الحدادة) مع أنه كان ملكاً، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (٣)

ونص القرآن كذلك على أنهم يمرضون ويموتون، قال تعالى عن خليته إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيُسْقِينِي. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ﴾ (٤)

وقال عز وجل عن عبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٥)

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (٦)

ومقتضى ما سبق من بشريتهم وتعرضهم لجميع الأعراض البشرية، أنهم ليسوا آلهة وليس فيهم من صفات الألوهية شيء، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٧)

(١) المؤمنون / ٣٣-٣٤.

(٢) طه / ١٨.

(٣) الأنبياء / ٨٠.

(٤) الشعراء / ٧٩-٨١.

(٥) الزمر / ٣٠.

(٦) آل عمران / ١٤٤.

(٧) المائدة / ١١٦-١١٧.

وقال عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup>

### ثانياً: بشرية الأنبياء في السنة المطهرة:

جاءت السنة المطهرة بأحاديث كثيرة دالة على بشرية الأنبياء وخاصة ما جاء في حق الرسول محمد ﷺ وسأورد هنا بعض النصوص الدالة على ذلك :

روى البخاري ( رحمه الله ) عن أم سلمة رضی الله عنها زوج النبي ﷺ أنها أخبرت زَيْنَبَ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ عن رسول الله ﷺ أنه سَمِعَ خُصُومَةَ بِيَابِ حُجْرَتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ فَأَقْضِيَ لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا"<sup>(٢)</sup>

وروى البخاري ( رحمه الله ) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه سمع عمر (رضي الله عنه) يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: " لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ "<sup>(٣)</sup>

ومما روي أيضاً عن علقمة قال: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَأُدرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدَتْ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ قَالَ وَمَا ذَاكَ قَالُوا صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا فَفَنَى رِجْلَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجْهِهِ قَالَ: " إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَتَبَأْتُكُمْ بِهِ وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ أَنَسَى كَمَدَ تَنْسُونَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيَتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيَسَلِّمْ ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ "<sup>(٤)</sup>

(١) آل عمران / ٧٩.

(٢) الجامع الصحيح / كتاب المظالم / إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه. ورواه مسلم في صحيحه / كتاب الأفضية /

باب الحكم بالظاهر وللحن بالحق.

(٣) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: ( واذكروا في الكتاب مريم إذ ابتهت من أهلها).

(٤) الجامع الصحيح / كتاب الصلاة / باب التوجه نحو القبلة حيث كان.

وروى مسلم ( رحمه الله ) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " اللَّهُمَّ إِنِّي اتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتَهُ شَتَمْتَهُ لَعَنْتَهُ جَلَدْتَهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١)

وفي رواية جابر بن عبد الله: " : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَيُّ عَبْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَّيْتَهُ أَوْ شَتَمْتَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا " (٢)

وفي رواية أنس بن مالك: " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ وَأَعْصَبُ كَمَا يَعْصَبُ الْبَشَرُ فَإِنَّمَا أَحَدٌ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهْرًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٣)

ومما ورد في بشرته ﷺ قول عائشة رضي الله عنها: " ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ " (٤)

وروى الحارث بن سويد عن عبد الله قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَاكَ فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَاكَ وَعَكًّا شَدِيدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَجَلُ إِنِّي أُوْعَاكَ كَمَا يُوعَاكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ" قَالَ فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَجَلُ" (٥)

وموضع الشاهد من هاتين الروایتين أنه ﷺ رجل وأنه يمرض ويموت، ولا شك أن اتصافه بذلك يعني بشرته ﷺ .

وروى مسلم عن رافع بن خديج قال: قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ التَّخْلَلَ يَقُولُونَ يُلْقِحُونَ التَّخْلَلَ فَقَالَ: " مَا تَصْنَعُونَ " قَالُوا: " كُنَّا نَصْنَعُهُ " قَالَ: " لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا " فَتَرَكُوهُ فَتَفَضَّتْ أَوْ فَتَقَصَّتْ، قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ " (٦)

(١) صحيح مسلم / كتاب الر والصلة والأداب / باب: من لعنه النبي ﷺ وسبه.

(٢) صحيح مسلم / كتاب الر والصلة والأداب / باب: من لعنه النبي ﷺ وسبه.

(٣) صحيح مسلم / كتاب الر والصلة والأداب / باب: من لعنه النبي ﷺ وسبه.

(٤) صحيح مسلم / كتاب الر والصلة والأداب / باب: ثواب المسلم فيما يصيبه.

(٥) صحيح مسلم / كتاب الر والصلة والأداب / باب: ثواب المسلم فيما يصيبه.

(٦) صحيح مسلم / كتاب الر الفضائل / باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ.

وجاء كذلك في وصف الرسول ﷺ: "كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه".<sup>(١)</sup>

وروي ابن ماجة عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً، قال: "الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى العبد على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة".<sup>(٢)</sup>

ومما ورد في بشرية موسى عليه السلام: مارواه أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) قلل: يَتِمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا جَاءَ يَهُودِيٌّ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ فَقَالَ: مَنْ، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: ادْعُوهُ، فَقَالَ: أَضْرَبْتُهُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ قُلْتُ: أَيَّ حَيْثُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَخَذْتَنِي غَضَبَةً ضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ إِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأَوْلَى".<sup>(٣)</sup>

ومن مقتضى بشريتهم أنهم يقومون بالأعمال والأشغال التي يمارسها البشر<sup>(٤)</sup>، ويدل على ذلك ما رواه البخاري (رحمه الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: "خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنُ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَيُفَسِّرُهَا فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ".<sup>(٥)</sup>

وروي البخاري كذلك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ نجيء الكباث وإن رسول الله ﷺ قال: "عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه"، قالوا: أكنت ترعى الغنم، قال: "وهل من نبي إلا وقد رعاها".<sup>(٦)</sup>

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد / باب ما يفعله الرجل في بيته. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة / ج ٢ / حديث رقم (٦٧١).

(٢) صحيح سنن ابن ماجة / كتاب الفتن / باب الصبر على البلاء.

(٣) الجامع الصحيح / كتاب الحصوصات / باب ما يُذكر في الإنحصاص والخصومة بين المسلم واليهودي. وانظر كتاب التفسير /

سورة الأعراف، وانظر كذلك / كتاب الأنبياء / باب وفاة موسى، وباب قول الله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين).

(٤) الرسل والرسالات / ص ٧٦.

(٥) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: (واتينا داود زبوراً).

(٦) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: (يعكفون على أصنامهم).

## المطلب الثاني

### الحكمة من بشرية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

تقرر من نصوص الشريعة السابقة بشرية الأنبياء، وقد بين القرآن الكريم اعتراض أعداء الرسل على ذلك وبين أنه قد كان من أعظم أسباب امتناعهم عن إجابة الأنبياء وصددهم عنها. وذكر القرآن كذلك اقتراحهم بأن يكون الرسل من الملائكة، لذا كان لا بد من التطرق إلى هذه القضية وتجليتها.

أما عن الحكمة من بشرية الأنبياء فلله الحكمة البالغة و﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ومن أسمائه سبحانه وتعالى: (الحكيم الخبير) وعلى ذلك فإن الأنبياء لم يكونوا بشراً إلا لحكمة بالغة قد يقف المسلم على شيء منها إذا تأمل ذلك من خلال نصوص الشريعة.

وقد ذكر الدكتور عمر سليمان الأشقر شيئاً من ذلك فقال: "شاءت حكمة الله العليم الخبير أن يكون الرسل الذين يرسلهم إلى البشر من البشر أنفسهم، والذين يستعظمون ويستبعدون اختيار الله بعض البشر لتحمل الرسالة لا يقدرّون الإنسان قدره، فالإنسان مؤهل لتحمل الأمانة العظمى، والذين استعظموا اختيار الله البشر رسلاً نظروا إلى المظهر الخارجي للإنسان، نظروا إليه على أنه جسد يأكل ويشرب وينام ويمشي في الأرض لتلبية حاجاته، ولم ينظروا إلى جوهر الإنسان وهو تلك الروح التي هي نفخة من روح الله، وبهذه الروح تميز الإنسان وصار إنساناً واستخلف في الأرض، وقد أودعه الله الاستعداد للاتصال به عن طريق تلك النفخة العلوية التي ميزته، فلا عجب أن يختار الله واحداً من هذا الجنس صاحب استعداد متلقي فيوحي إليه ما يهدي به إخوانه كلما غام عليهم الطريق وما يقدم به إليهم العون كلما كانوا بحاجة إلى العون: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ثم إن الرسل يُعدّون إعداداً خاصاً لتحمل النبوة والرسالة ويُصنعون صنعاً فريداً ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ واعتبر بحال نبينا محمد ﷺ كيف رعاه الله وحاطه بعنايته على الرغم من يتمه وفقره، وقد زكاه وطهره وأذهب عنه رجز الشيطان وأخرج منه حظ الشيطان مذ كان صغيراً.

لقد كثر اعتراض أعداء الرسل على بعثة الرسل من البشر، وكان هذا الأمر من أعظم ما صد الناس عن الإيمان: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ وعدوا اتباع الرسل بسبب كونهم بشرًا فيما جاءوا به أمرًا قبيحاً وعدوه خسراناً ميبئاً: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾

وقد اقترح أعداء الرسل أن يكون الرسل الذين يُبعثون إليهم من الملائكة يعاينونهم ويشاهدونهم أو على الأقل يُبعث مع الرسول البشري رسولاً من الملائكة. وعندما نتأمل النصوص القرآنية يمكننا أن نرد على هذه الشبهة من وجوه:

الأول: أن الله اختارهم بشرًا لا ملائكة لأنه أعظم في الابتلاء والاختبار، ففي الحديث القدسي الذي يرويه مسلم في صحيحه: "إنما بعثتك لأبتليك وأبتي بك".

الثاني: أن في هذا إكراماً لمن سبقت لهم منه الحسنى.

الثالث: أن البشر أقدر على القيادة والتوجيه، وهم الذين يصلحون قدوة وأسوة، يقول سيد قطب في هذا: "إنها حكمة تبدو في رسالة واحد من البشر إلى البشر، واحد من البشر يحس بإحساسهم ويتذوق مواجدهم ويعاني تجاربهم ويدرك آلامهم وآمالهم ويعرف نوازعهم وأشواقهم ويعلم ضرورتهم وأتقالمهم...، ومن ثم يعطف على ضعفهم ونقصهم ويرجو في قوتهم واستعلائهم ويسر بهم خطوة خطوة وهو يفهم ويقدر بواعتهم وتأثراتهم واستجاباتهم لأنه في النهاية واحد منهم يرتاد بهم الطريق إلى الله بوحى من الله وعون منه على وعشاء الطريق، وهم من جانبهم يجدون فيه القدرة الممكنة لأنه بشر مثلهم يتسامى بهم رويداً رويداً ويعيش فيهم بالأخلاق والأعمال والتكاليف التي يبلغهم أن الله قد فرضها عليهم وأرادها منهم، فيكون بشخصه ترجمة حية للعقيدة التي يحملها إليهم وتكون حياته وحركاته وأعماله صفحة معروضة لهم يتقلمونها سطرًا سطرًا ويحققونها معنى معنى وهم يرون نبيهم فتهفوا نفوسهم إلى تقليدها لأنها ممتلئة في إنسان".<sup>(١)</sup>

ويقول محمد قطب: " وهكذا نرى ضلال الجاهليات من خلال تصوراتها الضالة عن قدرة الله وحدود الطاقة البشرية يعميها عن حكمة إرسال الرسل من البشر دون الملائكة، ولو قدروا الله حق قدره وعرفوا أن قدرة الله ليست محدودة بمحدود تصوراتهم الضيقة، وإغدا هي قدرة بغير حدود ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

ولو عرفوا أن الطاقة البشرية ليست محصورة في نطاق ذواتهم ولا في نطاق علمهم، وأن هناك جوانب من النفس البشرية تخفى على العلم وإن بدت آثارها واضحة كظاهرة التفكير والتذكر وجوانب أخرى أشد خفاءً لا يكاد الإنسان يعرف لها كنهها كظاهرة التخاطر عن بُعد (أي تبادل الخواطر والأحاسيس عن بعد، أو الإحساس مقدماً بأن شيئاً سيقع أو أن شخصاً سيحضر، وهناك شواهد يومية تقع في حياة الناس تؤكد وجود هذه الظاهرة)، وأن الله يصطفي أفراداً من البشر فيمنحهم القدرة على تلقي الوحي بأجهزة خاصة في داخل نفوسهم دون أن يخرجهم ذلك عن حدود بشريتهم، لو عرفوا ذلك كله ما عجبوا أن جاءهم منذر منهم، لقد غفلوا في طلبهم ذلك عن عدة أمور:

(أ) (أن من سنن الله وحكمته في خلقه) أن الملائكة لا يمشون في الأرض مطمئنين كالبشر لأنهم لم يُخلقوا لسكنى الأرض: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَلَّوْا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا. قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾

(ب) (كذلك) أن الملك لو نزل على الأرض فلا بد له أن يتخذ صورة البشر، وعندئذ لا يستطيعون أن يعرفوا على حقيقته الملائكية ولا أن يميزوا بينه وبين سائر البشر ﴿ وَكَلَّمُوا جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لِّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ ﴾

(ج) أن من سنة الله أنه حين تُكذَّب الجاهلية رسولها وتصر على التكذيب بعد نزول الآية التي يطلبونها لكي يتأكدوا من صدق رسولهم فإن الله يتزل الملائكة عندئذ، ولكنه يترهم بلمر معين وهو التدمير الفوري لأولئك الكافرين ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَكَلَّمُوا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾



د) أن الحكمة منتفية تماماً في جعل الرسول من غير البشر أنفسهم، إن الرسول لا يأتي للتبليغ فقط أي أنه لا يأتي ليبلغ الناس أمراً معيناً من عند الله ثم يمضي، وإنما يمكث مع الناس حتى يربي فئة منهم على الحق يكون هو بذاته القدوة العملية لهم. ويكونون هم بدورهم قدوة للناس ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شَهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ، فأين تتحقق القدوة إذا كان الرسول من غير البشر؟ ألا يقول الناس يومئذ: هذا ملك ونحن بشر لنا أجساد ونزعات وشهوات؟! بلى سيقولون! وسيمتنعون عن الالتزام بأمر ربهم بحجة أن هذا الالتزام ليس في وسع البشر ولا هو من شأنهم وإنما هو من شأن الملائكة الذين لا يسكنون هذه الأرض ولا يحسون بثقله الأرض تشدهم عن طريق الرغبات والشهوات، وعندئذ سيقولون: كيف يرسل الله إلينا ملكاً ويطلب منا الاقتداء به في أعماله؟ أفلا يرسل إلينا بشراً مثلنا يحس كما نحس ويفكر كما نفكر ويشعر بضروراتنا وبمحدود طاقتنا؟!، وتلك هي الحكمة الكبرى من إرسال الرسل بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، حتى لا يقف اختلاف الجنس حائلاً بين الناس وبين الاقتداء برسولهم فيما يفعل وفيما يقول، وحتى تتمثل الأسوة للبشر في واحد من جنسهم له ذات تركيبهم.<sup>(١)</sup>

## ومما سبق نخلص إلى عدة أمور:

- (١) بشرية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بنص القرآن الكريم.
- (٢) اختيار الله عز وجل للرسل من البشر لا من الملائكة لحكم بيّنها سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.
- (٣) أن مقتضى بشرية الأنبياء أن يتصفوا بالصفات التي لا تنفك عن البشر كالأكل والشرب والنكاح وخدمة النفس والمرض والموت أو القتل.
- (٤) اشتغال الأنبياء بأعمال البشر كالتجارة والرعي والحدادة ونحوها.
- (٥) ليس في الأنبياء شيء من خصائص الألوهية أو الملائكية، ومع ذلك فهم في أعلى درجات الكمال البشري سواءً من جهة الخلقة الظاهرة أو من جهة الكمال في الأخلاق.<sup>(١)</sup>

## المبحث الثاني عبادة الأنبياء لله عز وجل

إن من أبرز صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عبادتهم لله تعالى، وقد اتضح ذلك في القرآن الكريم والسنة المطهرة أيما وضوح. ولما لهذا الجانب من أهمية كبيرة في حياة المسلمين عامة والمؤمنين من الدعاة خاصة فقد آثرت بيانه وإبرازه، وهدفي من ذلك: - إضافة إلى تقرير هذه القضية عن الأنبياء - التأسي بهم والسير على مسارهم، والله المستعان.

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: "هناك نوع آخر من الكمال وفق الله رسله وأنبيائه لتحصيله وهو تحقيق العبودية لله في أنفسهم، فكلما كان الإنسان أكثر تحقيقاً للعبودية لله تعالى كلما كان أكثر رقياً في سُلّم الكمال الإنساني، وكلما ابتعد عن تحقيق العبودية لله كلما هبط وانحدر. والرسول حازوا السبق في هذا الميدان فقد كانت حياتهم انطلاقة جادة في تحقيق هذه العبودية".<sup>(١)</sup>

## المطلب الأول

### عبادة الأنبياء في القرآن والسنة

#### أولاً: عبادة الأنبياء في القرآن الكريم

وصف الله عز وجل في كتابه أنبيائه وأوليائه بالعبودية وامتدحهم بها، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) ذلك فقال: "العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وبما أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ وبذلك وصف ملائكته وأنبيائه فقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى: ﴿عَبْتَنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ وقال تعالى عن المسيح الذي ادعى فيه الإلهية والبسوة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: "لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله"

وقد نعته الله بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ وقال في الإجماع: ﴿فَأَوْحَى إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ وقال في الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ وقال في التحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ فالدين كله واحد في العبادة. (1)

وقال (رحمه الله) أيضاً: "وبالعبودية نعت كل من اصطفى من خلقه في قوله: ﴿وَأذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَنْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ وقوله ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وقال عن سليمان ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وعن أيوب ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ وقال عنه: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ وقال عن نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ وقال عن خاتمه رسله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ وقال ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ومثل هذا كثير متعدد في القرآن <sup>(١)</sup>.

ومما ورد في ذلك أيضاً قوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ <sup>(٢)</sup>

وقال تعالى عن نوح عليه السلام ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٣)</sup> كما قال سبحانه عن إلياس عليه السلام ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٤)</sup>

وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٥)</sup> وقال عز وجل عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُمَا مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٦)</sup>

وقال عن جميع الرسل ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ <sup>(٧)</sup>

وقال ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ <sup>(٨)</sup>

وقال عز وجل ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ <sup>(٩)</sup>

(١) العبودية / ص ٨٥، ٨٦.

(٢) يوسف / ٢٤.

(٣) الصافات / ٨٠-٨١.

(٤) الصافات / ١٣١-١٣٢.

(٥) الصافات / ١١٠-١١١.

(٦) الصافات / ١٢١-١٢٢.

(٧) الصافات / ١٧١-١٧٢.

(٨) النحل / ٢.

(٩) النمل / ٥٩.

وقال عز وجل ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (١)

وأخبر الله عز وجل عن عبده داود عليه السلام فقال تعالى ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾ (٢)

وأخبر عن استغفاره فقال: ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (٣)

وقال سبحانه ﴿ اَعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (٤)

وقال عز وجل على لسان قوم شعيب ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ (٥)

وقال سبحانه مثبِتاً رسوله محمد ﷺ وداعياً لعبادته سبحانه وتعالى وإفراذه بذلك: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٦)

### ثانياً: عبادة الأنبياء في السنة المطهرة:

وقد بينت السنة المطهرة اجتهاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في العبادة،

ومما ورد في ذلك ما جاء في حديث الشفاعة الطويل الذي جاء فيه: "يا نوح أنت أول

الرسول إلى أهل الأرض وسماك الله عبداً شكوراً، أما ترى إلى ما نحن فيه؟". (٧)

ومما ورد في صيام الأنبياء ما رواه البخاري (رحمه الله) عن سعيد بن أبي جبير عن أبيه

عن ابن عباس (رضي الله عنهما): أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً يعني

يوم عاشوراء فقالوا: هذا يوم عظيم وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصام

موسى شكراً لله. فقال: "أنا أولى بموسى منهم" فصامه وأمر بصيامه. (٨)

(١) الأنبياء / ٧٣.

(٢) ص / ١٧.

(٣) ص / ٢٤.

(٤) ساء / ١٣.

(٥) هود / ٨٧.

(٦) مريم / ٦٥.

(٧) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه).

(٨) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: (وهل أتاك حديث موسى).

وكذلك مما يُظهر تعلق الأنبياء بالله ودعائهم إياه ما رواه البخاري أيضاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول "إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة".<sup>(١)</sup>

وورد كذلك قراءتهم القرآن وحرصهم على ذلك، روى البخاري (رحمه الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: "خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنُ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَائِهِ فَتُسْرَجُ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ".<sup>(٢)</sup>

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال لي رسول الله ﷺ: "ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟" فقلت: نعم. فقال: "فإنك إذا فعلت ذلك هجمت العين ونفثت النفس، صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر أو كصوم الدهر" قلت: إني أجدني - قال مسعّر يعني قوة - قال: "فصم صوم داود عليه السلام وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفطر يوماً إذا لاقى".<sup>(٣)</sup>

وعنه أيضاً قال: قال لي رسول الله ﷺ: "أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه".<sup>(٤)</sup>

وقد وصف نبينا محمد ﷺ نفسه بالعبد الرسول، دل على ذلك ما رواه عبادة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل".<sup>(٥)</sup>

(١) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب رقم / ١٠ (بدون عنوان).

(٢) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: (وآتينا داود زبوراً).

(٣) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: (وآتينا داود زبوراً).

(٤) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب: أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود ،

وانظر كتاب التهجيد / باب من نام عند السحر.

(٥) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم).

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه سمع عمر (رضي الله عنه) على المنبر يقول:  
سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا:  
عبد الله ورسوله".<sup>(١)</sup>

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قلت يا رسول الله كُـلُّ - جعلني الله فداك -  
متكئاً، فإنه أهون عليك، فأحني رأسه حتى كاد تصيب جبهته الأرض وقال: " بل آكل كما  
يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد".<sup>(٢)</sup>

ومما ورد في طول قيام النبي ﷺ في صلاة الليل: ما ذكرت عائشة (رضي الله عنها) من  
ذلك قولها: " كان يقوم حتى تَفْطَر قدماه".<sup>(٣)</sup>

وعن زياد قال سمعت المغيرة (رضي الله عنه) يقول: إن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلي  
حتى ترمَ قدماه أو ساقاه، فيقال له ، فيقول: " أفلا أكون عبداً شكوراً".<sup>(٤)</sup>

وكان يحث على العبادة، ومن ذلك ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله  
عنهما) أن النبي ﷺ قال له: " لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل".<sup>(٥)</sup>

ومع ذلك ومع كل ما ذكرنا من عبادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لله، إلا أن  
الرسول محمد ﷺ قد نهي عن الغلو في العبادة والمبالغة فيها ويُن عواقب ذلك:  
ومن ذلك ما رواه البخاري (رحمه الله) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي  
ﷺ قال: " لن ينجيَ أحد منكم عمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: " ولا أنا إلا أن  
يتغمديني الله برحمته، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد  
تبلغوا".<sup>(٦)</sup>

(١) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: ( واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ).

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد/ ص ١٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير/ ج ١/ ص ١٢٢.

(٣) الجامع الصحيح / كتاب التهجيد/ باب قيام النبي ﷺ الليل.

(٤) الجامع الصحيح / كتاب التهجيد/ باب قيام النبي ﷺ الليل.

(٥) الجامع الصحيح / كتاب التهجيد/ باب ما يُكره من قيام الليل لمن كان يقومه.

(٦) الجامع الصحيح / كتاب الرقاق/ باب القصد والمداومة على العمل.



وعن محجن بن الأدرع أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى رجلاً يصلي فقال: أتراه صادقاً؟ فقيل: يا نبي الله هذا فلان وهذا من أحسن أهل المدينة ومن أكثر أهل المدينة صلاة. قال: "لا تُسمِعُهُ فشهلَكه" مرتين أو ثلاثاً، "إنكم أمة أريد بكم اليسر" وفي رواية أخرى: "إن خير دينكم أيسره". (١)

وروى البخاري (رحمه الله) عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: أخبر رسول الله ﷺ: أي أقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، فقال له رسول الله ﷺ: "أنت الذي تقول والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت" قلت: قد قلت، قال: "إنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنه بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر" فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله قال: "فصم يوماً وأفطر يومين" قال: قلت إني أطيق أفضل من ذلك، قال: "فصم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيام داود وهو أعدل الصيام" قلت: إني أطيق أفضل منه يا رسول الله، قال: "لا أفضل من ذلك". (٢)

وفي رواية: "فإنك إذا فعلت ذلك هجمت العين ونفثت النفس، صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر أو كصوم الدهر" قلت - أي عبدالله بن عمرو - : إني أجديني (قال مسعر يعني قوة) قال: "فصم صوم داود عليه السلام وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى". (٣)

وعن يحيى بن وثاب عن مسروق قال: سألت عائشة (رضي الله عنها) عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل، فقالت: سبع، وتسع، وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر. وفي رواية أخرى: "كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر وركعتا الفجر". (٤)

وعنها (رضي الله عنها) قالت: "ما ألفاه السحر عندي إلا نائماً، تعني النبي ﷺ". (٥)

(١) أخرجه أحمد في مسنده عم محجن بن الأدرع، وذكره ابن رجب الحنبلي في كتابه: المحجة في سير الدلجة/ص ٤٨.

(٢) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: (وأتينا داود زبوراً).

(٣) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: (وأتينا داود زبوراً).

(٤) الجامع الصحيح / كتاب التهجد/ باب كيف صلاة النبي ﷺ وكم كان النبي ﷺ يصلي بالليل.

(٥) الجامع الصحيح / كتاب التهجد / باب من نام عند السحر.

و جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر أبداً، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: "أنتم الذين قلتُم كذا وكذا أما والله إني لأخشكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني".<sup>(١)</sup>

(١) الجامع الصحيح / كتاب النكاح / باب الترغيب في النكاح، وانظر صحيح مسلم / كتاب النكاح / باب استحباب النكاح لمن نأقت نفسه إليه.

## المطلب الثاني

### أثر العبادة في الثبات على طريق الدعوة إلى الله

إن للعبادة أثر كبير في انشراح الصدر والسير في طريق الدعوة الشانك بعزم وصبوراً واجتهاد ويبدو هذا جلياً واضحاً من حياة الأنبياء الخاصة ومن حياة سيد الخلق محمد ﷺ خاصة حيث لاقى ما لا قي من بلاء وأذى وقتال وفقر وجوع وهو مع ذلك كله صابر عالي الهمة ماضي العزيمة على إتمام مهمته ورسالته وقد كان له ما أراد ﷺ حتى إن الصحابة يصيهم ما يصيهم من الغم ثم عندما يرون رسول الله ﷺ من أشرح الناس صدرًا إذا هم يتأثرون به ويستترون بهديه فكانوا من بعدة مصايح الدجي وأئمة الهدى.

وقد قال عنهم رسول الله ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" (١).  
وقال ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" (٢).

#### ومما سبق أخلص إلى عدة أمور:

- (١) العبودية من أعظم صفات الأنبياء بنصوص القرآن والسنة.
- (٢) اجتهاد الأنبياء في عبادة الله عز وجل عامة والنبي محمد ﷺ خاصة.
- (٣) هني النبي ﷺ عن الغلو في العبادة والمبالغة فيها.
- (٤) أثر العبادة الصحيحة على النفس البشرية ودورها في رقيها واستقامتها وبعدها عن سفاسف الأمور ودوام انشراح الصدر بها والأقدام على عظام الأمور من أجل نصره دين الله عز وجل باحتساب وتجرد.

(١) الجامع الصحيح / كتاب فضائل الصحابة / باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

(٢) صححه الألباني، انظر صحيح سنن الترمذي / ج ٢ / ص ٣٤١ ، حديث رقم: ٢١٥٧ .

## المبحث الثالث تعرض الأنبياء للبلاء

أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز عن بلاء الأنبياء، وأشاد بصبرهم على ما أصابهم من اللأواء والمصائب، كما أخبر رسوله ﷺ بذلك وبين أن شدة البلاء لا يكون إلا لعلو المنازل ورفيع الدرجات.

وقد وقفت فيما سبق على شيء من صبر الأنبياء<sup>(١)</sup> سواء كان من ناحية صبرهم على الدعوة إلى الله عز وجل وما يلاقيه الداعية من المشاق في سبيل ذلك أو من ناحية صبرهم على البلاء الذي يقدره الله عليهم - لعلو منازلهم - إما في أنفسهم أو أهليهم أو أولادهم أو أموالهم. معتمدة في ذلك كله على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

غير أن الذي أعنيه بالدراسة هنا هو الحديث عن (تعرضهم للبلاء) على اعتبار أن التعرض للبلاء ملازم للبشر، فما من أحد إلا وهو مبتلى أو منتظر البلاء، وما يصيب النلس من ضراء أو سراء إنما هو ابتلاء واختبار، والتفاوت في هذه البلاءات والنجاح فيها هو مقياس علو الدرجات والمنازل، وهذه سنة الله عز وجل في خلقه من البشر (ولله الحكمة البالغة).

## المطلب الأول

### نماذج من تعرض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للبلاء من القرآن الكريم والسنة المطهرة

بِئْسَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ جَمَلَةٌ مَّا تَعْرَضُ لَهُ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْبَلَاءِ وَمِنْ ذَلِكَ: مَا ذَكَرَهُ عَنِ وَلَدَيْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا قَتَلَ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ، وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ التَّوَارِيخِ أَنَّ آدَمَ قَدْ أَصَابَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ حُزْنٌ شَدِيدٌ.

قال تعالى عن هذه القصة: ﴿وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله): "ذكر أهل التواريخ والسير أن آدم حزن حزناً شديداً وأنه قال في ذلك شعراً وهو قوله:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح  
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

فأجيب آدم:

أبا هاويل قد قتلتا جميعاً وصار الحى كالميت الذبيح  
وجاء بشرة قد كان منها على خوف فجاء بها يصيح"<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله): "وهذا الشعر فيه نظر وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاماً يتحزن به بلغته فألفه بعضهم إلى هذا والله أعلم"<sup>(٣)</sup>

(١) المائدة/ ٢٧ - ٣٠.

(٢) البداية والنهاية / مج ١ / ج ١ / ص ٨٨.

(٣) البداية والنهاية / مج ١ / ج ١ / ص ٨٨.

كذلك جاء في القرآن ما حصل لنوح عليه السلام من البلاء، حيث ابتلي بطول مدة بقائه مع قوم كفار معاندين مستهزئين، كما ابتلي بعضيان ولده وزوجه له وكفرهما بما جاء به.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١)

وقال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا. وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا. ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا. ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (٢)

وقال عز وجل عن ابن نوح الكافر: ﴿وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرِقِينَ﴾ (٣)

وقال سبحانه عن زوجة نوح: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (٤)

كذلك مما ورد في تعرض الأنبياء للبلاء ما حصل من كفر أبي إبراهيم وتكذيبه بما جاء به قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٥)

وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا بِإِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (٦)

(١) العنكبوت / ١٤

(٢) نوح / ٥ - ٩

(٣) هود / ٤٢ - ٤٣

(٤) التحريم / ١٠

(٥) الأنعام / ٧٤

(٦) التوبة / ١١٤

وكذلك لما ورد في تعرضه للبلاء: ما حصل من ابتلاء له في ولده، حيث رأى في المنام أنه يذبح ولده بكره ووحيدِه إسماعيل عليه السلام الذي كان نبياً صالحاً وابتاً باراً جاء بعد طول انتظار إذ لم يرزق به إبراهيم إلا على كبر، كذلك مما يدل على البلاء: عصيان والده له وكفره وتكذيبه بما جاء به.

قال الله عز وجل عند الحديث عن إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾<sup>(١)</sup>

كذلك مما ورد من ابتلاء الله للأبياء: ابتلاء الله يعقوب عليه السلام بفقدان ولده من جراء حسد بقية إخوانه وحرصهم على التخلص منه، ثم ما تبع ذلك من شدة حزنه وذهاب بصره.

قال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ. إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ. قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال عز وجل عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) الصفات / ١٠٠ - ١٠٦.

(٢) يوسف / ٧ - ١٠، ١٧.

(٣) يوسف / ٨٤.

كذلك ورد في قصة يوسف الكثير من الابتلاءات له عليه السلام ، منه ما ذكرته أنفساً ومنه بيعه وهو ابن نبي والأنبياء أحرار، ثم ابتلاءه فيما بعد بكيد امرأة العزيز وما تبع ذلك من فتن وسجن.

قال تعالى: ﴿ وَجَمَعَتِ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ. وَشَرَّوهُ بِنَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةً وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ. وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَفْعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى عن كيد امرأة العزيز: ﴿ وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنِ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>  
وقال عز وجل: ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ. ... ﴾<sup>(٣)</sup> الآيات.

ومما ورد في قصة أيوب عليه السلام: ابتلاء الله له بالمرض والفقير.

قال عز وجل: ﴿ وَيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>  
وقال سبحانه: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾<sup>(٥)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) عند الآية الأولى: " يذكر تعالى عن أيوب " ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحراث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرضية فابتلي في ذلك كله وذهب عن آخره ثم ابتلي في جسده يقلل بالجذام في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى عافه المجلس وأفردي في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بأمره ويقال إنها احتاجت فصار تخدم الناس من أجله، وقد كان نبي الله أيوب عليه

(١) يوسف / ١٩ - ٢١.

(٢) يوسف / ٢٣.

(٣) يوسف / ٣٥.

(٤) الأنبياء / ٨٣.

(٥) ص / ٤١.



السلام غاية في الصبر وقال السدي: "تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالرماد" (١).

كذلك من أعظم الابتلاءات ما حصل لخاتم النبيين محمد ﷺ من بلاء في نفسه وولده ووالديه وزوجه، وما حصل له من اضطهادات من قبل المشركين واليهود.

قال صفى الرحمن المباركفوري عند حديثه عن عام الحزن الذي توفي فيه عم الرسول ﷺ أبو طالب الذي كان يحوطه ويغضب له كما ثبت في الصحيح، كما توفيت فيه زوجته خديجة (رضي الله عنها): "وقعت هاتان الحادثتان المؤلتان خلال أيام معدودة فاهترت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله ﷺ ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه، فقد كانوا تجرؤا عليه وكاشفوه بالنكال والأذى بعد موت عمه أبي طالب، فازداد غمًا على غم حتى يسئ منهم وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه وينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي ولم ير ناصرًا، وآذوه مع ذلك أشد الأذى ونالوا منه ما لم ينله قومه" (٢).

ثم نقل قول ابن إسحاق (رحمه الله) حيث قال: "لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فشر على رأسه تراباً ودخل بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها: "لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك". قال: ويقول بين ذلك: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب" (٣).

ولاقي رسول الله ﷺ من الكفار أموراً عظيمة في الأذى ومن ذلك أنهم القوا عليه سلا جزور وهو ساجد (٤).

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ١٨٨، بتصرف.

(٢) الرحيق المختوم / ص ١٣٨.

(٣) المصدر السابق / ص ١٣٨، ١٣٩.

(٤) المصدر السابق / ص ١٤١.

وعندما ذهب للدعوة إلى الإسلام خارج مكة بدأ بالطائف وأقام بين أهلها عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه فقالوا: اخرج من بلادنا وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويضحون به حتى اجتمع عليه الناس فوقوا له سباطين (أي صفيين) وجعلوا يرمنونه بالحجارة وبكلمات من السفه ورجوا عراقبيه حتى اختضب نعاله بالدماء وقد روى البخاري تفصيل القصة بسنده عن عروة بن الزبير<sup>(١)</sup>.

ومن البلاء الذي حصل له موت أولاده في حياته عدا فاطمة الزهراء. كذلك مما ابتلي به أبي وألبه ماتا مشركين وأنه هُي أن يستغفر لهما. وقد جاء رجل يسأله عن أبيه فقال له: "إن أبي وأباك في النار"<sup>(٢)</sup>.

وأما ما ورد عن أمه ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي"<sup>(٣)</sup> وفي الحديث الذي في المسند وغيره قال: "إن أمي مع أمك في النار"<sup>(٤)</sup>.  
كما أنه ﷺ قد ناله من الجوع والفقر الشيء الكثير حتى أنه لم يمتك الشهر لا توقد في بيته النار.<sup>(٥)</sup>

(١) المصدر السابق/ص١٤٨-١٥٠. وانظر كتاب بدء الخلق عند البخاري، وانظر في صحيح مسلم / باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٢) صحيح مسلم / كتاب الإيمان / باب أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تناله قرابة المقربين.

(٣) صحيح مسلم / كتاب الجنائز / باب استئذان النبي ربه في زيارة قبر أمه.

(٤) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى/ ج٤/ ص٣٢٦، وذكره كذلك ابن كثير في تفسيره / ج٣/ ص٥٧،

عن الإمام أحمد أيضاً.

(٥) انظر الزهد للإمام أحمد بن حنبل/ ص١٦، ١٧، ١٦١، وغيرها.

## المطلب الثاني دلالة شدة البلاء

ثبت أن رسول الله ﷺ سئل أي الناس أشد بلاء؟ فقال: الأنبياء. ثم الأمثل فالأمثل يتلى العبد على حسب دينه فإن كان في دينه صلأاً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن كثير (رحمه الله) نحوه فقال: قال ﷺ: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل" وفي الحديث الأخر: "يتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد بلائه"<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف فقلت: يا رسول الله: ما أشدها عليك: قال: "إنا كذلك: يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر"، قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء قال: الأنبياء قلت يا رسول الله ثم من؟ قال: ثم الصالحون.... الحديث"<sup>(٣)</sup>.

ومن الأحاديث السابقة يتبين أن أشد الناس بلاءً الأنبياء وذلك لعلو منازلهم ورفعة درجاتهم وهذه سنه من ستن الله عز وجل في أنبيائه ورسله وأوليائه. فشددة البلاء لا تدل على سخط الله على ذلك العبد بل إن مقتضى الأحاديث السابقة دال على نقيض ذلك والله المستعان. هذا ما أردت الوقوف عليه مما حصل للأنبياء وصفوة الخلق قاصدة منه تقرير ذلك ليستقر في نفس المؤمن إذا ابتلي أنه على طريق الصفوة فيقوده ذلك إلى الصبر في الدنيا ويبقى له الأجر والفوز بجنت الخلود.

(١) صحيح سنن ابن ماجه للألباني / كتاب الفتن / باب الصبر على البلاء.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ١٨٨.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه للألباني / كتاب الفتن / باب الصبر على البلاء.

وما سبق نخلص إلى عدة أمور:

- (١) تعرض الأنبياء جميعاً للبلاء بمقتضى كونهم بشراً.
- (٢) البلاء سنة من سنن الله في خلقه عامة وفي المقربين منهم خاصة.
- (٣) اختلاف درجات البلاء وقوته بحسب قوة الإيمان وضعفه.
- (٤) الأنبياء أشد الناس بلاءً لأنهم أقوى الناس إيماناً.
- (٥) الصبر على البلاء واجب لا بد منه.
- (٦) الجزع عند البلاء يذهب الأجر ولا يعيد المفقود.
- (٧) التسليم لله والرضى بقضائه مطلب نسعى إليه وندعو الله به وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- (٨) نتائج الصبر والتسليم لله والرضى بقضائه فوز ونجاح في الدنيا والآخرة.

## المبحث الرابع النهي عن الغلو في الأنبياء

بيّن الله عز وجل في كتابه العزيز صفات الأنبياء وما كانوا من الكمال البشري، ورغب سبحانه وتعالى في الاقتداء بهم والسير على طريقهم. غير أنه قد فهم أيضاً عن الغلو فيهم والمبالغة في تعظيمهم حتى يجعلوا شركاء لله عز وجل أو آلهة تُعبد من دون الله. ونظراً لخطورة هذه القضية على توحيد الألوهية ولما لها من أهمية بالغة في حياتنا المعاصرة، أردتُ أن أقف عليها وأستعرض أبرز نصوص الشريعة التي جاءت بها، والله المستعان.

## المطلب الأول

### النهي عن الغلو في الأنبياء في القرآن والسنة

أولاً: النهي عن الغلو في الأنبياء في القرآن الكريم:

يقول الدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحي: "إن ظاهرة الغلو قديمة قدم الرسالات السماوية إذ اختلفت استجابات المدعويين لتلك الرسالات فكان منهم الغلاة، وما كان إرسال نوح عليه السلام إلا لوقوع قومه في الغلو حيث غلو في مجموعة من الصالحين فأصلوهم درجة الألوهية، ثم ظهر الغلو في بني إسرائيل وبلغوا فيه مبلغاً كبيراً ومن أجل ذلك جاءت الآيات اللتان ورد فيها النهي عن الغلو والخطاب فيهما موجه إلى بني إسرائيل".<sup>(١)</sup>

وسوف أورد بعض الآيات والأحاديث التي جاءت في النهي عن الغلو والتحذير منه:

قال تعالى عن غلو النصارى في عيسى بن مريم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَى خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَخْشُرُهُمْ إِلَهٌ جَمِيعًا﴾<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره هذه الآية: "ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فانهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المتزلة التي أعطاها الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه لها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً أو ضاللاً أو رشاداً أو صحيحاً أو كذباً ولهذا قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ..﴾ الآية.

(١) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة / ص ٩٢. ويقصد بالأتين: آية ١٧١ من سورة النساء، وآية ٧٧ من سورة المائدة.

(٢) النساء / ١٧١ - ١٧٢.

وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم قال زعم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله ﷺ قال "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله" ثم رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري كذلك ولفظه "إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله" وهكذا رواه البخاري عن الحميدي ولفظه "إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله" وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله ﷺ: "أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهويكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل" تفرد به من هذا الوجه (١).

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله) عند الآية نفسها: "هذا الغلو الذي نُهوا عنه هو وقول غير الحق هو قول بعضهم: أن عيسى ابن الله، وقول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو إله مع الله، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. وقال بعض العلماء: يدخل في الغلو المنهي عنه في هذه الآية ما قالوا من البهتان على مريم أيضاً واعتمده القرطبي، وعليه فيكون الغلو المنهي عنه شاملاً للتفريط الإفراط وقد قرر العلماء أن الحق واسطة بين التفريط والإفراط وهو معنى قول مطرف بن عبد الله: الحسنة بين سيتين، وبه تعلم أن من جانب التفريط والإفراط فقد اهتدى ولقد أجاد من قال:

ولا تغل في شيء من الأمور واقتصد  
كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى وقولوا عبد الله ورسوله". (٢)

وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٨٩، ٥٩٠، بتصرف يسير، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم / ج ١ / ص ٧٧، ٧٦.

(٢) أضواء البيان / ج ١ / ص ٣٤٠، ٣٤١.

(٣) المائدة / ٧٧.

قال ابن كثير (رحمه الله): "أي لا تتجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله وما ذاك إلا لافتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً." (١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عند الآية نفسها: "وهذا خطاب للنصارى كما دل عليه السياق، ولهذا فهم عن الغلو وهو مجاوزة الحد كما فهم عنه في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ...﴾ الآية واليهود مقصرون عن الحق والنصارى غالون فيه." (٢)

وقال محمد رشيد رضا (رحمه الله) عن هذه الآية أيضاً: "الغلو: الإفراط وتجاوز الحد في الأمر، فإن كان في الدين فهو تجاوز حد الوحي المنزل إلى ما هوى الأنفس كجعل الأنبياء والصالحين أرباباً يتفعون ويضرون بسلطة غيبية لهم فوق سنن الله في الأسباب والمسببات الكسبية واتخاذهم لأجل ذلك آلهة يُعبدون يُدعون من دون الله تعالى أو مع الله تعالى سواء أطلق عليهم لقب الرب والإله كما فعلت النصارى أم لا، وكشعر عبادات لم يأذن بها الله وتحريم ما لم يجرم الله كالطيبات التي حرمها القسوس والرهبان على أنفسهم وعلى من اتبعهم مبالغة في التنسك سواء كان ذلك لوجه الله أم كان رياء وسمعة فهم الله تعالى أهل الكتاب الذين كانوا في عصر نزول القرآن عن هذا الغلو الذي كان عليه من قبلهم من أهل ملتهم وعن التقليد الذي كان سبب ضلالتهم فذكرهم بأن الذين كانوا قبلهم قد ضلوا باتباع أهوائهم في الدين وعدم اتباعهم فيه سنة الرسل والنبیین والصالحين من الحواريين فكل أولئك موحدین ولم يكونوا مفرطین ولا مفرطین وإنما كانوا للشرك والغلو في الدين منكرين." (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ٨٢.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم / ج ١ / ص ٦٧.

(٣) تفسير القرآن الحكيم / ج ٦ / ص ٤٨٨، ٤٨٩.



وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾<sup>(١)</sup>

قال محمد رشيد رضا (رحمه الله) عن هذه الآية: "أكد تعالى بالقسم كفر قائلني هذا القول من النصارى إذ غلو في إطرأ نبيهم المسيح بن مريم عليه السلام غلوأ ضادوا به غلو اليهود في الكفر به وقولهم عليه وعلى أمه الصديقة بهتانا عظيماً."<sup>(٢)</sup>

كذلك مما يدل على غلو اليهود والنصارى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِنُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا لِعِبَادَتِهَا وَإِلَهاً وَاحِداً لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) عن هذه الآية: كذب الله سبحانه الطائفتين فقال: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افتراءهم واختلافهم"<sup>(٤)</sup>. وذكر في قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حديثاً عن عدي ابن حاتم (رضي الله عنه) جاء فيه: "فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو - أي رسول الله ﷺ - يقرأ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: "بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم"<sup>(٥)</sup>.

(١) المائدة / ٧٢.

(٢) تفسير القرآن الحكيم / ج ٦ / ص ٤٨٢.

(٣) التوبة / ٣٠ - ٣١.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ٣٤٨.

(٥) المصدر السابق / ج ٢ / ص ٣٤٨.

## ثانياً: النهي عن الغلو في الأنبياء والصالحين في السنة المطهرة:

ومن ذلك ما رواه البخاري (رحمه الله) عن عبادة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل".<sup>(١)</sup>

وروى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه سمع عمر (رضي الله عنه) على المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله".<sup>(٢)</sup>

قال ابن حجر (رحمه الله) في معنى هذا الحديث: "قوله: "لا تطروني" بضم أوله، والإطراء: المدح بالباطل، تقول أطريت فلاناً: مدحته فأفرطت في مدحه، وقوله: "كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم" أي في دعواهم في الإلهية وغير ذلك".<sup>(٣)</sup>

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عند الحديث السابق نفسه: "فإن النصارى عظموا الأنبياء حتى عبدوهم وعبدوا قمائيلهم".<sup>(٤)</sup>

وروى ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: "ألقط لي حصي" فلقطت له سبع حصيات من حصي الخذف فجعل يفضهن في كفه ويقول: "أمثال هؤلاء فارموا" ثم قال: "أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين".<sup>(٥)</sup>

(١) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب قوله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم).

(٢) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، وذكره ابن كثير (رحمه الله) في البداية والنهاية / مج ١ / ج ٢ / ص ٩١.

(٣) الفتح / ج ٦ / ص ٥٦٥.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم / ج ٢ / ص ٦٧٥.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عباس، وابن ماجة في سننه / كتاب المناسك / باب قدر حصي الرمي،

والنسائي في سننه / كتاب المناسك / باب التقاط الحصى، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن إسناده: وهذا إسناد

صحح على شرط مسلم، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم / ج ١ / ص ٢٨٩.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عند الحديث السابق: "وقوله " وإياكم والغلو في الدين " عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو: مجاوزة الحد بأن يُزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك، والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وإياهم فمى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾" (١).

وروى مسلم في صحيحه عن جنذب بن عبدالله البجلي (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمي خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك" (٢).

وروى البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" (٣) وفي لفظ مسلم: "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" (٤).

وعن عائشة و ابن عباس (رضي الله عنهما) قالوا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، يحذر ما صنعوا" (٥).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم / ج ١ / ص ٢٨٩.

(٢) صحيح مسلم / كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٣) الجامع الصحيح / كتاب الصلاة / باب (٥٥).

(٤) صحيح مسلم / كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٥) الجامع الصحيح / كتاب الصلاة / باب (٥٥). وانظر صحيح مسلم / كتاب المساجد ومواضع الصلاة /

باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

وعن عائشة (رضي الله عنها) أن أم سلمة (رضي الله عنها) ذكرت كنيسة رأتها بالحبشة يُقال لها (مارية) فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال: " إن أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله ".<sup>(١)</sup>

ومما جاء في دعائه ﷺ وخوفه من الغلو فيه والتحذير من ذلك: " اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "، قالت عائشة (رضي الله عنها): ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يُتخذ مسجداً.<sup>(٢)</sup>

(١) الجامع الصحيح / كتاب الصلاة / باب الصلاة في البيعة.

(٢) رواه مالك في الموطأ / كتاب قصر الصلاة / باب جامع الصلاة، وأحمد في المسند عن أبي هريرة.

## المطلب الثاني

### أساليب الدعوة إلى الاستقامة وترك الغلو والتقصير في القرآن الكريم

يقول الدكتور عبد الرحمن بن مُعَلَّا اللويحي: "إن من الحقائق التي تظهر لكل من تتبع تاريخ دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام: أن الأمم تتفاوت في مقدار الاستجابة وتتفاوت درجات المدعوين في سلوك طريق الحق: فمن الناس المتمسك بالحق المستقيم على طريقه، ومنهم المفرط الزائغ المضيع لحدود الله، ومنهم الغالي الذي تجاوز حدود الله، وكل أولئك وجدوا فيمن سبق أمة محمد ﷺ وهم في أمته متوافرون ولذلك جاءت النصوص الشرعية بالتحذير من سلوك طرق المغضوب عليهم والضالين المضيعين لحدود الله المجاوزين لها وجاءت داعية إلى الاستقامة بأساليب عدة:

(١) تعليم المسلمين أن يدعو الله أن يسلمهم من كلا الانحرافين وتشريع ذلك لهم في كل صلاة مرات متعددة: ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾.

(٢) التحذير من تعدي الحدود والأمر بلزومها: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إمد إلى تفریط وإما إلى إفراط وغلو ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد.

(٣) الدعوة إلى الاستقامة ولزوم الأمر وعدم الغلو والزيادة ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فالله سبحانه يأمر بالاستقامة التي هي الاعتدال والمضي على النهج دون انحراف ويعقب بالنهي عن الطغيان مما يفيد أن الله سبحانه يريد الاستقامة كما أمر بدون غلو ولا مبالغة تحيل هذا الدين من يسر إلى عسر.

(٤) النهي عن الغلو، وتوجيه الخطاب لأهل الكتاب على وجه الخصوص ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ والغلو في النصارى كثير فإنهم غلو في عيسى فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله، ومن هذا الغلو جاءت معظم الانحرافات في الديانة النصرانية. ولم يكن الغلو قاصراً على النصارى بل هو موجود في اليهود ولكن الخطاب في الآيتين قصد به النصارى خاصة، وهذه النصوص وإن تعلقت بأهل الكتاب ابتداءً فإن المراد منها موعظة هذه الأمة لتجنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة.

(٥) هي الرسول أمته عن الغلو وذلك لتلايق المسلمين فيما وقع فيه من سبقهم من الأمم التي بُعث فيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ومع النهي بين الرسول ﷺ وعواقب الغلو وآثاره.

(٦) بيان مصر الغالي وعاقبته حيث وردت أحاديث تين مآل من غلا وإنه صائر إلى الهلاك. (١)

ومما سبق أخلص إلى ما يلي:

- (١) علو مكانة الأنبياء ورفيهم في سلم الكمال البشري لا يسوّغ الغلو فيهم والمبالغة في تعظيمهم وإيصالهم إلى منزلة لم يخولهم الله إيّاها.
- (٢) إن الله عز وجل هو الذي يستحق العبادة تعالى في ملكه وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته فلا إله إلا هو ولا رب سواه<sup>(١)</sup>.
- (٣) للغلو عواقب وخيمة وآثار ذميمة في الدنيا والآخرة.
- (٤) من أبرز آثار الغلو في حياتنا المعاصرة التبعية المطلقة وادعاء العصمة كما هو الحال عند الشيعة والصوفية كما سيأتي بإذن الله.
- (٥) أن العاقل ليستطيع أن يفهم ويعي ما نبه إليه الشرع، فإذا كانت نصوص الشريعة قد نمت عن الغلو في الأنبياء الذين هم أكثر الناس صلاحاً وأشدّهم قرباً من الخالق عز وجل فكيف بغيرهم الذين يدعون المعرفة بالله وهم أبعد الناس عنها ويدعون الصلاح وهم في ضحاح الجاهلية والشرك والبدع.

## الفصل الثاني

### خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالنوم والرؤى، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم.

**المطلب الثاني:** رؤيا الأنبياء.

**المبحث الثاني:** خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالموت والبلوى، وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول:** يقبرون حيث يموتون.

**المطلب الثاني:** حياة الأنبياء في القبور .

**المطلب الثالث:** الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء .

**المطلب الرابع:** تخيير الأنبياء عند الموت.

**المبحث الثالث:** نصر الأنبياء على أعدائهم.



## مقدمة

خص الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بخصائص انفردوا بها دون سائر البشر. ومن هذه الخصائص:

١. تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم.
  ٢. رؤيا الأنبياء حق.
  ٣. الأنبياء يُقبرون حيث يموتون.
  ٤. حياة الأنبياء في القبور.
  ٥. الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء.
  ٦. تخييرهم عند الموت.
  ٧. هلاك أعدائهم أو النصر عليهم بإظهار ذلمهم وغلبيتهم.
  ٨. معجزاتهم.
  ٩. عصمتهم.
  ١٠. اختصاصهم بوحي السماء.
- ولأهمية هذه الخصائص وتعلقها بمجال دراستي فإنني سأتناولها بالبحث معتمدة في ذلك على كتاب الله وسنة رسول ﷺ، والله المستعان وعليه التكلان.<sup>(١)</sup>

(١) وهناك خصائص أخرى ظاهرة مثل كونهم أكمل البشر خلقاً فهم مبرؤون من كل عيب خلقي، وهم أشرف الناس نسباً، وهم ذكور أحرار فليس منهم امرأة ولا عبد ولا رقيق، هذا إضافة إلى ما خص الله به بعضهم وفضلهم به على بعض كملك سليمان وتكليمه موسى وإثبات محبته وخلته محمد ﷺ وعموم رسالته وغيرها، (راجع: من نيا المرسلين / ص ١٧، والنبوّة والأنبياء / ص ٤٦). أما عن خاصية (وحي السماء) فإنني قد أشرت إليها في أثناء حديثي عن الوحي إلى غير الأنبياء بما يعني عن الإعادة (راجع: الباب الأول / الفصل الأول / المبحث الثاني). وأما عن معجزاتهم وعصمتهم فقد أفردتها بالحديث في فصلين مستقلين، لطول الحديث فيهما وتشعبه.

# المبحث الأول

## خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالنوم والرؤى

### المطلب الأول

#### تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم

إن مما تفرّد به الأنبياء عليه الصلاة والسلام نوم أعينهم لا نوم قلوبهم. ومن النصوص الدالة على ذلك ما رواه البخاري (رحمه الله) عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه سأله عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربع ركعات فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً فقلت: يا رسول الله تنام قبل أن توتر؟ قال: " تنام عيني ولا ينام قلبي." (١)

وفي رواية: " يا عائشة إن عيني تامان ولا ينام قلبي." (٢)

وعن شريك بن عبدالله بن أبي ثمره: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في مسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم وقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك، فلم يرههم حتى جاؤا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. (٣)

قال ابن حجر (رحمه الله): " ومثله لا يُقال من قيل الرأي وهو ظاهر أن ذلك من خصائصه ﷺ." (٤)

(١) الجامع الصحيح / كتاب المناقب / باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه.

(٢) صحيح الجامع الصغير / ج ٢ / ص ١١٤.

(٣) الجامع الصحيح / كتاب المناقب / باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه.

(٤) الفتح / ج ٦ / ص ٦٧١.

وأما ما روى البخاري عن عمران قال: كنا في سفر مع النبي ﷺ و إنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها، فما أيقظنا إلا حر الشمس وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان يسميهم أبو رجاء فنسي عوف ثم عمر بن الخطاب الرابع، وكان النبي ﷺ إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ لأننا لا ندرى ما يحدث له في نومه. (١) فقد تكلم العلماء فيه وجمعوا بينه وبين ما تقدم من الأحاديث.

قال ابن حجر (رحمه الله): "وقد تكلم العلماء في الجمع بين حديث النوم هذا وبين قوله ﷺ: "إن عيني تامان ولا ينام قلبي"، قال النووي له جوابان: أحدهما: أن القلب إنما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحديث والألم ونحوهما، ولا يدرك ما يتعلق بالعين لأنها نائمة والقلب يقظان. والثاني: أنه كان له حالان: حال كان قلبه فيه لا ينام وهو الأغلب، وحال ينام فيه قلبه وهو نادر فصادف هذا، أي قصة النوم عند الصلاة. والصحيح المعتمد عليه هو الأول والثاني ضعيف" (٢).

ثم ذكر ابن حجر (رحمه الله) أجوبة أخرى ضعيفة، ونقل جواب ابن دقيق العيد واختاره، قال (رحمه الله): "وفرق بين من شرع في النوم مطمئن القلب به وبين من شرع فيه متعلقاً باليقظة، فعلى هذا فلا تعارض ولا إشكال في حديث النوم حتى طلعت الشمس لأنه يُحمل على أنه اطمأن في نومه لما أوجبه تعب السير معتمداً على من وكله بكلاءة الفجر" (٣).

قال ابن حجر: "ومحصلة تخصيص اليقظة المفهومة من قوله: "ولا ينام قلبي" بإدراكه وقت الوتر إدراكاً معنوياً لتعلقه به وأن نومه في حديث الباب كان نوماً مستغرقاً، ويؤيده قول بلال له: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك" (٤).

ومما سبق نخلص إلى أن الأنبياء تمام أعينهم ولا تمام قلوبهم غير أن ذلك لا يعني عدم وقوع الاستغراق في النوم منهم في بعض الأوقات. والله أعلم.

(١) الجامع الصحيح / كتاب التيمم / باب الصعيد الطيب وضوء المسلم بكفيه عن الماء.

(٢) الفتح / ج ١ / ص ٥٣٦.

(٣) المصدر السابق / ج ١ / ص ٥٣٦.

(٤) المصدر السابق / ج ١ / ص ٥٣٦، ٥٣٧.

## المطلب الثاني

### رؤيا الأنبياء

دلت نصوص الشريعة على أن رؤيا الأنبياء حق، وأنه لا بد من حصولها وتحقيق وقوعها فهي وحي من الله بخلاف ما يحصل لغيرهم. وقد ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم ضمن القسم الأول من أقسام الوحي الثلاثة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِيَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وهذه المسألة علاقة وثيقة بمجال بحثي، لذا أردت الوقوف عليها، والله المستعان.

المسألة الأولى: النصوص الشرعية الدالة على صدق رؤيا الأنبياء بإطلاق:

ومما ورد في ذلك قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسيره هذه الآيات: "قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي، ثم تلا هذه الآية ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ وقد قال ابن أبي حاتم عن عكرمة وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: "رؤيا الأنبياء في المنام وحي".<sup>(٣)</sup>

وهذا الذي ذكره ابن أبي حاتم قال عنه ابن كثير (رحمه الله): "ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه"<sup>(٤)</sup>. غير أنه قد دل عليه غيره من الأحاديث الثابتة، كما سيأتي.

(١) الشورى / ٥١، وانظر زاد المسر ج٧/ ص٨٧، والفتح / ج١٢ / ص٣٧٠، والمفردات في غريب القرآن / ص٥١٥،

وتفسير القرآن العظيم / ج٤ / ص١٤.

(٢) الصفات / ١٠٢ - ١٠٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج٤ / ص١٥١٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ج٤ / ص١٥١٤.

وقال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخُصُّكُمْ وَأَخُصُّكُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>

وقال عز وجل في آخر القصة: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ . وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾<sup>(٢)</sup>

وقد عقد البخاري (رحمه الله) باين أدرج فيها الآيات التي سبق ذكرها.<sup>(٣)</sup>

ومما ورد في السنة المطهرة في ذلك: ما رواه البخاري (رحمه الله) عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح... الحديث.<sup>(٤)</sup>

قال ابن حجر (رحمه الله) عند هذا الحديث: " ورؤيا الأنبياء وحى بخلاف غيرهم، فالوحي لا يدخله خلل لأنه محروس بخلاف رؤيا غير الأنبياء فإنها قد يحضرها الشيطان".<sup>(٥)</sup>

ومما ثبت في ذلك ما رواه مسلم (رحمه الله) عن ابن عباس (رضي الله عنها) قال: قَدِمَ مُسْلِمَةُ الْكُذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنَّ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ فَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ قِطْعَةٌ جَرِيدَةٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ قَالَ: " لَوْ سَأَلْتِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ وَلَيْنِ أَدْبَرْتَ لَيَعْقُرَنَّكَ اللَّهُ وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيئُكَ عَنِّي ". ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ " فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ

(١) يوسف / ٤ - ٦.

(٢) يوسف / ٩٩ - ١٠٠.

(٣) الجامع الصحيح / كتاب التعمير / باب رؤيا يوسف ، وباب رؤيا إبراهيم.

(٤) الجامع الصحيح / كتاب التعمير / باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة.

(٥) الفتح / ج ١٢ / ص ٣٧٠.

النَّبِيِّ ﷺ: " قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنَّ انْفُخَهُمَا فَتَفَخَّهْتُهُمَا فَطَارَا فَأَوَلَّتُهُمَا كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعُنْسِيُّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ " (١)

وفي رواية: " بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتَيْتُ خَزَائِنَ الْأَرْضِ فَوَضَعَ فِي يَدَيَّ أُسْوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَكَبُرَا عَلَيَّ وَأَهْمَانِي فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّ انْفُخَهُمَا فَتَفَخَّهْتُهُمَا فَذَهَبَا فَأَوَلَّتُهُمَا الْكُذَابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا صَاحِبَ صَنْعَاءَ وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ " (٢)

قال النووي (رحمه الله) عند قوله ﷺ: " وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ " أي إن أدبرت عن طاعتي ليقتلنك الله، والعقر القتل، وعقروا الناقة: قتلوها، وقتله الله تعالى يوم اليمامة، وهذا من معجزات النبوة" (٣)

وقال عند قوله ﷺ: " فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّ انْفُخَهُمَا " نفخه ﷺ إياهما فطارا دليل لانحماقهما واضمحلال أمرهما، وكان كذلك وهو من المعجزات" (٤)

### المسألة الثانية: الفرق بين رؤى الأنبياء ورؤى غيرهم من البشر:

ثبت بنصوص الشريعة أن رؤيا الأنبياء حق وأنها وحي من الله، فماذا عما يراه غيرهم من أحلام ورؤى.

هذا ما أردت الوقوف عليه من خلال نصوص الشريعة المطهرة، والله المستعان.

روى البخاري (رحمه الله) عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ: " يقول إذا رأى أحدكم رؤيا يجبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره " (٥)

(١) صحيح مسلم / كتاب الرؤيا.

(٢) صحيح مسلم / كتاب الرؤيا.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي / مع / ج ٥ / ص ٣٣.

(٤) المصدر السابق / مع / ج ٥ / ص ٣٤.

(٥) الجامع الصحيح / كتاب الرؤيا / باب الرؤيا من الله .

وروى كذلك عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: "الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان".<sup>(١)</sup>

وقال ﷺ: "الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة".<sup>(٢)</sup> وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا اقترب الزمان لم تكذب تكذب رؤيا المؤمن ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وما كان من النبوة فإنه لا يكذب".<sup>(٣)</sup>

وروى مسلم نحو ذلك عن أبي هريرة عن وفيه: ".. وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاثة فرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه فإن رأى أحداكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس...". الحديث.<sup>(٤)</sup>

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة".<sup>(٥)</sup>

وعن جابر عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي حَلَمْتُ أَنَّ رَأْسِي قُطِعَ فَأَنَا أَتْبَعُهُ فَرَجَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: "لَا تُخْبِرُ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي الْمَنَامِ".<sup>(٦)</sup>

(١) الجامع الصحيح / كتاب الرؤيا / باب الرؤيا من الله .

(٢) الجامع الصحيح / كتاب الرؤيا / باب رؤيا الصالحين.

(٣) الجامع الصحيح / كتاب الرؤيا / باب القيد في المنام.

(٤) صحيح مسلم / كتاب الرؤيا.

(٥) الجامع الصحيح / كتاب الرؤيا / باب رؤيا الصالحين.

(٦) صحيح مسلم / كتاب الرؤيا.

وما سبق من الأحاديث الشريفة نخلص إلى أن:

(١) رؤيا الأنبياء حق وهي وحي من الله محروسة من الشيطان، أما غير الأنبياء فإن الرؤى في حقهم ثلاثة أصناف: منها ما هو من الله عز وجل وهي المبشرات والرؤى الصالحة والتي هي جزء من أجزاء النبوة وهي حق. ومنها ما هو من الشيطان، وهي من تلاعب الشيطان بابن آدم ليحزنه وينغص عليه. ومنها ما هو حديث نفس، حيث يرى النائم شيء مما كان عليه في يومه أو شيء مما كان يحدث به نفسه قبل نومه ونحو ذلك.

(٢) وجوب التأدب بالآداب الشرعية في الأحلام والرؤى مما أرشد إليه نبينا ﷺ .

(٣) أن رؤيا غير الأنبياء حتى وإن كانت رؤيا صالحة فهي ليست مصدر من مصادر التشريع الإسلامي كما يظنه بعض الجهال من المتصوفة.

رؤيا  
صالحة



## المبحث الثاني

### خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالموت والبلوغ

#### المطلب الأول

#### يقبرون حيث يموتون

ومما خص الله به الأنبياء بعد موته: أنه لا يقبر نبي إلا في الموضع الذي مات فيه. ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد (رحمه الله) في مسنده بإسناد صحيح عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لن يقبر نبي إلا حيث يموت".<sup>(١)</sup> وروى البخاري (رحمه الله) عن عروة عن عائشة قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتعذر في مرضه أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟ استبطاء ليوم عائشة فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري ودفن في بيتي.<sup>(٢)</sup>

وروى أيضاً عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكته فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال: "ارجع فقل له يضع يده على متن نور فله بكل ما عطف به يده بكل شعرة سنة" قال: أي رب ثم ماذا؟ قال ثم الموت قال: فالتان فسأل الله أن يذنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال: قال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكيبب الأحمر".<sup>(٣)</sup>

ومما سبق يتبين أن الأنبياء يقبرون حيث يموتون ،، والله أعلم.

(١) مسند الإمام أحمد / مسند العشرة ، وانظر صحيح الجامع الصغير / ج ٥ / ص ٤٦ .

(٢) الجامع الصحيح / كتاب الجنائز / باب ما جاء في قبر النبي ﷺ .

(٣) الجامع الصحيح / كتاب الجنائز / باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة ونحوها.

## المطلب الثاني

### حياة الأنبياء في القبور

بيّنت نصوص الشريعة أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وهذا من تكريم الله عز وجل لهم ورفع منزلتهم.

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: "إن حياة الأنبياء ثابتة بالقرآن، فحياة الأنبياء أكمل من حياة الشهداء، وقد نص القرآن على حياة الشهداء، فإثبات هذه الحياة للأنبياء من باب أولى فمرتبة الأنبياء فوق مرتبة الشهداء".<sup>(١)</sup>

وقال (وقفه الله) أيضاً: "إن حياة الأنبياء مسألة علمية تضيف إلى ما تعلمه عن الأنبياء علماً يدل على تكريمهم وتوقيرهم وبيان عظيم منزلتهم عند ربهم".<sup>(٢)</sup>

#### المسألة الأولى: النصوص الشرعية الدالة على حياة الأنبياء في القبور:

من النصوص الدالة على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك (رضي الله عنه): أن النبي ﷺ ليلة أسري به مرَّ على موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره.<sup>(٣)</sup>

وفي رواية: "أتيتُ موسى ليلة أسري بي عند الكيثب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره".<sup>(٤)</sup>

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لقد رأيتني في الحجر وأنا أُخبر قريشاً عن مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط" قلل: "فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأهم به وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضُربٌ جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبهه الناس به صاحبكم يعني نفسه، فحانت الصلاة فأمتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبداًني بالسلام".<sup>(٥)</sup>

(١) مقدمة كتاب رسالتان في حياة الأنبياء / ص ٦.

(٢) مقدمة كتاب رسالتان في حياة الأنبياء / ص ٨.

(٣) صحيح مسلم / كتاب الفضائل. وصححه الألباني في صحيح الجامع / ج ٢ / ص ٩٤.

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل.

(٥) صحيح مسلم / كتاب الإيمان.

وروى أحمد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله روحي حتى أرد عليه السلام".<sup>(١)</sup>  
قال البيهقي (رحمه الله): "وإنما أراد - والله أعلم - إلا وقد ردّ إليّ روحي حتى أرد عليه السلام".<sup>(٢)</sup>

وقال في موضع آخر: "والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعدما قبضوا رُدت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا ﷺ جماعة منهم ليلة المعراج، وأمرونا بالصلاة عليه والسلام عليه وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه".<sup>(٣)</sup>

### المسألة الثانية: المراد بحياة الأنبياء في قبورهم والرد على من قال أنها حياة حقيقية كالحياة الدنيا، مع بيان مُستقر أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

(( إن المراد بحياة الأنبياء في قبورهم ليست حياة حقيقية كحياتهم في الدنيا بل الحياة البرزخية من الغيب الذي أخبرنا الله به ولم نعلم حقيقته وكنهه ولذلك وجب علينا الإيمان بحياة الأنبياء على هذا الأساس مع الجزم باختلافها عن حياة الدنيا.

وقد أخبر الله عز وجل بأن رسول الله ﷺ وبقية الأنبياء قبله قد جرت عليهم سنة الموت كبقية البشر قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِإِنْسَانٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ قال الشيخ سليمان بن سحمان (رحمه الله): "ومن المعلوم أنه لم يكن ﷺ حياً في قبره كالحياة الدنيوية المعهودة التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه ويحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس والنكاح وغير ذلك بل حياته ﷺ حياة برزخية وروحه في الرفيق الأعلى وكذلك أرواح الأنبياء، والأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت فمنها أرواح في أعلى عِلين في الملاء الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء ونبينا في المترلة العليا التي هي الوسيلة"

(١) أخرجه أحمد في مسنده / مرويات أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رسالتان في حياة الأنبياء / ص ٥٥.

(٣) رسالتان في حياة الأنبياء / ص ١٢، ٧٧.

ويزيد الإمام ابن القيم هذا الأمر وضوحاً مبيناً الفرق بين الروح وبين وما يعهد من الأجسام المخلوقة موضحاً منازلها بعد موتها وعلاقتها بأبدانها التي فارقتها والمكانة الخاصة لأرواح الأنبياء فيقول ( رحمه الله ) بعد كلام طويل: " وقد بينا أن عرض مقعد الميت عليه من الجنة أو النار لا يدل على أن الروح في القبر ولا على فنائه دائماً من جميع الوجوه بل لها إشراف واتصال بالقبر وفنائه، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده فإن للروح شأناً آخر تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين ولها اتصال بالبدن بحيث إذ سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملاء الأعلى، وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام إذا شغلت مكاناً لم يمكن أن تكون في غيره وهذا غلط محض، بل الروح تكون فوق السموات في أعلا عليين فترد إلى القبر وترد السلام وهي في مكانها.

وروح رسول الله ﷺ في الرفيق الأعلى دائماً ويردها الله سبحانه وتعالى إلى القبر فيرد السلام على من يسلم عليه ويسمع كلامه، وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة والسابعة، فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمثل شعاع الشمس وجرمها في السماء".

وعلى هذا فما ورد من نصوص يستدل بها على حياة الأنبياء في قبورهم ليس فيها ما يمكن أن يكون قاطعاً في دلالة على ما ذهب إليه القائلون بأنهم أحياء في القبور كحيلقم في الدنيا وإنما فيها إثبات حياة لهم في قبورهم ولا يصح القول بأنها حياة حقيقية كحياتهم في الدنيا وإنما هي برزخية خاصة لأن الروح باقية لا تفتى ولها خمسة تعلقات كما ذكر الإمام ابن القيم أيضاً في كتاب الروح وهي:

الأول: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ فإنها وإن فارقت وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً. " ١. هـ.

وقد جاء في القرآن أن رسول الله ميت: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ فإذا صح وثبت أن الرسول ﷺ قد مات فهل جاء عنه أن الله باعته في القبر قبل يوم القيامة؟ لم يرد ولم يثبت شيء من ذلك لأن القول به يقتضي أن للرسول موتات ثلاث ولغيرهم موتتين وهذا غير صحيح لأنه عند النفخ في الصور لا يبقى أحد على وجه الأرض أحد إلا مات والقول بأن الأنبياء أحياء يقتضي أنهم يموتون وفي بيان ذلك يقول الإمام ابن القيم:

ولقد أبان الله أن رسوله ميت كما قد جاء في القرآن  
 أفجاء أن الله باعته لنا: في القبر قبل قيامة الأبدان  
 أثلاث موتات تكون لرسوله ولغيرهم من خلقه موتان  
 أفهل يموت الرسل أم يقولوا إذا مات الورى أم هل لكم قولان؟  
 فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجئوا بالدليل فنحن ذو أذهان

وهذا يتبين بطلان قول من قال بأن حياة الأنبياء الثابتة لهم في قبورهم هي حياة حقيقية كالحياة في الدنيا، إذ هذا مصادمة للأدلة التي تدل على موتهم كسائر البشر، فما ثبت لهم إنما هي حياة برزخية خاصة أكمل حتى من حياة الشهداء)).<sup>(١)</sup>

وخلاصة ما سبق: أن الأنبياء أحياء في قبورهم حياة خاصة يعلمها الله عز وجل ليست كالحياة في الدنيا، وهي فوق حياة الشهداء المذكورة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأن مستقر أرواح الأنبياء في الرفيق الأعلى وقدرة الله لا تحدّها الحدود فهو قادر على كل شيء.

(١) حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاهم للبهقى / تحقيق الدكتور أحمد بن عطية العامدي / ص ٤١، ٥٦ - ٦١.  
 وانظر رسالتان في حياة الأنبياء / تحقيق محمد أبو صعلوك وتقديم د/ عمر سليمان الأشقر / ص ١٤١، ١٤٣.

## المطلب الثالث

### الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء

ومن إكرام الله لأتبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام أن الأرض لا تأكل أجسادهم، فمهما طال الزمان وتقدم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البلى. وهذا من الأمور التي تفرد بها الأنبياء على سائر البشر. (١)

ومما يدلنا على ذلك ما رواه أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي"، قال: قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت، يقولون بليت؟ فقال: "إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء". (٢)

قال ابن القيم (رحمه الله): "ومعلوم بالضرورة أن جسده ﷺ طوي مطرا، وقد سأل أصحابه وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: "إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" ولو لم يكن جسده في ضريحه لما أجاب بهذا الجواب". (٣)

وروى أحمد من طريق حيوة بن شريح عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله روحي حتى أرد عليه السلام". (٤)  
قال البيهقي (رحمه الله): "وإنما أراد - والله أعلم - إلا وقد ردّ إليّ روحي حتى أرد عليه السلام". (٥)

وقال في موضع آخر: "والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعدما قبضوا رُدَّت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا ﷺ جماعة منهم ليلة المعراج، وأمرنا بالصلاة عليه والسلام عليه وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه وأن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء". (٦)

(١) انظر الرسل والرسالات / ص ٩٢.

(٢) حرجه النسائي وصححه ابن خزيمة، انظر صحيح الترغيب والترهيب للأباني/ص ٢٩٣، وسلسلة الأحاديث الصحيحة/ج ٣/٢٠١-٣٠٠.

(٣) الروح / ص ٦٧، ٦٨.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده / مرويات أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رسالتان في حياة الأنبياء / ص ٥٥.

(٦) رسالتان في حياة الأنبياء / ص ١٢، ٧٧.

وروى مسلم (رحمه الله) في صحيحه عن النبي ﷺ قال: " أتيتُ موسى ليلة أُسري بي عند الكنيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره".<sup>(١)</sup>

وقال القرطبي في التذكرة: " صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ورأى موسى قائماً يصلي في قبره".<sup>(٢)</sup>  
وقال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي: " إن الأنبياء لا يلبسون ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وقد مات موسى في زمانه وأخبر نبينا ﷺ أنه رآه في قبره مصلياً".<sup>(٣)</sup>

ونخلص مما سبق إلى أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء بل أجسادهم الشريفة في الأرض  
تبلى مهما تقادم العهد، وهذا من تشریف الله لهم وتكريمه سبحانه وتعالى، وهو من خصائصهم العظيمة.

(١) صحيح مسلم / كتاب الفضائل .

(٢) رسالتان في حياة الأنبياء / ص ٧٥ .

(٣) رسالتان في حياة الأنبياء / ص ٧٦ .

## المطلب الرابع تخيير الأنبياء عند الموت

ومن الخصائص التي اختص الله به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم يُخَيرون عند الموت بين الدنيا والآخرة وأهم يختارون الآخرة ونعيمها على الدنيا ومتاعها.

ومما ورد في ذلك ما رواه البخاري (رحمه الله) عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ..﴾ الآية فظننت أنه خير".<sup>(١)</sup>

وروى البخاري أيضاً (رحمه الله) عن عائشة (رضي الله عنها) قولها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَاحِحٌ: لَمْ يُقَيِّضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ، وَرَأْسُهُ عَلَى فِجْذِي عُشْبِي عَلَيْهِ سَاعَةٌ ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى" قُلْتُ: إِذَا لَا يَخْتَارُنَا ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَاحِحٌ قَالَتْ فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا "اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى".<sup>(٢)</sup>

وروى البخاري كذلك عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَيَّ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكُّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: "ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْ تَوَرَّأَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً" قَالَ: "أَيُّ رَبِّ تَمَّ مَاذَا؟" قَالَ: "تَمَّ الْمَوْتُ" قَالَ: فَالآنَ فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً يَحْجَرُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَيْبِ الْأَحْمَرِ".<sup>(٣)</sup>

ومن النصوص السابقة نخلص إلى أن الأنبياء يُخَيرون عند موتهم بين الدنيا والآخرة وأهم يختارون الآخرة الباقية على الدنيا الفانية. والله المستعان.

(١) الجامع الصحيح / كتاب الغاري / باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، وانظر كتاب التفسير/ باب (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين).

(٢) الجامع الصحيح / كتاب الدعوات / باب دعاء النبي ﷺ : ( اللهم الرفيق الأعلى).

(٣) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب موت موسى وذكره بعد.



## المبحث الثالث

### نصر الأنبياء على أعدائهم

ومما خص الله به أنبيائه الكرام: نصرهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة. (١)  
ومما ورد في ذلك على سبيل الإجمال قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ  
آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٢)

وقال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (٣)  
وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ  
آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٤)  
وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَإِنَّ  
جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٥)

وقال عز من قائل عن محمد ﷺ: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٦)  
وأما على سبيل التفصيل فقد ذكر الله عز وجل هلاك قوم نوح فقال عز وجل ﴿ كَذَّبَتْ  
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْثُونٌ وَازْدُجِرَ. فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ. فَفَتَحْنَا  
أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ. وَحَمَلْنَاهُ  
عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ. تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ. وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ  
مُدْكِرٍ. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (٧)

وبين كذلك هلاك قوم ثمود فقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَهَلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ (٨)

(١) انظر النبوات / ص ٤١٠، ٤١١، وشرح العقيدة الأصفيانية / ص ١٣٧.

(٢) غافر / ٥١.

(٣) يوسف / ١١٠.

(٤) الأنعام / ٣٤.

(٥) الصافات / ١٧١ - ١٧٣.

(٦) التوبة / ٤٠.

(٧) القمر / ٩ - ١٦.

(٨) الحاقة / ٥.

كما أخبر عن هلاك قوم عاد فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (١)  
 وبين هلاك غيرهم من أعداء الرسل عليهم الصلاة والسلام، كهلاك قوم شعيب وقوم  
 لوط وفرعون وأتباعه.

كما بيّنت السنة المطهرة شيئاً من ذلك، ومنه ما رواه البخاري (رحمه الله) عن ابن  
 عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: " نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ وَأَهْلَكْتُ عَادَ بِالدَّبُورِ " (٢).  
 وروى كذلك عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ: " لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرُ فِي  
 غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بَثْرِهَا وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَجَّنا مِنْهُ وَاسْتَقِينَا،  
 فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ وَيَهْرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ " (٣).  
 وروى عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: " لَا تَدْخُلُوا  
 مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يَصِيَّكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ " (٤).

ونصر الرسل على أعدائهم قد يكون يهلك أعدائهم ونجاتهم كما حصل لقوم نوح  
 وهود وصالح ولوط وشعيب، وقد يكون بغلبة وذل أعدائهم دون عذاب استتصال كما  
 حصل لإبراهيم عليه السلام حيث أن الله عز وجل قد نصره عليهم بنجاته من النار وأظهر  
 صدق دعواه ولم يهلك قومه. غير أنه وإن لم يحصل عذاب في الدنيا فإنه حاصل في الآخرة  
 لمن استمر على كفره وتكذيبه لا محالة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): " ومن آياته نصر الرسل على قومهم، وهذا  
 على وجهين: تارةً يكون يهلك الأمم وإنجاء الرسل وأتباعهم كقوم نوح وهود وصالح  
 وشعيب ولوط وموسى، " (٥).

(١) الخاقعة / ٦.

(٢) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ( وإلى عاد أخاهم هودا ).

(٣) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ( وإلى هود أخاهم صالحا ).

(٤) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ( وإلى هود أخاهم صالحا ).

(٥) النبوات / ص ٤٠.

وذكر الوجه الآخر عند قوله تعالى تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾ فقال: " وهذا يقتضي أنها عاقبة رديئة إما بكونهم غلبوا وذلوا وإما بكونهم أهلكوا، ولهذا ذكر فيها (أي في سورة الصافات) قصة إلباس ولم يذكرها في غيرها ولم يذكر هلاك قومه بل قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ وإلباس قد روي أن الله تعالى رفعه، وهذا يقتضي عذابهم في الآخرة فإن إلباس لم يقم فيهم، وإلباس المعروف بعد موسى عليه السلام من بني إسرائيل، وبعد موسى لم يهلك المكذبين بعذاب استئصال".<sup>(١)</sup>

ولا شك أن نصر الله لرسوله من أظهر دلائل نبوة الأنبياء، قال الدكتور عمر سليمان الأشقر: "ومما يدلنا على صدق الأنبياء والمرسلين: نصره الله لهم وحفظه إياهم، فإنه يستحيل على الله وتعالى أن يتقول عليه متقول فيدعي أنه مرسل من عند الله وهو كاذب في دعواه ثم بعد ذلك يؤيده الله وينصره ويرسل الملائكة لشيئته".<sup>(٢)</sup>

والخلاصة مما سبق: أن الأنبياء منصورون في الدنيا بنجاحهم وهلاك أعدائهم بعذاب استئصال أو بنجاحهم وغلبة ذل أعدائهم دون عذاب استئصال في الدنيا بل يُعذبون العذاب الأليم في الآخرة.

## الفصل الثالث

### الأنبياء وخوارق العادات

وفيه ميحطان:

**المبحث الأول:** معجزات الأنبياء وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** معنى المعجزة في اللغة والاصطلاح.

**المطلب الثاني:** نموذج لمعجزات الأنبياء ( الإسراء والمعراج ).

**المبحث الثاني:** كرامات الأولياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** معنى الكرامة، وبيان معتقد أهل السنة والجماعة

فيها مع الأدلة.

**المطلب الثاني:** الرد على المخالفين لمعتقد أهل السن والجماعة

في الكرامة .

## المبحث الأول الأنبياء والمعجزات

تمهيد:

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم خيرة الخلق بإطلاق، يرسلهم الله عز وجل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور فينقذون من شاء الله من براثن الشرك والكفر إلى طريق التوحيد الخاص. غير أن من الكفار من يعاند ويتمادى في غيه وباطله بل قد يصل به الأمر إلى التكذيب رغم وضوح الأمر في نفسه وقد يتعنت ويبالغ في ذلك فيطلب آيات وبراهين تدل على صدق المرسل.

لذا فإن الله عز وجل يظهر الآيات على يد ذلك الرسول ما يؤمن على مثله البشر لتقوم الحجة على المعاندين ويزداد نور اليقين إشراقاً في نفوس المؤمنين. ولأهمية هذه القضية من الناحية العقدية البحتة ولعظيم صلتها بمجال دراستي باعتبارها إحدى أبرز خصائص الأنبياء رأيت أن أقف عليها وأفردتها بالذكر في فصل مستقل لطول الحديث عنها وتشعبه.

والله المستعان وعليه التكلان.

## المطلب الأول معنى المعجزة في اللغة والاصطلاح

مترلة الإيمان بمعجزات الأنبياء في الشريعة:

إن من أصول معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بما يظهر على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات والبراهين والتي يعجز عن مثلها البشر وتكون حجة عليهم أمام ربهم. ولا شك أن ظهور آيات وبراهين على يد الأنبياء أمر ثابت بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، ومما ورد في ذلك: ناقة صالح، وانقلاب العصا حية وانفلاق البحر لموسى عليه السلام، وغيرها، أما معجزات نبينا محمد ﷺ فهي كثيرة جداً ألفت فيها التواليف الكثيرة. وقد ذكر السفاريني "أن رسول الله ﷺ قد أعطي ثلاثة آلاف معجزة غير القرآن" (١) الذي هو أعظم معجزاته ﷺ. وسوف أتعرض لذكر معجزة كبرى حصلت للرسول ﷺ قريباً إن شاء الله تعالى.

### المعجزة في اللغة:

قال ابن منظور (رحمه الله): "العجز نقيض الحزم، عَجَزَ يَعْجِزُ عن الأمر إذا قَصَرَ عنه، والمُعْجِزَة واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام، ويُقال: أعجزتُ فلاناً إذا ألفتيه عاجزاً". (٢)

وقال الفيروز أبادي (رحمه الله): "التعجيز: الشيط، والنسبة إلى العجز، ومُعْجِزَة النبي ﷺ ما أعْجَزَ به الخصم عن التحدي، والهاء للمبالغة". (٣)

وعلى هذا فإن المعجز في اللغة يُطلق على ما لا يستطيع فعله. (٤)

(١) انظر لوامع الأنوار البهية / ص ٤٦٣.

(٢) لسان العرب / ص ٥ / ١٦٩، ٣٧٠.

(٣) القاموس المحيط / ص ٦٦٣.

(٤) حوارق العادات في القرآن الكريم / ص ١٩.

## المعجزة في الاصطلاح:

اختلف المتكلمون في تعريف المعجزة في الاصطلاح، وقد حدّوها بحدود واشتروا لها جملة من الشروط، غير أن هذه الحدود وتلك الشروط لم تكن جميعها من القضايا المسلّمة. بل كان منها المقبول الموافق لما يتضمنه القرآن الكريم والسنة المطهرة ومنها المخالف المردود.

ومن أبرز من ردّ الخطأ في هذه الأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى) سيما في كتابه الموسوم بـ (النبات) حيث أفاض الحديث فيه عن هذه القضية ويبيّن ما يراه صواباً فيها موافقاً لنصوص الشريعة.<sup>(١)</sup>

## المعجزة عند الأشاعرة:

عرّف الأشاعرة المعجزة بأنّها: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة.<sup>(٢)</sup> وذكر الجويني أن المعجزة لا تدل لعينها وإنما تدل لتعلقها بدعوى النبوة.<sup>(٣)</sup>

يقول عبد القاهر البغدادي في ذلك: "حقيقة المعجزة على طريق المتكلمين ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى به عن معارضته".<sup>(٤)</sup>

وقد اشترط الأشاعرة لها شروطاً ذكروها في مؤلفاتهم،<sup>(٥)</sup> كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) وغيره في أثناء رده عليهم - كما سيأتي إن شاء الله تعالى -.<sup>(٦)</sup>

(١) خوارق العادات في القرآن الكريم / ص ٢٩.

(٢) المرجع السابق / ص ٢٤، وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة / ج ٣ / ص ١٣٧٩.

(٣) الإرشاد / ص ٢٦٩.

(٤) أصول الدين / ص ١٧٠.

(٥) انظر الإرشاد / ص ٢٦١ - ٢٦٦، وانظر أصول الدين / ص ١٧٠، ١٧١، وغيرها من كتب الأشاعرة.

(٦) انظر النبات / ص ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٨٢، ٢٨٩، ٣٢٠، ٣٧١، وغيرها.

## المعجزة عند المعتزلة:

قال ابن تيمية (رحمه الله) في تصوير رأيهم في تعريف المعجزة "منهم - أي من النظائر - من رأى أن كل ما يخرج عن الأمر المعتاد فإنه معجزة وهو الخارق للعادة إذا اقترن بدعوى النبوة، وقد علموا أن الدليل مستلزم للمدلول فيلزم أن يكون كل من حُرقت له العادة نبياً ولا تخرق العادة إلا النبي وكذبوا بما يُذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم كأبي محمد بن حزم وغيره"<sup>(١)</sup>.

وقال "...حيث جعلوا جنس الخارق هو الآلية كما فعلت المعتزلة وأولئك كذبوا بوجود ذلك لغير الأنبياء".<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: "...وأما تسميتها بخرق العادة فللناس في ذلك ثلاثة أقوال: أحدها أن ذلك حد لها مطرد منعكس فكل خرق هو معجزة للنبي فهو خرق عادة".<sup>(٣)</sup>

وقال: "فقليل دليها - أي آية الأنبياء - يختص بها وهو الخارق للعادة فلا يجوز وجوده لغير نبي لا ساحر ولا كاهن ولا ولي كما يقوله من يقول من المعتزلة وغيرهم كابن حزم وغيره".<sup>(٤)</sup>

واشترطوا لها شروط ذكرها القاضي عبد الجبار<sup>(٥)</sup>.

### والخلاصة مما سبق:

أن المعتزلة: اعتبروا خرق العادة حداً للمعجزة فلا يوجد خرق العادة إلا في المعجزة. وهو من خصائصها بحيث إذا وجد الخارق وجدت المعجزة. واعتبروا جميع ما حصل للأنبياء وما ظهر على أيديهم من الخوارق اعتبروها جميعاً معجزات. وكذبوا بما يحصل لما سواهم من الخوارق فأنكروا خوارق السحر والكهانة وأنكروا كرامات الأولياء.

(١) النبوات / ص ٥.

(٢) المصدر السابق / ص ٤٤.

(٣) المصدر السابق / ص ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق / ص ٤٤.

(٥) انظر المعنى للقاضي عبد الجبار / ج ١٥ / ص ١٩٩.



أما الأشاعرة: فقد جعلوا خرق العادة شرط في المعجزة وليس من خصائصها. وهذا حق غير أنهم اشتروا للمعجزة اقتران الخارق بدعوى النبوة وتحدي المدعي لمن دعاهم مع عدم المعارض، فالحجة عندهم مجموع الدعوى والخارق لا الخارق وحده والاعتبار بالسلامة عن المعارض والتحدي.<sup>(١)</sup>

### المعجزة عند السفاريني ( رحمه الله):

قال السفاريني: "المعجزة اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة، وقال ابن حمدان: المعجزة هي ما خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنما وطابقها على جهة التحدي ابتداءً بحيث لا يقدم أحد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقارنهما، واحترزوا بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الأولياء والعلامات الإرهابية التي تقدم البعثة النبوية وعن أن يتخذ الكاذب معجزة من مضى من الأنبياء أو ما تقدم له في السنين الماضية حجة لنفسه، وبقيد عدم المعارضة عن السحر والشعوذة. وقول ابن حمدان طابقها: ليخرج مد إذا قال معجزتي تُطَقُّ هذا الحجر فنطق بأنه كذاب مقترى وكما تفل مسيلمة في بئر فغار مأوهد ومسح على رأس غلام فصار أقرع ونحو ذلك".<sup>(٢)</sup>

وفي هذا التعريف قرب شديد ومشابهة واضحة لتعريف الأشاعرة.

(١) انظر النبوات / ص ٦٤، ٨، ١٥٠، ١٥٦.

(٢) مختصر لواعم الأنوار البهية / ص ٤٦٣.

## المعجزة عند علماء أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين

لم أجد فيما بين يديّ من أمهات المصادر تعريفاً دقيقاً للمعجزة عند أحد من أهل السنة والجماعة، غير أن شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) وإن لم يعرفها تعريفاً مباشراً إلا أنه قد تكلم عنها وبيّن ما يلزمها وما يجوز اشتراطه لها وما لا يجوز وذلك في أثناء رده على ما اعتبره المتكلمون في مصطلح المعجزة. ويمكننا من خلال استقراء تلك الردود معرفة ما هو صواباً في تعريف المعجزة،

وسوف أعرض لكلامه في ذلك عرضاً شاملاً أحسبه - إن شاء الله - يفي بالمطلوب

والله المستعان.

## الرد على المعتزلة و الأشاعرة فيما ذهبوا إليه في تعريف المعجزة:

ومما رد به على المعتزلة و الأشاعرة معاً وتعرّض فيه لتعريف المعجزة قوله (رحمه الله): "آيات الأنبياء هي أدلة صدقهم وبراهين صدقهم وهي ما يستلزم صدقهم ويمتنع وجوده بدون صدقهم فلا يمكن أن يكون ما يدل على النبوة موجوداً بدون النبوة ثم كونه مستلزماً للنبوة ودليلاً عليها يُعلم بالضرورة، فأيات الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا تُحدد بحدود يدخل فيها غير آياتهم كحد بعضهم كالمعتزلة وغيرهم بأنها خرق العادة، ولم يُعرف مسمى هذه العبارة بل ظن أن خوارق السحرة والكهان والصالحين خرق للعادة فكذبها. وحد بعضهم بأنها الخارق للعادة إذا لم يعارضه أحد وجعل هذا فصلاً احترز به عن تلك الأمور فقال المعجزة هي الخارق المقرون بالتحدي بالمثل مع عدم المعارضة، وجوّز أن يأتي غير الأنبياء بمثل ما أتوا به سواء مع المعارضة وجعل ما يأتي به الساحر والكاهن معجزات مع عدم المعارضة، وحقيقة المعجز هذا ما لم يُعارض ولا حاجة إلى كونه خارقاً للعادة بل الأمور المعتادة إذا لم تُعارض كانت آية وهذا باطل قطعاً، ثم مسيلمة والأسود العنسي وغيرهما لم يُعارضوا".<sup>(١)</sup>

### وبين حقيقة مقالة الأشاعرة في المعجزة ورد عليهم على وجه التفصيل فقال

(رحمه الله): "إن حقيقة الأمر على قول هؤلاء الذين جعلوا المعجزة الخارق مع التحدي: أن المعجز في الحقيقة ليس إلا منع الناس من المعارضة بالمثل سواء كان المعجز في نفسه خارقاً أو غير خارق، وكثير مما يأتي به الساحر والكاهن أمر معتاد لهم وهم يجوّزون أن يكون آية للنبي (ف) الاعتبار بمجرد عدم المعارضة".<sup>(٢)</sup>

كما رد على قولهم بأن المعجزة لا تدل لعينها وإنما تدل لتعلقها بدعوى النبوة وأن المعجزة هي مجموع الدعوى مع التحدي فقال: "إذا كانت المعجزة هي مجموع دعوى الرسالة مع التحدي فلا حاجة إلى كونه خارقاً كما تقدم ويجب إذا تحدى بالمثل أن يقول: فليأت بمثل القرآن من يدعي النبوة، فإن هذا هو المعجز عندهم وإلا القرآن مجرداً ليس بمعجز، فلا يُطلب مثل إلا ممن يدعي النبوة كما في الساحر والكاهن إذا ادعى النبوة سلب

نشر

(١) النبوات / ص ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق / ص ٥٦.

الله ذلك أو قيص له من يعارضه، وإذا لم يدع النبوة جاز أن يظهر على يده مثل ما يظهر على يد النبي فكذلك يلزمهم مثل هذا في القرآن وسائر المعجزات".<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: "المعجزات عندهم لا تختص بجنس من الأجناس المقدورات بل خاصتها أن النبي يحتاج بها ويتحدى بمنهلاً فلا يمكن معارضته فاشترطوا له وصفين: أن تكون مقترنة بدعوى النبوة وجعلوا المدلول جزءاً من الدليل، وأنها لا تُعارض. وبالأول فرّقوا بينها وبين الكرامات وبالتالي فرّقوا بينها وبين السحر والكهانة، وصرحوا بأن جميع خوارق السحرة والكهان يجوز أن تكون معجزة نبي، لكن إذا كانت لم تمكن معارضتها، فلو ادعى ساحر أو كاهن النبوة لكان الله يعجزه عن تلك الخوارق. وهذا الذي قالوا باطل من وجوه متعددة"<sup>(٢)</sup>.

ومما ذكر من هذه الأوجه: "فإن عامة معجزات الرسول لم يكن يتحدى بها ويقول اتنوا بمنهلاً، والقرآن إنما تحداهم لما قالوا أنه افتراه ولم يتحداهم به ابتداءً، وسائر المعجزات لم يتحد بها، وليس فيما نُقل تحدٍ إلا بالقرآن، لكن قد عُلم أنهم لا يأتون بمثل آيات الأنبياء، فهذا لازم لها لكن ليس شرط ذلك أن يقارن خبره.

وأيضاً فمن آيات الأنبياء ما كان قبل ولادتهم وقبل إنبائهم وما يكون بعد موتهم، فإن الآية دليل على صدق الخبر بأنه رسول الله وهذا الدليل لا يختص لا بمكان ولا زمان.

وأما قوهم خاصة المعجز عدم المعارضة، فهذا باطل وإن كان عدم المعارضة لازماً له، فإن هذا عدم لا يُعلم إذ يمكن أن يعارضه من ليس هناك إذا كان مما يُعلم أنه معتاد مثل خوارق السحرة والكهان، فإنه وإن لم يمكن أن يُعارض في هذا الموضع فقي السحرة والكهان من يفعل مثلها مع أنه ليس بنبي، ودليل النبوة يتمتع بثبوته بدون نبوة، وإذا قالوا: الدليل هو مجموع الدعوى، والدليل يتبين خطأهم وأن القوم لم يعرفوا دلائل النبوة ولا أقاموا دليلاً على نبوة الأنبياء".<sup>(٣)</sup>

(١) التواتر / ص ٥٦، ٥٧.

(٢) المصدر السابق / ص ٢٩١.

(٣) المصدر السابق / ص ٢٩٣.

وقال: "وليس من شرط دلائل النبوة لاقترانه بدعوى النبوة ولا الاحتجاج به ولا التحدي بالمثل ولا تقرع من يخالفه بل كل هذه الأمور قد تقع في بعض الآيات لكن لا يجب أن ما لا تقع معه لا يكون آية بل هذا إبطال لأكثر آيات الأنبياء لخلوها عن هذا الشرط، ثم هو شرط بلا حجة فإن الدليل على المدلول عليه هو ما استلزم وجوده وهذا لا يكون إلا عند عدم المعارض المساوي أو الراجح وما كان كذلك فهو دليل سواء قال المستدل به انتوا بمثله وأنتم لا تقدرون على الإتيان بمثله وقرعهم وعجزهم أو لم يقل ذلك".<sup>(١)</sup>

كما رد على المعتزلة استقلالاً وناقشهم فيما حدوا به المعجزة فقال: "وكون الآية خارقة للعادة هو وصف لم يصغه القرآن والحديث ولا السلف، وهذا وصف لا ينضبط وهو عديم التأثير فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة إلى غيرهم".<sup>(٢)</sup>

وقال: "فلهذا لم يكن في كلام الله ورسوله وسلف الأمة وأئمتها وصف آيات الأنبياء بمجرد كونها خارقة للعادة، ولا يجوز أن يُجعل مجرد خرق العادة هو الدليل فإن هذا لا ضابط له وهو مشترك بين الأنبياء وغيرهم، ولكن إذا قيل من شرطها أن تكون خارقة للعادة بمعنى أنها لا تكون معتادة للناس فهذا ظاهر يعرفه كل أحد".<sup>(٣)</sup>

وقال: "فكونه - أي المعجز - خارقاً للعادة - أي حده بهذا - ليس أمراً مضبوطاً، فإنه إن أريد به أنه لم يوجد له نظير في العالم فهذا باطل فإن آيات الأنبياء بعضها نظير بعض، بل النوع الواحد منها كإحياء الموتى هو آية لغير واحد من الأنبياء. وإن قيل إن بعض الأنبياء كانت آيته لا نظير لها كالقرآن والعصا والناقة لم يلزم ذلك في سائر الآيات. ثم هب أنه لا نظير لها في نوعها لكن وجد خوارق العادات للأنبياء غير هذا فنفس خوارق العادات معتاد جميعه للأنبياء بل هو من لوازم نبوتهم".<sup>(٤)</sup>

(١) النبوات / ص ٢١٠.

(٢) المصدر السابق / ص ١٩.

(٣) المصدر السابق / ص ٢٢.

(٤) المصدر السابق / ص ٢١، ٢٢.

وقال أيضاً: "وهؤلاء جعلوا مجرد كونه خارقاً للعادة هو الوصف المعبر، وفرق بين أن يقلل لا بد أن يكون خارقاً للعادة وبين أن يقال كونه خارقاً للعادة هو المؤثر، فإن الأول يجعله شرطاً لا موجباً والثاني يجعله موجباً، وفرق بين أن يقال العلم والبيان وقراءة القرآن لا يكون إلا من حي وبين أن يقال كونه حياً يوجب أن يكون عالماً قارئاً، ومن هنا دخل الغلط على هؤلاء وليس في الكتاب والسنة تعليق الحكم بهذا الوصف بل ولا ذكر خرق العادة ولا لفظ المعجز وإنما فيه آيات وبراهين وذلك يوجب اختصاصها بالأنبياء".<sup>(١)</sup>

"فالذين سمو هذه الآيات خوارق للعادات وعجائب ومعجزات إذا جعلوا ذلك شرطاً فيها وصفة لازمة لها بحيث لا تكون الآيات إلا كذلك فهذا صحيح وأما إذا جعلوا ذلك حداً لها وضابطاً فلا بد أن يقيدوا كلامهم مثل أن يقولوا خوارق العادات التي تختص بالأنبياء أو يقولوا خوارق عادات الناس كلهم غير الأنبياء، فإن آياتهم لا بد أن تخرق عادة كل أمة من الأمم وكل طائفة من الطوائف، لا تختص آياتهم بخرق عادة بلد معين ولا من أرسلوا إليه بل تخرق عادة جميع الخلق إلا الأنبياء".<sup>(٢)</sup>

(١) النبوات / ص ٤٤، ٤٥.

(٢) المصدر السابق / ٣٢٠.

## المعجزة عند شيخ الإسلام ابن تيمية:

وذكر (رحمه الله) ما يراه صواباً في المعجزة فقال: "ومن خصائص معجزات الأنبياء أنه لا يمكن معارضتها، فإذا عجز النوع البشري غير الأنبياء عن معارضتها كان ذلك أعظم دليل على اختصاصها بالأنبياء بخلاف ما كان موجوداً لغيرها فهذا لا يكون آية البتة. فأصل هذا أن يُعرف وجود الأنبياء في العالم وخصائصهم كما يُعلم وجود السحرة وخصائصهم".<sup>(١)</sup>

وما ذكر كذلك عن آيات الأنبياء: "السابع: أن هذه - أي ما يأتي به الكهان والسحرة - يمكن أن تعارض بمثلها، وآيات الأنبياء لا يمكن أحداً أن يعارضها بمثلها. الثامن: أن تلك ليست خارقة لعادات بني آدم بل كل ضرب منها معتاد لطائفة غير الأنبياء، وأما آيات الأنبياء فليست معتادة لغير الصادقين على الله ولمن صدقهم".<sup>(٢)</sup>

"فآية النبي لا بد أن تكون خارقة للعادة، بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين وذلك أنها حينئذٍ لا تكون مختصة بالنبي بل مشتركة".<sup>(٣)</sup>

وقال: "ومعنى كونها خارقة للعادة: أنها لا توجد إلا للنبوة لا مرة ولا أقل ولا أكثر فالعادة هنا تثبت بمرة. وما يأتي به السحرة والكهان يمتنع أن يكون آية للنبي بل هو آية على الكفر فكيف يكون آية للنبوة، وهو مقدور للشياطين، وآيات الأنبياء لا يقدر عليها جنٌّ ولا إنس، وآيات الأنبياء آيات لجنسها فحيث كانت آية لله تدل على مثل ما أخبرت به الأنبياء وإن شئت قلت: هي آيات لله يدل بها على صدق الأنبياء تارة وعلى غير ذلك تارة، وما يكون للسحرة والكهان لا يكون من آيات الأنبياء بل آيات الأنبياء مختصة بهم. وأما كرامات الأولياء فهي أيضاً من آيات الأنبياء، فإنها لا تكون إلا لمن تشهد لهم بالرسالة فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة. وأيضاً فإن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين ومعجزات الأنبياء فوق ذلك، فالآيات الكبرى مختصة بهم وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين، فقد يوجد لغيرهم ما وجد لهم لكن لا يماثلون في قدره، فهم محتصون: إما بجنس الآيات فلا يكون مثلهم (آيات كبرى) وإما بقدرها وقيمتها".<sup>(٤)</sup>

(١) النبوات / ص ٣٥.

(٢) المصدر السابق / ص ١٨٩.

(٣) المصدر السابق / ص ١٩.

(٤) المصدر السابق / ص ٢٩٥، ٢٩٦.

وقال: "التاسع: أن يقال: آيات الأنبياء لا تكون إلا خارقة للعادة - لغير الأنبياء - ولا تكون مما يقدر أحد على معارضتها فاختصاصها بالنبي وسلامتها عن المعارضة شرط فيها بل وفي كل دليل فإنه لا يكون دليلاً حتى يكون محتصاً بالمدلول عليه ولا يكون محتصاً إلا إذا سلم عن المعارضة".<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: "والله تعالى سماها آيات وبراهين وهو اسم مطابق لمسامه مطرد لا ينتقص فلا تكون قط إلا آيات لهم وبراهين"<sup>(٢)</sup>

وقال: "وأما آيات الأنبياء التي بها تثبت نبوتهم وبها وجب على الناس الإيمان بهم فهي أمر يخص الأنبياء لا يكون للأولياء ولا لغيرهم بل يكون من المعجزات الخارقة للعادات الناقضة لعادات جميع الأنس والجن غير الأنبياء، وخاصتها التي تمتاز بها عن غيرها أن يكون آية ودليلاً على نبوتهم فكل ما استلزم نبوتهم فهو آية لهم وما لا يستلزم نبوتهم فليس بآية".<sup>(٣)</sup>

ثم قال: "فإن قيل فما آيات الأنبياء؟ قيل: هي آيات الأنبياء التي تعلم أنها مختصة بالأنبياء وأنها مستلزمة لصدقهم ولا تكون إلا مع صدقهم وهي لا بد أن تكون خارقة للعادة خارجة عن قدرة الإنس والجن ولا يمكن أحداً أن يعارضها، لكن كونها خارقة للعادة ولا يمكن معارضتها هو من لوازمها ليس حداً مطابقاً لها والعلم بأنها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضرورياً كانشقاق القمر وجعل العصا حية وخروج الناقة فمجرد العلم بهذه الآيات يوجب علماً ضرورياً، بأن الله جعلها آية لصدق هذا الذي استدل بها وذلك يستلزم أنها خارقة للعادة وأنه لا يمكن معارضتها فهذا من جملة صفاتها لا أن هذا وحده كاف فيها"<sup>(٤)</sup>.

"فالآيات التي تكون آيات للأنبياء. هي دليل وبرهان والله تعالى سماها برهاناً في قوله لموسى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهي العصا واليد، وسماها برهاناً وآيات في مواضع كثيرة من القرآن فحلها حد الدليل والبرهان وهي أن تكون مستلزمة لصدق النبي فلا يتصور أن توجد مع انتفاء صدق من أخبر أن الله أرسله فليس له إلا حالان إما أن يكون

(١) النبوات / ص ١٥٦.

(٢) المصدر السابق / ص ٢٨٩.

(٣) المصدر السابق / ص ٣٢٨.

(٤) المصدر السابق / ص ٢٨٣.



الله أرسله فيكون صادقاً أو لا يكون أرسله فلا يكون صادقاً فآيات الصدق لا توجد إلا مع أحد النقيضين وهو الصدق ولا توجد مع الآخر وهو انتفاء الصدق كسائر الأدلة التي هي البراهين والآيات".

والذي أراه - والله أعلم -: أن كلام ابن تيمية (رحمه الله) هو الصواب لموافقه ما دلت عليه نصوص الشريعة، ويمكن من خلال استقراء تلك النصوص تعريف المعجزة على أنها: أمر خارق لعادة من سوى الأنبياء من الأُنس والجن يجريه الله على يد نبيه ابتداءً أو بعد الطلب بحيث لا يمكن لأحد من البشر معارضته ويكون في حكم المتحدى به.

شروطها:

١. أن تكون بأمر الله عز وجل.
  ٢. خرقها لعادة الآدميين وليس لعادة الأنبياء.
  ٣. عدم المعارضة من أحد من البشر.
- وليس من شروطها التحدي الحقيقي الصريح ولا التفرغ ولا التويخ ولا اقتراءها بدعوى النبوة لأن من آيات الأنبياء ما حصل قبل بعثتهم بل قبل ولادتهم بل بعد موافقهم، وليست من شروطها المعارضة، وجعل هذا شرطاً للمعجزة يبطل آيات أكثر الأنبياء لعدم حصولها لجميع الأنبياء<sup>(١)</sup>، لكن من لوازمها التحدي وعدم المعارضة ومقارنة خيرة<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع النبوات / ص ٢١٠.

(٢) راجع النبوات / ص ٢٩٣.

## المطلب الثاني

### نموذج لمعجزات الأنبياء (الإسراء والمعراج)

وهي من أعظم المعجزات البيئات والآيات الخارقات بعد القرآن الكريم، فقد أسرى الله بعبد محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومن هناك عرج به إلى السموات العلا ورأى من آيات ربه الكبرى، فهي معجزة احتوت العديد من المعجزات والآيات العظام الباهرات.

#### الأدلة على ثبوت معجزة الإسراء والمعراج:

ثبتت معجزة الإسراء والمعراج بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة.

ومما يدل على الإسراء قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية: "يمجد تعالى نفسه ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه فلا إله غيره ولا رب سواه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ يعني محمدا ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ أي في جنح الليل ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وهو مسجد مكة ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ وهو بيت المقدس الذي يبلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام، ﴿لِنُرِيَهُ﴾ أي محمدا ﴿مِنَ آيَاتِنَا﴾ أي العظام كما قال تعالى ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.<sup>(٢)</sup>

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (رحمه الله) عن الآية نفسها: "يتره تعالى نفسه المقدسة ويعظمها لأن له الأفعال العظيمة والمنن الجسمية التي من جملتها أنه ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ورسوله محمد ﷺ من المسجد الحرام الذي هو أجل المساجد على الإطلاق إلى المسجد الأقصى الذي هو من المساجد الفاضلة وهو محل الأنبياء فأسرى به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جداً ورجع في ليلته وأراه الله من آياته ما أزداد به هدىً وبصيرةً وثباتاً وفرقاناً

(١) الإسراء / ١.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢.

وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفاً حيث يسره ليسرى في جميع أموره وخوِّله نعماً فاق بها الأولين والآخرين، وظاهر الآية أن الإسراء كان في أول الليل وأنه في نفس المسجد الحرام لكن ثبت في الصحيح أنه أسرى به من بيت أم هانئ فعلى هذا تكون الفضيلة في المسجد الحرام كسائر الحرم فكله تضاعف فيه العبادة كتضاعفها في نفس المسجد".<sup>(١)</sup>

ويدل على المعراج قوله عز وجل: ﴿ أَقْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يُرَى. وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير ( رحمه الله ) في تفسيره لهذه الآية: " هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء قال مجاهد في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال رأى ﷺ جبريل في صورته مرتين وكذلك قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم، وقال الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود قال: " لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوق فيقبض فيها. وقال أبو جعفر الرازي عن أبي هريرة أو غيره - شك جعفر - لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى إلى السدرة فقيل له: إن هذه السدرة فغشيتها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل".<sup>(٣)</sup>

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ( رحمه الله ) عند قوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾: " من الجنة والنار وغير ذلك من الآيات التي رآها ﷺ ليلة أسرى به".<sup>(٤)</sup>

(١) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ٤٠٤، ٤٠٥.

(٢) النجم / ١٢ - ١٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٤ / ص ٢٥٩، ٢٥٢.

(٤) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ٧٦٠، ٧٦١.

وكما دل على الإسراء والمعراج القرآن الكريم كذلك دلت عليه السنة المطهرة والأحاديث في ذلك كثيرة والثابت منها كثير قال ابن كثير (رحمه الله) بعد ذكره الحديث بطرقه: "وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها حصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس".<sup>(١)</sup>

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (رحمه الله): "وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في الإسراء وذكر تفاصيل ما رأى".<sup>(٢)</sup>

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي ذر (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "فُرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء فلما جاء إلى السماء الدنيا قال جبريل لحازن السماء: افتح، قال من هذا؟ قال: هذا جبريل...". الحديث<sup>(٣)</sup>

وقد أجمع المسلمون على حديث الإسراء، قال ابن كثير (رحمه الله): "فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون".<sup>(٤)</sup>

وقال العلامة الصديق حسن خان (رحمه الله): "وأجمع القائلون بالأخبار والمؤمنون بالآثار أن رسول الله ﷺ أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بنص القرآن ثم عرج به إلى السماء واحداً بعد واحد حتى (وصل) إلى فوق السموات السبع وإلى سدرة المنتهى بجسده وروحه جميعاً ثم عاد من السماء إلى مكة قبل الصبح"<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ص ٤٠٥. وانظر كذلك قطف الشعر في عقيدة أهل الأثر / ص ١٢٣، ١٢٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الأنبياء / باب ذكر إدريس عليه السلام، كما رواه في كتاب بدء الخلق وفي كتاب الصلاة،

ورواه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان / باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢٤.

(٥) قطف الشعر في عقيدة أهل الأثر / ص ١٢٣.

## حديث شريك:

روى البخاري (رحمه الله) حديث الإسراء من طريق شريك بن عبد الله،<sup>(١)</sup> وقد خرَّج مسلم (رحمه الله) سند هذا الحديث فقط بعد حديث ثابت البناني ثم نبه عليه فقال: "وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني فقدم فيه شيئاً وأخرَّ وزاد ونقص".<sup>(٢)</sup> قال ابن كثير (رحمه الله): "وهو كما قال مسلم، فإن شريك بن عبد الله بسن أبي نمر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه".<sup>(٣)</sup>

وقال النووي (رحمه الله): "وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث في الكتاب أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله: "فقدم وأخرَّ وزاد ونقص"، ثم نقل كلام الحافظ عبد الحق (رحمه الله) في ذلك الحديث".<sup>(٤)</sup>

وقال ابن حجر (رحمه الله): "أخرج البخاري في أواخر الكتاب - أي التوحيد - حديث شريك بن أبي نمر عن أنس في الإسراء بطوله وقد خالف فيه شريك أصحاب أنس في إسناده ومنتها، أما الإسناد فإن قتادة يجعله عن أنس بن مالك بن صعصعة، والزهري يجعله عن أنس عن أبي ذر، وثابت يجعله عن أنس من غير واسطة، لكن سياق ثابت لا مخالفة بينه وبين سياق قتادة والزهري، وسياق شريك يخالفهم في التقديم والتأخير والزيادة المنكورة".<sup>(٥)</sup> وقال عنه في التقريب: "صدوق يخطئ".<sup>(٦)</sup>

ونقل كلام مسلم والخطابي وابن حزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي في حديث شريك، كما نقل من دافع عنه ومنهم أبو الفضل بن طاهر<sup>(٧)</sup>. وذكر بعد ذلك مجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين، ويبيّن أن ما ذكره من هذه الأوهام يتفق مع ما ذكره ابن القيم من قبله عنها في الهدى.<sup>(٨)</sup>

(١) انظر الجامع الصحيح / كتاب التوحيد / باب ما جاء في قوله عز وجل: ( وكلم الله موسى تكليماً).

(٢) صحيح مسلم / كتاب الإيمان / باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ٢ / ص ٢٠٩، ٢١٠.

(٥) هدي الساري مقدمة فتح الباري / ص ٤٠٢.

(٦) تقريب التهذيب / ج ١ / ص ٣٥١.

(٧) انظر هدي الساري / ص ٤٠٢، ٤٣٠، وانظر الفتح / ج ١٣ / ص ٤٨٨، ٤٩٢، ٤٩٣.

(٨) انظر الفتح / ج ١٣ / ص ٤٩٤، ٤٩٣.

وقال ابن القيم في الهدى (رحمه الله): " وقد غلَطَ الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه ثم قال: " فقدّم وأخّر وزاد ونقص " ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله".<sup>(١)</sup>

فالحاصل: أن حديث شريك قد خالف فيه بقية الرواة وزاد فيه زيادات منكورة لذا نبهت عليه بما ذكره العلماء في ذلك.

قال ابن كثير (رحمه الله) بعد حديث الإسراء الذي ساقه بطرقه: "وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها فحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة، قال موسى بن عقبة الزهري: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، وكذا قال عروة، وقال السدي: بسنة عشر شهراً. والحق أنه عليه السلام أُسري به يقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع فتلقاه من كل سماء مقربوها، وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مرَّ بموسى الكليم في السادسة وإبراهيم الخليل في السابعة ثم جاوز منزلتيهما ﷺ وعليهما وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام أي أقلام القدر بما هو كائن، ورأى سدرة المنتهى وغشيتها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة، ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح، ورأى رفرفاً أخضر قد سدَّ الأفق، ورأى البت المعمور وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ورأى الجنة والنار، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده، وفي هذا اعتلاء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها، ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة، ويُحتمل أنها الصبح من يومئذٍ، ومن الناس من يزعم أنه أهمهم في السماء، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه، والظاهر أنه بعد رجوعه\* إليه لأنه لما مرَّ بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم، وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى. ثم لما فرغ من الذي أُريد به اجتمع هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقدمه في الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام

له في ذلك. ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس، وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل أو اللبن والخمر أو اللبن والماء أو الجميع فقد ورد أنه في بيت المقدس وجاء أنه في السماء ويُحتمل أن يكون هاهنا وهاهنا لأنه كالضيافة للقادم، والله أعلم".<sup>(١)</sup>

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢٢، ٢٣.

\* وهذه المسألة خلافية، انظر صحيح مسلم بشرح النووي / مع ١ / ج ٢ / ص ٢٣٨.



## أبرز المسائل العقدية في حديث الإسراء

### تاريخ الإسراء:

قال ابن كثير (رحمه الله): "كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، وكذا قال عروة، وقال السدي: بسنة عشر شهراً"<sup>(١)</sup>.

وقال النووي (رحمه الله) عند ذكره لبعض أوهام شريك: "منها قوله: "وذلك قبل أن يوحى إليه" وهو غلط لم يوافق عليه، فإن الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً، وقال الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين، وقال ابن إسحاق: أُسري به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل. وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق، إذ لم يختلفوا أن خديجة (رضي الله عنها) صلّت معه ﷺ بعد فرض الصلاة عليه، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة قيل: ثلاث سنين، وقيل بخمس. ومنها أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء فكيف يكون هذا قيل أن يوحى إليه"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر (رحمه الله): "كان بعد البعثة وقبل الهجرة، وأقوى ما يُستدل به أن المعراج بعد البعثة قوله في هذا الحديث نفسه: أن جبريل قال لبواب السماء إذ قال له: أبعث؟ قال: نعم، فإنه ظاهر في أن المعراج كان بعد البعثة"<sup>(٣)</sup>.

كما ذكر ابن القيم (رحمه الله) قول موسى بن عقبة الزهري: "عُرج برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس وإلى السماء قبل خروجه إلى المدينة بسنة وشهران"<sup>(٤)</sup>.  
وبين أيضاً ما يراه فقال: "والصواب الذي عليه أن النقل أن الإسراء كان بمكة بعد البعثة"<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ٢ / ص ٢٠٩، ٢١٠.

(٣) الفتح / ج ١٣ / ص ٤٨٩.

(٤) زاد المعاد / ج ٣ / ص ٤١، ٤٢.

(٥) المصدر السابق / ج ٣ / ص ٤٢.

قال ابن كثير (رحمه الله): "وأنه - أي الإسراء والمعراج - مرة واحدة وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه، فإن الخطأ جائز على من عدا الأبياء عليهم السلام. ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب وهرب إلى غير مهرب ولم يتحصل على مطلب، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أُسري به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ومرة من مكة إلى السماء فقط ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء وفرح بهذا المسلك وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الاشكالات وهذا بعيد جداً ولم يُنقل هذا عن أحد من السلف، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرار".<sup>(١)</sup>

وقال ابن القيم (رحمه الله): "وكان الإسراء مرة واحدة وقيل مرتين: مرة يقظة ومرة مناماً، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وقوله: (ثم استيقظت) وبين سائر الروايات، ومنهم من قال: بل كان هذا مرتين: مرة قبل الوحي لقوله في حديث شريك: (وذلك قبل أن يوحى إليه) ومرة بعد الوحي كما دلت عليه سائر الأحاديث، ومنهم من قال: بل ثلاث مرات: مرة قبل الوحي ومرتين بعده. وكل هذا خبط، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى، فكلمنا اختلفت عليهم الروايات عدداً الوقائع، والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة قبل البعثة، ويا عجباً هؤلاء الذين زعموا أنه مراراً، كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تُفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمساً ثم يقول: "أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي" ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحطها عشرًا عشرًا".<sup>(٢)</sup>

ونقل ابن أبي العز (رحمه الله) كلاماً قريباً مما ذكر ابن القيم فقال: "وقيل كان الإسراء مرتين: مرة يقظة ومرة مناماً، وأصحاب هذا القول كأنهم أرادوا الجمع بين حديث شريك وقوله: (ثم استيقظت) وبين سائر الروايات، وكذلك منهم من قال: بل كان مرتين: مرة قبل

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢٢.

(٢) زاد المعاد / ج ٣ / ص ٤٢.

الوحي و مرة بعده، ومنهم من قال: بل ثلاث مرات: مرة قبل الوحي و مرتين بعده، وكلما اشبه عليهم زادوا مرة للتوفيق، وهذا يفعله ضعفاء أهل الحديث وإلا فالذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة وشهرين ذكره ابن عبد البر<sup>(١)</sup>.

هل الإسراء كان بالجسد والروح "يقظة" أم بالروح "مناماً"؟

قال الطحاوي (رحمه الله): "وقد أُسري بالنبي ﷺ وعُرج بشخصه في اليقظة"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير (رحمه الله): "اختلف الناس هل كان الإسراء يبدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قولين، فلا أكثر من العلماء على أنه أُسري يبدنه وروحه يقظة لا مناماً ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعد يقظة لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ فالنسيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أُسري به وقال تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ والبصر من آلات الذات لا الروح، وأيضاً فإنه حُمِلَ على البراق وهو دابة بيضاء براءة لها لمعان وإنما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه، والله أعلم. وقال آخرون: بل أُسري برسول الله ﷺ بروحه لا بجسده، قال محمد بن إسحاق في السيرة حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سُئِلَ عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله صادقة، وحدثني بعض آل بيت أبي بكر أن عائشة كانت تقول: ما فُقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أُسري بروحه"<sup>(٣)</sup>.

وقال: "والحق أنه عليه السلام أُسري به يقظة لا مناماً"<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ج ٢ / ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / ج ١ / ص ٢٧٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢٣.

(٤) المصدر السابق / ج ٣ / ص ٢٢.

قال الشيخ حافظ الحكمي (رحمه الله): "الذي دلت عليه الآيات والأحاديث أن الإسراء والمعراج كانا يقظة لا مناماً، ولا ينافي ذلك ما ذكر في بعض الروايات في قوله ﷺ: "بيننا أنل نائم" فإن ذلك عند أول ما أتياه ولا يدل على أنه استمر نائماً\* ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحيّاً، ولكن في سياق الأحاديث من ركوبه ونزوله وربطه وصلاته وصعوده وهبوطه وغير ذلك ما يدل على أنه أُسري بروحه وجسده يقظة لا مناماً، وكذا لا ينافي ذلك قول رواية شريك: "فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام" فإن رواية شريك فيها أوام كثيرة تخالف رواية الجمهور عن أنس في أكثر من عشرة مواضع، وسياقه يدل على أنه بالمعنى وصرح في مواضع كثيرة أنه لم يبتها. وتصريح الآية ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ شامل للروح والجسد، وكذلك قوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ جعل رؤية النبي ﷺ لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلاً لرؤيته إياه في الأبطح وهي رؤية عين حقيقة لا مناماً. ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة ولا كان لتكذيب قريش بما وقوهم: كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس شهراً ذهاباً وشهراً إياباً ومحمد يزعم أنه أُسري به إليه وأصبح فينا... إلى آخر تكذبيهم واستهزائهم به ﷺ، ولو كان ذلك رؤيا منام لم يستبعده ولم يكن لردهم عليه معنى لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعاداً لرؤياه، وإنما قص عليهم رسول الله ﷺ مسرى حقيقة يقظة لا مناماً فكذبوه واستهزؤا به استبعاداً لذلك واستعظماً له مع نوع مكابرة لقلّة علمهم بقدرته الله عز وجل".<sup>(١)</sup>

وقال النووي (رحمه الله) ناقلاً كلاماً للقاضي عياض في هذه المسألة: "اختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ فقيل: إنما كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أُسري بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعتها وبحث عنها ولا يُعدل عن ظاهرها إلا بدليل".<sup>(٢)</sup>

\* انظر صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ٢ / ص ٢١٠، والفتح / ج ١٣ / ص ٤٩٦.

(١) معارج القبول / ج ٢ / ص ٤٦٤، ٤٦٥، وانظر أضواء البيان / ج ٣ / ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ٢ / ص ٢٠٩.

وذكر ابن أبي العزr رحمه الله خلافاً آخر في ذلك فيبين أن من الناس من يرى أن الإسراء كان مرتين مره يقظة ومرة مناماً وأصحاب هذا القول كأنهم أرادوا الجمع بين حديث شريك وقوله "واستيقظت" وبين سائر الروايات غير أنه عندما ذكر من يرى أن الإسراء كان بالروح ونقل كلاماً لابن القيم (رحمه الله) قال "ينبغي أن يعرف الفرق بين أن يقال كان الإسراء مناماً وبين أن يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم فعائشة ومعوية لم يقولوا: كان مناماً وإنما قالوا: أسري بروحه ولم يفقد جسده وفرق ما بين الأمرين إذا ما يراه النائم قد يكون أمثلاً مضروبة للمعلوم في الصورة المحسوسة فيرى كأنه قد عُرج به إلى السماء وذهب به إلى مكة وروحه لم تصعد ولم تذهب وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال فما أراد أن الإسراء كان مناماً وإنما أراد أن الروح ذاتها أسري بها ففارقت الجسد ثم عادت إليه ويجعلان هذا من خصائصه فإن غيره لا تنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الموت"<sup>(١)</sup>.

ثم رجح قول الجمهور من أنه كان بالجسد يقظة فقال: "مما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ والعبد عبادة عن مجموع الجسد والروح كما أن الأنبياء اسم لجموع الجسد والروح هذا هو المعروف عند الإطلاق وهو الصحيح ويكون الإسراء بهذا المجموع ولا يمتنع ذلك عقلاً ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر"<sup>(٢)</sup>.

### وخلاصة في الخلاف في هذه المسألة على أقوال:

١. أنه كان يقظة لا مناماً بالروح والجسد معاً وهذا هو قول الجمهور وهو الصواب وقد ذكرت أدلتهم على ذلك وذكرت أن ذلك القول لا يعني إنكارهم لكونه قد يراه النبي ﷺ في المنام ثم تتحقق رؤياه لأن رؤيا الأنبياء حق وهي وحي من الله عز وجل.
٢. أنه كان مرتين مره يقظة ومرة مناماً وذكرت سبب هذا القول الذي ذكره ابن أبي العزr وغيره وهو محاولة جمعهم بين رواية شريك وغيرها من الروايات.

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ج ١ / ص ٢٧٠، ٢٧٢. وانظر زاد المعاد / ج ٣ / ص ٤٠، ٤١.

(٢) المصدر السابق / ج ١ / ص ٢٧٦، ٢٧٧.

٣. أنه كان بالروح. وبينت خطأ من يرى أن الإسراء ( بالروح ) أي في المنام) بما ذكره الشيخ حافظ الحكمي ( رحمه الله ) من الردود. غير إنني قد ذكرت أيضاً قول ابن القيم- ونقله عنه ابن أبي العز - من أنه ليس مقصود من قال أن الإسراء كان بالروح أنه كان ( مناماً ) وإنما المقصود أن الروح ذاتها قد عرج بها على الحقيقة بعد إن فارقت البدن كما يحصل للأموات غير أنه في حق رسول الله ﷺ أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة وهذا الذي حصل له من خصائصه. وقد حمل ابن القيم - ووافقه ابن أبي العز - ما نقله ابن إسحاق عن عائشة ومعوية (رضي الله عنهما) وما نقل عن الحسن البصري في ذلك على هذا، والله أعلم.<sup>(١)</sup>

### هل رأى النبي ﷺ ربه في ليلة الإسراء؟:

اختلف العلماء في هذه المسألة - كما ذكر ذلك المحققون منهم - على قولين مشهورين.<sup>(٢)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ( رحمه الله ): " وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين، وعائشة أنكرت رؤية العين، فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ النابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك (الإمام أحمد) تارة يطلق الرؤية وتارة يقول: رآه بفؤاده، ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين. وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب ولا السنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: " نور ألقى أراه". وقد قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١) انظر زاد المعاد / ج ٣ / ص ٤٠، ٤١.

(٢) انظر الفتح / ج ٧ / ص ٢٥٩، ج ٨ / ص ٤٧٣، ٤٧٤، وأضواء البيان / ج ٣ / ص ٢٩٦، وغيرهما.

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ ﴿ وَلَوْ كَانَ أَرَاهُ نَفْسَهُ بَعِينَ لَكَانَ ذَكَرَ ذَلِكَ أُولَى .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَقْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . ﴾ ، ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى. وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة المعراج، فكان ذلك فتنة لهم حيث صدق قوم وكذب قوم ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه. وقد ثبت بالنصوص الصحيحة اتفاق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبينا محمد ﷺ خاصة، واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة عياناً كما يرون الشمس والقمر<sup>(١)</sup>.  
قال ابن القيم (رحمه الله تعالى): "اختلف الصحابة: هل رأى ربه تلك الليلة أم لا؟ فصح عن ابن عباس أنه رأى ربه وضح عنه أنه قال: رآه بفؤاده. وضح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك، وقالوا: أن قوله: ﴿ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ "إنما هو جبريل". وضح عن أبي ذر أنه سأله: هل رأيت ربك؟ فقال: "نور أتى أراه" أي: حال بيني وبين رؤيته النور كما قال في لفظ آخر: "رأيت نوراً".

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (قدس الله روحه): "وليس قول ابن عباس: "أنه رآه" مناقضاً لهذا ولا قوله: "رآه بفؤاده"، وقد صح عنه أنه قال: "رأيت ربي تبارك وتعالى". ولكن لم يكن هذا في الإسراء ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد (رحمه الله تعالى)، وقال: "نعم رآه حقاً" فبين رؤيا الأنبياء حق ولا بد، ولكن لم يقل أحمد (رحمه الله تعالى): إنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن قال مرة: رآه، ومرة قال: رآه بفؤاده، فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه: أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك. وأما قول ابن عباس: أنه رآه بفؤاده، مرتين، فإن كان استناده

إلى تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ثم قال ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ - والظاهر أنه مستنده - فقد صح عنه عليه السلام أن هذا المرئي جبريل، رآه مرتين في صورته التي خُلق عليها، وقول ابن عباس هذا هو مستند قول الإمام أحمد في قوله: رآه بفؤاده، والله أعلم.

وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فهو غير الدنو والتدلي في قصة الإسراء، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه كما قالت عائشة وابن مسعود، والسياق يدل عليه فإنه قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى وهو (ذو المِرَّة) أي القوة وهو الذي استوى بالأفق الأعلى وهو الذي دنى فتدلى فكان من محمد عليه السلام قدر قوسين أو أدنى، فأما الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء فذلك صريح في أنه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليّه، ولا تعرّض في سورة النجم لذلك بل فيها أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى وهذا هو جبريل رآه محمد عليه السلام على صورته مرتين مرة في الأرض ومرة عند سدرة المنتهى. والله أعلم".<sup>(١)</sup>

### والخلاصة من ذلك: هي كما قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله):

التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع عليه السلام لم يره بعين رأسه، وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه فالمراد به الرؤيا بالقلب كما في صحيح مسلم أنه رآه بفؤاده مرتين لا بعين رأسه".<sup>(٢)</sup> ولم يكن ذلك في ليلة الإسراء بل في المدينة لما احتبس عن صلاة الفجر.

(١) زاد المعاد / ٣/ ص ٣٦ - ٣٨، قال المحققان شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط: هذا مما تفرد به شريك فوهم فيه، وما ندري كيف خفي على المؤلف مع أنه ثبت على بعض أوهامه في هذا الحديث.

(٢) وانظر المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية / ٢٢٥، ٢٢٦، والفتح / ٨/ ص ٤٧٣ - ٤٧٤.

(٢) أضواء البيان / ٣ / ص ٢٩٦.



## المبحث الثاني كرامات الأولياء

بعد بيان معجزات الأنبياء من حيث معناها ومترلة الإيمان بها، لا بد من وقفة لبيان ما يجريه الله أيضاً على يد أوليائه سبحانه وتعالى، والفرق بينها وبين معجزات الأنبياء مع ذكر موقف المتكلمين من ذلك.

## المطلب الأول

### معنى الكرامة وبيان معتقد أهل السنة والجماعة فيها

المسألة الأولى: معنى الكرامة في اللغة والاصطلاح:

#### الكرامة لغة:

قال ابن منظور (رحمه الله): "الكرم نقيض اللؤم يكون في الرجل بنفسه وإن لم يكن له آباء، والكريم الذي كرم نفسه عن التدنس بشيء من مخالفة ربه، والكريم من صفات الله وأسمائه وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه وهو الكريم المطلق، والتكريم والإكرام بمعنى الاسم ومنه: الكرامة، والكرامة اسم يُوضع للإكرام".<sup>(١)</sup>

وقال الفيروز آبادي (رحمه الله): "الكرم محرّكة ضد اللؤم، والكريم الصفوح، ورجل مكرام أي مُكرّم للناس، وله عليّ كرامة أي عزاظة".<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا فإن لفظ الكرامة في اللغة يُطلق على كل إنعام حسي أو معنوي، وهي ضد الإهانة، وخير الإكرام ما كان من الله عز وجل.<sup>(٣)</sup>

(١) لسان العرب / مج ١٢ / ص ٥١٠ - ٥١٣.

(٢) القاموس المحيط / ص ١٤٨٩.

(٣) حوارق العادات في القرآن الكريم / ص ٣٧.

## الكرامة في الاصطلاح:

عرّفها عبد القاهر البغدادي (رحمه الله) فقال: "اعلم أن المعجزات و الكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات".<sup>(١)</sup>

وقال ابن أبي العز الحنفي (رحمه الله): "فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة وكذلك الكرامة في عرف أئمة العلم المتقدمين".<sup>(٢)</sup>

وقال السفاريني (رحمه الله): "الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف شريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بما ذلك العبد الصالح أو لم يعلم".<sup>(٣)</sup>

### المسألة الثانية: معتقد أهل السنة والجماعة في الكرامة وأدلتهم على ذلك:

يرى أهل السنة والجماعة أن الكرامة من العقائد السلفية التي يجب اعتقادها<sup>(٤)</sup>، وهي ثابتة بنصوص القرآن الكريم وبما تواتر من السنة المطهرة.<sup>(٥)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة".<sup>(٦)</sup>

وقال أيضاً: "المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء ثم كرامات الصالحين ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان. أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء، فإنهم يقولون: نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء

(١) أصول الدين / ص ١٧٤.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / ج ٢ / ص ٧٤٦.

(٣) مختصر لواع الأنوار البهية / ص ٥٣٦.

(٤) المصدر السابق / ص ٥٣٤.

(٥) انظر النبوات / ص ٦.

(٦) مجموع الفتاوى / ج ٣ / ص ١٥٦.

ولو لم نتبعهم لما حصل لنا هذا، فهؤلاء إذا قُدِّرَ أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء كما صارت النار برداً وسلاماً على أبي مسلم وكما صارت على إبراهيم كما يكثر الله الطعام والشراب لكثير من الصالحين كما جرى في بعض المواطنين للنبي أو إحياء الله ميتاً لبعض الصالحين كما أحياهم للأنبياء، فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء وهي أيضاً من معجزاتهم بجزلة ما تقدمهم من الإرهاص، ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم. وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، لا تدل على أن الولي معصوم ولا أنه يجب طاعته في كل ما يقوله، ومن هنا ضل كثير من الناس من النصارى وغيرهم، فإن الحوارين وغيرهم كانت لهم كرامات كما تكون لصالحية هذه الأمة فظنوا أن ذلك يستلزم عصمتهم كما يستلزم عصمة الأنبياء فصاروا يوجبون موافقتهم في كل ما يقولون وهذا غلط".<sup>(١)</sup>

### أدلة ثبوت الكرامة من القرآن الكريم والسنة المطهرة:

#### أولاً: أدلة ثبوتها من القرآن الكريم:

ذكر الإمام اللالكائي (رحمه الله) الكرامات التي وردت في القرآن الكريم فقال: "فأما الكتاب فقولته تعالى في قصة مريم: ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: وجد عندها الفاكهة الغضة حين لا توجد الفاكهة عند أحد، وروي عنه قال: عنياً في مكتل في غير حينه، وعن سعيد بن جبير ومجاهد وجابر بن زيد وإبراهيم النخعي: فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء. وقال تبارك وتعالى في قصة سارة زوجة إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ . قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَنَا أُؤَلِّدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي

شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً لِلَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿١﴾

فُرُوِي عن ضمرة بن حبيب في تفسيره: "أن سارة لما بشرها الرسل بإسحاق، قال: فيبينما هي تمشي حين أنست بالحليضة فحاضت قبل أن تحمل بإسحاق وكان قولها للرسول حين بشروها بإسحاق: قد كنتُ شابةً وكان إبراهيم شاباً فلم أحمل، فحين كبر وكبرتُ أألد؟ قالوا: أتَعْجِبِينَ من ذلك يا سارة! فإن الله قد صنع بكما ما هو أعظم من ذلك إن الله قد جعل رحمته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد".

وقال تبارك وتعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾

عن ابن عباس في تفسير قوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ : آصَف كاتب سليمان، ون قتادة والسدي وأبي صالح: هو من الإنس من بني إسرائيل اسمه آصَف.

وعن مجاهد في قوله: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال: أنا أنظر في كتاب ربي ثم آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، قال: فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش في نفق تحت الأرض حتى خرج إليهم.<sup>(١)</sup>

كذلك من الكرامات التي وردت في القرآن الكريم: ما حصل لأصحاب الكهف وقصتهم معروفة.<sup>(٢)</sup>

ثانياً: أدلة ثبوت الكرامة من السنة المطهرة:

وكما ثبتت الكرامات في القرآن الكريم ثبتت كذلك في السنة المطهرة:

• نماذج لبعض الكرامات التي ذكرها الرسول ﷺ فيمن كان قبلنا من الأمم:

ومما ورد في ذلك قصة الثلاثة من بني إسرائيل الذين انطبق عليهم الغار بصخرة، روى البخاري (رحمه الله) عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: "بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض:

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / ج ٥ / ص ٧٢ - ٧٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٧٣.

إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه. فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أبي اشترت منه بقرا، وأنه أتاني يطلب أجره فقلت: له اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لي إنما لي عندك فرق من أرز فقلت: له اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقتها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة - وفي حديث سالم: فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج<sup>(١)</sup> - فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهما ليلة فجت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبوي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي وأبي راودما عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيها بما فدفعها إليها فأمكتني من نفسها فلما قعدت بين رجلها فقالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقامت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا " (٢).

كذلك ما ورد في قصة جريج العابد: روى البخاري (رحمه الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: " كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج يصلي فجاءته أمه فدعته فأبي أن يجيها فقال أجيها أو أصلي ثم أتته فقالت اللهم لا تمته حتى تريبه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته فقالت امرأة لأفتن جريجا فتعرضت له فكلتمته فأبي فأنت راعيا فأمكتته من نفسها فولدت غلاما فقالت هو من جريج فأتوه وكسروا صومعته فأنزروه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام قال الراعي قالوا نبي صومعتك من ذهب قال لا إلا من طين " (٣).

(١) الفتح / ج ٦ / ص ٥٨٧.

(٢) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب حديث الغار.

(٣) الجامع الصحيح / كتاب المظالم / باب إذا هدم حائطاً فليبن مثله.

كذلك لما ورد من كرامات من كان قبلنا قصة الغلام والراهب: روى مسلم (رحمه الله) عن صهيب (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم آساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبلى فإن ابتليت فلا تدل علي. وكان الغلام يرى الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بمدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجاءه بالغلام فقلل له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال إني لا يشفي أحدا إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجاءه بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمشار فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا

فأذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء بمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام، فأبى الملك فقيل له: رأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخذت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتعاسست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق <sup>(١)</sup>.

قال النووي (رحمه الله) بعد هذه القصة: "هذا الحديث فيه إثبات كرامات الأولياء وفيه جواز الكذب في الحرب ونحوها وفي إنقاذ النفس من الهلاك." <sup>(٢)</sup>.

#### • نماذج لبعض كرامات الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:

وذكر اللالكائي (رحمه الله) جملة من الروايات عن الصحابة في إكرام الله عز وجل إياهم وظهور الآيات منهم، ومنها ما نقل عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) فيما روتنه عائشة (رضي الله عنها): أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) نحلها جذاذ عشرين وسقاً من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: والله يا بنية ما من الناس أحب إليّ غنيّ منك ولا أعز عليّ فقراً منك، إني كنت نحلتك جذاذ عشرين وسقاً فلو كنت جذذتني واحتزتيه كان لك وإنما هو اليوم مال وارث وإنما هما أخواك وأختاك فاقسموا على كتاب الله عز وجل. قالت عائشة: يا أبة لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية. <sup>(٣)</sup>

(١) صحيح مسلم / كتاب الزهد / باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي / مح ٥ / ج ١٨ / ص ١٣٠.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / مح ٥ / ص ١٢٤، ورواه مالك في الموطأ / كتاب الأفضية.



ونقل كذلك من كرامات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن عبد الله بن عمر قال: ما سمعت عمر يقول لشيء إني لأظن كذا وكذا إلا كان ما يظن. قال أخرجه البخاري.

وذكر كذلك قصة في كرامات عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث روى عن قيس بن حجاج عمَّن حدثه قال: "لما فُتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل بونة (من أشهر العجم) فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا سنة لا يجري إلا بها، فقال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان ثنتا عشرة ليلة خلون من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها الحلبي والنياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله، قال: فأقاموا بونة وأيب ومسرى والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجلء، فلما رأى ذلك عمرو كتب بذلك إلى عمر بن الخطاب، فكتب: إنك قد أصبت بالذي فعلت وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي فألقها في النيل. فلما قدم كتب عمر إلى عمرو وأخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها: "من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك"، قال: فألقى البطاقة في النيل فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم السبت وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله تعالى تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم.<sup>(١)</sup>

وذكر (رحمه الله) كرامة أخرى لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهي: أن عمر كان يخضب يوماً بالمدينة فقال: يا سارية بن زعيم الجبل، من استرعى الذئب فقد ظلم، قال: فقيل له: تذكر سارية وسارية بالطرق؟! فقال الناس لعلي: أما سمعت عمر يقول يا سارية وهو يخضب على المنبر؟ قال: ويحكم، دعوا عمر فإنه ما دخل في شيء إلا خرج منه. فلم يلبث إلا يسيراً حتى قدم سارية فقال: سمعت صوت عمر فصعدت الجبل.<sup>(٢)</sup>

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / مج ٥ / ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / مج ٥ / ص ١٢٨، ١٢٩.

ومما ورد من كرامات علي (رضي الله عنه): ما رواه اللالكائي أيضاً عن محمد بن بشر عن أبي مكين قال: مررت أنا وخالي أبو أمية على دار في محل حي من مراد فقال: ترى هذه الدار؟ قلت: نعم، قال: فإن علياً مر عليها وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجته فدعا الله عز وجل ألا يكمل بناؤها، قال: فما وضعت عليها لبنة، قال: فكنت تمر عليها لا تشبه الدور.<sup>(١)</sup>

ووردت كذلك كرامة لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) حيث روى اللالكائي عن الزبير بن عدي أن سعداً خطبهم بالكوفة ثم قال: أي أمير كنت لكم؟ فقام رجل فقال: اللهم إن كنت ما علمت لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية ولا تغزو في السرية. فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأعم بصره وعجل فقره وأطل عمره وعرضه للفتن. قال: فما مات حتى عمي فكان يلتمس الجدران وافتقر حتى سأل الناس وأدرك فتنة المختار الكذاب فقتل فيها، وكان إذا قيل له كيف أنت؟ قال: أعمى فقير أدركتني دعوة سعد.<sup>(٢)</sup> وقد ذكر اللالكائي وابن تيمية وغيرهما كثير من الكرامات غير التي سبق ذكرها.<sup>(٣)</sup>

والخلاصة: أن الكرامة ثابتة بالقرآن والسنة وهي من أصول أهل السنة والجماعة.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / مج ٥ / ص ١٣٤.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / مج ٥ / ص ١٣٧.

(٣) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / مج ٥ / ص ١٣٧ وما بعدها وانظر مجموع الفتاوى /

ج ١١ / ص ٢٧٦ وما بعدها.

## المسألة الثالثة: تسمية الكرامة:

أما عن تسمية ما يجريه الله على أيدي أوليائه من خوارق بالكرامة فإن هذا اللفظ لم يرد في القرآن الكريم أو السنة وإن كان قد ورد في القرآن الكريم الفعل واشتقاقاته منه ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾<sup>(١)</sup> وقال عز وجل: ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> وغيرها كثير جداً<sup>(٣)</sup>، كما أنه لم يكن معروفاً عند السلف بهذا الاصطلاح (ما يجريه الله على يد الولي من الآيات) وإن كان الإيمان به كعقيدة ثابت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما بينت سابقاً. وإنما كانوا يسمون خوارق الأنبياء وخوارق الأولياء كلها معجزات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في (الجواب الصحيح): "والسلف - كأحمد وغيره - كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً ويقولون لخوارق الأولياء أنها معجزات إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك".<sup>(٤)</sup>

والخلاصة: أنه سواء أطلق على (ما يجريه الله على يد الأولياء) معجزات كما كان يفعل السلف أو كرامات كما ذكر ذلك عن الأشاعرة وعلماء أهل السنة والجماعة<sup>(٥)</sup> أو خوارق<sup>(٦)</sup> أو آيات<sup>(٧)</sup> فكل ذلك صواباً إذ لا يوجد ما يمنعه لا من حيث اللغة ولا من حيث الشرع.

(١) الفجر / ١٥.

(٢) الحج / ١٨.

(٣) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ص ٧٦٥، ٧٦٦.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / ج ٤ / ص ٦٩، ٦٧، ٧٠.

(٥) النبوات / ص ٨، ٥، وانظر الجواب الصحيح / مج ٢ / ج ٤ / ص ٧٠.

(٦) النبوات / ص ٦.

(٧) النبوات / ص ٤٠٤، ٤٠٥.

## المطلب الثاني

### الرد على المخالفين لمعتقد أهل السنة والجماعة في الكرامة

اختلف المتكلمون (المعتزلة و الأشاعرة) في الإيمان بالكرامة وهم على طرفي نقيض:  
فالمعتزلة ومن وافقهم: نفوا الكرامة الثابتة بنصوص القرآن والسنة أنكروها وأولوا  
الثابت منها، وسبب ذلك حصول الالتباس عندهم أو خشية حصول الالتباس بين المعجزة  
والكرامة لكونهما مشتركين في انخراق العادة.  
أما الأشاعرة: فقد بالغوا في إثبات الكرامة حتى جعلوها من جنس آيات الأنبياء، بل  
سواوا بينها وبين السحر من حيث الجنس. وفرقوا بين كل من المعجزة والكرامة والسحر  
بفروق ضعيفة مردودة بنصوص الكتاب والسنة.  
ولأن كلا الفريقين مجانب للصواب رأيت أن أبين خطأهما وأرد عليهما بما يتفق  
ونصوص الشريعة... والله المستعان.

## المسألة الأولى: الرد على من أنكر الكرامات:

أنكر المعتزلة ومن وافقهم كابن حزم الظاهري ظهور الكرامة على الأولياء الصالحين "وعمدتم في ذلك أن الكرامة خارقة للعادة عند من يقول بوقوعها فهي كالمعجزة في الخراق العادة، و الخوارق لا تظهر على يد غير الأنبياء وقد وافقهم على ذلك ابن حزم"<sup>(١)</sup>. أما موقفهم من الأدلة التي تثبت وقوع الكرامة فهم يتأولونها فمثلاً يجعلون ما وقع لمريم معجزة لتركيا وإرهاصاً لعيسى وهكذا.<sup>(٢)</sup>

وقد رد عليهم جماعة من علماء الأشاعرة وعلماء أهل السنة والجماعة، ومن رد عليهم عبد القاهر البغدادي (رحمه الله) حيث قال: " وأنكرت القدرية كرامات الأولياء لأنهم لم يجدوا في بدعتهم ذا كرامة فأنكروا ما حرموا بشؤم بدعتهم وظنوا أن إجازة ظهور الكرامة للأولياء يقدح في دلالة المعجزة على النبوة، وقلنا لم ليست دلالة المعجزة مقصورة على النبوة وإنما هي دلالة الصدق فتارة تدل على الإخلاص والصدق في الحال وأنه لا رياء فيها، فإن قيل أجزوا على هذا القياس ظهورها على الفاسق للدلالة على صدقه في بعض ما يصدق به، قيل: إن أظهر الله له علامة تدل على صدقه وبرائة ساحته مما يقذف به جاز ذلك وسميها حينئذ مغوثة (معونة) فالمعجزات للأنبياء و الكرامات للأولياء والمغوثات (المعونات) لسائر العباد".<sup>(٣)</sup>

وصور إمام الحرمين أبي المعالي الجويني مذهب نفاة الكرامة ورد عليهم أيضاً فقال: " وما تمسك به نفاة الكرامة أن قالوا: لو جاز الخراق العادة من وجه لجاز ذلك من كل وجه ثم يجر مقاد ذلك إلى ظهور ما كان معجزة لشيء على يد ولي وذلك يفضي إلى تكذيب النبي المتحدي بآيته القائل لمن تحداهم: لا يأتي أحد بمثل ما أتيت به، فلو جاز إتيان الولي بمثله لتضمن ذلك نسبة الأنبياء إلى الافتراء".<sup>(٤)</sup>

(١) الأربعين في أصول الدين / ص ٣٨٦.

(٢) خوارق العادات في القرآن الكريم / ص ٤٠.

(٣) أصول الدين / ص ١٧٥.

(٤) الإرشاد / ص ٢٦٧.

ورد عليهم في ذلك فقال: " وهذا تمويه لا تحصيل له، إذ لا خلاف في أن الشيء الواحد من خوارق العوائد يجوز أن يكون معجزة لنبي بعد نبي ثم لا يكون ظهوره ثانياً مكذباً لمن تحدى به أولاً، فإن قالوا: النبي يقيد دعواه في خطاب من تحداه ويقول: لا يأتي أحد بمثل ذلك إلا من يدعي النبوة صادقاً في دعواه، قلنا: إن ساغ تقييد الدعوى بما ذكرتموه فلا يمتنع أيضاً أن يقول النبي: لا يأتي بمثل ذلك متبني ولا ممخرق ومفسر ولا ممن يروم تكذيبه، وتخرج الكرامات عن هذه الجهات، وليس تقييد أولى من تقييد".<sup>(١)</sup>

ثم ناقشهم بعد ذلك في نفیهم للكرامة بناءً على مذهب الأشاعرة في المعجزة في أنها لا تدل لعينها وإنما تدل لتعلقها بدعوى النبي والرسالة<sup>(٢)</sup>، وقد سبق الرد على الأشاعرة في ذلك.<sup>(٣)</sup>

كما صور شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) مذهب النفاة ورد عليهم بردود تفصيلية متفرقة فقال: " فقالت طائفة: لا تُخرق العادة إلا لنبي وكذبوا بما يُذكر من خوارق السحرة والكهان وكرامات الصالحين، وهذه طريقة المعتزلة وغيرهم كأبي محمد بن حزم وغيره، بل يُحكى هذا القول على أبي إسحاق الإسفراييني وأبي محمد بن أبي زيد ولكن كأن في الحكاية عنهم غلطاً وإنما أرادوا الفرق بين الجنسين، وهؤلاء يقولون أن ما جرى لمريم، وعند مولد الرسول فهو إرصاص أي توطئة وإعلام بمجيء الرسول فما خُرقت في الحقيقة إلا لنبي، فيقال لهم: " وهكذا الأولياء وإنما خُرقت لهم لمتابعتهم الرسول فكما أن ما تقدمه فهو من معجزاته فكذلك ما تأخر عنه. وهؤلاء يستنون ما يكون أمام الساعة، لكن هؤلاء كذبوا بما تواتر من الخوارق لغیر الأنبياء والمنازع لهم يقول هي موجودة مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء فكيف يكذبون بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره".<sup>(٤)</sup>

(١) الإرشاد / ص ٢٦٨.

(٢) المصدر السابق / ص ٢٦٩.

(٣) انظر الباب الثاني / الفصل الثالث / المحت الأول / المطلب الأول.

(٤) النبوات / ص ٥٠، ٦.

وقال (رحمه الله): "وما ذكره المعتزلة وغيرهم كابن حزم من أن آيات الأنبياء مختصة بهم كلام صحيح، لكن كرامات الأولياء هي من دلائل النبوة فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق، فصار وجودها كوجود ما أخبر به النبي من الغيب. وأما ما يأتي به السحرة والكهان من العجائب فتلك جنس معتاد لغير الأنبياء وأتباعهم بل الجنس معروف بللكذب والفجور فهو خارق بالنسبة إلى غير أهله وكل صناعة فهي خارقة عند غير أهلها ولا تكون آية، وآيات الأنبياء هي خارقة لغير الأنبياء وإن كانت معتادة للأنبياء".<sup>(١)</sup>

ومما يمكن أن يُرد به عليهم: لماذا تقرون ببعض الكرامات وتنصفون الباقي؟ فهم لا ينكرون الدعوات المجابة ولا ينكرون الرؤيا الصادقة، فيقال لهم: ذلك عين التناقض إن إجابة الدعاء وحصول المبشرات هي من الكرامات فلماذا تقرون بها دونما سواها؟.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "والذين ذكر عنهم إنكار كرامات الأولياء من المعتزلة وغيرهم كأبي إسحاق الإسفراييني وأبي محمد بن أبي زيد وكما ذكر ذلك أبو محمد ابن حزم لا ينكرون الدعوات المجابة ولا ينكرون الرؤيا الصادقة فإن هذا متفق عليه بين المسلمين وهو أن الله تعالى قد يخص بعض عباده بإجابة دعائه أكثر من بعض ويخص بعضهم بما يراه من المبشرات وقد كان سعد بن أبي وقاص معروفاً بإجابة الدعاء فإن النبي ﷺ قال: "اللهم سدّد رميته وأجب دعوته". وحكاياته في ذلك مشهورة. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "لم يبق بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له". وثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: "إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره"، ذكر ذلك لما أقسم أنس بن النضر أنه لا تُكسر ثنية الربيع فاستجاب الله ذلك. وأيضاً فإن منهم البراء بن مالك أخو أنس ابن مالك، وكانوا إذا اشتد الحرب يقولون: يا براء أقسم على ربك، فيقسم على ربه فيُنصرون".<sup>(٢)</sup>

## المسألة الثانية: الفرق بين المعجزات و الكرامات:

وأهدف هنا بالدرجة الأولى إلى الرد على الأشاعرة الذين جعلوا آيات الأنبياء و خوارق الأولياء وشعبذة السحرة والكهان من جنس واحد. كما يمكن أن يُرد به أيضاً على المعتزلة الذين نفوا كرامات الأولياء و خوارق السحرة خشية التباسها بمعجزات الأنبياء وبراهينهم.<sup>(١)</sup> وسأبين من خلاله كيف أن أهل السنة والجماعة وإن كانوا يقرون بهذه الخوارق جميعاً إلا أنهم يفرقون بينها ويرون أنه لا التباس فيها. فلا يجوز تأويل النصوص الثابتة في ذلك أو إنكار الكرامة أو السحر، بل الواجب أخذ النصوص الشرعية على ظاهرها وإثباتها كما جاءت وضم بعضها إلى بعض، كما أنه لا يجوز مساواة آيات أصدق الناس بخوارق أكذب الناس و أفجرهم، وسيأتي بيان ذلك كله - إن شاء الله تعالى - ، والله المستعان.



## أولاً: تصوير المذهب الأشاعرة في تفريقهم بين خوارق الأنبياء وغيرهم من البشر والرد عليهم في ذلك مع بيان الفروق الصحيحة بينها:

لم يفرق الأشاعرة بين آيات الأنبياء وبراهين صدقهم وبين كرامات الأولياء وخوارق السحرة وشعبذهم بل جعلوها جميعاً من جنس واحد. وقالوا: أن جنس الكرامة والسحر والكهانة متى اقترن به دعوى النبوة مع التحدي وعدم المعارضة كان آية ودليلاً على النبوة، غير أن الولي لا يدعي النبوة وإلا لما كان ولياً أما الساحر والكاهن فهما وإن ادعى النبوة إلا أن الله يمنعه من ذلك أو يعارضه بمثله<sup>(١)</sup>.

يقول عبد القاهر البغدادي - وهو أشعري المذهب - في تقرير ذلك: "اعلم أن المعجزات و الكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات غير أن الفرق بينهما من وجهين: أحدهما: تسمية ما يدل على صدق الأنبياء معجزة وتسمية ما يظهر على الأولياء كرامة للتمييز بينهما.

الوجه الثاني: أن صاحب المعجزة لا يكتف معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه ويقول إن لم تصدقوني فعارضوني بمثلها، وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها ولا يدعي فيها، فإن أطلع الله عليها بعض عباده كان ذلك تنبيهاً لمن أطلع الله تعالى عليها على حسن منزلة صاحب الكرامة عنده أو على صدق دعواه فيما يدعيه من الحال.

وفرق ثالث: وهو أن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عن الكفر والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه، وصاحب الكرامة لا يؤمن بتبدل حاله، فإن بلعم ابن باعورا أوتي من هذا الباب ما لم يؤت غيره ثم ختم له بالشقاء"<sup>(٢)</sup>.

وصور شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) مذهبه في ذلك ورد عليهم وبين الفروق الصحيحة بين المعجزة والكرامة والسحر فقال: "وقالت طائفة: بل كل هذا حق وخرق العادة جائز مطلقاً، وكل ما خُرق لني من العادات يجوز أن يُخرق لغيره من الصالحين بل ومن السحرة والكهان لكن الفرق أن هذه تقترون بها دعوى النبوة وهو التحدي. وقد يقولون: أنه لا يمكن أحداً أن يعارضها بخلاف تلك وهذا قول من اتبع جهماً على أصله في أفعال الرب من الجهمية وغيرهم حيث جوزوا أن يفعل كل ممكن فلزمهم جواز خرق العادة مطلقاً على يد كل أحد، واحتاجوا مع ذلك إلى الفرق بين النبي وغيره فلم يأتوا بفرق معقول بل قالوا: هذا يقترون به التحدي فمن ادعى النبوة وهو كاذب لم يجز أن يخرق الله له العادة أو يخرقها له. ثم هؤلاء جوزوا كرامات الصالحين ولم يذكروا بين جنسها وبين جنس كرامات الأنبياء فرقاً بل صرّح أنهم أن كل ما خُرق لني يجوز أن يُخرق للأولياء حتى معراج محمد وفرق البحر لموسى وناقاة صالح وغير ذلك، ولم يذكروا بين المعجزة والسحر فرقاً معقولاً بل قد يجوزون أن يأتي الساحر بمثل ذلك لكن بينهما فرق دعوى النبوة.

ومن الناس من فرّق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء بفروق ضعيفة مثل قولهم: الكرامة يخفيها صاحبها أو الكرامة لا يتحدى بها، ومن الكرامات ما أظهرها صاحبها كإظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء وإظهار عمر مخاطبة سارية على المنبر وإظهار أبي مسلم لما ألقى في النار أنها صارت عليه برداً وسلاماً ومنها ما يتحدى بها صاحبها أن دين الإسلام حق كما فعل خالد بن الوليد لما شرب السم وكالغلام الذي أتى الراهب وترك الساحر وأمر بقتل نفسه بسهمه باسم ربه وكان قبل ذلك قد خُرق له العادة فلم يتمكنوا من قتله، ومثل هذا كثير.

فيقال المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء ثم كرامات الصالحين ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب والضلال من المسلمين، أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فإنهم يقولون: نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا، فهؤلاء إذا قدر أن جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء كما صارت النار

برداً وسلاماً على أبي مسلم وكما صارت على إبراهيم وكما يكثر الله الطعام والشراب لكثير من الصالحين كما جرى في بعض المواطن للنبي أو إحياء الله ميتاً لبعض الصالحين كما أحياء للأنبياء، فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء وهي أيضاً من معجزاتهم بمرآة ما تقدمهم من الإرهاص، ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم. وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، لا تدل على أن الولي معصوم ولا أنه يجب طاعته في كل ما يقوله".<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: "وخوارق الجن كالأخبار ببعض الأمور الغائبة وكالتصرفات الموافقة لأغراض بعض الإنس كثيرة معروفة في جميع الأمم، فقد كانت في العرب كثيرة وكذلك في الهند وفي الترك والفرس والبربر وسائر الأمم فهي أمور معتادة للجن والإنس، وآيات الأنبياء خارجة عن مقدور الإنس والجن فإنهم مبعوثون إلى الإنس والجن فيمتنع أن تكون آياتهم أموراً معروفة فيمن بُعثوا إليه إذ يقال هذا موجود كثيراً للإنس فلا يختص بها الأنبياء بل هذه خوارق هي آية وعلامة على فجور صاحبها وكذبه، فهي من آيات الأنبياء التي تستلزم صدق صاحبها وعدله ولهذا يكون كثير من الذين تخدّمهم الشياطين من أهل الشياطين وهم يصعدون بهم في الهواء ويدخلون المدن والحصون بالليل والأبواب مغلقة ويدخلون على كثير من رؤساء الناس ويظنون أن هؤلاء صالحون قد طاروا في الهواء ولا يعرف أن الجن طارت بهم وهذه الأحوال الشيطانية تبطل أو تضعف إذا ذكر الله وتوحيده وقرئت قوارع القرآن لا سيما آية الكرسي فإنها تبطل عامة هذه الخوارق الشيطانية، وأما آيات الأنبياء والأولياء فتقوى بذكر الله وتوحيده، والجن المؤمنون قد يعينون المؤمنين بشيء من الخوارق كما يعين الإنس المؤمنون للمؤمنين بما يمكنهم من الإعانة، ومالا يكون إلا مع الإقرار بنبوّة الأنبياء فهو من آياتهم فوجوده يؤيد آياتهم لا يناقضها، مع أن آيات الأنبياء التي يدعون أعلى من هذا وأعلى من كرامات الأولياء فإن تلك الآيات الكبرى".<sup>(٢)</sup>

(١) النبوات / ص ٦ - ٨. بتصرف.

(٢) النبوات / ص ٤٠٤، ٤٠٥. بتصرف.

وقال: "والفرق الذي لا بد منه عندهم - أي عند الأشاعرة - الاستدلال بها والتحدي بالمثل وكل من هؤلاء - أي الأشاعرة - وهؤلاء - أي الفلاسفة - أدخلوا مع الأنبياء من ليس بنبي ولم يعرفوا خصائص الأنبياء ولا خصائص آياتهم فلزمهم جعل من ليس بنبي نبياً أو جعل النبي ليس بنبي إذا كان ما ذكروه في النبوة مشتركاً بين الأنبياء وغيرهم، فمن ظن أنه يكون لغير الأنبياء قرح في الأنبياء أن يكون هذا هو دليلهم بوجود مثل ما جاءوا به لغير النبي، ومن ظن أنه لا يكون إلا لنبي إذا رأى من فعله من متبني كاذب وساحر وكاهن ظن أنه نبي والإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة فمن لم يحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال والإيمان والكفر ولم يميز بين الخطأ والصواب".<sup>(١)</sup>

وقال: "والتحقيق أن من كان مؤمناً بالأنبياء لم يستدل على الصلاح بمجرد الخوارق التي قد تكون للكفار والفساق، وإنما يستدل بمتابعة الرجل للنبي فيميز بين أولياء الله وأعدائه بالفروق التي بينها الله ورسوله كقوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾"<sup>(٢)</sup>

ف.. كرامات الأولياء هي من دلائل النبوة فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق، فصار وجودها كوجود ما أخبر به النبي من الغيب. وأما ما يأتي به السحرة والكهان من العجائب فتلك جنس معتاد لغير الأنبياء وأتباعهم بل الجنس معروف بالكذب والفجور فهو خارق بالنسبة إلى غير أهله وكل صناعة فهي خارقة عند غير أهلها".<sup>(٣)</sup>

وقال: "وأما كرامات الأولياء فهي أيضاً من آيات الأنبياء، فإنها لا تكون إلا لمن تشهد لهم بالرسالة فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة. وأيضاً فإن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين ومعجزات الأنبياء فوق ذلك، فانشقاق القمر والإتيان بالقرآن وانقلاب العصا حية وخروج الدابة من صخرة لم يكن مثله للأولياء وكذلك خلق الطير من الطين ولكن آياتهم صغار وكبار كما قال تعالى: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ فله تعال آية كبيرة وصغيرة وقال عن نبيه محمد: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ فالآيات الكبيرة مختصة بهم أما الآيات الصغيرة فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين لكن

(١) النبوات / ص ١٥٨، ١٥٩، وانظر / ص ٣٧، ٢١١.

(٢) النبوات / ص ١٣.

(٣) النبوات / ص ١٥٧.

لم يوجد كما وُجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيء يسير، فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وُجد لهم لكن لا يماثلون في قدره فهم مختصون إما بجنس الآيات كالإتيان بالقرآن وانشقاق القمر وقلب العصا حية وانفلاق البحر وأن يخلق من الطين كهينة الطير، وإما بقدرها و كيفيتها كنار الخليل فإن أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم برداً وسلاماً لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشارك للخليل في جنس الآية كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده، ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا لا يماثله فيه أبو مسلم وأمثاله، وكذلك الطيران في الهواء فإن الجن لا تزال تحمل ناساً أو تطير بهم من مكان إلى مكان كالعفريت الذي قال لسليمان: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ لكن قول الذي عنده علم من الكتاب: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ لا يقدر عليه العفريت ومسرى النبي ﷺ إلى بيت المقدس ليريه الله من آياته الكبرى أمر اختص به بخلاف من يُحمل من مكان إلى مكان لا ليريه الله من آياته الكبرى ولا ليعرج إلى السماء، فهؤلاء حقيقة قولهم أنه ليس للنبوة آية تختص بها كما أن حقيقة قولهم إن الله لا يقدر أن يأتي بآية تختص بها وإنه لو كان قادراً على ذلك لم يلزم أن يفعل بل ولم يفعل فهذا أمران متعلقان بالرب إذ هو عندهم لا يقدر أن يفعل شيئاً لشيء.

والآية إنما تكون آية إذا فعلها لتدل ولو قدر أنه قادر فهم يجوزون عليه فعل كل شيء فيمكن أنه لم يجعل على صدق النبي وكيلاً، وأما الذي ذكرنا عنهم هنا فإنه يقتضي أنه لا دليل عندهم على نبوة النبي بل كل ما قُدر دليلاً فإنه يمكن وقوعه مع عدم النبوة فلا يكون دليلاً فهم هناك (أي في باب أفعال الرب حيث ينفون عنها الحكمة والتعليل) حقيقة قولهم: أنا لا نعلم على النبوة دليلاً، وهنا (أي في باب النبوة) حقيقة قولهم: أنه لا دليل على النبوة، ولهذا كان كلامهم في هذا منتهاه التعطيل<sup>(١)</sup>.

## ثانياً: الردود التفصيلية على ما ذكره عبد القاهر البغدادي في التفريق بين المعجزة والكرامة:

أما تفريق عبد القاهر البغدادي فهو تفريق غير صحيح كما أنه غير دقيق ، وسوف أذكر ردوداً تفصيلية على ما ذكره مستلهمة العون من الله:

١. أن مجرد التسمية لا يمكن أن يكون فرقاً حقيقياً بين المعجزة والكرامة بل لم يرد في الكتاب الكريم ولا السنة المطهرة تسمية آيات الأنبياء معجزات أو تسمية خوارق الأولياء كرامات.

٢. أما ما ذكره أن صاحب المعجزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه ويقول إن لم تصدقوني فعارضوني عليها، فهذا غير صحيح " فإن عامة معجزات الرسول لم يكن يتحدى بها ويقول انتوا بمثلها، والقرآن إنما تحداهم لما قالوا إنه افتراه ولم يتحداهم به ابتداءً، وسائر المعجزات لم يتحد بها، وليس فيما نُقل تحدٍ إلا بالقرآن، لكن قد عُلم أنهم لا يأتون بمثل آيات الأنبياء، فهذا لازم لها " (١) لكن ليس من شروطها وإنما نقول هي في حكم المتحدى به لكن الأنبياء لم يتحدوا بها على الحقيقة.

وأما قوله أن صاحب الكرامة يجتهد في كتمانها، فهذا أيضاً غير صحيح فإن كثيراً ممن حصلت لهم الكرامات بنصوص الشريعة لم يجتهدوا في كتمانها، من ذلك: ما حصل لمريم عليها السلام حيث كان زكريا يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ومع ذلك لم يجتهد في إخفائها ولم يذكر ذلك عنها، كذلك في قصة (آصف) الذي كان عالماً واستطاع أن يحضر عرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سليمان (عليه السلام) طرفه، ولم يجتهد في إخفاء ذلك بل كان أمام الملأ كما قال عز وجل عن سليمان (عليه السلام): ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ، كذلك ما ورد في قصة الغلام في الحديث الثابت الوارد في قصة أصحاب الأخدود ( حديث الغلام والراهب) ولم يجتهد الغلام في كتمان ما أوتي من كرامات وما تفضل الله عليه به من الآيات و الخوارق، وغير هذا لو تتبعناه كثير.

٣. قوله: " أن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عن الكفر والمعصية" فنقول نعم إن من سنة الله عز وجل في الأنبياء عصمتهم عن الكفر والمعاصي، أما عن الأولياء الصادقين فلم يُعلم ارتداد أحد منهم سواء من الأولين أو الآخرين على أعقابهم بعد أن هداهم الله عز وجل. وأما استدلاله على إمكانية تبدل حال الأولياء أصحاب الكرامات بقصة بلعم ابن باعورا فهذا غير صحيح من وجوه متعددة، منها:

أنه لم يرد أن بلعم ابن باعورا أُوتي كرامات كما ذكر البغدادي إلا ما كان من إجابة الدعاء، وأما المقصود بالآيات في قوله تعالى: ﴿ وَأَثَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾<sup>(١)</sup> فإنه العلم فإنه كان من علماء بني إسرائيل، أما عن إجابة الدعوة فليست كرامة مطلقاً بل بحسب حال الداعي فقد تكون معجزة وقد تكون كرامة وقد تكون استدراج واختبار وابتلاء وقد تكون إقامة حجة وزيادة في العذاب يوم القيامة وقد تكون لإقامة العدل، فهي بحسب حال الشخص وليس ذلك معجزة أو كرامة في كل وقت، فاستجابة دعاء النبي كما حصل لنوح عليه السلام فهذا معجزة، واستجابة دعاء الأولياء الصادقين المتابعين والعلماء العاملين ( وليس من ادعى الولاية أو ادّعى له ) فهذا كرامة كما حصل لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) واستجابة دعاء المسلم الذي قد يخلط مع أعماله الصالحة شيئاً من المعاصي واللمم فهذه معونة له من الله أو اختبار وابتلاء له، وأما استجابة الله للعالم الذي لا يعمل بعلمه أو يعلم الله خفايا ما في قلبه وإن أظهر الصلاح فهذا استدراج له وابتلاء كما حصل لبلعم ابن باعورا ، وأما الكافر فاستجابة الدعاء له لإقامة الحجة عليه ولزيادة العذاب عليه في الآخرة - إن لم يؤمن - كما قال الله تعالى: ﴿ أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْأُفُكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ويستجيب الله دعوة المظلوم وإن كان كافراً لأن الله عدل لا يرضي الظلم لنفسه ولا لعباده. أما عن بلعم ابن باعورا فظاهر أمره الصلاح لكن الله عز وجل يعلم خفاياه ويعلم أنه سيقتن

(١) الأعراف / ١٧٥.

(٢) النمل / ٦٢.

(٣) العنكبوت / ٦٥.

وسوف يخلد إلى الأرض ويتبع هواه، ولذا فإنه لم يكن قط ولياً لله وإنما كان هذا الذي يعتقد من كان حوله من الناس لأن الله كان يستجيب دعوته، وإنما استجاب الله منه اختباراً وابتلاءً وإقامة للحجة. وأما كونه كان من علماء بني إسرائيل والربط بين ذلك وبين إجابة دعوته فهذا غير صحيح فكم من علماء بني إسرائيل من أهل النار لعدم انتفاعهم بعلمهم في أول الأمر أو في آخره، بل من العلماء من تُسعر بهم النار يوم القيامة. كما أنه لم يرد في النصوص أنه كان من الأولياء ثم ارتد، وإنما الذي ورد أنه كان عالماً وكان مستجاب الدعوة وقد بيّنت هاذين الأمرين آنفاً، وأنه لا يلزم منها ولايته فإن الولي هو من اختاره الله ولياً لا من ظن الناس به الولاية. فكم من الناس كان عالماً وفتن وفتن غيره بعلمه كما أن من الناس من يستجيب الله دعائه ابتلاءً له واختباراً واستدراجاً، والله أعلم.



## وأخلص من هذا الفصل إلى نتائج هامة:

- (١) أثبتت نصوص الشريعة أن للأنبياء آيات يجريها الله عز و جل على أيديهم وهي من خصائصهم التي انفردوا بها عن البشر جميعاً وإن كانت معتادة بالنسبة لبعضهم عليهم الصلاة والسلام وهي فوق كرامات الأولياء وخارقة لعادة البشر جميعاً.
  - (٢) وجوب الإيمان بما ورد في آيات الأنبياء وبراهينهم جملةً وتفصيلاً.
  - (٣) أن لفظ المعجزة لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ وإنما الذي ورد هو لفظ الآيات والبراهين.
  - (٤) من السلف - كالإمام أحمد (رحمه الله) - من يطلق على آيات الأنبياء وكرامات الأولياء (معجزات) وعل ذلك فلا حرج في تسمية آيات الأنبياء أو الأولياء (معجزات) غير أنه ينبغي تقييدها بالأنبياء أو الأولياء.
  - (٥) إن الاصطلاح عل تعريف صحيح ودقيق للمعجزة لم يحصل في الفرق الإسلامية بل لم يتفق على تعريف واحد وإنما عرفت كل طائفة المعجزة تعريفاً لا يسلم من الاعتراضات والردود واشتروطوا لها شروطاً تخلو من الصحة والدقة لمخالفتها لما تضمنته نصوص الشريعة المتعلقة بآيات الأنبياء وبراهينهم.
  - (٦) يمكن تعريف المعجزة على أنها: "أمر خارق لعادة من سوى الأنبياء من الإنس والجن يجريه الله على يد نبيه ابتداءً أو بعد الطلب بحيث لا يمكن لأحد من البشر معارضته ويكون في حكم المتحدى به".
  - (٧) للمعجزة لوازم هامة لكنها ليست شروطاً لها، وهذه اللوازم هي: التحدي، عدم المعارضة، مقارنة خبر ( أي مقارنة المعجزة لدعوى الرسالة ).
- والأشاعرة اشتراطوا اقتران دعوى النبوة للمعجزة فقالوا: " لا يكون دليل النبوة دليلاً إلا إذا استدل به النبي حين ادعى النبوة"<sup>(١)</sup> وذكروا: " أن المعجزة لا تدل لعينها وإنما لتعلقها بدعوى النبوة"<sup>(٢)</sup> فالقرآن على كلامهم ليس معجز لعينه إنما لتعلقه بدعوى النبوة.

(١) النبوات / ص ٢١٠.

(٢) الإرشاد / ص ٢٦٩.

والحق أن دعوى النبوة من لوازم المعجزات وليس من شروطها ذلك لأن من المعجزات ما يكون قبل مولد النبي وبعضها بعد مولده وقبل بعثته بل بعضها بعد وفاته.

فدعوى النبوة لا بد منه للنبي لمعرفة نبوته بالنسبة للمبعوث إليهم، وإلا كيف تعرف نبوته دون أي يقول ذلك. ثم كيف يحصل تكليف للناس بما جاء به من أوامر ونواهي وما يترتب على ذلك من الثواب والعقاب دون أن يذكر أنه نبي، فإن دعوى النبوة لا بد منه غير أن اشتراط ذلك للمعجزة فلا تكون معجزة إلا إذا قارنت دعوى النبوة غير صحيح لأنها قد تظهر دون البعثة أو بعد الموت - كما أسلفت - .

(٨) دلت نصوص الشريعة على أن الله قد خص بعض أوليائه بآيات وحوارق والذي قد اصطلح عليه المتكلمون وغيرهم بالكرامة.

(٩) من أصول مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بما يجريه الله من آيات وحوارق على يد أوليائه المتابعين للرسول عليهم الصلاة والسلام.

(١٠) عدم حصول الكرامات لبعض الصالحين المتابعين لا يدل على نقصان مكاتبتهم وقلّة نصيبهم من الأجر في الآخرة فلعل هناك من هو أتقى الناس غير أنه لا تحصل على يديه كرامة والله الحكمة البالغة في ذلك.

(١١) من معتقد أهل السنة التفريق بين ما أثبتوه من معجزات للأنبياء وكرامات للأولياء وبين ما يحصل من السحر على أيدي السحرة الكهان.

(١٢) أن نفي الكرامات والسحر بحجة أن إثباتها يقتضي التباسها بالمعجزة غير صحيح وهو تعطيل لنصوص الشرعية التي أثبتت ذلك بل إنكارها.

(١٣) التسوية بين جنس ما يجريه الله على يد أصدق الناس وبين ما يجريه الله على يد أفجر الناس غاية الجهل والافتراء على الله، وكأنهم يرون أن الله لا يقدر على أن يأتي بما يخرق عادة الشر جمعاً من سحرة وكهان وغيرهم ولا يقدر إلا على آيات من جنس واحد لأتقى الناس وأفجر الناس.

- (١٤) أن آيات الأنبياء آيات كبرى بينما آيات الأولياء آيات صغرى، فما يحصل للأولياء من الآيات لا يماثل لا في جنسه ولا في قدره ما يحصل للأنبياء وإن كان يوجد للأولياء ما هو من جنس ما وُجد للأنبياء ولكن لا يماثله - كما ذكرت - .
- (١٥) أن عدم المعرفة بخصائص الأنبياء وخصائص آياتهم يوقع المرء في الاضطراب، فالله عز وجل قد خصهم بخصائص تُعرف من أخبارهم وأحوالهم كما قد خص آياتهم بخصائص فاقت خصائص خوارق الدنيا، فكيف تجعل من جنس خوارق البشر الذين أرسلوا إليهم ليحجّوهم بها إن كانوا يقدرّون على جنسها.
- (١٦) إن من أعظم معجزات الأنبياء على الإطلاق معجزة القرآن الكريم.
- (١٧) ثبوت معجزة الإسراء والمعراج بالكتاب والسنة. وهي معجزة فريدة لم يحصل نظير لها في معجزات الأنبياء كما أنها حوت معجزات عظيمة وهي تشرّيف من الله عز وجل لنبيه وحبّيه محمد ﷺ .

## الفصل الرابع عصمة الأنبياء

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** المقصود بعصمة الأنبياء، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** معنى العصمة والنصوص الدالة على إمكانية صدور بعض الذنوب من الأنبياء.

**المطلب الثاني:** المسائل الأساسية في قضية عصمة الأنبياء.

**المبحث الثاني:** العصمة لغير الأنبياء والرد على من قال بذلك، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** مفهوم الولاية والإمامة في الكتاب والسنة.

**المطلب الثاني:** الرد على غلاة الصوفية والرافضة في القول بعصمة الأولياء والأئمة.

ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم علو منازل الأنبياء وما كانوا عليه من الهدى وأرشد إلى ضرورة التأسي بهم والسير على طريقهم كما أنه قد ذكر أيضاً حصول بعض الذنوب منهم وبين أنها لم تخل بمكانتهم وعظيم منزلتهم، كما أنها لم تؤثر على عقيدتهم أو تبليغهم ما أمروا بتبليغه أو بقائهم في أعلى درجات الكمال البشري ولذا فإنها لم تؤثر أيضاً في حكم الإقتداء بهم والتأسي بما كانوا عليه من قوة العقيدة وصدق اليقين وجهادهم في طريق الدعوة.

ونظراً لما ساقه البخاري (رحمه الله) من الأحاديث في ذلك رأيت ضرورة التطرق إلى هذه القضية وبحثها والتحقيق فيها. والله المستعان.

# المبحث الأول المقصود بعصمة الأنبياء

## المطلب الأول معنى العصمة والنصوص الدالة على صدور بعض الذنوب من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

المسألة الأولى: معنى العصمة لغةً واصطلاحاً:

### العصمة لغةً:

قال ابن منظور (رحمه الله): العصمة في كلام العرب: المنع والحفظ وعصمة الله عبده أن يعصمه مما يوبقه، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه. وقوله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي تسكوا بعهد الله وكذلك في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ﴾ أي من يتمسك بحبله وعهده. (١)  
وقال الراغب الأصفهاني (رحمه الله): "عصم: العَصْمُ الإمساك والاعتصام الاستمسك، وعصمة الأنبياء حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وبثبت أقدامهم ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم بالتوفيق". (٢)

### العصمة اصطلاحاً:

قال العلامة إسحاق بن عجيل المكي: "أما العصمة في الاصطلاح فقد خص بها ملائكته وأنبيائه ورسله، فمن العلماء من عرفها بشراقتها كالراغب الأصفهاني وكالحافظ ابن حجر، ومنهم من عرفها بماهيتها وإن اختلفت ألفاظهم فإن جميع ما عرفوها به ينتهي إلى أنها هي: حفظ الله بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهي عنه ولو فهي كراهة". (٣)

(١) لسان العرب / مج ١٢ / ٤٠٣ - ٤٠٥. باب الميم / فصل العين.

(٢) المفردات / ص ٣٣٦، ٣٣٧.

(٣) إعلام المسلمين بعصمة النبيين / ص ١٦.

"وهم معصومون من قبل الله عز وجل معتصمون باختيارهم وكسبهم لا كما قال حسين النجار أنهم لا قدرة لهم على المعصية أصلاً<sup>(١)</sup>، ولا كما قال الفلاسفة أنها ليست إلهية وإنما أثر من آثار قوى النفس الإنسانية فعرفوها بأنها ملكة تمنع من الفجور وتحصل بالعلم بمثللب المعاصي ومناقب الطاعات وتتأكد بتتابع الوحي بالأوامر والنواهي"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر (رحمه الله) في شرحه باب: المعصوم من عصمه الله: "أي من عصمه الله بأن حماه من الوقوع في الهلاك أو ما يجز إليه، يقال: عصمه الله من المكروه: وقاه وحفظه واعتصمتُ بالله لجأت إليه وعصمة الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام حفظهم من النقائص وتخصيصهم بالكمالات النفسية والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة، والفرق بينهم وبين غيرهم أن العصمة في حقهم بطريق الوجوب وفي حق غيرهم بطريق الجواز"<sup>(٣)</sup>.

وعرفها الجرجاني (رحمه الله) فقال: "العصمة: ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها"<sup>(٤)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "والعصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة"<sup>(٥)</sup>.

(١) عصمة الأنبياء لمحمد الحضرمي ضيف الله/ ص ٢٠، (نقلًا عن الشفاء للقاضي عياض).

(٢) انظر إعلام المسلمين بعصمة النبيين / ص ١٦.

(٣) الفتح / ج ١١ / ص ٥١٠.

(٤) كتاب التعريفات / ص ١٥٠.

(٥) مجموع الفتاوى / ج ١٠ / ص ٢٩٠.

المسألة الثانية: النصوص الدالة على إمكان صدور بعض الذنوب من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

والمسلم:

أما من القرآن فيدل على ذلك كثير من النصوص ومنها:

ما ورد في معصية آدم عليه السلام قال الله عز وجل: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (١)

ومما ورد في ذلك قوله تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ. لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَبَدَّ بِالْأَعْرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ (٢)

وقال عز وجل: ﴿ وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣)

وقال عز وجل عن موسى عليه السلام: ﴿ وَأَلْقَى الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَعِفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)

وقال عنه أيضاً: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴾ (٥)

وقال: ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦)

وقال الله عز وجل عن داود عليه السلام: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (٧) إلى قوله: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَنبَغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (٨)

(١) طه / ١٢٢.

(٢) الفلم / ٤٨ - ٤٩.

(٣) الأنبياء / ٨٧.

(٤) الأعراف / ١٥٠.

(٥) القصص / ١٦.

(٦) النمل / ١٠ - ١١.

(٧) ص / ٢١.

(٨) ص / ٢٤.



وقال عنه: ﴿فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾ (١)

وقال عز وجل عن سليمان عليه السلام: ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ الصَّافِيَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٢)

وقال عز وجل عن محمد ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّى يُنْجِنَ فِي الْوَلُؤِ يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣)

وقال عنه أيضاً: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ أَمَا مَنْ أَسْأَعْتَىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ (٤)

وقال عنه أيضاً: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٥)

وقال عنه: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (٦)

وقال أيضاً: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (٧)

أما من السنة المطهرة فما ورد في ذلك: ما رواه البخاري (رحمه الله) في حديث الشفاعة الذي جاء فيه: "يقولون: يا آدم أنت .؟. البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأم الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك أما ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ يقول: ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي، نفسي... الحديث" (٨)

(١) ص/ ٢٥.

(٢) ص/ ٣١ - ٣٤.

(٣) الأفعال / ٦٧ - ٦٨.

(٤) عبس / ١ - ١٠.

(٥) الفتح / ١ - ٢.

(٦) غافر / ٥٥.

(٧) محمد / ١٩.

(٨) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء / باب قول الله عز وجل: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)،

ورواه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب الشفاعة.

وفيه أيضاً: "فأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليته من الأرض اشفع لنا إلى ربك، فيقول: - فذكر كذباته - نفسي ، نفسي".<sup>(١)</sup>

وروى كذلك عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: "قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل ولم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه، فقال النبي ﷺ: " لو قالها جاهدوا في سبيل الله".<sup>(٢)</sup>

وروى البخاري ومسلم (رحمهما الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: " أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاء صكه فرجع إلى ربه...". الحديث.<sup>(٣)</sup>

والخلاصة في ذلك أن نصوص القرآن والسنة دلت على إمكانية وقوع بعض الذنوب من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مع بقاء الحديث عنهم حديثاً مفعماً بالاحترام والإكبار والتنويه بعلو منازلهم ورفيع درجاتهم.  
وفي هذا دلالة ظاهرة على أن هذا الذنوب ليست من الذنوب التي تستوجب سخط الله إذ ليست هي من الشرك أو الكفر أو الكبائر ولا تقدر في عقيدتهم ولا مروءتهم، كما أنهم لا يقرنون عليها، وسيأتي الحديث في ذلك مفصلاً - إن شاء الله - والله المستعان.

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء/ باب (يزفون) الصفات، وانظر الكتاب نفسه/ باب قول

الله تعالى: ( واتخذ الله إبراهيم خليلاً).

(٢) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء / باب قول الله تعالى: (ووهب لداود سليمان نعم العبد...)

(٣) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء/ باب وفاة موسى وذكره بعد. ورواه مسلم في صحيحه /

كتاب الفضائل/ باب من فضائل موسى عليه السلام.

## المطلب الثاني

### المسائل الأساسية في قضية عصمة الأنبياء

وستتضمن هذا المطلب الحديث عن المسائل التالية:

- المسألة الأولى: عصمة الأنبياء قبل البعثة.
- المسألة الثانية: عصمة الأنبياء من الذنوب بعد البعثة.
- المسألة الثالثة: عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ.
- المسألة الرابعة: عصمة الأنبياء من العوارض البشرية.

وقد ذكر العلماء المحققون (رحمهم الله تعالى) تلك المسائل وبينوا المعلوم منها بدليل الشرع والعقل والإجماع مما لا خلاف فيه كما بينوا المختلف فيه منها<sup>(١)</sup> وسأطرف إلى كل مسألة استقلالاً. والله المستعان.

(١) راجع مجموع الفتاوى / ج ١٠ / ص ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٥ وما بعدها و ج ١٥ / ص ١٤٨. وانظر منهج الإمام الشوكاني في العقيدة / ص ٦٧١، ٦٧٢.

## المسألة الأولى: عصمة الأنبياء قبل البعثة:

اختلف العلماء (رحمهم الله) في عصمة الأنبياء قبل البعثة من الشرك والكفر والمعاصي. قال شيخ الإسلام (رحمه الله): "ومتأزعون في العصمة من الكبائر أو الصغائر... إلى أن قال: "وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا".<sup>(١)</sup> ويرجع الخلاف إلى قولين:

- (١) قول من يرى أن الأنبياء معصومون قبل البعثة وهو قول القاضي عياض (رحمه الله) ومن وافقه، فقد قال به بعض الرافضة<sup>(٢)</sup>.
- (٢) وقول من يرى أن الأنبياء غير معصومين قبل البعثة بل يجوز وقوع الذنوب منهم وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله).

وقد نقل النووي قول القاضي عياض (رحمهما الله) فقال: "لا خلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه واختلفوا فيه قبل النبوة والصحيح أنه لا يجوز".<sup>(٣)</sup> وقال القاضي عياض (رحمه الله) أيضاً: "لم يُنقل أن أحداً نبياً واصطفيى ممن عُرف بكفر قبل ذلك".<sup>(٤)</sup> ومن ذهب إلى ذلك القرطبي<sup>(٥)</sup> والسفاري<sup>(٦)</sup> (رحمهما الله تعالى). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبياً لا يخطئ أو لا يذنب فليس في النبوة ما يستلزم هذا وقول القائل: "لو لم يكن كذلك لم تحصل ثقة فيما يبلغونه عن الله" كذب صريح فإن من آمن وتاب حتى ظهر فضله وصلاحه ونبأه الله بعد ذلك كما نبأ إخوة يوسف ونبأ لوطاً وشعبياً وغيرهما وأيده الله تعالى بما يدل على نبوته فإنه يوثق فيما يبلغه كما يوثق فيمن لم يفعل ذلك وقد تكون الثقة به أعظم إذا كان بعد الإيمان والتوبة قد صار أفضل من غيره والله تعالى قد أخبر أنه يبدل السيئات بالحسنات للتائب كما يثبت ذلك في الحديث الصحيح، ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره وتاب بعد ذنبه فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين

(١) مجموع الفتاوى / ج ١٠ / ص ٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) عصمة الأنبياء للرازي / ص ٢٧، مجموع الفتاوى / ج ١٠ / ص ٣٠٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ٣ / ص ٥٣.

(٤) إعلام المسلمين بعصمة النبيين / ص ١٨.

(٥) المرحع السابق / ص ١٨.

(٦) مختصر لوامع الأنوار البهية / ص ٤٧٠.

الإسلام فإنه من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا برسول الله ﷺ بعد كفرهم وهداهم الله بعد ضلالهم أفضل من أولادهم الذين ولدوا على الإسلام".<sup>(١)</sup>

وقال في موضع آخر: "وهذا يظهر جواب شبهة من يقول: أن الله لا يبعث نبياً إلا من كان معصوماً قبل النبوة كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم، وكذلك من قال إنه لا يبعث نبياً إلا من كان مؤمناً قبل النبوة فإن هؤلاء توهّموا أن الذنوب تكون نقصاً وإن تاب النائب، وهذا منشأ غلطهم فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصح يكون ناقصاً فهو غالط غلطاً عظيماً، والنائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع في الكفر والذنوب وقد أخبر الله عن إخوة يوسف بما أخبر من ذنوبهم وهم الأسباط الذين نبأهم الله تعالى وقد قال الله تعالى: ﴿قَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ قَامَنَ لُوطٌ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ شُعَيْبٍ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ. قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَلَتُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (ف) الاعتبار بكمال النهاية وهذا الكمال إنما يحصل بالتوبة والاستغفار".<sup>(٢)</sup>

غير أن الدكتور عبدالله القرني قد رجح عصمة الأنبياء من الشرك قبل البعثة وبين أن معنى (العود) في قوله تعالى ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ هو الصيرورة إلى أمر لا يلزم أن يكون سابقاً قبل ذلك واستدل على ذلك بما جاء في السنة المطهرة في قوله ﷺ عن الجهنمين: "إن الله يخرجهم من النار بعد أن عادوا حمماً" والمقصود بالحمم في اللغة: الفحم الأسود ولم يكونوا من قبل حمماً وإنما يصيرون إلى تلك الحال. وعلى هذا فيكون المعنى المقصود للعود

(١) منهاج السنة / ج ٢ / ص ٣٩٦ - ٣٩٨.

(٢) مجموع الفتاوى / ج ١٠ / ص ٣٠٩، ٣١٠.

في الآية ليس رجوع النبي وإنما الصيرورة فالعود لا يكون دائماً بمعنى الرجوع كما أنه لا يكون دائماً بمعنى الصيرورة بل بحسب المقصود في النص وما دلت عليه النصوص الأخرى في ذلك.<sup>(١)</sup>

## المسألة الثانية: عصمة الأنبياء من الذنوب بعد البعثة:

وقبل التطرق إلى هذه القضية وبيان ما ورد فيها من نصوص الشريعة وكلام العلماء أود أن أبين ما ورد من تقسيم للذنوب في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

### أقسام المعاصي في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

ذهب جمهور أهل السنة إلى انقسام الذنوب إلى صفائر وكبائر وحكى الإمام ابن القيم (رحمه الله) الإجماع في ذلك حيث قال: "والذنوب تنقسم إلى صفائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف وبالاعتبار".<sup>(١)</sup>

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبِيرًا مَّا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَكُدْخَلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) عند هذه الآية: "أي إذا اجتبتكم كبائر الآثام التي نهيتهم عنها كفرنا عنكم صفائر الذنوب وأدخلناكم الجنة".<sup>(٣)</sup> ثم ذكر (رحمه الله) أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة تفيد انقسام الذنوب إلى كبائر و صفائر.<sup>(٤)</sup>

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾<sup>(٥)</sup> واستدلوا كذلك بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾<sup>(٧)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾<sup>(٨)</sup>

(١) مدارج السالكين / ج ١ / ص ٣٢١، ٣٢٢، وانظر الجواب الكافي / ص ١٦٢، ١٦٣، وجموع العناوى / ج ١١ /

ص ٦٥٨، ٦٥٩ وتفسير القرآن العظيم / ج ١ ص ٤٨٥ - ٤٨٧.

(٢) النساء / ٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٤٨٠.

(٤) المصدر السابق / ج ١ / ص ٤٨١ - ٤٨٥.

(٥) النجم / ٣٢.

(٦) الشورى / ٣٧.

(٧) الكهف / ٤٩.

(٨) القمر / ٥٣.

ويدل على ذلك من السنة المطهرة أحاديث كثيرة منها:

ما رواه البخاري ومسلم (رحمهما الله) من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر أو سُئِلَ عن الكبائر فقال: "الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين".<sup>(١)</sup>

وروى مسلم (رحمه الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان يقول: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر"<sup>(٢)</sup> وفي رواية: ما لم تغش الكبائر.

قال النووي (رحمه الله) في شرحه لحديث أكبر الكبائر: "وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر وهو مروى أيضاً عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها. ولا شك في كون المخالفة قبيحة جداً بالنسبة إلى جناب الله تعالى ولكن بعضها أعظم من بعض، وتنقسم باعتبار ذلك إلى ما تكفره الصلوات الخمس أو صوم رمضان أو الحج أو العمرة أو الوضوء أو صوم عرفة أو صوم عاشوراء أو فعل الحسنة أو غير ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة وإلى ما لا يكفره ذلك كما ثبت في الصحيح "ما لم يغش كبيرة" فسمى الشرع ما تكفره الصلاة ونحوها صغائر وما لا تكفره كبائر، ولا يخرجها عن كونها قبيحة بالنسبة إلى جلال الله تعالى فإنها صغيرة بالنسبة إلى ما فوقها لكونها أقل قبحاً وكونها متيسرة التكفير والله أعلم".<sup>(٣)</sup>

ونخلص مما سبق إلى انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر بنصوص الكتاب والسنة.

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأدب / باب عقوق الوالدين من الكبائر، وفي كتاب الشهادات/

باب ما قيل في شهادة الزور، ورواه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب بيان الكبائر وأكبرها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الطهارة / باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، وانظر غيره من الأحاديث

الواردة في نفس الباب.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ٢٤ / ص ٨٥.



## التحقيق في عصمة الأنبياء من الذنوب بعد البعثة

اختلف العلماء (رحمهم الله) في عصمة الأنبياء من الذنوب بعد البعثة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "ومتنازعون في العصمة من الكبار والصغائر أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها لا في فعلها أم لا يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط؟" (١).

وقال أيضاً في موضع آخر: "واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة ( أي عصمة الأنبياء من الذنوب ) على طرفي نقيض كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه: قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب حتى حرقوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب ومغفرة الله لهم ورفع درجاتهم بذلك. وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القرآن على براءتهم منه وأضافوا إليهم ذنوباً وعيوباً تزهمهم الله عنها. وهؤلاء مخالفون للقرآن وهؤلاء مخالفون للقرآن ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط مهتدياً إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين" (٢).

وفي هذه المسألة أمور لا بد من التنبيه عليها:

(١) إن الخلاف في هذه المسألة يخرج منه الشرك أو الكفر، فإنه لا نزاع بين علماء الأمة على عصمة الأنبياء عن الكفر بعد البعثة.

قال الفخر الرازي (رحمه الله): " واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة إلا الفضيلية من الخوارج لأن عندهم يجوز صدور الذنوب عنهم وكل ذنب فهو كفر عندهم ، و الروافض فإنهم يجوزون عليهم إظهار كلمة الكفر على سبيل التقية" (٣).

(١) مجموع الفتاوى / ج ١٠ ص ٢٩٢، ٢٩٣، وانظر ج ١٥ ص ١٤٧ - ١٤٨، ج ٤ ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٢) مجموع الفتاوى / ج ١٥ ص ١٠٥.

(٣) عصمة الأنبياء للرازي / ص ٢٦.

(٢) اختلاف علماء الفرق وعلماء أهل السنة والجماعة إنما هو في العصمة من الصغائر وهو خلاف مشهور كما ذكر ذلك العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله) (١)، أما العصمة من الكبائر فهو قول أكثر أهل العلم بل حكى القاضي أبو بكر الباقلاني إجماع المسلمين على ذلك وكذا حكاها ابن الحاجب وغيره من متأجري الأصوليين (٢). وقال العلامة القرطبي (رحمه الله): "واختلف العلماء هل وقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين صغائر من الذنوب بعد اتفاهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شين ونقص إجماعاً" (٣). ولم أجد من الفرق من قال بجواز الكبيرة على النبي بعد البعثة إلا الحشوية كما حكى الفخر الرازي ذلك عنهم (٤).

وسوف أذكر قولين لأبرز من تكلم في ذلك:

• قول القاضي عياض (رحمه الله): "وأما المعاصي فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة واختلف العلماء هل ذلك بطريقة العقل أو الشرع، وكذلك معصومون من الصغائر التي تترى بفاعلهما وتحط منزلته وتسقط مروءته، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم، فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والسلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم وحبثهم ظاهر القرآن والأخبار، وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من أئمتنا إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر وأن منصب النبوة يجلب عن مواقعتها وعن مخالفة الله تعالى عمداً وتكلموا عن الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وتأولوها وأن ما ذكر عنهم من ذلك إنما هو فيما كان منهم على تأويل أو سهو أو من إذن من الله تعالى في أشياء أشفقوا من المؤاخذة بها وأشياء منهم قبل النبوة، وهذا المذهب هو الحق لما قدمناه ولأنه لو صح ذلك منهم لم يلزمنا الاقتداء بأفعالهم وإقرارهم

(١) أضواء البيان / ج ٤ / ص ٣٩٤، وانظر عصمة الأنبياء للرازي / ص ٢٧، ٢٨، وصحيح مسلم بشرح النووي /

مج ١ / ج ٣ / ص ٥٥، ٥٤، ومجموع الفتاوى / ج ٤ / ص ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة / ص ٦٧٢.

(٣) النبوة والأنبياء للصابوني / ص ٦٣.

(٤) عصمة الأنبياء للرازي / ص ٢٧.

وكثير من أقوالهم، ولا خلاف في الاقتداء بذلك وإنما اختلاف العلماء هل ذلك على الجوب أو على الندب أو الإباحة أو التفريق فيما كان من باب القرب وغيرها".<sup>(١)</sup> وذكر بعد ذلك بعض ما حصل من الأنبياء ثم قال: "وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب لكنهم أشفقوا منها إذ لم تكن عن أمر الله تعالى وعتب على بعضهم فيها لقد مرلتهم من معرفة الله تعالى".<sup>(٢)</sup>

• قول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) وهو قول الجمهور: "القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر وهو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الأمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول ولم ينقل عنهم ما يوافق القول (بالعصمة مطلقاً) وإنما نقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة ثم بعض المعتزلة ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين. وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها ولا يقولون أنها لا تقع بحال وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً وأعظم قولاً لذلك الرافضة فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل".<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً: "فجمهور المسلمين على أن النبي لا بد أن يكون من أهل البر والتقوى متصفاً بصفات الكمال ووجوب بعض الذنوب أحياناً مع التوبة الماحية الرافعة لدرجته إلى أفضل مما كان عليه لا ينافي ذلك. وأيضاً فوجوب كون النبي لا يتوب إلى الله فينال محبة الله وفرحه بتوبته وترتفع درجته بذلك ويكون بعد التوبة التي يحبها الله منه خيراً مما كان قبلها، فهذا مع ما فيه من التكذيب للكتاب والسنة غض من مناصب الأنبياء وسلبهم هذه الدرجة ومنع إحسان الله إليهم وتفضله عليهم بالرحمة والمغفرة. ومن اعتقد أن كل من يكفر ولم يذنب

(١) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ح ٣ / ص ٥٥٤. وانظر منهج الإمام الشوكاني في العقيدة / ص ٦٧٢.

(٢) المصدر السابق / مج ١ / ح ٣ / ص ٥٥.

(٣) مجموع الفتاوى / ح ٤ / ص ٣١٩ ، ٣٢٠.

أفضل من كل من آمن بعد كفره وتاب بعد ذنبه فهذا مخالف لما عُلم بالاضطرار من دين الإسلام، فإنه من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا بالرسول ﷺ بعد كفرهم وهداهم الله به بعد ضلالهم وتابوا إلى الله بعد ذنوبهم أفضل من أولادهم الذين وُلدوا على الإسلام<sup>(١)</sup>. "وليس المراد أن كل من ذاق طعم الكفر والمعاصي يكون أعلم بذلك وأكره له ممن لم يذقه مطلقاً فإن هذا ليس بمطرد بل قد يكون الطبيب أعلم بالأمراض من المرضى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أطباء الأديان فهم أعلم الناس بما يصلح القلوب ويفسدها وإن كان أحدهم لم يذق من الشر ما ذاقه الناس ولكن المراد أن من الناس من يحصل له بذوقه الشر من المعرفة به والنفور عنه والمحبة للخير إذا ذاقه ما لا يحصل لبعض الناس"<sup>(٢)</sup>.

وقال: "وما يظن بعض الناس أنه من ولد على الإسلام فلم يكفر قط أفضل ممن كان كافراً فأسلم ليس بصواب، بل الاعتبار بالعاقبة وأيهما كان أتقى لله في عاقبته كان أفضل، فإنه من المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين آمنوا بالله ورسوله بعد كفرهم أفضل ممن وُلد على الإسلام من أولادهم وغير أولادهم، بل من عرف الشر وذاقه ثم عرف الخير وذاقه فقد تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له أكمل ممن لم يعرف الخير والشر ويزقهما"<sup>(٣)</sup>.

ورد (رحمه الله) على القاضي عياض وذكر أنه بالغ في القول بالعصمة<sup>(٤)</sup>، كما رد على الرافضة الذين قالوا بالعصمة المطلقة وقد استندوا إلى نفس الحجة التي ذكرها القاضي عياض (رحمه الله) فقال: "إن الله عز وجل لم يذكر في كتابه عن نبي من الأنبياء ذنباً إلا ذكر توبته منه كما ذكر في قصة آدم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء، وهذا ما يجب به من ينصر قول الجمهور الذين يقولون بالعصمة من الإقرار على من ينفي الذنوب مطلقاً، فإن هؤلاء من أعظم حججهم ما اعتمده القاضي عياض وغيره حيث قالوا: نحن مأمورون بالتأسي بهم في الأفعال وتجوز ذلك يقدر في التأسي، فأجيبوا بأن التأسي إنما هو فيما أفروا

(١) منهاج السنة / ج ٢ / ص ٣٩٧ - ٣٩٨، وانظر مجموع الفتاوى / ج ١٠ / ص ٣٠١.

(٢) مجموع الفتاوى / ج ١٠ / ص ٣٠٢.

(٣) مجموع الفتاوى / ج ١٠، ص ٣٠٠، ٣٠١.

(٤) انظر مجموع الفتاوى / ج ٤ / ص ٣١٩، ٣٢٠.

عليه كما أن النسخ جائز فيما يبلغونه من الأمر والنهي وليس تجوز ذلك مانعاً من وجوب الطاعة لأن الطاعة تجب فيما لم يُنسخ، فعدم النسخ يقرر الحكم وعدم الإنكار يقرر الفعل والأصل عدم كل منهما".<sup>(١)</sup>

وقال (رحمه الله): "والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف: إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً والرد على من يقول أنه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حُررت إنما تدل على هذا القول وحجج النقلة لا تدل على وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء، فإن القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسّي بهم مشروع وذلك لا يجوز إلا مع تجوز كون الأفعال ذنوباً، ومعلوم أن التأسّي بهم إنما هو مشروع فيما أقروا عليه دون ما فُو عنه ورجعوا عنه كما أن الأمر والنهي إنما تجب طاعتهم فيما لم يُنسخ منه فأما ما يُنسخ من الأمر والنهي فلا يجوز جعله مأموراً به ولا منهيّاً عنه فضلاً عن وجوب اتباعه والطاعة فيه. وكذلك ما احتجوا به من أن الذنوب تنافي الكمال أو أنّها ممن عظمت عليه النعمة أقيح أو أنّها توجب التنفير أو نحو ذلك من الحجج العقلية، فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه، كما قال بعض السلف: كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، وقال آخر: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنوب أكرم الخلق عليه".<sup>(٢)</sup>

(١) مجمع الفتاوى / ج ١٥ / ص ١٤٨.

(٢) مجموع الفتاوى / ج ١٠ / ص ٢٩٤، ٢٩٣، وانظر منهاج السنة / ج ١ / ص ٤٧٢.

### المسألة الثالثة: عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ

اتفق علماء الأمة على عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ من حيث الأصل والمبدأ، فهم معصومون فيما يأتيهم من الله ومعصومون فيما يبلغونه للناس. لأن تبليغ الرسالات والوحي من المهام الأساسية التي أرسلهم الله لأجلها ولذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾

وقال عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾<sup>(١)</sup>  
وقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾<sup>(١)</sup>  
وسوف أذكر ما يبين ذلك من كلام العلماء، والله المستعان.

قال القاضي عياض (رحمه الله): "اتفقوا - أي العلماء - على أن كل ما كان طريقه الإبلاغ في القول فهم معصومون فيه على كل حال، وأما ما كان طريقه الإبلاغ في الفعل فذهب بعضهم إلى العصمة فيه رأساً وأن السهو والنسيان لا يجوز عليهم فيه وتأولوا أحاديث السهو في الصلاة وغيرها، وهذا مذهب الأستاذ أبي المظفر الإسفراييني من أئمتنا الخراسانيين المتكلمين وغيره من المشايخ المتصوفة، وذهب معظم المحققين وجماهير العلماء إلى جواز ذلك ووقوعه منهم وهذا هو الحق، ثم لا بد من تبيهم عليه وذكرهم إياه إما في الحين على قول جمهور المتكلمين وإما قبل وفاقم على قول بعضهم ليسوا حكم ذلك وبينوه قبل انخزام مدقمه وليصح ما أنزل إليهم".<sup>(١)</sup>

وقال السفاريني (رحمه الله): "وقد أجمعت الأمة على أن ما كان طريقه الإبلاغ فالأنبياء والرسل معصومون فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف الواقع لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً على تفصيل في بعض ذلك".<sup>(٢)</sup>

وقال الشوكاني (رحمه الله) عند حديث (ذو اليدين) في قصة نسيان النبي ﷺ في صلاة الظهر أو العصر: "وفيه دليل على جواز دخول السهو عليه ﷺ في الأحكام الشرعية، وقد نقل القاضي عياض والنووي الإجماع على عدم جواز دخول السهو في الأقوال التبليغية وخصاً الخلاف بالأفعال وقد تُعقِبَا، قال الحافظ: نعم اتفق من جوز ذلك على أنه لا يقر عليه بل يقع له بيان ذلك إما متصلاً بالفعل أو بعده كما وقع في هذا الحديث، وفائدته جواز السهو في مثل ذلك وبيان الحكم الشرعي إذا وقع مثله لغیره".<sup>(٣)</sup>

وأرى - والله أعلم - أن السهو في والنسيان في الصلاة أو لبعض الآيات أو غيرها من الأحكام الشرعية العملية ليس مما له علاقة بالعصمة في التبليغ لأن التبليغ والبيان قد حصلتا قبل السهو والنسيان والأحاديث دلت على ذلك.<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ٣ / ص ٥٣، ٥٤.

(٢) مختصر لواع الأنوار البهية / ص ٤٧٢.

(٣) نيل الأوطار / ج ٣ / ص ١٠٩.

(٤) راجع حديث ذي اليدين في نيل الأوطار / ج ٣ / ص ١٠٧.

ثم إنهم لا يقرون ذلك ولا يستمرون عليه إذ لو استمروا على ذلك لعدّ نسخاً ولوجب الأخذ به ولم يكن نسياناً أو خطأ في التبليغ وإنما نسخ من الله عز وجل. وعلى ذلك فإن السهو والنسيان في الأحكام الشرعية التي قد سبق تبليغها للناس إنما هو من العوارض البشرية التي قد تحصل للأنبياء ولا تنافي العصمة الواجبة في حقهم<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "الناس في عصمة الأنبياء على قولين: إما أن يقولوا بالعصمة من فعلها وإما أن يقولوا بالعصمة من الإقرار عليها لا سيما فيما يتعلق بتبليغ الرسالة فإن الأمة متفقة على أن ذلك معصوم أن يقر فيه خطأ فإن ذلك ينلخص مقصود الرسالة ومدلول المعجزة"<sup>(٢)</sup>.

وقال: "الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَإِنِ آمَنُوا بِهِ لِمَا آمَنْتُمْ بِهِ فَغَدَّ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وقال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ وقال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة فإن "النبي" هو المنبأ عن الله و"الرسول" هو الذي أرسله الله تعالى، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين"<sup>(٣)</sup>.

وقال في موضع آخر: "قد اتفق المسلمون على أنهم - أي الأنبياء - معصومون فيما يبلغون عن الله فلا يجوز أن يقرهم على الخطأ في شيء مما يبلغونه عنه وبهذا يحصل المقصود

(١) راجع ص ٣٤٠ من هذا الفصل.

(٢) مجموع الفتاوى / ج ١٥ / ص ١٤٧، ١٤٨.

(٣) مجموع الفتاوى / ج ١٠ / ص ٢٨٩، ٢٩٠.



من البعثة، وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبياً لا يخطئ أو لا يذنب فليس في النبوة ما يستلزم هذا".<sup>(١)</sup>

وهنا مسألة لصيقة بما نحن يصدهده وهي: هل يمكن أن يسبق على لسان النبي ما يستدركه الله تعالى وبينه له بحيث لا يقره على الخطأ؟.

والمطلع على كلام العلماء الوارد في ذلك يجد أن منشأ الخلاف في هذه القضية هو الخلاف في أمرين:

**الخلاف الأول:** في معنى "التمني" و "الأمنية" الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>

فقد اختلف العلماء (رحمهم الله) في ذلك على قولين:

قول يرى أن التمني هو حديث النفس، وعلى هذا فيكون معنى الآية: وما أرسلنا من رسول ولا نبي إلا إذا حدث نفسه ألقى الشيطان في ذلك الحديث الذي حدث به نفسه، وهذا الذي يحصل على هذا التقدير أمر باطن خفي.

والقول الثاني هو أن التمني بمعنى القراءة والتلاوة، وعلى هذا فيكون معنى الآية: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ أو تلا ألقى الشيطان في تلاوته فينسخ الله ما يلقي الشيطان في تلك التلاوة ثم يحكم الله آياته. وهذا الإلقاء على هذا التقدير أمر ظاهر مسموع.

وهذا المعنى رجحه أكثر المفسرين كما ذكر ذلك البغوي<sup>(٣)</sup>، كذلك ذكره البخاري<sup>(٤)</sup> وابن جرير<sup>(٥)</sup> وشيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٦)</sup> وابن حجر<sup>(٧)</sup> (رحمهم الله جميعاً).

(١) منهاج السنة / ج ٢ / ص ٣٩٦، وانظر: ج ١ / ص ٤٧٠، ٤٧١.

(٢) الحج / ٥٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢٣٠.

(٤) الجامع الصحيح / كتاب التفسير / سورة الحج.

(٥) جامع البيان / مج ١٠ / ج ١٧ / ص ٢٤٨.

(٦) منهاج السنة / ج ١ / ص ٤٧١، مجموع الفتاوى / ج ١٠ / ص ٢٩٠ - ٢٩٢.

(٧) الفتح / ج ٨ / ص ٢٩٤.

**الخلاف الثاني:** الخلاف في سبب نزول تلك الآية: وهو "قصة الغرائق" والتي ملخصها:

أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بمكة سورة النجم فلما بلغ هذا الموضع: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان على لسانه فقال: "تلك الغرائق العلاء وإن شفاعتهن ترتجي" والغرائق هي آلهة المشركين من الأصنام وغيرها.<sup>(١)</sup>

وقد اختلف العلماء (رحمهم الله) في ثبوت هذه القصة، ومن ثبت لديهم: ابن حجر<sup>(٢)</sup> وشيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٣)</sup> والشيخ سليمان بن عبد الوهاب<sup>(٤)</sup> وبعض المتكلمين<sup>(٥)</sup>، ومن العلماء الذين لم تثبت لديهم: القاضي عياض (رحمه الله) الذي قال: "وأما ما يرويه الأخباريون والمفسرون أن سبب ذلك ما جرى على لسان رسول الله ﷺ من الثناء على آلهة المشركين في سورة النجم فباطل لا يصح فيه شيء من جهة النقل ولا من جهة العقل".<sup>(٦)</sup> وكذلك ابن كثير (رحمه الله) الذي قال بعد أن ساق القصة: "ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح".<sup>(٧)</sup>، والشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني الذي كتب رسالة في ذلك أسماها (نصب المجانيق في نسف قصة الغرائق).

وعلى هذا فالخلاف في القصة خلاف قوي، وعلى افتراض ثبوتها فإنها لا تنافي العصمة لما ذكرنا في معنى الآية على القول الراجح من كلام العلماء والمفسرين من أن معنى "تمنى" هو تلا وقرأ، وإذن فمعنى "الأمنية" هو التلاوة والقراءة، وأن معنى الآية: "وما أرسلنا من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ أو حدث وتكلم ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ : فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله".<sup>(٨)</sup>

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢٢٩.

(٢) انظر الفتح / ج ٨ / ص ٢٩٣.

(٣) انظر منهاج السنة / ج ١ / ص ٤٧١.

(٤) تيسير العزيز الحميد / ص ٢٨٢، ٢٨١.

(٥) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢٢٩.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ٢ / ج ٥ / ص ٧٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٢٢٩.

(٨) جامع البيان / مج ١٠ / ج ١٧ / ص ٢٤٩.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في ذلك: "وتنازعوا هل يجوز أن يسبق على لسانه ما يستدركه الله تعالى ويبينه له بحيث لا يقره على الخطأ كما نقل أنه ألقى على لسانه ﷺ: "تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى" ثم إن الله تعالى نسخ ما ألقاه الشيطان وأحكم آياته. فمنهم من لم يجوز ومنهم من جوزه إذ لا محذور فيه فإن الله تعالى ينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (١). وقال: "والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين، ولكن هل يصدر ما يستدركه الله فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته؟ فيه قولان، والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك، والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما يُنقل من الزيادة في سورة النجم بقوله: "تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى" وقالوا: إن هذا لم يثبت، ومن علم أنه ثبت قال: ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول ﷺ ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضاً، وقالوا في قوله: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ﴾ هو حديث نفس.

وأما الذين قرروا ما نُقل عن السلف فقالوا هذا منقول نقلاً ثابتاً لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ. وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فقالوا الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير والحديث، والقرآن يوافق ذلك فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكامه آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته وتمييز الحق من الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها، وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم إنما يكون إذا كان ذلك ظاهراً يسمعه الناس لا باطناً في النفس، والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ، وهذا النوع أدل على صدق الرسول ﷺ وبعده عن

المهوى من ذلك النوع فإنه إذا كان يأمر بأمر ثم يأمر بخلافه وكلاهما من عند الله وهو مصدق في ذلك فإذا قال عن نفسه إن الثاني هو الذي من عند الله وهو الناسخ وإن ذلك المرفوع الذي نسخه الله ليس كذلك كان أدل على اعتماده للصدق وقوله للحق، وهذا كما قالت عائشة (رضي الله عنها) لو كان محمد كاتماً شيئاً لكم هذه الآية (وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) ألا ترى أن الذي يعظم نفسه بالباطل يريد أن ينصر كل ما قاله ولو كان خطأ، فيبان الرسول ﷺ إن الله أحكم آياته ونسخ ما ألقاه الشيطان هو أدل على تحريمه للصدق وبرأءته من الكذب وهذا هو المقصود بالرسالة فإنه الصادق المصدق ﷺ تسليماً كثيراً، ولهذا كان تكذيبه كفراً محضاً بلا ريب".<sup>(١)</sup>

والخلاصة: أن الأنبياء معصومون فيما يبلغون عن الله باتفاق الأمة، أما أنه قد يقع منهم نسيان فيما قد سبق تبليغه للناس في الأحكام الشرعية "العملية" لا العلمية العقديّة فذلك ممكن ولا يقدح في عصمتهم شيئاً لأنهم (١) قد بلغوه للناس كما أوحى إليهم. (٢) أنهم يُراجعون فيه فيرجعون.

وأما أنهم قد يقع منهم نسيان فيما أمروا أن يبلغوه للناس ولم يبينوه ولم يبلغوه فهذا لا يقع بل هم معصومون عنه.

وأما ما يتعلق بإمكان صدور الخطأ على ألسنتهم فهذا ممكن وهو لا ينافي العصمة لأن الله عز وجل لا يقرهم على الخطأ بل يبينه ثم يحكم آياته، ثم إن هذا قليل في حق نبينا محمد وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كما هو ظاهر من نصوص الشريعة، والله أعلم.

## المسألة الرابعة: العصمة من العوارض البشرية ( الأمور التي لا تنافي العصمة)

العوارض البشرية هي كل ما يعرض للبشر من الأمراض والنسيان والخطأ والخوف وضعف الصبر والغضب بما لا يؤدي إلى كباثر الذنوب والآثام.<sup>(١)</sup>

وقد ثبت بنصوص الكتاب والسنة حصول بعض هذه العوارض البشرية للأنبياء والتي لا تنافي العصمة التي اختصهم الله بها لأمر:

١. أنها لا توقعهم في كباثر الذنوب والآثام ولا توقعهم في خوارق المروءة وقوادح العدالة وبالتالي يختل أو يفقد المقصود من إرسالهم بشراً مثلنا وهو الاقتداء والاتساء.
٢. أنها لا تؤدي إلى الإخلال بوظيفة التبليغ التي ابعثهم الله لأجلها والتي هي المقصود من الرسالة والنبوة.

٣. أن بعض العوارض البشرية قد عصم الله الأنبياء منها وذلك لأن حصولها لهم يخل بمقصود الرسالة وهو التبليغ والاتساء، ومن ذلك على سبيل المثال: الجنون أو الصمم والبكم الذي لا يتحصل معه تبليغ الرسالة أو بعض الأقسام المنفرة كالجذام والبرص التي تنفر الناس عن أصحابها، قال القاضي عياض (رحمه الله) وغيره: "إن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم منزهون عن النقائص في الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعاييب، قالوا: ولا التفات إلى ما قاله من لا تحقيق له من أهل التاريخ في إضافة بعض العاهات إلى بعضهم بل نزههم الله تعالى من كل عيب وكل شيء يبغض العيون أو ينفر القلوب".<sup>(٢)</sup>

ومن الأمثلة على ما ذكرت من العوارض التي لا تنافي العصمة والتي قد تحصل للأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ما يلي:

(١) مثال على الخوف البشري الطبيعي: ما حصل لإبراهيم الخليل عليه السلام الذي خاف عندما قرب الطعام إلى ضيوفه ولم يأكلوا ولم يكن يعلم وقتئذ أنهم ملائكة، قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) راجع مباحث في النبوات / الدكتور عبدالله الفري / جامعة أم القرى.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ٥ / ج ١٥٤ / ص ١٢٧.

(٣) هود / ٧٠.

(٢) مثال على ضعف الصبر: ما حصل لموسى عليه السلام مع العبد الصالح، قال عز وجل: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾<sup>(٢)</sup>

(٣) مثال على الغضب: ما حصل من موسى عليه السلام عندما أخذ برأس أخيه يجره إليه بعد أن ألقى الألواح، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> وفي الحديث: " ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت ".<sup>(٤)</sup>

(٣) مثال على النسيان:

(أ) ما حصل لآدم عليه السلام، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾<sup>(٥)</sup>. وقال رسول الله ﷺ: " لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله ياذن الله فقال له ربه: يرحمك ربك يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملائكتهم منهم جلوس فقل السلام عليكم قالوا وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال: إن هذه تحتك وتحتك بنيتك بينهم فقال الله له ويدها مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال أي رب ما هؤلاء فقال هؤلاء ذريتك فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم قال يا رب من هذا قال هذا ابنك داود قد كتبت له عمر أربعين سنة قال يا رب زده في عمره قال ذاك الذي كتبت له قال أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة قال أنت وذاك قال ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها فكان آدم يعد لنفسه قال فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتب لي ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك

(١) الكهف / ٧٥.

(٢) الكهف / ٨٢.

(٣) الأعراف / ١٥٠.

(٤) رواه أحمد في مسنده والطبراني في الأوسط بإسناد صحيح وصححه الألبان في صحيح الجامع / ج ٥ / ص ٨٧.

(٥) طه / ١١٥.

داود ستين سنة فجحد فجحدت ذريته ونسي فسيت ذريته قال فمن يومئذ أمر الكتاب والشهود". (١)

ومثال آخر ما حصل لنا محمد ﷺ في صلاة الظهر أو صلاة العصر والحديث رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَى صَلَاتِي الْعُشِيِّ قَالَ فَصَلَّى بِنَا رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَأَتَاكَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضَبَانُ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَوَضَعَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى وَخَرَجَتِ السَّرْعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا قَصُرَتِ الصَّلَاةُ؟ وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعَمَرُ فَهَابَا أَنْ يَكَلِمَاهُ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْسَيْتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ قَالَ لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرَ فَقَالَ: أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ، فَقَالُوا: نَعَمْ فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ.. (٢) الحديث، وفي رواية قال: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرَ، قال بلي قد نسيت"، قال مجيد الدين ابن تيمية الحارثي: "وهذا يدل على أن ذا اليدين تكلم بعد ما علم عدم النسخ كلاماً ليس بجواب سؤال". (٣)

وعلى ذلك فإن السهو والنسيان في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وارد، غير فلبن ذلك ليس على إطلاقه، فلا يمكن أن يحصل النسيان أو السهو فيما أمروا بتبليغه أي أن يأتيهم وحى من الله عز وجل ثم لا يبلغونه للناس. وإنما قد يحصل النسيان فيما قد سبق تبليغه وبيانه للناس، ثم إنهم مع ذلك لا يُقرّون عليه بل يُذكرون ويرجعون عنه، ويدل على ذلك حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: "إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني". (٤)

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن حبان والترمذي وصححه الألباني في تحقيق شرح العقيدة الطحاوية

وذكره ابن كثير في البداية والنهاية / مع ١ / ج ١ / ص ٨١ - ٨٢.

(٢) منفذ عليه (نيل الأوطار / ج ٣ / ص ١٠٧).

(٣) نيل الأوطار / ج ٣ / ص ١٠٧.

(٤) منفذ عليه (نيل الأوطار / ج ٣ / ص ١٠٩) وانظر منهاج السنة / ج ١ / ص ٤٧٢.

ولا شك أن في جواز السهو النسيان على رسول الله ﷺ بعد التبليغ فائدة عظيمة وهي: بيان الحكم الشرعي إذا وقع مثله لغيره كما ذكر الشوكاني (رحمه الله).<sup>(١)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "وأما المسائل المقدمة فقد شارك غير الإمامية فيها بعض الطوائف إلا غلوهم في عصمة الأنبياء فلم يوافقهم عليه أحد أيضاً حيث ادعوا أن النبي ﷺ لا يسهو، فإن هذا لا يوافقهم عليه أحد فيما علمت اللهم إلا أن يكون من غلاة جهال النساك فإن بينهم وبين الرافضة قدراً مشتركاً في الغلو وفي الجهل".<sup>(٢)</sup>

(٥) مثال على الخطأ في الاجتهاد والحكم:

(أ) ومن ذلك ما حصل من نبي الله داود (عليه السلام) في حكمه بين المتخاصمين دون أن يتثبت ويستمع للخصم الآخر كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً وَّلِي نَعْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾<sup>(٣)</sup>

كذلك مما ورد في خطأه في الحكم ما جاء في السنة المطهرة عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحدهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتا فقال اتنوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى".<sup>(٤)</sup>

(١) نيل الأوطار / ج ٣ / ص ١٠٩.

(٢) منهاج السنة / ج ٢ / ص ٤٥٣.

(٣) ص / ٢١ - ٢٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب قوله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان).



(ب) كذلك مما ورد في السنة المطهرة في إمكان صدور خطأ من نبينا محمد ﷺ في الحكم عموم قوله ﷺ: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ لِيَأْتِيَنَّ الْخِصْمَ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحْسَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسَبُ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَتْرَكْهَا".<sup>(١)</sup>

كما يدل على خطأه في الاجتهاد ما حصل في قضية أسرى بدر عندما اجتهد فرأى أخذ الفدية، والصواب قتلهم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يُبْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>

ويدل كذلك على صدور الخطأ من نبينا ﷺ: ما حصل من الخطأ في الدعوة وذلك عندما عبس في وجه ابن أم مكتوم، وكان النبي ﷺ مجتهداً في دعوة صناديد الكفار لما يرى من مصلحة وعزة للإسلام بإسلامهم، وقد عوتب في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ. أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ. أَمَّا مَنْ اسْتَعْتَىٰ. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ. وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ. وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ. وَهُوَ يَخْشَىٰ. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾<sup>(٣)</sup>

(٦) ومن الأمثلة على مرض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

(أ) ما حصل لنبي الله أيوب (عليه السلام) وقد طال مدة مرضه ثم شفاه الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾<sup>(٤)</sup> وقد دلت السنة على ذلك أيضاً.

(ب) كذلك من الأمثلة على المرض ما حصل لرسول الله ﷺ من اللأواء عند اخن مثل كسر ثيابه ودخول الحلقة في وجنته والسم الذي وضعته له اليهودية ومعاناته في مرض موته، كذلك ما حصل له ﷺ عندما سُحِرَ، وهنا ينبغي أن نعلم أنه ﷺ عندما سُحِرَ لم يصل إلى درجة الإخلال بعقله وإنما كان يتخيل أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله وإلا فقد كان ﷺ

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب المظالم / باب إم من خاصم في باطل.

(٢) الأنفال / ٦٧.

(٣) عبس / ١ - ١٠.

(٤) ص / ٤١ - ٤٢.

وهو بتلك الحال يصلي بالناس ويأتيه الوحي من الله ويبلغه إليهم ولم يؤثر أنه تخلى عن تبليغه أو قيامه بالدعوة في تلك الفترة، ولذا فإن ما حصل له من السحر إنما هو من جملة الأمراض<sup>(١)</sup>.

والحاصل من ذلك: أن الأنبياء ليسوا معصومين من بعض العوارض البشرية ومعصومين من البعض الآخر الذي فيه إخلال بمقصود الرسالة والنبوة. وقد ضربتُ لذلك أمثلة مما ثبت بنصوص القرآن والسنة غير أنني أود التنبيه على أن بعض ما ذكرت من الأمثلة قد يعدُّه البعض من الصغائر التي حصلت من الأنبياء والذي أرى والله أعلم فيما ذكرت من أمثلة أنها إلى العوارض البشرية أقرب منها إلى صغائر الذنوب.

## المبحث الثاني

### العصمة لغير الأنبياء والرد على من قال بذلك

قررت فيما سبق بما دلت عليه نصوص الشريعة عصمة الأنبياء من الكبائر والآثام ومن كل ما يخل بالمرءة أو يقدرح في الخلق أو ينافي مقصود الرسالة.

ولم تثبت نصوص الشريعة العصمة في ذلك لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل دلت على نقيضه وإن كل ما عدا الأنبياء فهو غير معصوم.

غير أنه قد ظهر فنام من الناس يدعون العصمة لغير الأنبياء ومن أبرز من أظهر ذلك وانتصر له غلاة الرافضة وغلاة الصوفية حيث ادعوا العصمة لأئمتهم وأوليائهم.

وقد بين علماء أهل السنة والجماعة خطأ هؤلاء وعظيم افتراءهم وردوا عليهم. وقبل ذكر أبرز تلك الردود أود أن أقف على مفهوم الولاية والإمامة في الكتاب والسنة وعند غلاة الرافضة (الاثني عشرية) غلاة من الصوفية. والله المستعان.

## المطلب الأول

### مفهوم الولاية والإمامة في الكتاب والسنة

### وعند غلاة الصوفية والرافضة

ورد لفظ الولاية والإمامة في الأصلين: الكتاب والسنة إلا أن الغلاة من الصوفية والرافضة ابتدعوا لهما مفهوماً آخرًا غير وخالف كل المخالفة ما في الكتاب والسنة عنهما. وإن كان - كلا المفهومين - قد اشتركا في أصل المعنى اللغوي لهذين اللفظين. وسوف أبين مفهومهما في الكتاب والسنة ثم اذكر انحراف الشيعة والصوفية فيهما وما اعتمده في ذلك.

#### المسألة الأولى: مفهوم الولاية والإمامة في الكتاب والسنة

أولاً: مفهوم الولاية في الكتاب والسنة.

#### **مفهوم الولاية في اللغة:**

قال ابن منظور (رحمه الله): "الولاية بالكسر السلطان، والولاية والولاية: النصرة، والولي في أسماء الله تعالى هو الناصر، والوليُّ: ولي اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفايته وولي المرأة الذي يلي عقدة النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح دونه، والولي: الصديق والناصر. وقال ابن الأعرابي: الولي التابع المحب، والولي ضد العدو، والمولى: الخليف هو من انضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك والموالاتة ضد المعاداة."<sup>(١)</sup>

وقال الفيروز أبادي (رحمه الله): الوليُّ القرب والدنو والمطر بعد المطر، والوليُّ: الاسم منه والمحب والصديق والناصر، والولاية: الإمارة والسلطان، والمولى: المُعْتَق والمُعْتَق والصاحب القريب والوليُّ والرب والناصر والمحب."<sup>(٢)</sup>

وقد أشار ابن حجر (رحمه الله) إلى هذا المعنى فقال: "المولى: المحب والجار والناصر والصهر والتابع..."<sup>(٣)</sup>

(١) لسان العرب / مج ١٥ / ص ٤٠٦ - ٤١١.

(٢) القاموس المحيط / ص ١٧٣٢.

(٣) الفتح / ج ٨ / ص ٦٥.

كما ذكر الشوكاني ( رحمه الله ) ذلك أيضاً فقال: " الولي ضد العدو والولاية ضد  
العداوة وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكر أهل اللغة".<sup>(١)</sup>

### الولاية في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

وردت لفظ الولاية وكثير من اشتقاقات فعلها في كثير من المواضع في القرآن الكريم  
والملاحظ على ما ورد في القرآن في ذلك أمرين:

أ) أن المعنى الذي ورد في القرآن من ذلك يدور بين الحب والقرب والنصرة.<sup>(١)</sup>  
ب) أن لفظ الأُولياء قد يطلق على أولياء الله كما أنه قد يطلق على أعداء الله فهو ليس  
خاصاً بالمؤمنين.<sup>(٣)</sup>

قال الراغب الأصفهاني: ولي: الولاء والتوالي أن يحصل شيان فصاعداً حصولاً ليس  
بينهما ما ليس منهما ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث  
الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد ، والولاية: النصرة والولي والمولى يستعملان  
في ذلك كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل أي الموالى وفي معنى المفعول أي المُوالي يقال  
للمؤمن: هو وليُّ الله عز وجل ولم يرد مولاة. وقد يقال: الله تعالى ولي المؤمنين ومولاهم  
فمن الأول قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وقال عز وجل ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَلَدُوا  
إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴾ والوالي الذي في قوله: ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ  
دُونِهِ مِنْ  
وَالِ ﴾ بمعنى الولي، ونفى الله تعالى الولاية بين المؤمنين والكافرين في غير آية فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَنْ  
يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ وجعل بين  
الكافرين والشياطين مولاة في الدنيا ونفى بينهم المولاة في الآخرة قال الله تعالى في المولاة  
بينهم في الدنيا: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ  
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ﴿ فَفَاتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ  
لَا يَدْرِي أَوْلِيَاءُ لَهُمْ الشَّيَاطِينَ أَمْ لِلشَّيَاطِينِ أَوْلِيَاءُ فِي دُونِ النَّاسِ ﴾

(١) نظر الولي / ص ٧٠ ، ( مقدمة المحقق ) .

(١) المصدر السابق / ص ٧١ ، ( مقدمة المحقق ) .

(٣) مجموع الفتاوى / ج ١١ / ص ١٥٧ ، ( الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ) .

الشَّيْطَانُ﴾ ونفى الموالاتة بينهم في الآخرة فقال في موالاتة الكفار بعضهم بعضاً: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً﴾، (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ).<sup>(١)</sup>

وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>: «ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والأولياء جمع ولي وهو النصير»<sup>(٣)</sup>.

وقال الشوكاني: "الولي في اللغة القريب والمراد بأولياء الله خُلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه"<sup>(٤)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "وأولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما ذكر الله ذلك في كتابه وهم قسمان: المقتصدون أصحاب اليمين والمقربون السابقون، فولي الله ضد عدو الله قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾

وقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾

وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى: "من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحاربة، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وببي يبصر وببي يبطش وببي يسمي".

(١) المفردات / ص ٥٣٣، ٥٣٤.

(٢) بونس / ٦٢.

(٣) جامع البيان / مج ٧ / ج ١١ / ص ١٧٠.

(٤) قطر الولي على حديث الولي / ص ٧٠.

والولي من الولي وهو القرب كما أن العَدُو من العَدُو وهو البعد، فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضاياته وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته وقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح الصنفين: المقتصدون أصحاب اليمين وهم المتقربون إلى الله تعالى بالواجبات والسابقون المقربون وهم المتقربون بالنوافل بعد الواجبات وذكرهم الله في سورة فاطر والواقعة والإنسان والمطففين وأخبر أن الشراب الذي يروي به المقربون بشرهم إياه يمزج لأصحاب اليمين. والولي المطلق هو من مات على ذلك فأما إن قام به الإيمان والتقوى وكان في علم الله تعالى أن يرتد عن ذلك فهل يكون في حال إيمانه وتقواه ولياً لله؟ أو يقال لمن يكون ولياً لله قط لعلم الله بعاقبة هدايته؟ قولان للعلماء والتحقيق: وهو الجمع بين القولين فإن علم الله القديم الأزلي وما يتبعه من محبته ورضاه وبغضه وسخطه وولايته وعداوته لا يتغير فمن علم الله منه أنه يوافي حين موته بالإيمان والتقوى فقد تعلقت به محبة الله وولايته ورضاه عنه أزلاً وأبداً وكذلك من علم الله منه أنه يوافي حين موته بالكفر فقد تعلق به بغض الله وعداوته وسخطه أزلاً وأبداً لكن مع ذلك فإن الله يبغض ما قام بالأول من كفر وفسوق قبل موته وقد يقال أنه يبغضه ويمقتة على ذلك كما ينهاه عن ذلك وهو سبحانه وتعالى يأمر بم فعله الثاني من الإيمان والتقوى ويجب ما يأمر به ويرضاه وقد يقال إنه يوليه حينئذ على ذلك.

والدليل على ذلك اتفاق الأمة على أن من كان مؤمناً ثم ارتد فإنه لا يحكم بأن إيمانه الأول كان فاسداً بمرلة من أفسد الصلاة والصيام والحج قبل الإكمال وإنما يقال كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ ولو كان فاسداً لوجب أن يحكم بفساد أنكحته المتقدمة وتحريم ذبائحه وبطالان عباداته جميعاً حتى لو كان قد حج عن غيره كان حجه باطلاً ولو صلى مرة بقوم ثم ارتد كان لهم أن يعيدوا صلاتهم خلفه وهذه كلها خلاف ما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن قال: أن ولي الله لا يكون إلا من وافاه حين الموت بالإيمان والتقوى فالعلم بذلك أصعب عليه وعلى غيره، ومن قال: قد يكون ولي الله من كان مؤمناً تقياً وأن يعلم عاقبته فالعلم بذلك أسهل، ومع هذا يمكن العلم بذلك للولي نفسه ولغيره ولكنه قليل ولا يجوز

التهجم بالقطع على ذلك فمن ثبت ولايته لله بالنص وإنه من أهل الجنة كالعشرة وغيرهم فعامة أهل السنة يشهدون له ما شهد له به النص وأما من شاع له لسان صدق من الأمة بحيث اتفقت الأمة على الثناء عليه فهل يشهد له بذلك؟ هذا فيه نزاع بين أهل السنة والأشبه أن يشهد له بذلك هذا في الأمر العام.

وأما خواص الناس فقد يعلمون عواقب أقوام بما يكشفه الله لهم لكن ليس هذا مما يجب التصديق العام به فإن كثيراً مما يظن به أنه حصل له هذا لكشف يكون ظاناً في ذلك ظناً لا يغني من الحق شيئاً.

وأهل المكاشفات والمخاطبات يصيرون تارة ويخطئون أخرى كأهل النظر والاستدلال في موارد الاجتهاد ولهذا وجب عليهم جميعاً أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله وأن يزنوا مواجدهم ومشاهداتهم وآرائهم ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله وأن يكتفوا بمجرد ذلك فإن سيد المحدثين الملهمين من هذه الأمة هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد كلن تقع له وقائع يردّها عليه الرسول ﷺ ولهذا أوجب الله على جميع الخلق اتباع الرسول ﷺ وطاعته في جميع أمورهم الباطنة والظاهرة.<sup>(١)</sup>

ومما سبق يتضح معنى الولاية في اللغة ومفهوم الولاية في الكتاب والسنة.



### الإمامة في اللغة:

قال ابن منظور (رحمه الله): تأمّم به وأتمّ جعله أمةً وأمّ القوم وأمّ بهم تقدمهم وهي الإمامة، والإمام كل من أتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، قال ابن الأعرابي في قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ قالت طائفة بكتابهم وقال آخرون بنبيهم وشرعهم وسيدنا رسول الله ﷺ إمام أمتهم وعليهم جميعاً الاتمام بسنته التي مضى عليها، وقال ابن سيدة: الإمام ما أتم به من رئيس وغيره والجمع أئمة وفي التبريل العزيز: ﴿فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ وقال الجوهري الإمام الذي يقتدى به وجمعه أئمة، وقال المازني: وإمام كل شيء قيمه والمصلح له والقرآن إمام المسلمين وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة والخليفة إمام الرعية وإمام الجند قائدهم<sup>(١)</sup>.

### الإمامة في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

قال الراغب الأصفهاني: "الإمام المؤتم به إنساناً كان يقتدى بقوله أو فعله أو كتاباً أو غير ذلك محققاً كان أو مبطلاً وجمعه أئمة.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ بالذين يقتدون بهم وقيل بكتابهم.

وقوله: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال أبو الحسن جمع إمام وقوله: ﴿وَنَجْعَلُ لَهُمُ أئِمَّةً﴾

وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ جمع إمام<sup>(٢)</sup>.

ورود في السنة المطهرة لفظ الإمام في ثلاث مسائل:

(أ) الإمامة في الصلاة: عن أنس بن مالك قال: سقط رسول الله ﷺ عن فرس فجحش شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوذُ فحَضَرَتِ الصلاةُ فَصَلَّى بنا قاعداً فقمعدنا فلما قضى الصلاة قال: "إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا..." الحديث<sup>(٣)</sup>.

(١) لسان العرب / ١٢م / ص ٢٤، ٢٥.

(٢) المفردات / ص ٢٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأذان / باب يهوي بالتكبير حين يسجد، ورواه مسلم / كتاب الصلاة /

باب إتمام المؤمن بالإمام . (انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيعة / ص ١٤٤).

وفي الحديث الذي رواه سهل بن سعد الساعدي وفيه " لما رأى النبي ﷺ ذلك تقدم فصلى النبي ﷺ بالناس فلماً قضى صلاته قال: " يا أبا بكر ما منعك إذ أومأت إليك أن لا تكون مضيت؟" قال: لم يكن لأبن أبي قحافة أن يؤم النبي ﷺ... "الحديث" (١).

(ب) إمامة المسلمين بمعنى إمارتهم: ومما ورد في ذلك ما رواه زياد بن علامة قال سمعت جرير ابن عبد الله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة قام فحمد الله وأثنى عليه وقال عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير ثم قال: استعفوا لأمركم فإنه كان يجب العفو... " (٢).

وروى البخاري عن رسول الله ﷺ قوله: " الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". (٣)

قال ابن حجر (رحمه الله): " والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حُمِلوا القيام به وتسيبهم عند الغفلة وسد خلتهم عند الهفوة وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد وتقع النصيحة لهم بثبت علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم". (٤)

(ج) الإمامة في الدين: أي أئمة الاجتهاد وهم العلماء العاملون السائرون على ما سار عليه الرسول ﷺ وقد دل على ذلك قول ابن حجر السابق. (٥)

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأحكام / باب الإمام يأتي قوماً فيصلح بينهم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الإيمان / باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)

(٣) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الإيمان / باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)

(٤) الفتوح / ج ١ / ص ١٦٧.

(٥) انظر المصدر السابق، ومناهج السنة / ج ٤ / ص ١٠٦.

إذن فالإمام في الشريعة الإسلامية إما أن يكون إمام في الصلاة تجب طاعته ومتابعته في الصلاة ولا يجوز التقدم عليه كما دلت على ذلك النصوص. وإما أن يكون إماماً للمسلمين بمعنى إمارته عليهم ويجب على عامة المسلمين طاعته ما لم يأمر بمعصية أو يُرى منه كفرًا بواحًا من الله فيه سلطان وإما أن يكون إماماً في العلم والاجتهاد متابعاً لله ورسوله.

وعلى ذلك: فإن الأولياء أو الأئمة إنما هم بشر لا تعني ولايتهم أو إمامتهم أن يوصفوا بخصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فضلاً عن وصفهم بصفات الألوهية أو الربوبية. ولا يجوز بحال الغلو فيهم بل يوصفوا بما وصفهم به القرآن والسنة ويوضعوا في المرتبة التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى لهم. هذا ما يراه أهل السنة والجماعة في الأولياء والأئمة.

## المسألة الثانية: مفهوم الولاية والإمامة عند غلاة الصوفية والرافضة

سبق أن بينت مفهوم الولاية والإمامة في الكتاب والسنة، وتبين أن الاتصاف بها لا يميز لنا الغلو بحال، غير أن الشيعة قد بهرهم تلك الكلمة وما تطوي عليه من معنى له فعل السحر في النفوس فأطلقوها على من يعتقدون أنهم علماؤهم وقدواتهم وعلى كبار الدعاة فيهم.

ثم لم يلبث الصوفية أن ساروا على مسارهم<sup>(١)</sup> غير أن كلتا الطائفتين قد انحرفوا في استعمالها وغلو فيها فادعوا لمن وصفوه بها صفات الأنبياء بل صفات الألوهية والربوبية.

والواقع أن هذا المفهوم - وكما سيتضح إن شاء الله - مخالف ومغاير لما ورد في الشرع المطهر، ولا غرابة إذ أن الخلاف بين الشيعة والصوفية من جهة وبين أهل السنة والجماعة من الجهة الأخرى خلاف عميق في أصل المذهب والمعتقد وليس مقصوراً على الخلاف في بعض القضايا أو الانحراف في بعض المفاهيم الشرعية وسوف أبين هنا صفات السوي عند غلاة الصوفية وصفات الإمام عند غلاة الشيعة ليتضح جلياً الفرق بين الإطّلاقين وعدم وجود أي اشتراك أو تشابه بين معانيهما عند الغلاة وعند أهل السنة والجماعة إلا من حيث المعنى اللغوي للكلمة فقط...، والله المستعان.

(١) الصلة بين التصوف والتشيع لا تخفى، فالصوفية يدينون بمقائد الشيعة في أن القرآن ظاهر وهو التزويل وهو ما جاء به محمد ﷺ وباطن وهو التأويل وهو ما تكفل ببيانه أئمة الشيعة وأولياء الصوفية على حد زعمهم (انظر الصلة بين التصوف والتشيع لكامل مصطفى الشبي).

## أولاً: مفهوم الولاية عند الصوفية وصفات الولي:

إن حقيقة الولي عند الصوفية هي كما ذكر صاحب جواهر المعاني: "أنه يُسلب من جميع الصفات البشرية ويتحلى بالأخلاق الإلهية ظاهراً وباطناً".<sup>(١)</sup>

وقال أبو الفيض النوفي في تعريف الولاية: "وأعلم أن الولاية عبارة عن تسولي الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علماً وعيناً وحالاً وأثر لذة وتصرفاً".<sup>(٢)</sup>  
وقال الجرجاني: "الولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه".<sup>(٣)</sup>

والملاحظ أن هذه التعريفات تتضمن أكثر المعتقدات المدونة في الفكر الصوفي في السولي بدءاً باعتقاده علم الغيب ومروراً بفنائه في ذات الله أو حلوله فيه وتصرفه تصرفاً مطلقاً في كل شيء أراد التصرف فيه وأن الولي يتجرد من جميع الصفات البشرية ويتصف بالصفات الإلهية.<sup>(٤)</sup>

وإضافة إلى تلك التعريفات للولي والولاية عندهم وما تضمنته من أمور هي في الحقيقة كفر صريح. فإنه يمكن ذكر بعض الصفات التفصيلية التي يرون أنها في أولياتهم ليتبين لنا الفرق الكبير بين الولي في الكتاب والسنة وبين الولي الذي يتحدث عنه الصوفية في مصادر فكرهم الأصلية، ومن ذلك:

(أ) التطور والتواجد في أماكن مختلفة في آن واحد: كما في ترجمة الشيخ حسين أبي علي يقول الشعراني: "كان هذا الشيخ من أكمل العارفين وأصحاب الدوائر وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات تجده جندياً ثم تدخل فتجده سبعاً ثم تدخل فتجده فيلاً ثم تدخل فتجده صيياً وهكذا".

ويقول أيضاً: "وقد وقع التبديل لجماعة كثيرة من الأولياء كقضيبي البان وسيدي حسين أبي علي وسيدي إبراهيم الدسوقي وسيدي عبد القادر الدشوطي بمصر: فخطب سيدي إبراهيم الجمعة وصلى بالناس في خمسين قرية في يوم واحد وآن واحد".<sup>(٥)</sup>

(١) نقديس الأضخاص في الفكر الصوفي / ج ١ / ص ٥٨. نقلاً عن جواهر المعاني لأحمد المظلي.

(٢) المرجع السابق / ج ١ / ص ٥٨.

(٣) المرجع السابق / ج ١ / ص ٥٧.

(٤) المرجع السابق / ج ١ / ص ٥٩.

(٥) المرجع السابق / ج ١ / ص ٦٢، ٦٣.

(ب) إباحة مخالفة الشريعة الإسلامية: قال الشيخ إحسان إلهي ظهير (رحمه الله) عن الصوفي المشهور عين الدين المتوفى ٨٢٢هـ إنه كان يشرب الخمر ليلاً ونهاراً وقال: ومنهم الشيخ الشرياني القصورى المتوفى ١٠٤٣هـ " كان قبله الحاجات وكعبة السائلين والطلبين ولم يكن يقضي لحظة بدون الخمر"<sup>(١)</sup>.

(ج) أهم يعلمون الغيب: قال الشعراني ناقلاً عن شيخه الخواص: " العارف له أنه يقول: أنشد أعراف الآن ما تكتبه الأقلام الإلهية في شأني ويكون صادقاً"<sup>(٢)</sup>.

(د) أن الولي عندهم يقول للشيء كن فيكون: قال الشيخ إدريس بن الأرباب: " درجات الأولياء على ثلاثة أقسام: عليا ووسطى وصغرى. فالصغرى أن يطير في الهواء ويمشي على ظهر الماء وينطق بالمغيبات. والوسطى أن يعطيه الله الدرجة الكونية إذا قال للشيء كن فيكون وهذا مقام دفع الله ولدي. والكبرى وهو درجة القطبانية"<sup>(٣)</sup>.

(هـ) أهم يصفون الأولياء بما يوصفون به رهم غير الصفة السابقة: يقول الشعراني: " أن الشيخ محمد الحضيري كان يقول: "الأرض بين يدي كالإناء الذي أكل منه وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم"<sup>(٤)</sup>.

(و) أن الولاية في الفكر الصوفي يمكن أن تكون بأيدي الأولياء الكبار يعطونها لمن شاءوا<sup>(٥)</sup>.

(ز) مقابلة النبي ﷺ يقظة<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر دراسات في التصوف / إحسان إلهي ظهير / ص ٦٥ - ١١٧. وانظر / ص ٨٢.

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي / ج ١ / ص ٧٠.

(٣) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي / ج ١ / ص ٧٢.

(٤) المرجع السابق / ج ١ / ص ٧٣.

(٥) المرجع السابق / ج ١ / ص ٧٥.

(٦) المرجع السابق / ج ١ / ص ٧٧.

(ح) عصمة الأولياء: قال الدكتور: إبراهيم إبراهيم هلال: "وبما أن الصوفية يدينون بعقيدة الشيعة في أن للقرآن ظاهراً وهو التنزيل وباطناً وهو التأويل وهو ما تكفل بيانه أئمة الشيعة وأولياء الصوفية حسب نظرية العلم الوراثي أو اللدني فقد وصفوا أولياءهم أيضاً بالعصمة، والولاية ما هي إلا نبوة باطنة وهي لا تزال في الدنيا والآخرة لأن الوحي الإلهي والإنزال الرباني لا ينقطع إذ به حفظ العالم".<sup>(١)</sup>

### ثانياً: مفهوم الإمامة عند غلاة الرافضة وصفات الإمام:

يعتقد الشيعة في أئمتهم اعتقادات كفرية - كالصوفية - كثيرة جداً ليس هذا مجال حصرها. وإنما قصدت ذكر بعضها ليتبين مفهوم الإمامة عندهم.

ومن ذلك أنهم يرون أن الأئمة اختصوا بمعرفة القرآن - الذي يروونه ليس بحجة وأنه مخلوق - فلا يشار إليهم في معرفته أحد، وأن للأئمة كتب إلهية تنزل عليهم، وأن لديهم جميع الكتب التي تنزل على الأنبياء.<sup>(٢)</sup>

كما يرون أن قول الإمام كقول الله ورسوله وأن علمه يتحقق بطريق الإلهام والوحي.<sup>(٣)</sup>

كما أنهم يصفون الأئمة بصفات الألوهية ومن ذلك: أنه لا هداية للناس إلا بالأئمة. وإن الدعاء لا يقبل إلا بأسمائهم، كما أنهم يستغيثون بهم ويقولون إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء.<sup>(٤)</sup>

كذلك فإنهم يسندون الحوادث الكونية إلى الأئمة ويرون أن هناك جزء إلهي حل فيهم.<sup>(٥)</sup> هذا إضافة إلى قولهم بعصمة الأئمة من الكبار والصغار خطأ كانت أو سهواً أو نسياناً.<sup>(٦)</sup>

(١) قطر الولي على حديث الولي / ص ٨٣، وانظر الصوفية معتقداً ومسلماً / ص ١٠٤.

(٢) أصول مذهب الشيعة / مج ١ / ص ١٢٥، ١٢٧.

(٣) المرجع السابق / مج ١ / ص ٣٠٨، ٣١٠.

(٤) المرجع السابق / مج ٢ / ص ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٨٤.

(٥) المرجع السابق / مج ٢ / ص ٥١٤، ٥١٨.

(٦) المرجع السابق / مج ٢ / ص ٧٧٥.

## المطلب الثاني

### الرد على غلاة الصوفية والرافضة في القول بعصمة الأولياء والأئمة

تعرضت فيما سبق لبيان مفهوم الولاية والإمامة عند الصوفية والرافضة وتبين من ذلك قولهم بعصمة الأئمة العصمة المطلقة من الكبائر والصغائر خطأ أو سهواً أو نسياناً. وقد رد علماء أهل السنة والجماعة على أولئك الغلاة ردوداً كثيرة مفصلة وبينوا خطأهم وفندوا مزاعمهم وأباطيلهم. ومن أبرز من رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) الذي رد عليهم جملةً وتفصيلاً<sup>(١)</sup>

وقد يرد على إحدى الطائفتين استقلالاً وقد يجمعهما معاً ، وما قاله في ذلك: " وغيرهم - أي غير الأنبياء - لا يجب عصمته من ذلك وإن كان من أولياء الله المتقين، فليس من شرط أولياء الله المتقين أن لا يكونوا محظنين في بعض الأشياء خطأً مغفوراً لهم بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقاً بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه التوبة وقد قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ . لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فقد وصفهم الله تعالى بأنهم المتقون والمتقون هم أولياء الله ومع هذا ويكفر عنهم أسوأ الذي عملوا، وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم والإيمان وإنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة وأشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ ومن يعتقدون أنه من الأولياء. فالرافضة تزعم أن الأئمة عشر<sup>عشر</sup> معصومون من الخطأ والذنب ويرون هذا من أصول دينهم، والغالية في المشايخ قد يقولون أن الولي محفوظ والنبي معصوم وكثير منهم لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطئ ولا يذنب وقد يبلغ الغلو بالطائفتين إلى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بجزلة النبي أو أفضل منه وإن زادوا الأمر جعلوا له نوعاً من الإلهية وكل هذا من الضلالات الجاهلية المضاهنة للضلالات النصرانية فإن في النصراني من الغلو في المسيح والرهبان والأحبار ما ذمهم الله عليه في القرآن وجعل

(١) راجع منهاج السنة / مج ١، مج ٢، مج ٣، مج ٤، مج ٦، و مجموع الفتاوى / ج ٤ / ص ١١٠، ١١١

و مجموعة الرسائل والمسائل / ج ١ / ص ٥٤، ٥٥، ٥٤ وغيرها.



ذلك عبرة لنا لتلا نسلك سيئهم ولهذا قال سيد ولد آدم: " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله." (١)

وقال (رحمه الله): " وأول من نُقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة ( أي الأنبياء ) مطلقاً وأعظم قولاً لذلك: الرافضة فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل وينقلون ذلك إلى من يعتقدون إمامته، وقالوا بعصمة علي و الاثني عشر ثم "الإسماعيلية" الذين كانوا ملوك القاهرة وكانوا يزعمون أنهم خلفاء علويون فاطميون وهم عند أهل العلم من ذرية عبيد الله القداح كانوا هم وأتباعهم يقولون بمثل هذه العصمة لأنتمتهم ونحوهم مع كونهم كما قال فيهم أبو حامد الغزالي في كتابه الذي صنفه في الرد عليهم ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض. وقد صنف (القاضي أبو يعلى) ووصف مذاهبهم في كتبه وكذلك غير هؤلاء من علماء المسلمين، فهؤلاء وأمثالهم من الغلاة القائلين بالعصمة وقد يكفرون من ينكر القول بها، وهؤلاء الغالية هم كفار باتفاق المسلمين فمن كفر القائلين بتجويز الصغائر عليهم كان مضاهياً هؤلاء الإسماعيلية والنصرية والرافضة و الاثني عشرية، ليس هو قول أحد من أصحاب أبي حنيفة ولا مالك ولا الشافعي ولا المتكلمين المنتسبين إلى السنة المشهورين كأصحاب أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب وأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وأبي عبدالله محمد بن كرام وغير هؤلاء ولا أئمة التفسير ولا الحديث ولا التصوف ليس التكفير بهذه المسألة قول هؤلاء فالمكفر بمثل ذلك يستتاب فإن تاب وإلا عوقب عقوبة تروعه وأمثاله عن مثل هذا إلا أن يظهر منه ما يقتضي كفره وزندقته فيكون حكمه حكم أمثاله. وكذلك المفسق بمثل هذا القول يجب أن يعزر بعد إقامة الحججة عليه فإن هذا تفسيق لجمهور أئمة الإسلام" (٢).

وقال فيما يتعلق بصحابة رسول الله ﷺ: " وأهل السنة تحسن القول فيهم وتترحم عليهم وتستغفر لهم لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب وعلى الخطأ في الاجتهاد إلا لرسول الله ﷺ ومن سواه فيجوز عليه الإقرار على الذنب والخطأ لكن هم كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾. (٣)

(١) مجموعة الرسائل والمسائل / ج ١ / ص ٥٥٤.

(٢) مجموع الفتاوى / ج ٤ / ص ٣١٩ - ٣٢١.

(٣) المصدر السابق / ج ٤ / ص ٤٣٤.

وأما الرافضة فأشبهوا النصارى فإن الله تعالى أمر الناس بطاعة الرسل فيما أمروا به وتصديقهم فيما أخبروا به ونهى الخلق عن الغلو والإشراك بالله فبدلت النصارى دين الله فغلوا في المسيح فأشركوا به وبدلوا دينه فعصوه وعظموه فصاروا عصاة بمعصيته وبالغوا فيه خارجين عن أصلي الدين وهما الإقرار لله بالوحدانية ولرسله بالرسالة (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله) فالغلو أخرجهم عن التوحيد حتى قالوا بالتثليث والاتحاد وأخرجهم عن طاعة الرسول وتصديقه حيث أمرهم أن يعبدوا الله ربّه وربهم فكذبوه في قوله أن الله ربّه وربهم وعصوه فيما أمرهم به.

وكذلك الرافضة غلو في الرسل بل في الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً من دون الله، فتركوا عبادة الله وحده لا شريك له التي أمرهم بها الرسل وكذبوا الرسول فيما أخبروا به من توبة الأنبياء واستغفارهم فتجدهم يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر اسمه فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة وليس لها عندهم كبير حرمة وإن صلّوا فيها صلّوا فيها وحداناً ويعظمون المشاهد المينة على القبور فيعكفون عليها مشاهمةً للمشركين ويحجون إليها وهذا من جنس دين النصارى والمشركين الذين يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن<sup>(١)</sup>.

وفي ذلك بيان لكثير من المخرافات في أصل العقيدة مع بيان ما ترتب على تعظيم الرسل والأولياء والغلو فيهم ولذا فهم وأهل السنة والجماعة على طرفي نقيض ليس في قضية العصمة فحسب بل في أصول العقيدة وما تتضمنه من أنواع لتوحيد.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذا القول لم يوافقهم عليه إلا من هو شر منهم فقال في أثناء رده على ابن المطهر في قوله: "وأن الأئمة معصومون كالأنبياء في ذلك".

"فهذه خاصة الرافضة الإمامية التي لم يشركهم فيها أحد - لا الزيدية الشيعة ولا سلطنة طوائف المسلمين إلا من هو شر منهم كالإسماعيلية الذين يقولون بعصمة بني عُبيد المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر القائلين بأن الإمامة بعد جعفر في محمد بن إسماعيل دون موسى بن جعفر وأولئك ملاحدة منافقون"<sup>(٢)</sup>.

(١) منهاج السنة / ج ١ / ص ٤٧٣، ٤٧٤.

(٢) منهاج السنة / ج ٢ / ص ٤٥٢.

وقال (رحمه الله): "وهؤلاء الإمامية يدعون ثبوت إمامته بالنص وأنه كان معصوماً هو وكثير من ذريته وأن القوم ظلموه وغصبوه، ودعوى العصمة تضاهي المشاركة في النبوة فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول لا يجوز أن يخالف في شيء وهذه خاصة الأنبياء ولهذا أمرنا الله أن نؤمن بما أنزل إليهم فقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَأُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ فأمرنا أن نقول: آما بما أوتي النبيون.

وقال: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ بِهِ وَكُتِبَ لَهُمْ لَأُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾

فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به ، وهذا مما اتفق عليه المسلمون: أنه يجب الإيمان بكل نبي ومن كفر بنبي واحد فهو كافر ومن سبه وجب قتله باتفاق العلماء، وليس كذلك من سوى الأنبياء سواء سُموا أولياء أو أئمة أو علماء أو غير ذلك، فمن جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها.

ويقال لهذا: ما الفرق بين هذا وبين أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا مأمورين باتباع شريعة التوراة؟

وكثير من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في شيخه نحو ذلك ويقولون: الشيخ محفوظ ويأمرون باتباع الشيخ في كل ما يفعل لا يخالف في شيء أصلاً وهذا من جنس غلو الرافضة والنصارى والإسماعيلية وأصحاب ابن تومرت الذي ادعى أنه المهدي يقولون إنه معصوم ويقولون في خطبة الجمعة: الإمام المعصوم والمهدي المعلوم، ويقال أنهم قتلوا بعض من أنكروا أن يكون معصوماً.

ومعلوم أن كل هذه الأقوال مخالفة لدين الإسلام: للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإن الله تعالى يقول: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ..﴾ الآية، فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، فمن أثبت شخصاً معصوماً غير الرسول أوجب رد ما تنازعوا فيه إليه لأنه لا يقول عنده إلا الحق كالرسول وهذا خلاف القرآن.

وأيضاً فإن المعصوم تجب طاعته مطلقاً بلا قيد، ومخالفه يستحق الوعيد. والقرآن إنمّا أثبت هذا في حق الرسول خاصة قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ وقال: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ فدل القرآن في غير موضع على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم فالرسول ﷺ هو الذي فرّق الله به بين أهل الجنة وأهل النار وبين الأبرار والفجار وبين الحق والباطل وبين الغي والرشاد والهدى والضلال وجعله القسم الذي قسم الله به عبادة إلى شقي وسعيد فمن اتبعه فهو السعيد ومن خالفه فهو الشقي وليست هذه المرتبة لغيره ولهذا أتفق أهل العلم - أهل الكتاب والسنة - على أن كل شخص سوى الرسول فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهو الذي سئال الناس عنه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ فَتَسْأَلُنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَتَسْأَلُنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾

وهو الذي يُمتحن به الناس في قبورهم فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ويقال: ما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيبث الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول: هو عبد الله ورسوله جاءنا بالبينات والهدى فأما به واتبعناه، ولو ذكر بدل الرسول من ذكره من الصحابة والأئمة والتابعين لم ينفعه ذلك ولا يُمتحن في قبره بشخص غير الرسول<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: "أما دعوى العصمة في هؤلاء - أي الأئمة - فلم تُذكر عليها حجة إلا ما ادعيته - يقصد ابن المطهر - من أنه يجب على الله أن يجعل للناس إماماً معصوماً ليكون لطفاً ومصصلحة في التكليف وقد تبين فساد هذه الحجة من وجوه:

أدائها أن هذا مفقود لا موجود فإنه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلا المنتظر الذي قد علم بصريح العقل أنه لم ينتفع به

أحد لا في دين ولا دنيا ولا حصل لأحد من المكلفين به مصلحة ولا لطف لكان هذا دليل على بطلان قولهم فكيف مع كثرة الدلائل على ذلك؟<sup>(١)</sup>

## وأخلص من الفصل السابق إلى عدة أمور:

١. ثبوت وقوع بعض صفات الذنوب من الأنبياء وثبوت توبتهم منها، وتأويل نصوص الشريعة الدالة على ذلك انحراف وغلو ومبالغة في القول بالعصمة.
٢. الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبعض الفرق إنما هو في عصمة الأنبياء من الصفات، وإلا فقد أجمعوا على عصمتهم من الشرك والكفر وكبائر الذنوب ومن كل رذيلة فيها شين ونقص ومن كل ما يخل بالمروءة أو ينزل من مكانتهم العالية.
٣. الأنبياء معصومون عن الإقرار على الخطأ، بل يتوبون منه ولا تبقى معصيتهم خافية بحيث تختلط الطاعة بالمعصية، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها.
٤. الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن ربهم، فلا يقع منهم نسيان أو سهو - إلا ما كان بعد التبليغ فيعد من العوارض البشرية ثم إنهم لا يقرون عليه - . أما إمكانية صدور الخطأ على لسان النبي فهو جائز ثم يستدركه الله عز وجل ثم يحكم آياته.
٥. الأنبياء معصومون عن بعض العوارض البشرية التي تنافي المقصود من الرسالة والنبوة، وليسوا معصومين عن بعضها الآخر الذي ليس فيه إخلال بذلك.
٦. الولاية مفهوم شرعي ورد في الكتاب والسنة وهو مخالف ومغاير لمفهومها عند الطوائف العالية.
٧. أن الولاية منزلة شرعية ومرتبة عظيمة من منازل الصالحين ومراتبهم العلية إلا أن وصف المعين والقطع له بذلك لا يجوز إلا بنص شرعي ثابت.
٨. إن مفهوم الولي قد حدده القرآن الكريم ولم يدعه لتحريف الغالين ووفق ما تمليه عليهم أهواؤهم الضالة قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.
٩. الصلة الوثيقة بين عقيدة الشيعة الإمامية وبين غلاة الصوفية وتشابهم فيما يعدونه من أعظم الأصول التي تقوم عليها مذاهبهم الكفرية الضالة.
١٠. يغلب على الشيعة القول بالإمامة ويغلب على الصوفية القول بالولاية، وإن كان هذين اللفظين الدلالة والمعنى ذاته عند كلا الطائفتين.

١١. أن الإمامة ليست مرتبة شرعية ومترلة من منازل الصالحين كالولاية وإنما الإمام أحد ثلاثة: إمام الصلاة وإمام المسلمين وإمام الاجتهاد، فإن كل ولي فهو تقي بخلاف الإمام.

١٢. الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين غلاة الشيعة والصوفية خلاف جوهرى في أصل المعتقد والمذهب.

١٣. أن استعارة هذه الألفاظ البراقة وتطبيقها على دعاة الروافض وضلال الصوفية من الكفرة الضالين لا يغني من الحق شيئاً لجواز إطلاقها على أئمة الهدى وأئمة والضلال وأولياء الله وأولياء الشيطان، فهم أئمة نعم!، غير أنهم أئمة كفر، وأولياء نعم!، غير أنهم أولياء للشيطان. وهذا قد جاء به القرآن موافقاً لما ورد في اللغة من جواز إطلاقها على الإمام في الخير والإمام في الشر.

١٤. تهاقت معتقد الشيعة الباطنية وغلاة الصوفية وكفرهم فيما ذهبوا إليه.

## الباب الثالث

### مسائل عقديّة خاصة ببعض الأنبياء

ويتكون من أربعة فصول:

**الفصل الأول:** إبراهيم عليه السلام، وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** في استقسام إبراهيم عليه السلام بالأزلام.

**المبحث الثاني:** إثبات الخلة لإبراهيم عليه السلام.

**المبحث الثالث:** نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام.

**المبحث الرابع:** كذبات إبراهيم عليه السلام.

**الفصل الثاني:** موسى عليه السلام، وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** تكليم الله لموسى والرد على من أنكر ذلك.

**المبحث الثاني:** لطم موسى لملك الموت والرد على من أنكر ذلك.

**المبحث الثالث:** استثناء موسى من الصعق يوم القيامة.

**الفصل الثالث:** عيسى عليه السلام، وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** عيسى عليه السلام كلمة الله وروح منه والمقصود بذلك.

**المبحث الثاني:** رفع عيسى عليه السلام، وهل مات قبل ذلك؟.

**المبحث الثالث:** نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، وبم يحكم.

**المبحث الرابع:** عيسى والمهدي عليهما السلام.

**الفصل الرابع:** محمد ﷺ، وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** محمد ﷺ أفضل الأنبياء جميعاً.

**المبحث الثاني:** إثبات المقام اخمود لحمد ﷺ يوم القيامة.

**المبحث الثالث:** محمد ﷺ خاتم الأنبياء.



## تمهيد

خرَّج البخاري (رحمه الله تعالى) في صحيحه أحاديث متعلقة ببعض الأنبياء وعلى وجه الخصوص أولي العزم منهم تتضمن مسائل هامة، ومنها: ما يتعلق بإبراهيم عليه السلام كإثبات الخلة له ونفي الشك عنه عليه السلام، ومنها ما يتعلق بموسى عليه السلام عليه السلام كتكليم الله له من وراء حجاب وكذلك قصة ضربه للملك الموت، ومنها نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وإثبات الشفاعة العظمى لمحمد ﷺ وقضية ختمه للأنبياء جميعاً، وغير ذلك.

ولما هذه المسائل من أهمية عظمى من الناحية العقديّة الخالصة من حيث الإيمان بها والتسليم لما ورد فيها ورد المزايم والمفتريات التي أُوردت حول بعضها، لذا وجب دراستها وبيانها وجمع ما يتعلق بها من الكتاب والسنة وكلام علماء الأمة ، والله المستعان.

## الفصل الأول إبراهيم عليه السلام

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** نفي استقسام إبراهيم عليه السلام بالأزلام، وفيه ثلاثة مطالب:

**المبحث الثاني:** إثبات الخلة لإبراهيم عليه السلام.

**المطلب الأول:** معنى الخلة وأدلة ثبوتها لإبراهيم عليه السلام.

**المطلب الثاني:** الرد على المخالفين ممن نفى الخلة عن إبراهيم عليه

السلام.

**المطلب الثالث:** هل محمد ﷺ خليل الرحمن أم حبيبه.

**المبحث الثالث:** نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام.

**المبحث الرابع:** كذبات إبراهيم عليه السلام.

## المبحث الأول

### نفي استقسام إبراهيم عليه السلام بالأزلام

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحِمَىٰ خَيْرٌ مِمَّا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْحَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَمْسُ الدِّينَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وقد بين ابن كثير (رحمه الله) معنى الأزلام وحكمها الوارد في الآية وما العوض عنها بما ورد من النصوص، فقال في تفسير الآية الأولى: "يخبر تعالى عباده خيرا متضمنا النهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة ويستثنى من الميتة السمك فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها لما رواه مالك في موطنه والشافعي وأحمد في مسنديهما..."<sup>(٣)</sup>. إلى آخر ما ذكر من المحرمات وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ فقال فيها: "أي حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام واحدها زلم وقد تفتح الزاي فيقال زلم، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قدامح ثلاثة على أحدها مكتوب أفعل وعلى الآخر لا تفعل والثالث غفل ليس عليه شيء. ومن الناس من قال مكتوب على الواحد أمرني ربي وعلى الآخر فها ربي والثالث غفل. ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع سهم الأمر فعله أو النهي تركه وإن طلع الفارغ أعاد. والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح عن عطاء عن ابن عباس ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ قال والأزلام قدامح كانوا يستقسمون بها

(١) المائدة / ٣.

(٢) المائدة / ٩٠ - ٩٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ٦٠٦، ٧.

الأمر وكذا روى عن مجاهد وإبراهيم النخعي والحسن البصري ومقاتل بن حيان وقال ابن عباس هي قدام كانوا يستقسمون بها الأمور، وذكر محمد بن إسحاق وغيره أن أعظم أصنام قريش صنم كان يقال له هبل منصوب على بئر داخل الكعبة فيها توضع الهدايا وأموال الكعبة فيه كان عنده سبعة أزلام مكتوب فيها ما يتحاكمون فيه مما أشكل عليهم فما خرج لهم منها رجعوا إليه ولم يعدلوا عنه، وقال مجاهد في قوله: ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ قال: هي سهام العرب وكعاب فارس والروم كانوا يتقامرون. وهذا الذي ذكر عن مجاهد في الأزلام أنها موضوعة للقمار فيه نظر اللهم إلا أن يقال إنهم كانوا يستعملونها في الاستخارة تارة وفي القمار أخرى والله أعلم. فإن الله سبحانه قد قرن بينها وبين القمار وهو الميسر فقال في آخر السورة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ وهكذا قال ههنا ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ ﴾ أي تعاطيه فسق وغبي وضلالة وجهالة وشرك وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخروه بأن يعبدوه ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه. كما رواه الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن من طريق عبد الرحمن بن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول: " إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسميه باسمه - خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو - قال عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم إن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به " (١).

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة ما يدل على نفي استقسام إبراهيم عليه السلام بالأزلام. ومن ذلك ما رواه البخاري (رحمه الله) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: دخل النبي ﷺ البيت وَجَدَ فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال ﷺ: "أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة هذا إبراهيم مصور فما له يستقسم".<sup>(١)</sup>

وروي أيضاً عن ابن عباس (رضي الله عنهما): أن النبي ﷺ لما رأى رأيي في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمُحيت ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام فقلل: "قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط".<sup>(٢)</sup>

وذكر ابن كثير (رحمه الله) رواية أخرى ونسبها إلى في الصحيحين أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين فيها وفي أيديهما الأزلام فقال: "قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها أبدا".<sup>(٣)</sup>

وقد بين رسول الله ﷺ جزاء من استقسم جزاء بالأزلام في الحديث الذي رواه ابن مردويه من طريق إبراهيم بن زيد عن رقية عن عبد الملك بن عمر عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "لن يلج الدرجات من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر طائرا".<sup>(٤)</sup>

وفي كل ذلك دلالة ظاهرة في عدم حصول الاستقسام بالأزلام من إبراهيم عليه السلام. بل الوارد في حقه ثناء الله عليه في توحيده وعقيدته وعظيم صفاته.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

وقال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء / باب قول الله تعالى: ( واتخذ الله إبراهيم خليلاً ) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء / باب قول الله تعالى: ( واتخذ الله إبراهيم خليلاً ) .

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ١١٠ ، وانظر الجامع الصحيح / كتاب الحج / باب من لم يدخل الكعبة

وباب من كثر في نواحي الكعبة .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ١٢٠ . وصححه الألباني في صحيح الجامع / ج ٣ / ص ٤١ .

(٥) آل عمران / ٦٧ .

(٦) يوسف / ٣٨ .

وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وقال عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله): "قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الحنيف: هو المائل عن الشرك قصداً، أي تاركاً عن بصيرة ومقبل على الحق بكلية لا يصدده عنه صاد ولا يردده عنه راد، وقوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وهذا أرفع مقامات المحبة وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه كما وصفه في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال كثير من السلف: أي قام بجميع ما أمر وفي كل مقام من مقامات العبادة".<sup>(٤)</sup>

(١) الأنعام / ١٦١.

(٢) المنتحة / ٤.

(٣) التحل / ١٢٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٥٩.

## المبحث الثاني

### إثبات الخلة لإبراهيم عليه السلام

### المطلب الأول

### معنى الخلة وأدلة ثبوتها لإبراهيم عليه السلام

قال ابن أبي العز (رحمه الله): "الخلة: كمال الخبة"<sup>(١)</sup> وهي أعلى مراتب الخبة".<sup>(٢)</sup>  
وقال ابن القيم (رحمه الله): "الخلة هي الخبة التي تخلت روح الحب وقلبه حتى لم يبقى فيه موضع لغير الخبواب".<sup>(٣)</sup>  
وقال ابن حجر (رحمه الله): "واختلف في المودة والخلة والخبة والصدقة هل هي مترادفة أو مختلفة. قال أهل اللغة: الخلة أرفع رتبة"<sup>(٤)</sup>.

وقد ثبتت الخلة لإبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية: وهذا من باب الترغيب في اتباعه لأنه إمام يقتدى به حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له فإنه انتهى إلى درجة الخلة التي هي أرفع مقامات الخبة وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه كما وصفه به في قوله: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال كثير من علماء السلف: أي قام بجميع ما أمر به وفي كل مقام من مقامات العبادة فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير ولا كبير عن صغير وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبه عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن ميمونة قال: إن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ فقال رجل من القوم: لقد قرأت عين أم إبراهيم".<sup>(٦)</sup>

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ج ٢ / ص ٣٩٤.

(٢) المصدر السابق / ج ١ / ص ١٦٤.

(٣) مدارج السالكين / ج ٣ / ص ٣٣.

(٤) الفتوح / ج ٧ / ص ٢٧.

(٥) النساء / ١٢٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٥٩.

قال ابن حجر (رحمه الله) عند الآية السابقة نفسها: "والخليل فعيل بمعنى فاعل وهو من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله، وهذا صحيح بالنسبة إلى ما في قلب إبراهيم من حب الله تعالى وأما إطلاقه في حق الله تعالى فعلى سبيل المقابلة وقيل الخلة أصلها الاستصفاء وسمي بذلك لأنه يوالي ويعادي في الله تعالى، وخلّة الله له نصره وجعله إماماً وقيل هو مشتق من الخلة بفتح المعجمة وهي الحاجة سمي بذلك لانقطاعه إلى ربه وقصره حاجته عليه".<sup>(١)</sup>

وفي حديث الشفاعة الذي رواه مسلم: "فيأتون نوحاً عليه السلام فيقول لست هناكم - فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها - ولكن اتوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً"<sup>(٢)</sup>

قال النووي (رحمه الله) عند شرحه لهذا الحديث: "قال القاضي عياض (رحمه الله تعالى): أصل الخلة الاختصاص والاستصفاء وقيل أصلها الانقطاع إلى من خالت مأخوذ من الخلة وهي الحاجة، فسُمي إبراهيم عليه السلام بذلك لأنه قصر حاجته على ربه سبحانه وتعالى، وقيل الخلة صفاء المودة التي توجب تخلل الأسرار وقيل معناها المحبة والالطاف، وهذا كلام القاضي، وقال ابن الأنباري: الخليل معناه المحب الكامل المحبة والمحجوب الموفي بحقيقة المحبة اللذان ليس في حبهما نقص ولا خلل، قال الواحدي: هذا القول هو الاختيار لأن الله عز وجل خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل إبراهيم من الخلة التي هي الحاجة والله أعلم".<sup>(٣)</sup>

(١) الفتح / ج ٦ / ص ٤٤٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب الشفاعة ( المقام المحمود ).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ٣ / ص ٥٥٦.



## المطلب الثاني

### الرد على المخالفين ممن نفى الخلة عن إبراهيم عليه السلام

قال الطحاوي: " ونقول: إن الله أتخذ إبراهيم خليلاً".

قال شارح الطحاوية: " قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ الخلة: كمال المحبة، وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين زعماً منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم في أوائل المئة الثانية فضحى به خالد بن عبدالله القسري أمير العراق والمشرق بواسط، خطب الناس يوم الأضحى فقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل فذبحه وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم. وأخذ هذا المذهب عن الجعد الجهيم بن صفون فأظهره وناظر عليه فقتله سلم بن أحوز أمير خراسان بها ثم أنتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد وظهر قولهم في أثناء خلافة المأمون حتى امتحن أئمة الإسلام ودعّوهم إلى الموافقة لهم على ذلك. وأصل هذه مأخوذة من المشركين والصابئة وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلاً وموسى كليماً لأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب، كما قيل:

قد تَخَلَّتْ مَسَلَّتْ الرُّوحَ مِنِّيَ      ولذا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيلًا

ولكن محبة الله وخلته كما يليق به تعالى كسائر صفاته" (١)

وإنما يُوصف الله تعالى من هذه الأنواع - أي مراتب المحبة - بالإرادة والود والمحبة

والخلة حسبما ورد النص". (٢)

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / ج ٢ / ص ٣٩٤ - ٣٩٦.

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ج ١ / ص ١٦٧.

## المطلب الثالث

### هل محمد ﷺ خليل الرحمن أم حبيبه

أ) أدلة ثبوت الخلة لنبينا محمد ﷺ:

وكما ثبتت الخلة لإبراهيم عليه السلام فقد ثبتت كذلك لنبينا محمد ﷺ قال ابن القيم (رحمه الله) عند ذكره مراتب المحبة "العاشر مرتبة الخلة التي أنفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم".<sup>(٢)</sup>

ومما يدل على ذلك ما رواه مسلم (رحمه الله) عن جنذب (رضي الله عنه) قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أممي خليلاً لاتخذت أبي بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك".<sup>(٣)</sup>

وروى البخاري (رحمه الله) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: "لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي".<sup>(٤)</sup>  
وروى أيضاً عن أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: "لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذته خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل".<sup>(٥)</sup>

فبين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المؤمنين خليلاً وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق مع أنه ﷺ وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً كقوله لمعاذ: "والله إني لأحبك" وكذلك قوله للأنصار، وكان زيد ابن حارثة حب رسول الله ﷺ وابنه أسامه حبه وأمثال ذلك، وقال له عمرو بن العاص أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة" قال فمن الرجال؟ قال: "أبوها". فَعُلِمَ أن الخلة أخص من المحبة.<sup>(٦)</sup>

(٢) مدارج السالكين / ج ٣ / ص ٣٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه / كتاب المساجد / باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٤) رواه البخاري في صحيحه / كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ / باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذاً خليلاً".

(٥) رواه البخاري في صحيحه / كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ / باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذاً خليلاً".

(٦) شرح العقيدة الطحاوية / ج ٢ / ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

وقال ابن حجر (رحمه الله): "قوله ﷺ: " لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي " فإنه يُشعر أنه لم يكن له خليل من بني آدم ، وقد ثبت محبة جماعة من الصحابة كأبي بكر وفاطمة وعائشة والحسين وغيرهم".<sup>(١)</sup>

### (ب) هل محمد ﷺ حبيب الرحمن:

أخرج النسائي بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضاً عن ابن عباس (رضي الله عنهما): "أتعجبون أن تكون الخلّة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد".<sup>(٢)</sup>  
قال ابن كثير (رحمه الله): "قال الحاكم صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وكذا روي عن أنس بن مالك وغير واحد من الصحابة والتابعين والأئمة من السلف والخلف".<sup>(٣)</sup>  
وأخرجه ابن خزيمة بلفظ: "وأن الله اصطفى إبراهيم بالخلّة"<sup>(٤)</sup>.

وقد فهم البعض أن المقصود أن محمد ﷺ ليس خليل الله وإنما حُص بذلك إبراهيم، غير أن ابن القيم وابن أبي العز (رحمهما الله) قد ردا ذلك القول وأبطالاه لورود الأدلة الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي تثبت له الخلّة كإبراهيم عليه السلام.<sup>(٥)</sup>

وأما القول بالخلّة والحجة فجائز كقول الطحاوي (رحمه الله): "وحبيب رب العالمين"<sup>(٦)</sup>، ومقصوده أنه ﷺ في أعلى مراتب المحبة وهي الخلّة"<sup>(٧)</sup>.

(١) الفتح / ج ٧ / ص ٢٧.

(٢) الفتح / ج ٨ / ص ٤٧٤، وانظر تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٦٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٦٠.

(٤) الفتح / ج ٨ / ص ٤٧٤.

(٥) مدارج السالكين / ج ٣ / ص ٣٢، ٣٣، وانظر شرح العقيدة الطحاوية / ج ١ / ص ١٦٤، ١٦٥.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية / ج ١ / ص ١٦٤.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية / ج ١ / ص ١٦٤. وراجع مراتب المحبة في مدارج السالكين / ج ١ / ص ١٦٥، ١٦٦.

وفي مدارج السالكين / ج ٣ / ص ٢٩ - ٣٢.

وقال ابن حجر (رحمه الله): "ويمكن أن يكون قد ثبت محمد ﷺ الأمران معاً أي المحبة والخلقة".<sup>(١)</sup> غير أن قول ابن حجر غير دقيق ، والصواب أن الخلقة أعلى مراتب المحبة فلا يمكن أن يكون خليل الرحمن إلا وهو حبيبه أيضاً".

والذي أراه خلاصة لما سبق: أن محمداً ﷺ خليل الرحمن كما أن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، وكل خليل فهو حبيب ولا عكس، فمحمد ﷺ حبيب و خليل وإبراهيم عليه السلام حبيب و خليل، وأما تخصيص المحبة محمد والخلقة لإبراهيم فهذا قول غير صحيح مردود بالنصوص الصحيحة التي تثبت الخلقة لإبراهيم ومحمد ﷺ .

وأرى - والله أعلم - أن كلام ابن عباس (رضي الله عنهما) لا يعني إثبات الخلقة لإبراهيم ونفيها عن محمد ﷺ إذ لم يذكر ذلك ولم يصرح به، وإنما الذي يبدو - والله أعلم - أن مقصوده أن محمداً ﷺ خُص بما هو زيادة عن الخلقة وهي الرؤية القلبية ليلة الإسراء، أما إبراهيم عليه السلام فقد خُص فقط بالخلقة، كذلك مما يؤكد هذا أن موسى عليه السلام خُص بالكلام فهو كليم ومع ذلك فقد دلت النصوص على أن محمداً ﷺ قد كلمه الله عز وجل فهو أيضاً كليم غير أن موسى عليه السلام قد خُص بالكلام وحده أما محمد ﷺ فقد خُص بالكلام وبما هو زيادة على ذلك من الرؤية القلبية، وعلى هذا فقد جمع محمد ﷺ بين المحبة والخلقة والكلام والرؤية، والله أعلم.

## المبحث الثالث

### نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام

وردت في القرآن الكريم آيات عن إبراهيم عليه السلام قد يُفهم منها وقوع الشك منه عليه السلام، وهي قول الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره هذه الآية: "ذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام أسبابا منها أنه لما قال لنمرود (رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فقال (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) ، وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن أيوب في قوله "ولكن ليطمئن قلبي" قال: قال ابن عباس: ما في القرآن آية أرجى عندي منها وقال ابن جرير: حدثني محمد بن المثني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت زيد بن علي يحدث عن رجل عن سعيد بن المسيب قال: اتفق عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص أن يجتمعا قال: ونحن شبية فقال أحدهما لصاحبه أي آية في كتاب الله أرجى عندك هذه الأمة فقال عبدالله بن عمرو قول الله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ...) الآية، فقال ابن عباس أما إن كنت تقول هذا فانا أقول أرجى منها هذه الأمة قول إبراهيم: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبي حدثنا عبدالله بن صالح كاتب الليث حدثني محمد بن أبي سلمة عن عمرو حدثني ابن المنكدر أنه قال: التقى عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص فقال ابن عباس لابن عمرو بن العاص أي آية في القرآن أرجى عندك؟ فقال عبدالله بن عمرو: قول الله عز وجل: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا ..) الآية فقال ابن عباس: لكن أنا أقول قول الله عز

وجل: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ﴾ فرضي من إبراهيم قوله "بلى" قال فهذا لما يعترض في النفوس ويوسوس به الشيطان وهكذا رواه الحاكم في المستدرک عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن الأحرز بن إبراهيم بن عبد الله السعدي عن بشر بن عمر الزهراني عن عبد العزيز بن أبي سلمة بإسناده مثله ثم قال صحيح الإسناد ولم يخبره".<sup>(١)</sup>

وقال ابن القيم (رحمه الله): "إن إبراهيم ﷺ طلب الانتقال من الإيمان بالعلم بإحیاء الله الموتى إلى رؤية تحقیقه عیاناً فطلب بعد حصول العلم الذهني تحقیق الوجود الخارجي فإن ذلك أبلغ في طمأنينة القلب، ولما كان بين (العلم) و (العیان) منزلة أخرى قال النبي ﷺ: "نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ وإبراهيم لم يشك ﷺ ورسول الله ﷺ لم يشك ولكن أوقع اسم (الشك) على المرتبة العلمية باعتبار الذي بينها وبين مرتبة العیان في الخارج، وباعتبار هذه المرتبة سُمي العلم اليقيني قبل مشاهدة معلومة ظناً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مُلَاقُوهُ﴾ وهذا الظن علم جازم كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ﴾ لكن بين الخبر والعیان فرق، وفي المسند مرفوعاً: "ليس الخبر كالعیان" وهذا لما أخبر الله موسى أنه قد فتن قومه وأن السامري أضلهم لم يحصل له من الغضب والكيفية وإلقاء الألواح ما حصل له عند المشاهدة".<sup>(٢)</sup>

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (رحمه الله): "فإن إبراهيم قال طالباً من الله أن يريه كيف يحيي الموتى، فقال الله له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ ليزيل الشبهة عن خليله، قال إبراهيم: ﴿بَلَى﴾ يا رب قد آمنت أنك على كل شيء قدير وأنت حي الموتى وتجازي العباد ولكن أريد أن يطمئن قلبي وأصل إلى درجة عين اليقين، فأجاب الله دعوته كرامة له ورحمة بالعباد".<sup>(٣)</sup>

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٣١٥، ٣١٦.

(٢) مدارج السالكين / ج ٣ / ص ٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ٩٤.

وقد نفى رسول الله ﷺ ذلك الشك فيما روى البخاري (رحمه الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطَمِينَ قَلْبِي ﴾ ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي".<sup>(١)</sup>

قال النووي (رحمه الله) عند شرحه لهذا الحديث: "اختلف العلماء في معنى: ( نحن أحق بالشك من إبراهيم ) على أقوال كثيرة، أحسنها وأصحها ما قاله الإمام أبو إبراهيم المزني صاحب الشافعي وجماعات من العلماء معناه: أن الشك مستحيل في حق إبراهيم فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك، وإنما خص إبراهيم ﷺ لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك وإنما رجح إبراهيم على نفسه ﷺ تواضعاً وأدباً أو قبل أن يعلم ﷺ أنه خير ولد آدم، قال صاحب التحرير: قال جماعة من العلماء لما نزل قول الله تعالى: ﴿أُولَئِمُ تُؤْمِنُ﴾ قالت طائفة شك إبراهيم ولم يشك نبينا، فقال النبي ﷺ: نحن أحق بالشك منه، فذكر نحو ما قدمته ثم قال: ويقع لي فيه معنيان: أحدهما: أنه خرج مخرج العادة في الخطاب فإن من أراد المدافعة عن إنسان قال للمتكلم فيه ما كنت قاتلاً لفلان أو فاعلاً معه من مكروه فقله لي وافعله معي ومقصوده لا تقل ذلك فيه، والثاني: أن معناه أن هذا الذي تظنونه شكاً أنا أولى به فإنه ليس بشك وإنما هو طلب لتزيد اليقين، وقيل غير هذا من الأقوال فنقتصر على هذا لكونها أصحها وأوضحها والله أعلم. وأما سؤال إبراهيم ﷺ فذكر العلماء في سببه أوجهاً أظهرها: أنه أراد الطمأنينة بعلم كيفية الإحياء مشاهدة بعد العلم بما استدلالاً، فإن علم الاستدلال قد تتطرق إليه الشكوك في الجملة بخلاف علم المعاينة فإنه ضروري، وهذا مذهب الإمام أبي منصور الأزهري وغيره، والثاني: أراد اختبار منزلته عند ربه في إجابة دعائه وعلى هذا قالوا: معنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِمُ تُؤْمِنُ﴾ أي تصدق بعظم منزلتك عند عندي واصطفائك وخلتك، والثالث: سأل زيادة يقين وإن لم يكن الأول شكاً فسأل الترقى من علم اليقين إلى عين اليقين فإن بين العلمين تفاوتاً، قال

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء / باب قوله تعالى: ( ونبئهم عن صيف إبراهيم ) .

ورواه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة،

وفي كتاب الفضائل / باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ .

سهل بن عبدالله التستري رضي الله عنه: سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكناً الرابع: أنه لما احتج على المشركين بأن ربه سبحانه وتعالى يحيي ويميت طلب ذلك منه سبحانه وتعالى ليظهر دليله عياناً، وقيل أقوال أخر كثيرة ليست بظاهرة، قال الإمام أبو الحسن الواحدي (رحمه الله): اختلفوا في سبب سؤاله فالأكثر على أنه رأى جيفةً بساحل البحر يتناولها السباع والطيور ودواب البحر فتفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة، وتطلعت نفسه إلى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن شاكاً في إحياء الموتى ولكن أحب رؤية ذلك، كما أن المؤمنين يحيون أن يروا النبي ﷺ والجنة ويحيون أن رؤية الله تعالى مع الإيمان بكل ذلك وزوال الشكوك عنه، قال العلماء: والهمزة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ همزة إثبات كقول جرير: أستم خير من ركب المطايا... والله أعلم<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير (رحمه الله) بعد ذكره لهذا الحديث: "فليس المراد هاهنا بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده بلا خلاف"<sup>(٢)</sup>.

وقال البغوي (رحمه الله): "حكى محمد بن إسحاق بن خزيمة عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني أنه قال على هذا الحديث: لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى وإنما شكاً في أنه هل يجيبهما إلى ما سألاه. وقال الخطابي: ليس في قوله: "نحن أحق بالشك من إبراهيم" اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله على إحياء الموتى لإبراهيم أولى ألا يشك، وقال ذلك على سبيل التواضع والمضم من النفس، وكذلك قوله: "لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي"، وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال. وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا، فقلل ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه"<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ٢ / ص ١٨٣، ١٨٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٣١٥.

(٣) المصدر السابق / ج ١ / ص ٣١٥.



ونقل ابن حجر (رحمه الله) كلام العلماء في هذا الحديث فقال: "قوله: "نحن أحق بالشك من إبراهيم" اختلف السلف في المراد بالشك هنا، فحمله بعضهم على ظاهره وقال: كان ذلك قبل النبوة، وحمله أيضاً الطبري على ظاهره وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان لكنها لم تستقر ولا زلزلت الإيمان الثابت واستند في ذلك إلى ما أخرجه وهو وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحاكم عن طريق عبد العزيز بن الماجشون عن ابن عباس قال: "أرجى آية في القرآن هذه الآية: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى.. ﴾ الآية، قال ابن عباس: "هذا لما يعرض في الصدور ويوسوس به الشيطان فرضي الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: "بلى"، ومن طريق معمر عن قتادة عن ابن عباس نحوه، ومن طريق علي بن زيد عن سعيد ابن المسيب عن ابن عباس نحوه، وهذه الطرق يشد بعضها بعضاً وإلى ذلك جنح عطاء فروى عن ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج: "سألت عطاء عن هذه الآية، قال: "دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل في قلوب الناس فقال ذلك"، وروى الطبري من طريق سعيد عن قتادة قال: "ذكر لنا أن إبراهيم أتى على دابة توزعتها الدواب والسباع" ومن طريق حجاج عن ابن جريج قال: "بلغني أن إبراهيم أتى على جيفة حمار عليه السباع والطيور فعجب وقال: "رب لقد علمت لتجمعنها ولكن رب أرني كيف تحيي الموتى". وذهب آخرون إلى تأويل ذلك فروى الطبري وابن أبي حاتم من طريق السدي قال: "لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً استأذنه ملك الموت أن يبشره فأذن له فذكر قصة معه في كيفية قبض روح الكافر والمؤمن قال: فقام إبراهيم يدعو ربه: ربي أرني كيف تحيي الموتى حتى أعلم أي خليلك"، وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي العوام عن أبي سعيد قال: "ليطمئن قلبي بالخلعة" ومن طريق قيس بن مسلم عن سعيد بن جبيرة قال: "ليطمئن قلبي أي خليلك" ومن طريق الضحاك عن ابن عباس: "لأعلم أنك أحببت دعائي" ومن طريق علي بن أبي طلحة عنه: "لأعلم أنك تحبيني إذا دعوتك".

وعن الداودي أنه قال: "طلب إبراهيم ذلك لتذهب عنه شدة الخوف" قال ابن التين:

وليس ذلك بالبين.

وقيل كان سبب ذلك نمود لما قال له: ما ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت، فذكر مد  
 قص الله مما جرى بينهما، فسأل إبراهيم بعد ذلك ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى من غير  
 شك منه في القدرة ولكن أحب ذلك واشتاق إليه فأراد أن يطمئن قلبه بمحصول ما أراده،  
 أخرج الطبري عن ابن إسحاق، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة  
 قال: المراد ليطمئن قلبي أنهم يعلمون أنك تحيي الموتى، وقيل معناه أقدرني على إحياء الموتى  
 فتأدب في السؤال.

ثم اختلفوا في معنى قوله ﷺ: "نحن أحق بالشك" فقال بعضهم: معناه نحن أشد اشتياقاً  
 إلى رؤية ذلك من إبراهيم، وقيل: معناه إذا لم نشك نحن لإبراهيم أولى أن لا يشك، أي لو  
 كان الشك متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم وقد علمتم أنني لم أشك فاعلموا أنه لم  
 يشك، وإنما قال ذلك تواضعاً منه أو من قبل أن يعلمه الله أنه أفضل من إبراهيم، وهو  
 كقوله في حديث أنس عند مسلم: "أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خير البرية، قال: ذاك  
 إبراهيم"، وقيل أن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قال بعض الناس: شك إبراهيم ولم  
 يشك نبينا، فبلغه ذلك فقال: نحن أحق بالشك من إبراهيم، وأراد ما جرت به العادة في  
 المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئاً قال: مهما أردت أن تقول له فلان فقله لي،  
 ومقصوده لا تقل ذلك، وقيل: أراد بقوله نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك وإخراجه هو  
 منه بدلالة العصمة، وقيل: معناه هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك وإنما هو  
 طلب لمزيد البيان.

وحكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاءت لنفي المعنى عن الشئتين نحو قوله  
 تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ﴾ أي: لا خير في الفريقين، ونحو قول القائل: الشيطان خير من  
 فلان أي لا خير فيهما، فعلى هذا فمعنى قوله: "نحن أحق بالشك من إبراهيم": لا شك عندنا  
 جميعاً، وقال ابن عطية: "ترجم الطبري في تفسيره فقال: "وقال آخرون شك إبراهيم في  
 القدرة" وذكر أثر ابن عباس وعطاء، قال ابن عطية: ومجمل قول ابن عباس عندي "أهـا  
 أرجى آية" لما فيها من الإدلال على الله وسؤال الإحياء في الدنيا أو لأن الإيمان يكفي فيه

الإجمال ولا يحتاج إلى تنقيح وبحث، قال: ومجمل قول عطاء: " دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس " أي من طلب المعاينة، قال: وأما الحديث فمبني على نفي الشك والمراد بالشك فيه: الخواطر التي لا تثبت وأما الشك المصطلح وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر فهو منفي عن الخليل قطعاً لأنه يبعد وقوعه من رسوخ الإيمان في قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة، قال: وأيضاً فإن السؤال لما وقع بكيف دل على حال شيء موجود مقرر عند السائل والمسئول، كما تقول: كيف علم فلان؟ فكيف في الآية سؤالاً عن هيئة الإحياء لا عن نفس الإحياء فإنه ثابت مقرر. وقال ابن الجوزي: إنما صار أحق من إبراهيم لما عانى من تكذيب قومه وردهم عليه وتعجبهم من أمر البعث فقال: أنا أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم لعظيم ما جرى لي مع قومي المنكرين لإحياء الموتى ولمعرفتي بتفضيل الله لي ولكن لا أسأل في لك.

وقوله: ﴿أَوْلَمْ تُؤْمِنُ﴾ الاستفهام للتقرير ووجهه أنه طلب الكيفية وهو مشعر بالتصديق.

قوله: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي ليزيد سكوناً بالمشاهدة المنضمة إلى اعتقاد القلب لأن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وكأنه قال أنا مصدق ولكن للعيان لطيف معنى، وقال عياض: لم يشك إبراهيم بأن الله يحيي الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته، ويحتمل أنه سأل زيادة اليقين وإن لم يكن في الأول شك لأن العلوم قد تتفاوت في قوتها فأراد الترقى في علم اليقين إلى عين اليقين، والله أعلم".<sup>(١)</sup>

## المبحث الرابع كذبات إبراهيم عليه السلام

روى البخاري (رحمه الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاثاً إلا ثلاثاً" (١).

وروى أيضاً عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال: "لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات يثنين منهن في ذات الله عز وجل قوله ﴿إني سقيم﴾ وقوله ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وقال يثنا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقبل له إن هاهنا رجلاً معاً امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حججه فقال: إنكم لم تأتونني بإسنان إنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأوماً بيده مهيم قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر قال أبو هريرة: تلك أممكم يا بني ماء السماء" (٢).

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: "أبي التبي ﷺ يوماً بلحهم فقال: إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ فيسمعهم الداعي ويفذهم البصر وتدثو الشمس منهم فذكر حديث الشقاعة فيأتون إبراهيم فيقولون أأنت نبي الله وخليله من الأرض اشفع لنا إلى ربك فيقول فذكر كذباته نفسى نفسى اذهبوا إلى موسى" (٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء / باب قول الله تعالى: ( وانخذ الله إبراهيم خليلاً ) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء / باب قول الله تعالى: ( وانخذ الله إبراهيم خليلاً ) .

وفي كتاب البيوع / باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعفقه .

ورواه مسلم في صحيحه / كتاب الفضائل / باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء / باب ( يرفون ) .

قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>:  
 "إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم فإنه  
 كان قد أذف خروجهم إلى عيد لهم فأحب أن يختلي بأهتهم ليكسرهما فقال لهم كلاما هو  
 حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ قلل  
 قتادة: والعرب تقول لمن تفكر نظر في النجوم يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما  
 يلهيهم به فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي ضعيف فأما الحديث الذي رواه ابن جرير هاهنا حدثنا أبو  
 كريب حدثنا أبو أسامة حدثني هشام عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله  
 ﷺ قال: "لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله  
 تعالى قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقوله في سارة هي أختي" فهو  
 حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي  
 يذم فاعله حاشا وكلا ولما، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً، وإنما هو من المعاريض في  
 الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث: "إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب" وقال  
 ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي  
 نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في كلمات إبراهيم عليه الصلاة  
 والسلام الثلاث التي قال "ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله تعالى فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾  
 وقال ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقال للملك حين أراد امرأته هي أختي" قال سفيان في قوله  
 ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يعني: طعين وكانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلو بأهتهم وكذا قال العوفي  
 عن ابن عباس (رضي الله عنهما). وقال قتادة عن سعيد بن المسيب: رأى نجما طلع فقال  
 ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ كابد نبي الله عن دينه فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقال آخرون ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾  
 بالنسبة إلى ما يستقبل يعني مرض الموت وقيل أراد ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي مريض القلب من  
 عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى".<sup>(٢)</sup>

(١) الصفات / ٨٨ - ٨٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ٤ / ص ١٣.

وقال في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَتَتْ فَأَعْلَتْ هَذَا بِآيَاتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾: (١) " وإنما أراد بهذا أن يادروا من تلقاء أنفسهم فيعرفوا أنهم لا ينطقون وأن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد". (٢)

وقال البيضاوي (رحمه الله): "الحق أن الكلمات الثلاث إنما كانت من معاريف الكلام لكن لما كانت صورتها صور الكذب أشفق منها استصغاراً لنفسه عن الشفاعة مع وقوعها لأن من كان بالله أعرف وأقرب إليه منزلة كان أعظم خوفاً". (٣)

وقال النووي (رحمه الله): "قال المازري: أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله تعالى فالأبياء معصومون منه سواء كثيره وقليله وأما ما لا يتعلق بالبلاغ ويعمد من الصفات كالكذبة الواحدة في حقير من أمور الدنيا ففي إمكان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف، قال القاضي عياض: الصحيح أن الكذب فيما يتعلق بالبلاغ لا يتصور وقوعه منهم سواء جوزنا الصغائر منهم وعصمتهم منه أم لا وسواء قل الكذب أم كثر لأن منصب النبوة يرتفع عنه وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم وأما قوله ﷺ: ثنتين في ذات الله تعالى وواحدة في شأن سارة فمعناه: أن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع، وأما في نفس الأمر فليست كذباً مذموماً لوجهين أحدهما: أنه ورى بها فقال في سارة: أختي في الإسلام وهو صحيح في باطن الأمر وسنذكر إن شاء الله تعالى تأويل اللفظين الآخرين، والوجه الثاني أنه لو كان كذباً لا تورية فيه لكان جائزاً في دفع الظالمين وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنساناً مختفياً ليقته أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصباً وسأل عن ذلك وجب على من علم ذلك إخفاؤه وإنكار العلم به وهذا كذب جائز بل واجب لكونه في دفع الظالم، فنبه النبي ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلية في مطلق الكذب المذموم. قال المازري: وقد تأول بعضهم هذه الكلمات وأخرجها عن كونها كذباً قال ولا معنى للامتناع من إطلاق لفظ أطلقه رسول الله ﷺ، قلت: أما إطلاق لفظ الكذب عليها فلا يمتنع لورود الحديث به وأما تأويلها فصحيح لا مانع منه، قال العلماء: والواحدة التي في شأن سارة هي أيضاً في ذات الله تعالى لأنها سبب دفع كافر

(١) الأنبياء / ٦٢ - ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ١٨٣.

(٣) الفتح / ج ١١ / ص ٤٤٣.

ظالم عن مواجهة فاحشة عظيمة وقد جاء ذلك مفسراً في غير مسلم فقال: ما فيه كذباً إلا بما حل به عن دين الإسلام أي يجادل ويدافع قالوا: وإنما خص الشتين بأمرهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعاً له وحظاً مع كونها في ذات الله تعالى، وذكروا في قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي سأسقم لأن الإنسان عرضة للأسقام وأراد بذلك الاعتذار عن الخروج معهم إلى عيدهم وشهود باطلهم وكفرهم، وقيل: سقيم بما قدر على من يموت، وقيل: كانت تأخذه حتى في ذلك الوقت. وأما قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ فقال ابن قتيبة وطائفة جعل النطق شرطاً لفعل كبيرهم أي فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون وقال الكسائي يوقف عند قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ أي فعله فاعل فأضمر ثم يتدنى فيقول ﴿كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ فأسأله عن ذلك الفاعل وذهب الأكثرون إلى أنها على ظاهرها وجوابها ما سبق والله أعلم<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حجر (رحمه الله): "وأما إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولاً يعتقد السامع كذباً لكنه إذا حقق لم يكن لم يكن كذباً لأنه من باب المعارض المحتملة للأمرين فليس يكذب محض فقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يُحتمل أن يكون أراد الموت أو سقيم الحجة على الخروج معكم، وحكى النووي عن بعضهم أنه كان تأخذه الحمى في ذلك الوقت، وهو بعيد لأنه لو كان كذلك لم يكن كذباً لا تصريحاً ولا تعريضاً. وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾: قال القرطبي: هذا قاله تمهيداً للاستدلال على أن الأصنام ليست بألهة وقطعاً لقومه في قولهم أنها تضر وتنفع، وهذا الاستدلال يتجوز فيه في الشرط المتصل ولهذا أردف قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ بقوله ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ قال ابن قتيبة معناه: إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا، فالخاصل أنه مشروط بقوله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ أو أنه أسند إليه ذلك لكونه السبب، وعن الكسائي أنه كان يقف عند قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ أي فعله من فعله كائناً من كان ثم يتدنى ﴿بِكَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وهذا خبر مستقل ثم يقول ﴿فَاسْأَلُوهُمْ..﴾ إلى آخره، ولا يخفى تكلفه. وقوله: "هذه أختي" يعتذر عنه بأن مراده أنها أخته في الإسلام قال ابن عقيل: "دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه فكيف مع وجود الكذب منه وإنما أطلق عليه ذلك لكونه

ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه فكيف مع وجود الكذب منه وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السماع". وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام يعني إطلاق الكذب على ذلك إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين وفقاً لأعظهما ، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تدم فإن الكذب وإن كان قبيحاً مخلاً لكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها".<sup>(١)</sup>

### وأخلص مما سبق إلى أمور هامة:

- (١) إن إطلاق الرسول ﷺ عليها كذبات لا يعني عدم جوازها.
- (٢) إن صدور مثل هذه الأمور هي من العوارض البشرية وليست كذباً في التبليغ عن الله أو ما يخل بمقتضى الرسالة ومقصودها.
- (٣) تأويل وتفسير هذه الكذبات أو كونها من المعارض ممكن، لكن الجزم بعدم تسميتها كذبات لا يمكن إلا بدليل لأن النصوص قد جاءت صريحة في تسميتها بذلك.



## الفصل الثاني موسى عليه السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** تكليم الله لموسى والرد على من أنكر ذلك. وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** مذهب السلف في كلام الله عز وجل.

**المطلب الثاني:** ثبوت تكليم الله لموسى عليه السلام.

**المطلب الثالث:** مذهب المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الكلام والرد عليهم إجمالاً.

**المبحث الثاني:** لطم موسى لملك الموت والرد على من أنكر ذلك.

**المبحث الثالث:** استثناء موسى عليه السلام من الصعق يوم القيامة.

## المطلب الأول

تكليم الله لموسى والرد على من أنكر ذلك

## المطلب الأول

مذهب السلف في كلام الله عز وجل

الكلام من صفات الله الثابتة على ما يليق بجلاله سبحانه وهو صفة ذاتية باعتبار نوع الكلام وصفة فعل لتعلقه بمشيئة الله باعتبار أفراد الكلام.

وهو سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو متكلم بصوت يُسمع يسمعه من شاء من خلقه سمعه موسى عليه السلام من غير واسطة وسمعه من أذن له من ملائكته ورسله، وهو سبحانه وتعالى يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه. والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة. هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في صفة كلام الله سبحانه وتعالى.<sup>(١)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم: "أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ليس ببيان عنه مخلوقاً. ولا يقولون أنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً ولا أن كلام الله تعالى من حيث هو هو حادث بل مازال متكلماً إذا شاء وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته فكلامه لا ينفد كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ويقولون ما جاءت به النصوص النبوية الصحيحة ودلت عليه العقول الزكية الصريحة فلا ينفون عن الله تعالى صفات الكمال سبحانه وتعالى فيجعلونه كالجملادات التي لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر فلا تكلم عابديها ولا تهديهم سبيلاً ولا ترجع إليهم قولاً ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً."<sup>(٢)</sup>

(١) انظر جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف / ج ١ / ص ٢٨٣.

(٢) مجموع الفتاوى / ج ١٢ / ص ١٧٤، وانظر: ص ٥٢، ٥٣.

وقال: "وأما ما يوصف به الرب من الكلام والإرادة فقد دلت عليه أسماءه الحسنى وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله متكلم بكلام قائم به وأن كلامه غير مخلوق وأنه يريد بإرادة قائمة به وأن إرادته ليست مخلوقة".<sup>(١)</sup>

وقال: "وأما السلف وأئمة السلف فيقولون إنه متصف بذلك كما نطق به الكتاب والسنة يقولون أنه صفة ذات، وفعل هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته، وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم فكل من وُصف بالكلام كالملائكة والبشر والجن وغيرهم فكلامهم لا بد أن يقوم بأنفسهم وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم والكلام صفة كمال لا صفة نقص ومن تكلم بمشيئته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق".<sup>(٢)</sup>

(١) شرح العقيدة الأصفهانية / ص ٢٠.

(٢) مجموع الفتاوى / ج ٦ / ص ٢١٨، ٢١٩.

## المطلب الثاني تكليم الله لموسى عليه السلام

بينت فيما سبق مذهب السلف في صفة الكلام وذكرت أن الأدلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة وسوف أذكر من تلك الأدلة ما ورد في القرآن الكريم وهو تكليم الله لموسى عليه السلام:

قال عز وجل ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>

وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>

وقد اثبت القرآن الكريم أن ذلك التكليم هو تكليم مباشر من وراء حجاب وهو أحد أنواع الوحي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>

قال الطبري (رحمه الله) في تفسيره للآية الأولى: "وأما قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فإنه يعني بذلك جل ثناؤه: وخاطب الله بكلامه موسى خطاباً، وقد حدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح قال حدثنا نوح بن أبي مريم وسئل: كيف كلم الله موسى تكليماً؟ فقال مشافهة"<sup>(٥)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "إن الله كلمه تكليماً لم يجعل بينه وبينه واسطة من خلقه"<sup>(٦)</sup>.

(١) النساء / ١٦٤.

(٢) الأعراف / ١٤٣.

(٣) البقرة / ٢٥٣.

(٤) الشورى / ٥١.

(٥) جامع البيان / مج ٤ / ج ٥ / ص ٣٩، ٤٠.

(٦) مجموع الفتاوى / ج ١٢ / ص ٩.

وقال: " وقد فُرِّقَ سبحانه بين إيمانه إلى غير موسى وبين تكليمه لموسى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ..﴾ إلى قوله: ﴿حُجَّةَ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ و وكسد تكليمه موسى بالمصدر، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿رُوحَ الْقُدُسِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ إلى آخر السورة، فقد بين سبحانه أنه لم يكن لبشر أن يكلمه الله إلا على أحد الأوجه الثلاثة: إما وحياً وإما من وراء حجاب وإما أن يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء، فجعل الوحي غير التكليم، والتكليم من وراء حجاب كان لموسى. وقد أخبر في غير موضع أنه ناداه كما قال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ..﴾ الآية، وقال: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ..﴾ الآية، والنداء باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا صوتاً مسموعاً، فهذا مما اتفق عليه سلف المسلمين وجهورهم والصوت لا يكون إلا كلاماً والكلام لا يكون إلا حروفاً منظومة".<sup>(١)</sup>

وقال محمد رشيد رضا (رحمه الله): " والظاهر أن تكليم موسى كان من النوع الثاني وهو التكليم من وراء حجاب وقد سماه وحياً في قوله: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ أما حقيقة ذلك الوحي والتكليم فليس لنا أن نخوض فيه لأننا لم نكن من أهله، على أننا لا نعرف حقيقة كلام بعضنا مع بعض بواسطة الأصوات التي تجعل كل ذرة من الهواء متكيفة به وهي أعم الوسائط وأظهرها".<sup>(٢)</sup>

(١) مجموع الفتاوى / ج ١٢ / ص ٣٩، ٤٠.

(٢) تفسير القرآن الحكيم / ج ٦ / ص ٧.

## المطلب الثالث

### مذهب المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الكلام والرد عليه إجمالاً

بيّنتُ فيما سبق مذهب السلف في صفة الكلام وإثباتهم لها كما تليق بجلاله، وذكرت أشهر الأدلة على ذلك - والتي وردت في القرآن الكريم - وهو تكليم الله لموسى عليه السلام.

غير أن من الطوائف من ضل في صفة الكلام - كما ضلوا في غيرها - فهم ما بين منكر لها - ولذا فقد أنكروا جميع ما دل عليها ومنه تكليم الله لموسى وهم الجهمية ومن سار على طريقهم من المعتزلة - ، وبين مثبت لها على غير ما جاءت به النصوص وهم الكلاية ومن سار على طريقهم من الأشاعرة، وهؤلاء وإن ذكروها فيما أثبتوه من الصفات إلا أنهم لم يثبتوها كما جاءت بل ذهبوا يتأولونها فانحرفوا في ذلك حتى عاد قولهم فيها كقول المنكرين لها. (١)

وقد رد علماء السلف على هؤلاء فيما ذهبوا إليه وابتوا مذهبهم وشبهتهم في ذلك وفندوا مزاعمهم، ومن رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن أبي العز الحنفي وابن القيم والسفاريني ومحمد الأمين الشنقيطي (رحمهم الله جميعاً). وسوف أقصر على ردود شيخ الإسلام ابن تيمية وابن أبي العز الحنفي والسفاريني (رحمهم الله جميعاً) لأن فيها الغنية والكفاية، والله المستعان.

## أولاً: مذهب الجهمية والمعتزلة في صفة الكلام:

يرى الجهمية أن كلام الله مخلوق منفصل عنه خلقه في غيره وقالوا: أن الله ليس له كلام قائم بذاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "وأما الجهمية والمعتزلة فيقولون: ليس له كلام قائم بذاته بل كلامه منفصل عنه مخلوق عنه (و) يقولون: هو صفة فعل لكن الفعل عندهم هو المفعول المملوك بمشيئة الله وقدرته"<sup>(١)</sup>

والجهمية أول من أنكر أن يكون الله متكلم ثم تابعهم المعتزلة ثم صاروا يقولون: إنه متكلم مجازاً ثم أظهروا القول بأنه متكلم حقيقة فأقروا بلفظ الكلام لكنهم فسروا ذلك بأنه خالق للكلام في غيره، لذا فهم وإن أطلقوا القول بأنه يتكلم بمشيئته إلا أن مرادهم بذلك: أنه يخلق كلاماً منفصلاً عنه في محل كاهواء وورق الشجر."<sup>(٢)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "أول من أظهر إنكار التكليم والمخالفة للجمود بن درهم في أوائل المئة الثانية وأمر علماء الإسلام كالحسن البصري وغيره بقتله فضحى به خالد بن عبد الله القسري فقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجمود بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً وأخذ ذلك عنه الجهم بن صفوان فأنكر أن يكون الله يتكلم ثم نافحه علماء المسلمين فأقر بلفظ الكلام وقال: كلامه يخلقه في محل كاهواء وورق الشجر، ودخل بعض أهل الكلام والجدل من المنتسبين إلى الإسلام من المعتزلة ونحوهم إلى بعض مقالة الصابئة والمشركين متابعة للجمود بن درهم."<sup>(٣)</sup>

وقد نفى المعتزلة صفات الله جميعاً فقالوا حي بذاته بلا حياة ( أي بلا صفة حياة ) وعليم بذاته بلا علم ( أي بلا صفة علم ) .... وهكذا.

(١) مجموع الفتاوى / ج ٦ / ص ٢١٩.

(٢) راجع مجموع الفتاوى / ج ٦ / ص ٢١٩، ج ١٢ / ص ٢٦، ٢٧، وشرح العقيد الأصفهاني / ص ٢٣.

(٣) مجموع الفتاوى / ج ١٢ / ص ٢٦، ٢٧.

قالوا لأن قيام الصفات بالله يلزم منه التشبيه والتجسيم<sup>(١)</sup>، كما قالوا: إن إثبات الصفات يلزم منه تعدد القدماء لأنهم يرون الصفات غير الذات أي غير الموصوف<sup>(٢)</sup>. وقالوا أيضاً: إن إثبات الصفات يلزم منه قيام الحوادث به سبحانه<sup>(٣)</sup>.

وأصل مذهبهم ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) فقال: "إن متأخري الصائبة لم يؤمنوا أن لله كلاماً أو يتكلم ويقول أو أنه يتزل من عنده كلاماً وذكراً على أحد من البشر أو أنه يكلم أحد من البشر وينكرون أن يكون اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليماً وإنما يوصف عندهم بالسلب والنفي"<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ج ١ / ص ١٧٥.

(٢) راجع موقف ابن تيمية من الأشاعرة / ج ٣ / ص ١٠٩١.

(٣) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية / ص ١١٥.

(٤) مجموع الفتاوى / ج ٦ / ص ١٩٠، ٢٠٠.



## ثانياً: مذهب الأشاعرة في صفة الكلام:

أثبت الأشاعرة بإجمال صفة الكلام لله وقالوا خلافاً للمعتزلة والجهمية وغيرهم من النفاة: إن هذه الصفة ثابتة قائمة بالله تعالى ولكنهم فسروها بأنها معنى واحد قديم يقوم بذات الله لازم له أزلاً وأبداً وسموا هذا المعنى بالكلام النفسي وقالوا إن هذا المعنى القائم بالذات أو النفس لا ينقسم إلى سر وعلائية ولا يكون فيه شيء في نفس الرب وشيء من عند الملائكة بل إسماع الملائكة أو غيرهم لكلامه إنما هو خلق إدراك لهم فقط.

وهذا المعنى القديم هو الأمر بكل ما أمر الله به والنهي عن كل ما نهى الله عنه والخبر عن كل ما أخبر الله عنه إن عُبِّرَ عنه بالعربية كان قرآناً وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيل، والأمر والنهي والخبر عندهم ليست أنواعاً ينقسم الكلام إليها وإنما هي صفات إضافية كما يوصف الشخص الواحد بأنه ابن لزيد وعم لعمر وخال ل بكر، ويقول هؤلاء إن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته وكلامه بغير حرف ولا صوت.<sup>(١)</sup>

وقالوا: كلام الله معنى واحد والتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصل في الدلالات لا في المدلول وهذه العبارات مخلوقة وسميت كلام الله لدلالاتها عليه وتأديه بها فإن عبر بالعربية فهو قرآن وإن عبر بالعبرانية فهو توراة فاختلفت العبارات لا الكلام قالوا: وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازاً.<sup>(٢)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "والكلابية والسالمية يقولون: إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل كلامه قائم بذاته بدون قدرته ومشيئته مثل حياته وهم يقولون الكلام صفة ذات لا صفة فعل يتعلق بمشيئته وقدرته"<sup>(٣)</sup>.

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة / ج ٣ / ص ١٢٦٨، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٩.

(٢) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية / ص ١١٦.

(٣) مجموع الفتاوى / ج ٦ / ص ٢١٩.

وقد بين شيخ الإسلام أن قول الأشاعرة في كلام الله جزء من مذهبهم في الصفات الإختياريه القائمة بالله والتي نفوها لأجل دليل حدوث الأجسام والأعراض الذي استدلوا به على حدوث العالم وعلى ما نفوه من الصفات وأول من ابتدع مقاله نفي الصفات الفعلية القائمة بالله ومقاله القول بقدم كلام الله وأنه معنى واحد ليس بحرف ولا صوت ابن كلاب وتبعه على ذلك الأشاعرة".<sup>(١)</sup>

## ثالثاً: الرد على قول المعتزلة والأشاعرة في صفة الكلام إجمالاً: (١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ليس ذلك مخلوقاً منفصلاً عنه وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته فكلامه قائم بذاته ليس مخلوقاً بئناً عنه لم يقل أحد من سلف الأمة أن كلام الله مخلوق بانئن عنه ولا قال أحد منهم أن القرآن أو التوراة أو الإنجيل لازمة لذاته أزلاً وأبداً وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته ولا قلوا أن نفس نداءه لموسى أو نفس الكلمة المعينة قديمة أزلية بل قالوا لم يزل الله متكلماً إذا شاء فكلامه قديم بمعنى أنه لم يزل متكلماً إذا شاء، وقد فرق الله سبحانه بين تكليمه لموسى وبين إيجانه لغيره ووكد تكليمه لموسى بالمصدر وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ وقد اُخبر في غير موضع أنه ناداه والنداء باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا صوتاً مسموعاً فهذا مما اتفق عليه سلف المسلمين وجهورهم، وأهل الكتاب يقولون: إن موسى ناداه ربه نداءً سمعه بإذنه وناداه بصوت سمعه موسى والصوت لا يكون إلا كلاماً والكلام لا يكون إلا حروفاً منظومة. وقد قال تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ فقد بين في غير موضع أن الكتاب والقرآن العربي منزل من الله وهذا معنى قول السلف منه بدأ. قال أحمد بن حنبل (رحمه الله) منه بدأ أي هو المتكلم به فإن الذين قالوا أنه مخلوق قالوا خلقه في غيره فبدأ من ذلك المخلوق فقال السلف: منه بدأ أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره فيكون كلاماً لذلك المحل الذي خلقه فيه فإن الله تعالى إذا خلق صفة من الصفات في محل كانت الصفة صفة لذلك المحل ولم تكن صفة لرب العالمين فإذا خلق طعماً أو لوناً في محل كان ذلك المحل هو المتحرك

(١) ولطول الحديث وتنشعه وعلاقته بأصول مذهب المعتزلة ولأن هذا ليس مقصودي في هذه الدراسة فسأقتصر على بعض الردود المجملة التي نفي بالمطلوب هنا، (راجع الردود التفصيلية في: مجموع الفتاوى / ٦٦، ج ١٢، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة / ٣/ص ١٢٦١ - ١٣٠٧ و المنحة الإلهية في تذيب شرح الطحاوية / ص ١١٣ - ١١٩).

المتلون به وكذلك إذا خلق حياة أو إرادة أو قدرة أو علماً أو كلاماً في محل كان ذلك المحل هو المرید القادر العالم المتكلم بذلك الكلام ولم يكن ذلك المعنى المخلوق في ذلك صفة لرب العالمين، وإنما يتصف الرب تعالى بما يقوم به من الصفات لا بما يخلفه في غيره من المخلوقات، ومن جعل كلامه مخلوقاً لزمه أن يقول المخلوق هو القائل لموسى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ وهذا ممتنع لا يجوز أن يكون هذا كلاماً إلا لرب العالمين، وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن والنوراة وغير ذلك من الكتب بمعانيها وألفاظها المنتظمة من حروفها لم يكن شيء من ذلك مخلوقاً بل كان ذلك كلاماً لرب العالمين.<sup>(١)</sup>

وقال: "وأما ما يوصف به الرب من الكلام والإرادة فقد دلت عليه أسماؤه الحسنى، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به وأن كلامه غير مخلوق، وأنه مرید بإرادة قائمة به وأن إرادته ليست مخلوقة. وأنكروا على الجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين قالوا: إن كلام الله مخلوق خلقه في غيره وأنه كلم موسى بكلام خلقه في الهواء. واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، ومعنى قولهم منه بدأ: أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية من المعتزلة وغيرهم: أنه بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام، ولم يرد عن السلف أنه كلام فارق ذاته فإن الكلام وغيره من الصفات لا تفارق الموصوف، بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل إلى غيره فكيف تكون صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره؟ ولهذا قال الإمام أحمد: كلام الله من الله ليس بائن منه، ورد بذلك على الجهمية المعتزلة الذين يقولون: كلام الله بائن من خلقه في بعض الأجسام. ومعنى قول السلف: إليه يعود: ما جاء في الآثار إن القرآن يسري به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية.

وقول السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود كما استفاضت الآثار عنهم بذلك كما هو مذكور عنهم في الكتب المنقولة عنهم بالأسانيد المشهورة لا يدل على أن الكلام يفارق المتكلم وينتقل إلى غيره ولكن هذا دليل على أن الله هو المتكلم بالقرآن ومنه سُمع لا أنه خلقه في غيره. وقد بين السلف والأئمة وأتباعهم فساد قول الجهمية وأتباعهم الذين يقولون كلامه مخلوق بوجوه كثيرة، مثل قولهم: لو كان مخلوق في غيره

لكان صفة لذلك الخلق ولاشتق لذلك الخلق منه اسم كما في سائر الصفات مثل العلم والقدرة والسمع والبصر والحياة وكما في الحركة والسكون والسواد والبياض (ف) لو كان كلام الله مخلوقاً في محل لكان ذلك الخلق هو المتكلم به وكانت الشجرة مثلاً هي القائلة لموسى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ ولوجب أن يكون ما أنطق الله به بعض مخلوقاته كلاماً له وقد قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وقد كان النبي ﷺ يسلم عليه الحجر وقال: "إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن وقد سبح الحصى بيديه حتى سمع تسيحه وأمثال ذلك كثير والله هو الذي أنطق هذه الأجسام فلو كان ما يخلق من النطق والكلام كلاماً له لكل ذلك كلام الله كما أن القرآن الكريم وكان لا فرق بين أن ينطق هو وبين أن ينطق غيره من المخلوقات وهذا ظاهر الفساد"<sup>(١)</sup>.

وقال: "لنّاس في كلام الله تعالى: قول من يقول: إن الله لم يقم به صفة من الصفات لا حياة ولا علم ولا قدرة ولا كلام ولا إرادة ولا رحمة ولا غضب ولا غير ذلك بل خلق كلاماً في غيره فذلك المخلوق هو كلامه وهذا قول الجهمية والمعتزلة وهذا القول مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف وهو مناقض لأقوال الأنبياء ونصوصهم وليس مع هؤلاء عن الأنبياء قول يوافق قولهم بل هم شبه عقلية فاسدة قد بيّنا فسادها في غير هذا الموضوع، وهؤلاء زعموا أنّهم يقيمون الدليل على حدوث العالم بتلك الحجج، وهم لا للإسلام نصرُوا ولا لأعدائه كسروا.

والقول الثالث: قول من يقول: أنه يتكلم بغير مشيئته وقدرته بكلام قائم بذاته أزلاً وأبداً، وهؤلاء موافقون لمن قبلهم في أصل قولهم لكن قالوا: الرب تقوم به الصفات ولا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الصفات الاختيارية.

وجهور العقلاء يقولون: قول هؤلاء معلوم الفساد بالضرورة، وهؤلاء يقولون تكليمه لموسى ليس إلا خلق إدراك يفهم به موسى ذلك المعنى، فقولهم: أفهم كل الكلام أم بعضه؟ إن كان فهمه كله فقد علم علم الله وإن كان فهم بعضه فقد تبعض، وعندهم كلام الله لا يتبعض ولا يتعدد، وقيل لهم: قد فرق الله بين تكليمه لموسى وإيجائه لغيره وعلى

أصلكم لا فرق، وقيل لهم: قد كفر الله من جعل القرآن العربي قول البشر وقد جعله تسارة قول رسول من البشر وتارة قول رسول من الملائكة فقال في موضع: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تُدْكِرُونَ﴾ فهذا الرسول محمد ﷺ وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ فهذا جبريل، فأضافه تارة إلى الرسول الملكي وتارة إلى الرسول البشري، والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس. وكان بعض هؤلاء ادعى أن القرآن العربي أحدثه جبريل أو محمد فقيل لهم: لو أحدثه أحدهما لم يجز إضافته إلى الآخر وهو سبحانه أضافه إلى كل منهما باسم الرسول الدال على مرسله لا باسم الملك والنبي، فدل ذلك على أنه قول رسول بلغه عن مرسله لا قول ملك أو نبي أحدثه من تلقاء نفسه بل قد كفر من قال أنه قول البشر". (١)

وقد ذكر ابن كثير (رحمه الله) رداً على المعتزلة في ذلك فقال: "وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش (رحمه الله) على من قرأ: (وكلم الله موسى تكليماً) كذلك لأنه حرف لفظ القرآن ومعناه، وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلم موسى عليه السلام أو يكلم أحد من خلقه كما روينا عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ: (وكلم الله موسى تكليماً) فقال يا ابن اللخناء كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ يعني أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل". (٢)

ورد ابن أبي العز الحنفي أيضاً على المعتزلة عند شرحه لكلام الطحاوي: "وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً...". (٣) وأظهر شبهتهم فقال: وقوله: (كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً): رداً على المعتزلة وغيرهم فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبد منه قالوا وإضافته إليه إضافة تشريف كبيت الله وناقة الله وقولهم باطل فإن المضاف إلى الله تعالى معان وأعيان فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف وهي مخلوقة له كبيت الله وناقة الله بخلاف إضافة المعاني كعلم الله وقدرته وعزته وجلاله وكبريائه وكلامه وحياته وعلوه وقهره فإن هذا كله من

(١) مجموع الفتاوى / ج ١٢ / ص ٤٨ - ٥٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٨٨.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية / ج ١ / ص ١٧٢.

صفاته لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً، والوصف بالتكلم من صفات الكمال وضده من أوصاف النقص قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْبِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌّ أَلَمٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يُهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكان عباد العجل مع كفرهم أعرف بالله من المعتزلة فإنهم لم يقولوا لموسى وربك لا يتكلم أيضاً وقال تعالى عن العجل أيضاً: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

وغاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم منه التشبيه والتجسيم فيقال لهم: إذا قلنا أنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ فنحن نؤمن أنها تكلم ولا نعلم كيف تتكلم وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وكذلك تسبيح الحصى وسلام الحجر كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرنة المعتمد على مقاطع الحروف وإلى هذا أشار الشيخ (رحمه الله) بقوله: منه بدأ بلا كيفية قولاً أي: ظهر منه ولا يُدرى كيفية تكلمه به وأكد هذا المعنى بقوله: "قولاً" أتى بالمصدر المعروف للحقيقة كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت للحقيقة النافي للمجاز في قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: (وكلم الله موسى تكليماً) بنصب اسم الله ليكون موسى هو المتكلم لا الله فقال له أبو عمرو: هب أي قرأت هذه الآية كذا فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فبُهِتَ المعتزلي وكم في الكتاب والسنة من دليل على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم رد على الأشاعرة فقال: "وكيف يصح مع هذا أن يكون كلام الرب كله معنى واحداً وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ فأهانهم بترك تكليمهم والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم وهذا هو الصحيح إذ قد أُخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿اٰخْسَبُوا فِيهَا

فيها ولا تُكَلَّمون ﴿ فلو كان لا يُكَلَّم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم أعدائه وأعداؤه سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يُكَلَّمهم فائدة أصلاً. وقال البخاري في صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر السفاريني (رحمه الله) مذهب السلف في ذلك ورد على المعتزلة والأشاعرة فقال: "يجب الجزم بأنه تعالى متكلم بكلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولا حادث لا يشبه كلام الخلق"، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح رسالة (الأصفهاني) الإمام المتكلم الأشعري: "قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به وأن كلامه غير مخلوق وأنكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم: "إن كلامه مخلوق خلقه في غيره، وأنه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة وكلم جبرائيل بكلام خلقه في الهواء"، واتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود قال: ومعنى قولهم: "منه بدأ أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام.

قال (أي شيخ الإسلام): ولم يرد عن السلف إنه كلام فارق ذاته فإن الملام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل إلى غيره أي ليس خلقه فلن ذلك على سبيل النفي فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره؟ وهذا قال الإمام أحمد: "كلام الله ليس ببائن من خلقه في بعض الأجسام. قال شيخ الإسلام: ومعنى قول السلف: "وإليه يعود ما جاء في الآثار: "إن القرآن يُسرى به حتى لا يبقى في المصاحف حرف ولا في القلوب منه آية." وما جاءت به الإشارة كالحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند وكتبه للمتوكل في رسالته التي أرسل بها إليها عن النبي ﷺ أنه قال: "ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه" يعني القرآن وفي لفظ: "بأحب إليه مما خرج منه"، وقول ابن عباس (رضي



الله تعالى عنهما) لما سمع قائلاً يقول لبيت لما وضع في لحده: اللهم رب القرآن اغفر له فالتفت إليه ابن عباس فقال له: مه، القرآن كلام الله ليس بمربوب منه بدأ وإليه يعود.

(و) مذهب سلف الأمة ومحققى الأئمة أنه صفة ذات وفعل معاً فإن صفة الكلام لله عز شأنه ثابتة بإجماع الأنبياء على ذلك فيتكلم إذا شاء ومتى شاء بلا كيف فإن الكلام صفة كمال لا نقص فيه. فالرب أحق أن يتصف بالكلام من كل موصوف بالكلام إذ كل كمال لا نقص فيه يثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وتحرير مذهب السلف إن الله تعالى متكلم كما مرّ وأن كلامه قديم وأن القرآن كلام الله وأنه قديم حروفه ومعانيه وقد توعد الله جل شأنه جعله قول البشر بقوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى. إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ﴾ ومحمد ﷺ بشر فمن قال: إنه قول محمد فقد كفر وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ فالمراد أن الرسول بلغه عن مرسله لا أنه قول له من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذي أرسله كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه.

وموسى عليه السلام سمع كلام الله من الله بلا واسطة وسماع الناس مقيد بواسطة كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِيَدِهِ مَا يَشَاءُ﴾ ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام وكلم نبينا ﷺ ليلة الإسراء وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم سائر الأنبياء بإرسال رسول إليهم، والناس يعلمون أن النبي ﷺ إذا تكلم بكلام تكلم بحروفه ومعانيه بصوته ﷺ ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه بحركاتهم وأصواتهم كما قال ﷺ: "نصّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلغه كما سمعه" فالستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول فالكلام كلام الرسول تكلم به بصوته والمبلغ بلغ كلام الرسول بصوت نفسه وإذا كان هذا معلوماً في من يبلغ كلام المخلوق فكلام الخالق أولى بذلك ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ وقال النبي ﷺ: "زينوا القرآن بأصواتكم". فجعل الكلام كلام الباري وجعل الصوت الذي يقرؤه به العبد صوت القارئ وأصوات العباد ليست هي

الصوت الذي ينادى الله به ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله لا في صفاته ولا في أفعاله قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فليس علمه مثل علم المخلوقين ولا قدرته مثل قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداؤه مثل ندايتهم ولا صوته مثل صوتهم. ومن قال عن القرآن الذي يقرؤه المسلمون: ليس هو كلام الله وهو كلام غيره فهو ملحد مبتدع ضال بل هذا القرآن هو كلام الله وهو مثبت في المصاحف وهو كلام الله مبلغاً عنه مسموعاً من القراء ليس هو مسموعاً عنه تعالى فكلام الله تعالى قديم وصوت العبد مخلوق قال الإمام الموفق: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ وقال: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وهذا هو الكتاب العربي الذي هو مائة وأربعة عشرة سورة أولها الفاتحة وآخرها ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مكتوب في المصاحف متلو في المحارب مسموع بالأذان متلو بالألسن محفوظ في الصدور له أول وآخر وأجزاء وأبعاض وهو كلام الله تعالى. قال الإمام أحمد رضي الله عنه: القرآن كيف تصرف فهو غير مخلوق ولا نرى القول بالحكاية والعبارة، وغلط من قال بهما وجهله فقال: من قال أن القرآن عبارة عن كلام الله فقد غلط وجهل، وقال: وقول الله تعالى: ﴿تَكْلِيمًا﴾ يبطل الحكاية.

وقال الإمام موفق الدين ابن قدامة (رحمه الله تعالى): وأما قولهم: أن كلام الله يجب أن لا يكون حروفاً تشبهه كلام الآدميين، فالجواب: أن الاتفاق في أصل الحقيقة ليس تشبيهه كما أن اتفاق البصر في أنه إدراك المبصرات والسمع في أنه إدراك المسموعات والعلم في أنه إدراك المعلومات ليس بتشبيهه كذلك هذا.

وأيضاً يلزمهم إن نفوا هذه الصفة لكون هذا تشبيهاً أن ينفوا سائر الصفات من الوجود والحياة والسمع والبصر وغيرها، وأما قولهم: أن الحروف تحتاج إلى مخارج وأدوات فلجواب أن احتياجها إلى ذلك في حقنا لا يوجب ذلك في كلام ربنا تعالى عن ذلك على أن بعض المخلوقات لم تحتاج إلى مخارج في كلامها كالأيدي والأرجل والجلود التي تتكلم يوم القيامة والحجر الذي سلم على النبي ﷺ والحصى الذي سبَّح في كفه والذراع المسمومة التي كلمته وإذا قلوا: أن الله تعالى يحتاج كحاجتنا قياساً، فهو عين التشبيه الذي يفرون منه.

قال الإمام الموفق (رحمه الله تعالى) في قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ أجمعنا على أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من الله لا من شجرة ولا من حجر ولا من غيره لأنه لو سمع من غيره تعالى لكان بنو إسرائيل أفضل في ذلك منه لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى لكونهم سمعوا من موسى عليه السلام وهو على زعمهم إنما سمع من الشجرة، ثم يقال لهم لِمَ سُمِّيَ موسى كليم الله؟ وإذا ثبت أن موسى عليه السلام إنما سمع من الله عز وجل لم يجوز أن يكون الكلام الذي سمعه إلا صوتاً وحرافاً فإنه لو كان معنى في النفس وفكرة وروية ولم يكن ذلك تكليماً ولا هو شيء يسمع والفكر لا يسمى مناداة. فإن قالوا: نحن لا نسميه صوتاً مع كونه مسموعاً قلنا هذا مخالفة في اللفظ مع الموافقة في المعنى فإنه لا يعني بالصوت إلا ما كان مسموعاً. ثم أن لفظ الصوت قد صحت به الأخبار قال: الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: "ومن نفى الصوت يلزمه أن الله تعالى لم يُسمع أحداً من ملائكته ولا رسله كلامه بل ألهمهم إياه إلهاماً.

قال: وحاصل الاحتجاج للنفي: الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين لأنها التي عهدت ذات مخارج ولا يخفى ما فيه إذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة ولئن سلم فيمنع القياس المذكور لأن صفة الخلق لا تقاس على صفة المخلوق وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به ثم إما التفويض وإما التأويل.

وفي حديث ابن مسعود (رضي الله تعالى) عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجمر السلسة على الصفا فيصعقون ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرائيل عليه السلام فإذا جاءهم جبرائيل فُزِعَ عن قلوبهم فيقولون: يا جبرائيل ماذا قال ربك؟ قال: يقول الحق فينادون الحق الحق "أخرجه أبو داود ورجاله ثقات ونحوه من حديث أبي هريرة رواه البخاري.

وقد رُوِيَ في إثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثاً بعضها صحاح وبعضها حسان ويُحتج بها أخرجها الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره وأخرج سيدنا الإمام أحمد غالبها واحتج بها البخاري وغيره من أئمة الحديث على أن الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت، وقد صححوا هذا الأصل واعتقدوه واعتمدوا على ذلك مَرَّهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث وسَمَاتِ النقص كما قالوا فإذا رأينا أحداً من الناس ممن لا يقدر عشر معشار هؤلاء يقول: لم يصح عن النبي ﷺ حديث واحد أنه تكلم بحرف وصوت، ورأيت هؤلاء الأئمة قد دونوا هذه الأخبار وعملوا بها ودانوا الله سبحانه وتعالى بها وصرحوا بأن الله تعالى تكلم بحرف وصوت لا يشبهان صوت مخلوق ولا حرفه بوجه البتة معتمدين على ما صح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في أقواله وأفعاله الذي لا ينطق عن الهوى مع اعتقادهم الجازم الذي لا يعتره شك ولا وهم ولا خيال نفسي التشبيه والتمثيل والتحريف والتعطيل فلا يقولون في صفة الكلام كما يقولون في سائر الصفات إثباتاً بلا تمثيل وتزيهاً بلا تعطيل كما عليه سلف الأمة وفحول الأئمة فهو حق اليقين بلا محال، وهل بعد الحق إلا الضلال".<sup>(١)</sup>

## المبحث الثاني

### لطم موسى لملك الموت والرد على من أنكر ذلك

أولاً: إثبات ضرب موسى لملك الموت:

روى البخاري ومسلم (رحمهم الله) عن أبي هريرة: (رضي الله عنه) قال: أُرْسِلَ مَلَكَ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: "ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيَّ مَتَى تَوَرَّ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ" قَالَ: أَيُّ رَبِّ تُمْ مَاذَا؟ قَالَ تُمْ الْمَوْتُ قَالَ: فَالآنَ فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَلَوْ كُنْتُ تُمْ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَيْبِ الْأَحْمَرِ" (١). وفي رواية لمسلم " فلطم موسى عليه السلام بين ملك الموت ففقاها... " (٢)

قال النووي (رحمه الله): "أما قوله صكّه فهو بمعنى لطمه في الرواية الثانية وقرأ عينه بالهمز ومتن الثور ظهره ورمية حجر أي قدر ما يبلغه وقوله (ثم مه) هي هاء السكت وهو استفهام أي: ثم ماذا يكون أحياء أم موت؟ والكثيب الرمل المستطيل المحدودب ومعنى أجب ربك: أي للموت ومعناه جئت لقبض روحك،. وأما سؤاله الإذن من الأرض المقدسة فلشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم، قال بعض العلماء وإعلا سأل الإذن ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتن به الناس" (٣)

وقال ابن حجر (رحمه الله): "وفي رواية عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عند أحمد والطبري" كان ملك الموت يأتي الناس عياناً فأتى موسى فلطمه ففقا عينه فقال: يا رب عبدك موسى فقا عيني ولو لا كرامته عليك لشققت عليه..، قوله (على متن): بفتح الميم

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء/ باب: وفاة موسى وذكره بعد. وفي كتاب الخنازير / باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الفضائل / باب من فضائل موسى عليه السلام.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي / مح/ ٥ / ج ١٥ / ص ١٢٨.

وسكون المثناة هو الظهر وقيل مكثف الصلب بين العصب واللحم وفي رواية عمار: (على جلد ثور) قوله: (تحت الكتيب الأحمر) الكتيب بالمثلثة: الرمل المتجمع".<sup>(١)</sup>

ثانياً: الرد على من أنكر حديث ضرب موسى عليه السلام لملك الموت:

قال النووي (رحمه الله): "قال المازري وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصويره قالوا: كيف يجوز على موسى فقاء عين ملك الموت قال: وأجاب العلماء عن هذه بأجوبة:

أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء ويمتحنهم بما أراد.

والثاني: أن هذا على المجاز والمراد أن موسى ناظره وحاجه فقلبه بالحجة ويقال: فقأ فلان عين فلان إذا غالبه بالحجة ويقال: عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصاً، قال وفي هذا ضعف لقوله ﷺ فرد الله عينه فإن قيل أراد رد حجته كان بعيداً.

والثالث: أن موسى ﷺ لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقاء عينه لا أنه قصدها بالفقء وتأييده رواية صكه، هذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقاء عينه فإن قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى، والله أعلم".<sup>(٢)</sup>

وقال ابن حجر (رحمه الله): "قال ابن خزيمة: أنكر بعض المتبدعة هذا الحديث وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقاء عينه؟ والجواب: أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذٍ وإنما بعثه إليه اختياراً وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير أذنه ولم يعلم أنه ملك

(١) الفتح / ج ٦ / ص ٥٠٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ٥ / ج ١٥٣ / ص ١٢٩ ، ١٣٠.

الموت وقد أباح الشارع فقاء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن. وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداءً، ولو عرفهم إبراهيم لما قَدَّمَ لهم المأكول ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه. وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له؟

ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة وزاد فيه: أن موسى دفعه عن نفسه لما رُكب فيه من الحدة وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله فللهذا استسلم حينئذٍ، وقال النووي: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحاناً للملطوم، وقال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخره، لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يُخبر فللهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن، قيل: وهذا أولى الأقوال بالصواب وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال: لم أقدم ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط؟ فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحاناً. وزعم بعضهم أن معنى قوله: "فقأ عينه" أي أبطل حجته وهو مردود بقوله في نفس الحديث "فرد الله عينه" ويقول "لطمه وصكه" وغير ذلك من قرائن السياق، وقال ابن قتيبة: "إنما فقأ موسى العين التي هي تخيل وتمثيل وليست عيناً حقيقية ومعنى رد الله عينه أي أعاده إلى خلقته الحقيقية وقيل على ظاهره ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره وهذا هو المعتمد، وجوز ابن عقيل أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر".<sup>(١)</sup>

وأخلص مما تقدم إلى: إثبات لطم موسى لملك الموت لأن الأحاديث الصحيحة دلت على ذلك.

أما الإجابة على أسئلة المنكرين لهذا الحديث فقد بينتها بما ذكرت من كلام للمازري وابن حجر (رحمهما الله تعالى) وعلى كل فإن إنكار الأحاديث الصحيحة أو تأويلها بما يتفق ومبتدعات أهل الزيغ والضلال سمه ظاهرة لهم.

## المبحث الثالث

### استثناء موسى عليه السلام من الصعق يوم القيامة

أولاً: ثبوت النفخ في الصور في القرآن والسنة:

ثبت في القرآن الكريم والسنة المطهرة معتقد النفخ في الصور، وقد دل القرآن الكريم أن النفخ في الصور نفختان:

(١) النفخة الأولى: وهي نفخة الصعق، ويدل عليها قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (١)

كذلك يدل عليها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (٢)

(٢) النفخة الثانية: وهي نفخة البعث والنشور، ويدل عليها قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ (٤)  
وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ (٥)

وقوله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٦)

وقوله: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (٧)

(١) الزمر / ٦٨

(٢) النمل / ٨٧

(٣) الكهف / ٩٩

(٤) يس / ٥١

(٥) النبأ / ١٨

(٦) المؤمنون / ١٠١

(٧) طه / ١٠٢



ومما يدل عل النفخ في الصور من السنة المطهرة ما رواه البخاري ومسلم (رحمهما الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: " استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم فقال: "لا تحيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله؟ " (١).

وفي رواية لمسلم (رحمه الله): " .. فقال رسول الله ﷺ لم لطمت وجهه؟ قال: قال يا رسول الله والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا، قال فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه ثم قال: " لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، قال ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بُعث أو في أول من بعث فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أو بعث قبلي؟ ... " الحديث. (٢).

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب أحاديث الأنبياء/ باب وفاة موسى وذكره بعد، ورواه مسلم في صحيحه/ كتاب الخصومات/ باب ما يذكر في الإخصاص والخصومة بين المسلم واليهود، وفي كتاب الفضائل / باب من فضائل موسى عليه السلام.

(٢) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الفضائل / باب من فضائل موسى عليه السلام.

ثانياً: ثبوت الاستثناء من الصعق في القرآن والسنة، ومن هم المستثنون؟:

كما سبق من الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة يتبين لنا أن الله عز وجل يستثنى من الصعق من شاء من خلقه لقوله تعالى في الآيات السابقة: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ .  
وقد اختلف فيمن يستثنى الله عز وجل: فقيل: هم الشهداء، وقيل: هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وقيل: هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن النار من أهل العذاب وخزنتها، وقد نص الإمام أحمد على أن الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور<sup>(١)</sup>.

وقيل: أن الموتى من عامة الخلق ممن استثنى الله أيضاً في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قال ابن حجر (رحمه الله): أي: إلا من سبق له الموت قبل ذلك فإنه لا يصعق والمراد بمن يُصعقون هم الأحياء<sup>(٢)</sup>. ولعل مستندهم في ذلك ما ذكره ابن القيم (رحمه الله): "أن أهل الجنة (أي صالحى المؤمنين من الموتى) لو ماتوا بالنفخة الأولى غير تلك الموتة لكانت موتان وهذا مخالف للقرآن الكريم فقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ كذلك فقد أخبر سبحانه عن أهل النار أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِأَنَّكَ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَأَنَّكَ الْغَنِيُّ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ والمقصود أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور"<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا فإن أرواح الموتى من عامة الخلق مستثناة من الصعق فلا يموتون ثانية.

(١) الروح / ص ٥٢، وراجع الفتح / ج ٦ / ص ٥١٢.

(٢) الفتح / ج ٦ / ص ٥١٢.

(٣) الروح / ص ٥٢، ٥٣.

ثالثاً: التردد في موسى عليه السلام في حديث الاستثناء من الصعق و الإشكالات الواردة في ذلك مع ذكر الراجع من أقوال محققي العلماء في دفعها:

ثبت في الحديث السابق أن موسى عليه السلام يستثنى من الصعق أو يفيق قبل الرسول ﷺ مجازةً له بصعقة الطور غير أن هذا الحديث قد أشكل على العلماء في إشكالات عديدة من أبرزها:

كيف يُستثنى موسى عليه السلام من صعقة الموت وقد مات وإنما تدرك هذه الصعقة الأحياء وهل يدل استثنائه من الصعق على أنه كان حياً كيف ذلك ولم يثبت نص أنه حي بل ثبت موته وجميع الأنبياء عدا عيسى عليه السلام الذي دلت النصوص على أنه سيموت أيضاً كحال جميع الأنبياء وذلك بعد نزوله لقتل الدجال في آخر الزمان.

قال النووي (رحمه الله): الصَّعْقُ والصَّعْقَةُ: الهلاك والموت ويقال منه صَعِقَ وصُعِقَ. قلل القاضي عياض وهذا من أشكال الأحاديث لأن موسى قد مات فكيف تدركه الصعقة وإنما تصعق الأحياء" قال النووي: "قوله: "من استثنى الله تعالى" يدل على أنه كان حياً ولم يأتي أن موسى رجع إلى الحياة ولا أنه حي كما جاء في عيسى وقد قال ﷺ: "لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق"<sup>(١)</sup>.

وللرد على ذلك الإشكال لا بد من بيان أمرين:

أ) أحوال الخلائق قبل النفخة الأولى وبعدها ثم أحوالهم بعد النفخة الثانية.

ب) ما المقصود بالصعقة الواردة في ذلك الحديث.

إن الخلائق قبل النفخة الأولى على ثلاثة أقسام:

١. الموتى من الأنبياء والشهداء.
٢. الموتى من غير الأنبياء والشهداء من عامة الخلق.
٣. الأحياء الذين أبقاهم الله عز وجل إلى قبيل قيام الساعة.

أما عن الموتى من عامة الخلق فإنهم موتى على اعتبار مفارقة أرواحهم لأبدانهم أما عن حياتهم البرزخية فقد دلت نصوص الكتاب والسنة أن أرواح الموتى لا تقدم ولا تتحمل ولا تفتنى بل الأرواح إما في نعيم سرمدى وإما في عذاب أبدي وهي خالدة باقية بتخليد الله عز وجل وإبقائه لها. كما دلت على أن من مات فلا يذوق موته أخرى كما بين الله عز وجل ذلك بقوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾<sup>(١)</sup> وعلى ذلك فإن الموت ليس هو العدم المحض وإنما مفارقة الروح للبدن. والعذاب والنعيم يحصل على الروح والبدن معاً، وأما عن الموتى غير عامة الخلق وهم الأنبياء والشهداء فهم موتى على اعتبار مفارقة أرواحهم لأجسادهم أيضاً إلا أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وإن كانوا في صورة الأموات بالنسبة لأهل الدنيا وقد خصهم الله عز وجل - كما دلت النصوص - بحياة خاصة غير حياة باقي الأموات في عالم البرزخ ونعيمهم بنعيم خاص غير ما ذكره عن باقي الأموات الصالحين وحياة الأنبياء ونعيمهم في البرزخ أرفع وأكمل من حياة الشهداء الذين ذكرهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾<sup>(٢)</sup>. بل قد دلت النصوص الصحيحة على أنهم أحياء في قبورهم غير أن حقيقة حياة كلا القسمين لا يعلمها إلا الله فهو مما استأثر الله به سبحانه وتعالى، كذلك فإن حقيقة الفرق بين نعيم الأنبياء ونعيم غيرهم من صالحى المؤمنين الأموات الله عز وجل أعلم به وليس لنا إلى معرفة ذلك سبيل سوى القرآن والسنة ولم يبين فيهما كيفية حصول ذلك ولا كنهه أو حقيقته وإنما بين لنا أنه حاصل لا محالة فوجب الإيمان والتسليم بكل ما جاءت به نصوص الشريعة.

(١) المدحان / ٥٦.

(٢) آل عمران / ١٦٩.

## أحوال الأقسام الثلاثة بعد النفخة الأولى:

تختلف أحوال الخلق من الأقسام الثلاثة الذين ذكركم بعد الصعقة الأولى.

- (١) أما الأحياء فإن الصعقة بالنسبة لهم هي موت.
- (٢) وأما الأموات من الخلق سوى الأنبياء والشهداء فالله أعلم بوقوع الصعقة عليهم غير أن من العلماء من يقول أنها غشي كما ذكر ابن القيم وذكر ابن حجر أن منهم من يقول أنه زيادة على ما هم فيه. وقال بعضهم أن الأموات هم من استثنى الله في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي إلا من سبق له الموت قبل ذلك فإنه لا يصعق، ومن ذاق الموت لا يموت مرة ثانية.
- (٣) وأما من ثبت موته وثبت مع ذلك حياة خاصة لهم عند الله وهم الأنبياء عليه الصلاة والسلام (ويلحق بهم الشهداء) فإن الصعقة بالنسبة لهم - كما ذكر محققى العلماء - غشي فيغشى عليهم جميعاً حتى محمد ﷺ (غير أن موسى عليه السلام ورد فيه أنه إما أن يستثنى من ذلك الغشي مجازة له بصعقة الطور عندما طلب الرؤية وإما أن يفيق قبل محمد ﷺ لنفس السبب).

### أحوال الأقسام الثلاثة بعد النفخة الثانية: (نفخة البعث والنشور)

أما من مات منهم فإنه يحيى وهم كل من كان حياً قبل النفخة الأولى وأما من غشى عليه فإنه يفيق وهم الأنبياء وأما الموتى الذين نفخ في الصور وهم أموات في قبورهم فإنهم يحيون أيضاً وجميعهم يعث ويقوم لله رب العالمين. والله أعلم.

### ثانياً: ما المقصود بالصعقة الواردة في حديث الاستثناء؟

وقد ذكر أن ابن حجر (رحمه الله) أن المقصود من الصعقة في الحديث: "فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق" إنما هي الصعقة الثانية فدفعت بذلك إشكالات عدة فقال: "قوله: فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق" في رواية إبراهيم بن سعد: "فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق" لم يبين في رواية الزهري

من الطريقين محل الإفاقة من أي الصعقتين ووقع في رواية عبدالله بن الفضل: " فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث " وفي رواية الكشميهني: " أول من يبعث " والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتاً أو رأى شيئاً يفزع منه وهذه الرواية ظاهرة في أن الإفاقة بعد النفخة الثانية وأصرح من ذلك رواية الشعبي عن أبي هريرة في تفسير الزمر بلفظ: " إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة " (١)

رابعاً: ذكر بعض أقوال محققي العلماء (رحمهم الله تعالى) في حديث استثناء موسى عليه السلام من الصعق:

قال ابن القيم (رحمه الله): بعد أن استدل على حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد موتهم: "وإذا تقرر أنهم أحياء فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء فأما صعق غير الأنبياء (أي من الأحياء) فموت وأما صعق الأنبياء فالأظهر أنه غشية فإذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيي ومن غشي عليه أفاق ولذلك قال ﷺ في الحديث المتفق على صحته: "فأكون أول من يفيق" فبينما أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس إلا موسى فإنه حصل فيه تردد هل بعث قبله من غشيته أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقاً لأنه حوسب بصعقة يوم الطور؟ وهذا فضيلة عظيمة لموسى ولا يلزم من فضيلة واحدة أفضليته على نبينا مطلقاً لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمراً كلياً".<sup>(١)</sup>

وقال ابن حجر (رحمه الله): "وقوله فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله" أي لم يكن ممن صعق أي فإن كان أفاق قبلي فهو فضيلة ظاهرة وإن كان ممن استثنى فلم يصعق فهي فضيلة أيضاً ووقع في حديث أبي سعد "فلا أدري كان فيمن صعق - أي فأفاق قبلي - أم حوسب بصعقته الأولى" أي التي صعقها لما سأل الرؤية وقوله: "فأكون أول من يفيق" لم تختلف الروايات في الصحيحين في إطلاق الأولية ووقع في رواية إبراهيم بن سعد عند أحمد والنسائي "فأكون أول من يفيق" فعرف أن إطلاق الأولية في غيرها محمول عليها وسببه التردد في موسى عليه السلام وزعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع وهذا الذي ذكره ليس بواضح بل هما نفختان فقط ووقع التغاير في كل واحدة منها باعتبار من يستمعها فالأولى يموت بها كل من كان حياً ويغشى على من لم يموت ممن استثنى الله والثانية يعيش بها من مات ويفيق بها من غشي عليه والله أعلم".<sup>(٢)</sup>

(١) الروح / ص ٥٤.

(٢) الفتح / ج ٦، ص ٥١٣، ٥١٤.

## الفصل الثالث

### عيسى عليه السلام

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** عيسى عليه السلام كلمة الله وروح منه والمقصود بذلك.

**المبحث الثاني:** رفع عيسى عليه السلام، وهل مات قبل ذلك؟.

**المبحث الثالث:** نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، ومم يحكم؟

**المبحث الرابع:** المهدي وعيسى عليهما السلام.



## المبحث الأول

### عيسى عليه السلام كلمه الله وروحه والمقصود بذلك

أولاً: النصوص الدالة على أن عيسى عليه السلام (كلمه الله) و (روح منه):

أخبر الله عز و جل عن نبيه ورسوله عيسى عليه السلام وذكر أنه قد ولد من غير أب من مريم الصديقة عليهما السلام وأنه كلمه الله وروح منه. وليس كما ادعته النصارى من أنه ثالث ثلاثة فقال عز و جل: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾<sup>(١)</sup> إلى قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسْسَنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>

وكما دل القرآن على ذلك فقد دلت كذلك السنة المطهرة روى البخاري ومسلم (رحمهما الله) عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"<sup>(٤)</sup>.

(١) آل عمران / ٤٥.

(٢) آل عمران / ٤٧.

(٣) النساء / ١٧١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء / باب: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، ورواه مسلم في صحيحه /

كتاب الإيمان / باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (عقائد التوحيد).

قال النووي (رحمه الله): " هذا حديث عظيم الموقع وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها فاختصرها ﷺ في هذه الأحرف على ما يبين به جميعهم".<sup>(١)</sup>

ثانياً: المعنى المقصود من كونه "كلمة الله" و "روح منه":

قال البخاري (رحمه الله): "قال أبو عبيد كلمته: كن فكان. وقال غيره: ﴿رُوحٌ مِّنْهُ﴾: أحياء فجعله روحاً. ولا تقولوا ثلاثة".<sup>(٢)</sup>

وقال ابن حجر (رحمه الله): "قوله" قال أبو عبيد كلمته كن فكان"، والمراد به أبو عبيد القاسم بن سلام ووقع نظيره في كلام أبي عبيدة معمر بن المثنى وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله وقوله: وقال غيره "و روح منه فجعله روحاً" هو قول أبو عبيدة قال في قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قوله كن فكان وروح من الله تبارك وتعالى أحياء فجعله روحاً" ولا تقولوا ثلاثة" أي لا تقولوا هم ثلاثة".<sup>(٣)</sup>

وقد بين ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره معنى (كلمة الله و روح منه) بياناً وافياً وذكر أقوال العلماء في ذلك فقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأَتِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّـهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ..﴾ الآية: "أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله أي يقول له كن فيكون وهذا تفسير قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّـهِ﴾ كما ذكره الجمهور".<sup>(٤)</sup> ومقصوده بأن ذلك تفسير قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّـهِ﴾ "أي أن يحيى عليه السلام من صفاته أنه مصدقاً بعيسى ابن مريم قال ابن عباس: "كان يحيى وعيسى ابني خاله وكانت أم يحيى تقول لريم: إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك تصديقه له في بطن أمه وهو أول من صدق عيسى، وكلمة الله: عيسى".<sup>(٥)</sup>

(١) صحيح مسلم بشرح النووي / مج ١ / ج ١ / ص ٢٢٧.

(٢) الجامع الصحيح / كتاب الأنبياء / باب قوله: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم).

(٣) الفتح / ج ٦ / ص ٥٤٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٣٦١.

(٥) انظر المصدر السابق / ج ١ / ص ٣٦١.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان، ورسول من رسله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت، والجميع مخلوق لله عز وجل ولهذا قيل لعيسى أنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل. وقال عبد الرزاق عن قتادة ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ هو كقوله ﴿كن فيكون﴾ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال سمعت شاذان بن يحيى يقول في قول الله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ قال: ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى، وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي أعلمها بها كما زعمه في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أي يعلمك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُونَ أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام<sup>(١)</sup>.

ثم ساق الحديث الذي ذكرته سابقاً وقال: "فقوله في الآية والحديث (وروح منه) كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ أي من خلقه ومن عنده وليست "من" للتبعيض كما تقوله النصارى عليهم لعائن الله المتابعة، بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى، وقد قال مجاهد في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي ورسول منه، وقال غيره: ومحبة منه، والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ وفي قوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ وكما روي في الحديث الصحيح: "فأدخل على ربي في داره" أضافها إليه إضافة تشريف وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق / ج ١ / ص ٥٩٠.

(٢) المصدر السابق / ج ١ / ص ٥٩٠.

وقال النووي (رحمه الله): "وسمي عيسى عليه السلام كلمة لأنه كان بكلمة كن فحسب من غير أب بخلاف غيره من بني آدم قال الهروي سمي كلمه لأنه كان عن الكلمة فسمي بها كما يقال للمطر (رحمه الله) قال الهروي: وقوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي رحمة قال وقال ابن عرفة: أي ليس من أب إنما نفخ في أمه الروح، وقال غيره: وروح منه أي مخلوقه من عنده وعلى هذا يكون إضافتها إليه إضافة تشریف كناية الله وبيت الله وإلا فالعالم له سبحانه وتعالى ومن عنده والله أعلم"<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثاني

### رفع عيسى عليه السلام وهل مات قبل ذلك؟

أخبر القرآن الكريم عن رفع عيسى عليه السلام حياً. وما ورد في ذلك:

• الآية الأولى قول الله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ بِكَؤُوفِكَ وَارْأِئِكَ إِلَهِي وَمَطْهَرِكُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>

قال ابن جرير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية: "إن كعب الأحبار قال: " ما كان الله عز وجل ليميت عيسى ابن مريم إنما بعثه الله داعياً ومبشراً يدعو إليه وحده فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه شكاً ذلك إلى الله عز وجل فأوحى الله إليه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ﴾ وليس من رفعته عندي ميتاً وإني سأبعثك على الأعرور الدجال فتقتله ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة ثم أميتك ميتة الحى.<sup>(٢)</sup> وروى عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ﴾ قال: متوفيك: قابضك. قال: ومتوفيك ورافعك واحد قال: " ولم يمض بعد حتى يقتل الدجال وسيموت وقرأ قول الله عز وجل: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قال: رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً قال: ويترل كهلاً".<sup>(٣)</sup>

وقال ابن كثير (رحمه الله): "اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ﴾ فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر تقديره إني رافعك إلي ومتوفيك يعني بعد ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي يميتك. وقال محمد بن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار ثم رفعه إليه قال ابن إسحاق: والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه قال إسحاق بن بشر عن إدريس عن وهب: أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه قال مطر الوراق: إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت وكذا قال ابن جرير: توفيه هو رفعه. وقال الأكثرون:

(١) آل عمران / ٥٥.

(٢) جامع البيان / مج ٣ / ج ٣ / ص ٣٩٤.

(٣) المصدر السابق / مج ٣ / ج ٣ / ص ٣٩٥.

المراد بالوفاة هنا النوم كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا..﴾ الآية وكان رسول الله ﷺ يقول إذا قام من النوم: "الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا" الحديث، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الربيع بن أنس عن الحسن أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه قال الحسن: قال رسول الله ﷺ لليهود "إن عيسى لم يموت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة" وقوله تعالى ﴿وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي برفعي إياك إلى السماء".<sup>(١)</sup>

وقال ابن حجر (رحمه الله): "وقد اختلف في موت عيسى عليه السلام قبل رفعه والأصل فيه قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ فقيل على ظاهرة وعلى هذا فإذا نزل إلى الأرض ومضت المدة المقدره له يموت ثانياً، وقيل: قوله معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ من الأرض فعلى هذا لا يموت إلا في آخر الزمان".<sup>(٢)</sup>

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عندما سئل عن عيسى أيهما الصواب في أمره هل توفاه الله ثم رفعه إليه أم رفع حياً؟، وهل رُفِعَ بجسده أو روحه أم لا؟ وما تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؟ فقال: "عيسى عليه السلام حي، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "يترل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية". وثبت في الصحيح عنه: "أنه يترل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وأنه يقتل الدجال" ومن فارقت روحه جسده لم يترل جسده من السماء وإذا أحسى فإنه يقوم من قبره. وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت، إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء فعلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٣٦٦.

(٢) الفتح / ج ٦ / ص ٥٦٩.

بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ فقوله هنا: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه يتزل بدنه وروحه إذ لو أريد موته لقال وما قتلوه وما صلبوه بل مات فقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه يتزل بدنه وروحه.، ولهذا قال من قال من العلماء: إني متوفيك: أي قابضك: أي قابض روحك وبدنك، يقال: توفيت الحساب واستوفيته ولفظ التوفي لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن ولا توفيهما جميعاً إلا بقريئة منفصلة، وقد يراد به توفي النوم كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وقد ذكروا في صفة توفي المسيح ما هم مذكور في موضعه والله تعالى أعلم. (١)

• الآية الثانية: قال الله عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٢)

قال ابن كثير (رحمه الله): "وكان من خير اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات وهدى حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات التي كان يرى بها الأكمة والأبرص ويجي الموتى بإذن الله إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على يديه ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم حتى جعل نبي الله عيسى عليه السلام لا يساكنهم في بلدة بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب وأهوا إليه أن في بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه فغضب الملك وكتب إلى نائبه بالقدس أن يجتاط على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه، فلما وصل الكتاب امتثل والي بيت المقدس ذلك وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المتزل الذي فيه عيسى عليه السلام وهو في جماعة من أصحابه فحصره هنالك، فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخلوهم عليه أو خروجه

(١) مجموع الفتاوى / ج ٤ / ص ٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) النساء / ١٥٧، ١٥٨.

إليهم قال لأصحابه أيكم يلقي عليه شبهي وهو ريفي في الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكانه استصغره عن ذلك فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب فقال: أنت هو وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو وفتحت روزنة من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع إلى السماء وهو كذلك كما قال الله تعالى ﴿إِذْ قُلَّ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ الَّذِي أَنزَلْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ وَإِنِّي مُؤْتَوِّعُكَ وَإِنِّي مُؤْتَوِّعُكَ إِلَيَّ...﴾ الآية، فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وأظهر اليهود أنهم سعا في صلبه وتبجحوا بذلك وسلم لهم طوائف من النصارى ما عدا من كان في البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم فقال تعالى وهو أصدق القائلين ورب العالمين المطلع على السرائر والضمائر الذي يعلم السر في السموات والأرض العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي رأوا شبهه فظنوه إياه ولهذا قال ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ يعني بذلك من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلمه إليهم من جهال النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ أي منيع الجناح لا يرام جنابه ولا يضام من لا ذبابه ﴿حَكِيمًا﴾ أي في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم والأمر القديم".<sup>(١)</sup>



• الآية الثالثة: قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١)

قال ابن كثير (رحمه الله): "والضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ عائد على عيسى عليه السلام، أي: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام". (٢)

ونقل الخلاف في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ عن ابن جرير الطبري فقال: "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام، وقال آخرون يعني بذلك ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى قبل موت الكناي ذكر من كان يوجه ذلك إلى أنه إذا عين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه، وقال آخرون معنى ذلك ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ﴾ بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل موت الكناي ". وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام". (٣)

قال ابن كثير: "ولاشك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وأنه باق حي وأنه سيرتل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي قبل موت عيسى الذي زعم اليهود

(١) النساء/ ١٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٣٦٦، وانظر: جامع البيان / مع ٤ / ج ٥ / ص ٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٧٦، ٥٧٧، (راجع: جامع البيان / مع ٤ / ج ٥ / ص ٢٥ وما بعدها).

ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض. فأما من فسر هذه الآية بلأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع وذلك أن كل أحد عند احتضاره يتجلى له ما كان جاهلا به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيمانا نافعا، ومن تأمل هذا جيدا وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا بل المراد بما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وأنه سيزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود وأفرط هؤلاء النصارى تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علوا كبيرا<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن حجر (رحمه الله) أقوال العلماء في الآية السابقة: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا كَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ فقال: "إن بمعنى ما، أي لا يبقى أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلا آمن به. وكذلك في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعود على عيسى أي إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح ومن طريق أبي رجاء عن الحسن قال: قبل موت عيسى: والله إنه الآن لحي ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون ونقله عن أكثر أهل العلم ورجحه ابن جرير وغيره. ونقل أهل التفسير في ذلك أقوالاً آخر وأن الضمير في قوله: ﴿بِهِ﴾ يعود لله أو محمد وفي ﴿مَوْتِهِ﴾ يعود على الكتابي على القولين وقيل على عيسى فقال له عكرمة: رأيت إن خر من بيت أو احترق أو أكله السبع؟ قال: لا يموت حتى يحرك شفثيه بالإيمان بعيسى، وفي إسناده خفيف وفيه ضعف ورجع جماعة هذا المذهب بقراءة أبي بن كعب: ﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ﴾ أي أهل الكتاب وقال حنظلة: قال: أبو هريرة - أي في قوله: ﴿إِلَّا كَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ - يؤمن به قبل موت عيسى.<sup>(٢)</sup>

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٧٧، ٥٧٨.

(٢) الفتح / ج ٦ / ص ٥٦٨، ٥٦٩.

وقال النووي (رحمه الله): "وأما قوله: (أي مسلم):" ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شتتم. **﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾** ففيه دلالة ظاهرة على أن مذهب أبي هريرة في الآية أن الضمير في **﴿مَوْتِهِ﴾** في الآية يعود على عيسى عليه السلام ومعناها: وما من أهل الكتاب يكون في زمن عيسى عليه السلام إلا آمن به وعلم أنه عبد الله وابن أمته وهذا مذهب جماعة من المفسرين، وذهب كثيرون أو الأكثرون إلى أن الضمير يعود على الكتابي ومعناها: وما من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند الموت قبل خروج روحه بعيسى ﷺ وأنه عبد الله وابن أمته ولكن لا ينفعه هذا الإيمان لأنه في حضرة الموت وحالة الترع وتلك الحالة لا حكم لما يفعل أو يقال فيها، فلا يصح فيها إسلام ولا كفر ولا وصيه ولا بيع ولا عتق ولا غير ذلك من الأقوال لقول الله تعالى: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾** وهذا المذهب أظهر فإن الأول يخص الكتابي وظاهر القرآن عمومته لكل كتابي في زمن عيسى وقبل نزوله، ويؤيد هذا قراءة من قرأ (قبل موته) وقيل أن الهاء في **﴿بِهِ﴾** يعود إلى نبينا محمد ﷺ والهاء في **﴿مَوْتِهِ﴾** تعود على الكتابي والله أعلم".<sup>(١)</sup>

## المبحث الثالث

### نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وبم يحكم؟

ثبت بنصوص الشريعة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ولما لهذه القضية العقديّة من أهميّة رأيت تقريرها وبيانها،،، والله المستعان.

المسألة الأولى: النصوص الدالة على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان:  
أولاً: نصوص القرآن الكريم :

ورد في القرآن الكريم في تقرير هذه القضية عدة نصوص :  
الآية الأولى: قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف في هذه الآية على ثلاثة أقوال . قال الطبري (رحمه الله) : "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به يعني بعيسى قبل موته. يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الخنيفة دين إبراهيم عليه السلام"<sup>(٢)</sup>. ثم ذكر من قال بذلك والقولين الآخرين وقال: "قال أبو جعفر وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال: تأويل ذلك: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير(رحمه الله) بعد نقله لكلام ابن جرير الطبري السابق: "ولاشك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادّعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة فيقتل مسيح الضلالة

(١) النساء/ ١٥٩.

(٢) جامع البيان/ مج ٤/ ج ٥/ ص ٢٥.

(٣) المصدر السابق/ مج ٤/ ج ٥/ ص ٢٩.

ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف. فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم. ولهذا قال: «وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَا كَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» أي قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم أنه قُتِلَ وَصُلِبَ".<sup>(١)</sup>

ثم ناقش القولين الآخرين كما ناقشها من قبله الطبري.<sup>(٢)</sup>

الآية الثانية: قال الله تعالى: «وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ»<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا»<sup>(٤)</sup>. قال الطبري عند تفسير الآية الأولى: وأما قوله: "وكهلاً" فإنه ومحتكاً فوق الغلومة ودون الشيخوخة"<sup>(٥)</sup>

وروي عن ابن وهب قال سمعته (يعني ابن زيد) يقول في قوله: «وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا» قال: "قد كلمهم عيسى في المهد وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل"<sup>(٦)</sup>. وروى عند تفسيره لقوله تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا» ما كان الله عز وجل لميت عيسى ابن مريم إنما بعثه الله داعياً ومبشراً يدعو إليه وحده فلما رأى عيسى قلة من أتبعه وكثرة من كذبه شكاً ذلك إلى الله عز وجل فأوحى الله إليه: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا»<sup>(٧)</sup>، أن كعب الأخبار قال: "ما كان الله عز وجل لميت عيسى ابن مريم عندي ميتاً وإني سأبعثك على الأعور الدجال فتقتله ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة ثم أميتك ميتة الحى"<sup>(٨)</sup>. وروى عن ابن زيد في قوله: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ»

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٧٧.

(٢) انظر جامع البيان / مج ٤ / ص ٢٩، ٣٠، ٣١. وتفسير القرآن العظيم / ج ١ / ص ٥٧٧.

(٣) آل عمران / ٤٦.

(٤) المائدة / ١١٠.

(٥) جامع البيان / مج ٣ / ص ٣٧٠.

(٦) المصدر السابق / مج ٣ / ص ٣٧١.

(٧) آل عمران / ٥٥.

(٨) جامع البيان / مج ٣ / ص ٣٩٤.

قال: "متوفيك : قابضك قال: ومتوفيك ورافعك واحد قال: ولم يمت بعد حتى يقتل الدجمل وسيموت وقرأ قول الله عز وجل: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قال رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً قال وينزل كهلاً<sup>(١)</sup>."

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسيره لهذه الآية معلقاً على كلام ابن إسحاق فيها وميناً الصواب: وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام وفي هذا نظر وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في ﴿وإنه﴾ عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فإن السياق ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقاتدة والضحاك وغيرهم، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق / مج ٣ / ج ٣ / ص ٣٩٥.

(٢) الزخرف / ٦١.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ج ٤ / ص ١٣٢-١٣٣.

## ثانياً: نصوص السنة المطهرة:

روى البخاري (رحمه الله): عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها".

وفي رواية: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم" (١).

قال ابن حجر (رحمه الله): "حكماً أي حاكماً، والمعنى أنه ينزل حاكماً بهذه الشريعة، فإن هذه الشريعة باقية لا تُنسخ بل يكون عيسى حاكماً من حكام هذه الأمة. وفي رواية الليث عن ابن شهاب عند مسلم: "حكماً مقسطاً" وله من طريق ابن عينة عن ابن شهاب "إماماً مقسطاً" والمقسط: العادل بخلاف القاسط فهو الجائر. وللطبري من حديث عبدالله بن مغفل "ينزل عيسى ابن مريم مصداقاً بمحمد على ملته" (٢).

وقال: "وفي هذا الحديث: "يترل عيسى عليه ثوبان ممصران فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعوا الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل وتلعب الصبيان بالحيات - وقال في آخره - ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون" وروى أحمد ومسلم عن أبي هريرة: "ليهلن ابن مريم بفتح الروحاء بالحج والعمرة" (٣).

وقال أيضاً في قوله ﷺ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم": "قال أبو الحسن الخسعي الأبيدي في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه، ذكر ذلك رداً للحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن أنس وفيه "ولا مهدي إلا عيسى" وقال أبو ذر الهروي: حدثنا الجوزقي عن بعض المتقدمين قال: معنى قوله: "وإمامكم منكم" يعني أن يحكم بالقرآن لا بالإنجيل، وقال ابن التين: معنى قوله: "وإمامكم منكم" أن الشريعة الخمدية متصلة إلى يوم القيامة وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم" (٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء/ باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

(٢) الفتح / ج ٦٧ / ٥٦٧.

(٣) الفتح / ج ٦٧ / ص ٥٦٩.

(٤) الفتح / ج ٦٧ / ص ٥٦٩ - ٥٧٠.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم فيقول أمرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة"<sup>(١)</sup>.

قال ابن الجوزي (رحمه الله): "لو تقدم عيسى إماما لوقع في النفس إشكال، ولقيل: أترأه يتقدم نائبا أو مبتدئا شرعا؟. فصلى مأموما لئلا يتدنس بغيار الشبهة وجه قوله: (لا نبي بعدي). وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال: أن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة"<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والله ليزلن عيسى بن مريم حكماً عادلاً وليضعن الجزية ولتركن القلاص فلا يُسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد"<sup>(٣)</sup>.

والأحاديث في إثبات نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان (غير التي ذكرت) كثيرة جدا، ليس هذا محل استقصائها، وإنما أردت الاستدلال فقط لتقرير هذه القضية لا الاستقصاء والجمع لكل ما ورد فيها. وجميعها تدل على نزوله وأنه سينزل حكما عادلا بشرية محمد ﷺ وليس ناسخا لها. قال ابن كثير (رحمه الله): "وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بتزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا"<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب عيسى ابن مريم عليه السلام حاكما بشرية نبينا محمد ﷺ.

وانظر بقية أحاديث الباب.

(٢) الفتح / ج ٦ / ص ٥٧٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب نزول عيسى عليه السلام.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ج ٤ / ص ١٣٢. وانظر ج ١ / ص ٥٧٨.



## المسألة الثانية: الحكمة في نزول عيسى عليه السلام دون غيره: (١)

تلمس بعض العلماء الحكمة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء، ولهم في ذلك عدة أقوال:

(١) الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال، ورجح الحافظ ابن حجر هذا القول على غيره في الفتح.

(٢) أن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ﴾ فدعا الله أن يجعله منهم فاستجاب الله دعائه وأبقاه حتى يتزل آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام، قال ابن كثير (رحمه الله): قال الإمام مالك (رحمه الله): "بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا"، قال ابن كثير: وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة والأخبار المتداولة.

وقد ترجم الذهبي لعيسى عليه السلام في كتابه (تجريد أسماء الصحابة) فقال: "عيسى بن مريم عليه السلام: صحابي ونبي فإنه رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء وسلم عليه فهو آخر الصحابة موتاً".

(٣) أن نزول عيسى عليه السلام من السماء لدنو أجله ليُدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله عيسى عليه السلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في فتاوى مفصل الاعتقاد: "والمسيح ﷺ لا بد أن يتزل إلى الأرض كما ثبت في الأحاديث الصحيحة ولهذا كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون".

(٤) أنه يتزل مكذباً للنصارى فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل ويهلك الله الملل كلها في زمنه إلا الإسلام، فإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية.

(٥) أن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبي ﷺ: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبي". فرسول الله أخص الناس به وأقربهم إليه، فإن عيسى بشرٌ بأن رسول الله ﷺ يأتي من بعده ودعا الناس إلى تصديقه والإيمان به كما في قوله تعالى: ﴿وَمَبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وفي الحديث: قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: "أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى".

## المبحث الرابع المهدي وعيسى عليهما السلام

قررت فيما سبق بالنصوص الشرعية نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لقتل الدجال، وتقرر من بعض الأدلة أنه يصلي خلف رجل صالح من أمة محمد ﷺ، فمن هو هذا الرجل؟ وما هي صفاته؟ ومتى يظهر بالنسبة لزمن نزول عيسى عليه السلام؟ هذا ما أردت البحث فيه وتقريره بالأدلة الصحيحة الثابتة، والله المستعان.

أولاً: ما جاء في ذكر اسمه وصفته وكثرة الظلم والفتن قبيل ظهوره:

دلت نصوص الشريعة على ظهور محمد بن عبد الله الحسيني المهدي من أهل بيت رسول الله ﷺ من ولد فاطمة البتول يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. صح عن النبي ﷺ أنه قال: " يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً".<sup>(١)</sup>

وعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " المهدي من عترتي من ولد فاطمة".<sup>(٢)</sup>

وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي".<sup>(٣)</sup> وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: " المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي ﷺ واسمه اسم نبي و مهاجره بيت المقدس".<sup>(٤)</sup>

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: " يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعاً أو ثمانياً".<sup>(٥)</sup>

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: " المهدي مني أجلي الجبهقة أقي الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين".<sup>(٦)</sup> وما دل على كثرة الظلم والجور قبل ظهوره ما رواه البخاري (رحمه الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة... وحتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر المرح وهو القتل.. الحديث".<sup>(٧)</sup>

(١) رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة، وانظر مختصر لوامع الأنوار/ ص ٣٣٦.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجة في سننهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٤) أخرجه نعيم ابن حماد، (انظر مختصر لوامع الأنوار/ ص ٣٤٢).

(٥) رواه الحاكم في مستدرکه وقال حديث صحيح الإسناد، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

(٦) أخرجه أبو داود والبيهقي وابن ماجة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

(٧) رواه البخاري في صحيحه / كتاب الفتن / باب خروج النار.

ثانياً: ظهور المهدي عليه السلام وما يصاحب ظهوره من أشرار الساعة الكبرى:

يظهر المهدي أثناء تلك الفتن - التي أشرت إليها في الأحاديث السابقة - وفي زمن امتلاً بالظلم والجور وذلك قبل نزول عيسى عليه السلام فيلتف الناس حوله ويبايعونه بالإمامة ثم يقاتلون تحت إمرته ويتصرون على الروم وتفتح لهم القسطنطينية ثم بينما هم كذلك إذ تظهر فتنة أعظم وهي فتنة المسيح الدجال شر غائب ينتظر. وبينما يتأهب جيشه لقتاله ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فجراً فيصلي خلف المهدي صلاة الصبح. ثم يكون المهدي من أصحابه وأتباعه ويقتل عيسى عليه السلام المسيح الدجال وكل من اتبعه من اليهود وغيرهم ثم يظهر بعد ذلك يأجوج ومأجوج ويفتح ردمهم فيعيثون فساداً فيوحى الله إلى رسوله عيسى: "أني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور ويحصّر نبي الله عيسى وأصحابه ويضيق بهم الحال فيرغب عيسى عليه السلام وأتباعه إلى الله عز وجل فيرسل الله التّغف فيبيدهم جميعاً ويهلكون عن آخرهم، ثم يسود بعد ذلك الخير وتملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ولا يكون قبل ذلك خير ولا عدل لتتابع الفتن - كما ذكرت - وكما سأبين بالنصوص.

موت المهدي وعيسى عليهما السلام:

ثم بعد ذلك يموت المهدي ويموت عيسى عليه السلام أما عن أيهما يسبق الآخر فقد ذكر السفاريني: "أن المهدي يموت قبل عيسى عليه السلام وأنه يصلي عليه ويدفن ببيت المقدس"<sup>(١)</sup>، وأما عن موت عيسى فقد ثبت أنه عليه السلام يهل بالحج والعمرة ويزور المدينة ويزور قبر النبي محمد ﷺ ويسلم عليه ثم يتوفى بالمدينة ويدفن إلى جوار قبر الرسول ﷺ.<sup>(٢)</sup>

(١) مختصر لواعب الأنوار/ ص ٣٤٤.

(٢) المصدر السابق / ص ٣٩٥.

## ماذا بعد موت المهدي وعيسى عليهما السلام:

ورد في الحديث الثابت كما سيأتي: " أنه لا خير في الحياة بعد موت المهدي، كما ورد أنه بينما عيسى وأصحابه في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم إذ بعث الله رجلاً طيباً فتأخذهم فتقبض أرواحهم فلا يبقى مؤمن ويبقى شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة - وسيأتي ذكر ما يدل على ذلك من الأحاديث فيما يأتي إن شاء الله. كما دلت الأحاديث على قرب الساعة بعد موت عيسى عليه السلام وأن العلامات الكبرى بعد موت عيسى تقع متتابعة وفي وقت قصير كالعقد الذي انفرط نظامه.

وعلى هذا فإن ما بعد موت المهدي وعيسى عليه السلام من خير.

## مدة بقاءهما: كم هي وما صفتها؟:

ثبت أن المهدي عليه السلام يعيش سبعاً أو ثمانياً حججاً كما سيأتي.

وثبت أن عيسى يمكث سبع سنين وذلك عند مسلم وفي رواية أحمد وأبي داود أنه يمكث أربعين سنة. وكلا الروايتين صحيحة وتحمل رواية السبع سنين على مدة إقامته بعد نزوله ويكون ذلك مضافاً إلى مكثه في الأرض قبل رفعه إلى السماء وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور والله أعلم<sup>(١)</sup>.

وثبت أنه في زمن المهدي تملأ الأرض خيراً أو عدلاً بعدما ملئت جوراً كما ثبت في وصف زمن عيسى عليه السلام ما يدل على امتلاء الأرض خيراً وعدلاً كما سيأتي وعلى ذلك فلن الظاهر والله أعلم أن زمنهما واحد أي أن زمن رغد العيش واستتباب الأمن الوارد عند مجيء كل منهما إنما يكون في المدة نفسها دل على ذلك:

(١) ما ورد في الأحاديث الثابتة من تتابع الملاحم والفتن منذ ظهور المهدي إلى نزول عيسى ثم من نزول عيسى عليه السلام إلى قتل يأجوج ومأجوج، فتن متوالية ورزايا متتابعة ولم يذكر رغد عيش خلالها ثم استكمال تتابع الفتن ثم رغد العيش مرة أخرى

(٢) ورود الأحاديث الثابتة في مدة مكث كل منهما ووفائهما بعد ذلك.

(٣) ورود الأحاديث الثابتة في نفي الخيرية في الحياة بعد موتهما ، والله أعلم.

يقول الشيخ يوسف الوابل: إن بعض الأحاديث ذكرت أن بعض هذه العلامات تظهر في زمن متقارب فإن أول العلامات الكبرى بعد المهدي ظهور الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله ثم ظهور يأجوج ومأجوج ودعاء عيسى عليه السلام عليهم فيهلكهم الله ثم قال عيسى عليه السلام "ففيما عهد لي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل الميم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلاً أو نهاراً" وهذا دليل على قرب الساعة قريباً شديداً فإن بين موت عيسى عليه السلام وقيام الساعة شيء من العلامات الكبرى تقع في وقت قصير جداً مثلها مثل العقد الذي انفرط نظامه والله أعلم<sup>(١)</sup>.

#### النصوص الشرعية الدالة على ما سبق بيانه:

كما يدل على الفتن والظلم والجور في زمن المهدي ما رواه نعيم بن حماد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "يبعث السفياي" جيشاً إلى مكة فيأمر بقتل من كان فيها من بني هاشم فيقتلون ويتفرقون هارين إلى البراري والجلال حتى يظهر المهدي بمكة فإذا ظهر اجتمع كل من شد منهم إليه بمكة ويأتي سبعة علماء من أفاق شتى على غير ميعاد قد بايع لكل منهم ثلاثة مائة وبضعة عشر فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض: ما جاء بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه الفتن وتفتح له قسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه، فيقف السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيرونه بمكة فيقولون: أنت فلان؟ فيقول: بل أنا رجل من الأنصار فينفلت منهم فيصفونه لأهل المعرفة والخبرة به فيقولون: هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة فيطلبونه في المدينة فيخالقهم إلى مكة وهكذا ثلاث مرات فيصيرونه بمكة الثالثة عند الركن فيقولون: إنمنا عليك ودماءنا في عنقك

(١) المرجع السابق/ ص ٢٤٦، ٢٤٧ (واخديث في مسند الإمام أحمد في مرويات ابن مسعود رضي الله عنه).

\* وهو رجل ظالم جبار يفرج من ناحية دمشق. راجع مختصر لواعم الأنوار / ص ٣٤١.

إن لم تمد يدك نايحك فيمد يده فيبايع له فيلق الله محبته في قلوب الخلق فيصير مع قوم أسد النهار ورهبان الليل". (١)

وروى مسلم (رحمه الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ: "قال لا تقوم الساعة حتى يتزل الروم بالأعماق أو يدايق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلوهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يُفتنون أبدا فيفتحون قسطنطينية فينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فيزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمرهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانداب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته". (٢)

وروى حديثاً قريباً من معنى هذا الحديث عندما هاجت الريح الحمراء بالكوفة عن ابن مسعود (رضي الله عنه).

وما يدل على صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي، ما رواه البخاري (رحمه الله) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم". (٣)

قال ابن حجر (رحمه الله): "ولابن ماجة في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال قال: "وكلهم - أي المسلمون - بيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم إذ نزل عيسى فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول: تقدم فإنما

(١) أخرجه نعيم بن حماد، انظر: مختصر لواعب الأنوار/ ص ٣٤٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه/ كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الأنبياء/ باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، ورواه مسلم في صحيحه/

كتاب الإيمان/ باب نزول عيسى ابن مريم ﷺ حاكماً.



لك أقيمت" قال أبو الحسن الحسيني الآبدي في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه".<sup>(١)</sup>

وعن جابر بن عبدالله (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تزال طائفة من أممي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فيزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمه الله هذه الأمة".<sup>(٢)</sup>

وفي رواية: "يزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضكم أمير بعض، تكرمه الله هذه الأمة".<sup>(٣)</sup>

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه".<sup>(٤)</sup>

قال السفاريني (رحمه الله): "أجمعت الأمة على نزوله - أي نزول عيسى بن مريم - ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وقد انعقد الإجماع على أنه يزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس يزل بشريعة مستقلة وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها، ويتسلم الأمر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدي".<sup>(٥)</sup>

وقال: "ثم يستمر المهدي حتى يسلم الأمر لروح الله عيسى بن مريم عليه السلام ويصلي المهدي بعيسى عليه السلام صلاة واحدة وهي صلاة الفجر ثم يستمر المهدي على الصلاة خلف عيسى عليه السلام بعد تسليمه الأمر إليه".<sup>(٦)</sup>

(١) الفتح / ج ٦ / ص ٥٦٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان / باب نزول عيسى ابن مريم ﷺ حاكماً.

(٣) رواد الخارث بن أبي لأسامة في مسنده عن جابر بن عبدالله، (انظر المنار المنيف لابن القيم).

(٤) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

(٥) مختصر لواع الأنوار / ص ٣٥٠.

(٦) المصدر السابق / ص ٣٤٤.

وأما عن نزول عيسى وقتله الدجال فيدل عليه ما رواه النواس بن سيمان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "... إذ بعث الله المسيح ابن مريم فيزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجرد ريع نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه - أي الدجال - حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة".<sup>(١)</sup>

وروى الإمام أحمد من حديث جابر مرفوعاً: "فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام فيرجع المهدي فهقري ليتقدم عيسى عليه السلام ليصلي بالناس ويقال له: يا روح الله تقدم، فيقول: ليتقدم إمامكم فيصلي لكم، فيضع عيسى يده على كتفي المهدي فيقول له: تقدم فصل فإنما لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لم تسبقني بها فيدركه عند باب لد".<sup>(٢)</sup>

وروى الإمام أحمد أيضاً من حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم... فذكر الحديث وفيه" ثم يزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث، فيقولون: هذا رجل جنّي، فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم ﷺ فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم إمامكم فيصل بكم فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه قال فعين يرى الكذاب ينمات كما ينمات الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله".<sup>(٣)</sup>

(١) رواد مسند في صحيحه / كتاب الفتن وأشراف الساعة / باب ذكر الدجال.

(٢) ذكره السفاريني في مختصر لواع الأنوار / ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٣) رواد الإمام أحمد في مسنده في مرويات جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قال السفاريني (رحمه الله): "وقد ثبتت الروايات أن نزول عيسى عليه السلام مع الفجر على منارة دمشق الشرقية ويكون المهدي قد جمع الناس لقتال الدجال فتصيهم ضيابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى عليه السلام قد نزل ويكون نزوله على المنارة البيضاء والناس يريدون صلاة الصبح ثم بعد الصلاة يتبعون الدجال وقد فر، فهذا كالصريح أن عيسى نزل على منارة دمشق الصبح".<sup>(١)</sup>

ثم يظهر بعد ذلك يأجوج ومأجوج: جاء في حديث النواس بن سمعان (رضي الله عنه) وفيه: "... ثم يأتيه - يعني عيسى - قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: أني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقناتهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولئك على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدهم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاءه زهمهم وتنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله".<sup>(٢)</sup>

ثم تملأ الأرض خيراً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.<sup>(٣)</sup>

ومما يدل على موت عيسى ودفنه في المدينة ما أخرجه الإمام أحمد وابن جرير وابن عساكر من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "يترى عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج ويترى الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما" والروحاء مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة على نحو من أربعين ميلاً من المدينة.<sup>(٤)</sup>

(١) مختصر لوامع الأنوار / ص ٣٥٤.

(٢) رواد مسلم في صحيحه / كتاب الفتن وأضراط الساعة / باب ذكر الدجال.

(٣) انظر صحيح مسلم / كتاب الفتن / باب ذكر الدجال.

(٤) مختصر لوامع الأنوار / ص ٣٥٩.

وأخرج البخاري في تاريخه و الطبراني: يُدفن ابن مريم مع رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله تعالى عنهم فيكون قبره رابعاً.<sup>(١)</sup>

ومما يدل على أنه لا خير في الحياة بعد موت المهدي ما رواه أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: " أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً فقال له رجل ما صحاحاً قال بالسوية بين الناس قال وبمأ الله قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنى ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً فينادي فيقول من له في مال حاجة فما يقوم من الناس إلا رجل فيقول أنت السدان يعني الخازن فقل له إن المهدي يأمرك أن تعطيني ما لا فيقول له احث حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم فيقول كنت أجشع أمة محمد نفساً أو عجز عني ما وسعهم قال فيرده فلا يقبل منه فيقال له إنا لا نأخذ شيئاً أعطناه فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين ثم لا خير في العيش بعده أو قال ثم لا خير في الحياة بعده ".<sup>(٢)</sup>

قال الدكتور يوسف الوابل: " وفي هذا دليل على أنه بعد موت المهدي يظهر الشر والفتن العظيمة"<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق / ص ٣٥٩.

(٢) رواد أحمد في مسنده في مرويات أبي سعيد الخدري.

(٣) أشرطة الساعة / ص ٢٥٤.

ويعبد أن يكون لا خير في الحياة بعد موت المهدي وعيسى عليه السلام لا يزال بين أظهر المؤمنين، والمقصود - والله أعلم - من ذلك نفي الخيرية في الحياة بعد موت المهدي وعيسى عليهما السلام، ويدل على ذلك أمور:

١. ما روي من تتابع أشرطة الساعة بعد موت المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. روى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: "الآيات خرزات منظومات في سلك فإن يُقطع السلك يتبع بعضها بعضاً".<sup>(١)</sup>
٢. ورد في السنة الثابتة أن الله عز وجل يرسل ريحاً بعد قتل يأجوج ومأجوج وبعد رخاء العيش وانتشار الأمن والعدل تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى على ظهر الأرض من يقول: الله الله، ويبقى شرار الناس وعليهم تقوم الساعة"، وجاء في حديث النواس بن سمعان الطويل في قصة الدجال ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج: "فيما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة".<sup>(٢)</sup>
٣. ما ورد في السنة المطهرة أنه بعدما استجاب الله عز وجل لدعاء عيسى عليه السلام وإبادته ليأجوج ومأجوج ينعم الناس بنعم عظيمة ويعيشون في رخاء قبل مجيء الريح التي تقبض أرواحهم، عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: "فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحلمهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفقة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك ورددي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فينما هم

(١) رواد أحمد في مسنده في مرويات عبد الله بن عمرو.

(٢) رواد مسلم في صحيحه / كتاب الفتن وأشرطة الساعة / باب ذكر الدجال، وروى نحوه في كتاب الإيمان /

باب الريح التي تكون قرب القيامة. ولا يتعارض مثل هذا الحديث مع الحديث الذي رواه مسلم في كتاب الإمارة:

" لا تزال طائفة من أمتي يقاثلون على الحق طاهرين إلى يوم القيامة " وفي رواية: " طاهرين على الحق لا يضرهم من

خذم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " ، فإن المعنى: لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة،

ويكون المراد ب "أمر الله" هو هبوب تلك الريح ، انظر شرح النووي/ مع ١/ ج ٢/ ص ١٣٢، والفتح / ج ١٣/ ص ١٩، ٨٥.

كذلك إذ بعث الله ربحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم  
ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تمأرج الحمير فعليهم تقوم الساعة".<sup>(١)</sup>

## الفصل الثالث

محمد صلى الله عليه وسلم

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** فضل محمد ﷺ على الأنبياء جميعاً.

**المبحث الثاني:** إثبات المقام المحمود ل محمد ﷺ يوم القيامة.

**المبحث الثالث:** محمد ﷺ خاتم الأنبياء.

## المبحث الأول

### فضل محمد ﷺ على الأنبياء جميعاً

قررت فيما سبق أن الأنبياء يتفاضلون في أنفسهم وفي شرائعهم وأممهم، وقد بينت نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة أن أفضل الأنبياء على الإطلاق هو محمد ﷺ الذي خصه الله بخصائص لم يخص غيره بها.

قال الله عز وجل: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾<sup>(١)</sup>

قال الشوكاني (رحمه الله) في تفسير هذه الآية: " والمراد بتفضيل بعضهم على بعض: أن الله سبحانه وتعالى جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر فكان الأكثر مزايا فاضلاً والآخر مفضولاً، وكما دلت هذه الآية على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض، كذلك دلت الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾<sup>(٢)</sup> "أي أن هذا التفضيل على علم منه بمن هو أعلى رتبة وبمن دونه وبمن يستحق مزيد الخصوصية بتكثير فضائله وفواضله، وقد اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وجعل عيسى كلمته وروحه، وجعل لسليمان مُلكاً عظيماً، وغفر لحمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر وجعله سيد ولد آدم. وفي هذه الآية دفع لما كان ينكره الكفار مما يحكيه رسول الله ﷺ من ارتفاع درجته عند الله عز وجل".<sup>(٣)</sup>

(١) البقرة / ٢٥٣.

(٢) فتح القدير / ج ١ / ص ٢٦٨.

(٣) المصدر السابق / ج ٣ / ص ٢٣٥.



وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١)

قال الشوكاني (رحمه الله): " فوجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بأن لهم مزيد شرف وفضل لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومن أولي العزم من الرسل وتقديم ذكر نبينا ﷺ مع تأخر زمانه فيه من التشريف له والتعظيم مالا يخفى. (٢)

وقد أظهرت السنة المطهرة فضل محمد ﷺ على جميع الخلق، ومما دل على ذلك ما رواه الترمذي في سننه: قال ﷺ: " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ". (٣)

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: " فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون ". (٤)

وعنه (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأنا أول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع ". (٥)

قال النووي (رحمه الله) في شرحه لهذا الحديث: " قال الهروي: السيد هو الذي يفوق قومه في الخير، وقال غيره: هو الذي يُفزع إليه في النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم، وأما قوله ﷺ: " يوم القيامة ": مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سُؤده لكل أحد ولا يبقى منازع ولا معلند

(١) الشورى / ١٣.

(٢) فتح القدير / ج ٤ / ص ٢٦٤.

(٣) صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي / ج ١٣ / ص ١٠٣، ١٠٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه وأخرجه الترمذي وأحمد والبخاري.

(٥) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الفضائل / باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق.

ونحوه بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من قوله تعالى: ﴿لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك لكن كان في الدنيا من يدعي الملك أو يُضاف إليه مجازاً فانقطع كل ذلك في الآخرة، قال العلماء: وقوله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم" لم يقله فخراً بل صرّح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" وإنما قاله لوجهين: أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾،

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى، وهذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم".<sup>(١)</sup>

والأحاديث التي تشير إلى فضل محمد ﷺ كثيرة جداً وقد أشار العلماء (رحمهم الله تعالى) إلى مضمون ما دلت عليه النصوص في فضل محمد ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "وأفضل أولى العزم محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغطه به الأولون والآخرون وصاحب لواء الحمد وصاحب الحوض المورود وشفيح الخلائق يوم القيامة وصاحب الوسيلة والفضيلة الذي بعثه بأفضل كتبه وشرع له أفضل شرائع دينه وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس. وجمع له ولأمته من الفضائل والحاسن ما فرقه فيمن قبلهم قال ﷺ: "أنا أول من تنشق عنه الأرض" وقال ﷺ: "آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت فأقول أنا محمد فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك".<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح مسلم بشرح النووي / مح ٥ / ج ١٥ / ص ٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى / ج ١١ / ص ١٦١-١٦٢، بتصرف. وانظر مختصر لواعب الأنوار / ص ٤٦٨، ٤٦٩.

وذكر السفاريني (رحمه الله) بعض خصائص النبي محمد ﷺ ومنها ختمه للنبوّة وإثبات المقام المحمود له يوم القيامة وعموم رسالته ومعجزة القرآن ومعجزة الإسراء والمعراج ثم قال: "فكم جباه ربه بمكرمة وكم فضله على غيره بمزية من المزايا التي لا تحصى والمكرّمات التي لا تستقصى، وكم خصه الله سبحانه وتعالى بخصوصية، فقد خص نبيه المصطفى بخصائص كثيرة ومزايا جلييلة غير ما ذكرنا حتى أن ابن سعد ذكر في كتابه شرف المصطفى وأوصل الخصائص إلى ستين وبعض متأخري الحفاظ أوصلها إلى ثلاثمائة وقال بعض الحفاظ الحق عدم حصرها".<sup>(١)</sup>

وقال: "وأفضل العالم العلوي والسفلي من ملك وبشر وجن في الدنيا والآخرة في سلتر خلال الخير وخصائص الكمال ونعوت المكارم والجمال من غير شك ولا ريب نبينا المبعوث رسولاً للفقيرين، وأخرج الترمذي وغيره من حديث ابن عباس (رضي الله تعالى عنهما) قلل: "ما خلق الله وذراً نفساً هي أكرم عليه من محمد ﷺ! ما سمعت أن الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾". قال الإمام ابن عقيل (رحمه الله تعالى): "وأعظم من قوله لموسى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ وبيان ذلك: أنه جعل اللام في قوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ التي هي للملك والاختصاص بينه وبينه ولم يجعل بينه تعالى وبين سيدنا محمد ﷺ واسطة بل قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ. وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ المعنى: أقسم لا بالبلد فإن أقسمت بالبلد فلائك فيه، ثم قال ابن عقيل: يا موسى اخلع نعليك ولا تجيء إلا ماشياً، يا محمد اركب البراق ولا تجيء إلا راكباً، وأخرج الطبراني وصححه وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله تعالى عنه) مرفوعاً: "أتاني جبريل فقال: يقول لك ربك أتدري كيف رفعت لك ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي". قال ابن عباس (رضي الله عنهما): يريد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر، قال: ولو أن عبداً عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافراً، وفيه يقول حسان ابن ثابت شعراً:

أعز عليه للنبوّة خاتم  
 وضع الإله اسم النبي إلى اسمه  
 وشق له من اسمه ليجله  
 من الله مشهود يلوّح ويشهد  
 إذا قال في الخمس المؤذن أشهد  
 فدو العرش محمود وهذا محمد

ومن مزاياه على سائر الأنبياء عليهم السلام أنه تعالى دعاهم بأسمائهم: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ﴾ ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ ودعا نبينا محمداً ﷺ بالتعظيم والتفخيم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ولما ذكر اسمه قرنه بذكر الرسالة فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ﴿وَأَمْنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ ولما ذكر الخليل وسيدنا رسول الله ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ فالنبي المصطفى أفضل الخلق بلا خفاء وبعده هم أولو العزم<sup>(١)</sup>.

وقال حافظ الحكمي (رحمه الله) عند حديثه عن محمد ﷺ: " ( هو ) أفضل الخلق على الإطلاق بلا استثناء قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ قال أئمة التفسير من الصحابة فمن بعدهم: هو محمد ﷺ وقد أخذ الله عز وجل على جميع الرسل الميثاق في الإيمان به ونصرته وبشر به كل نبي قومه وبعث إلى الجن والأنس والأسود والأحمر كافة وأتى في الدنيا من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله . وقد ظهرت فضيلة ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إماماً وعلوه فوق الجميع مقاماً حتى جاور السبع الطبايق إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله عز وجل وأختص ﷺ بأشياء آخر في سماحة شريعته ووضع الآصار عن أمته وكونه أكثرهم تابعاً

وكذلك يبدو فضله في الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع  
وأول من يستفتح باب الجنة وأول من يدخلها من الأمم أمته".<sup>(١)</sup>

## المبحث الثاني

### إثبات المقام المحمود لمحمد ﷺ يوم القيامة المقام المحمود

قررت فيما سبق فضل نبينا محمد ﷺ وذكرت بعض خصائصه، ومن أعظم ما خصه الله به إثبات المقام المحمود له يوم القيامة.

وقد ورد ذكر المقام المحمود في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ودلت بعض أحاديث الشفاعة الثابتة أن المقام المحمود هو الشفاعة العامة في فصل القضاء أو إخراج المذنبين من النار، وبيّنت أحاديث أخرى أنه إعطاء محمد ﷺ لواء الحمد، وقيل هو ثناؤه على ربه وقيل غير ذلك، فما الراجح في المقصود بالمقام المحمود؟ وما هي الأدلة الدالة على ذلك كله إجمالاً؟

هذا ما قصدت تقريره وبيانه ،، والله المستعان.

## النصوص الدالة على إثبات المقام المحمود والمقصود به:

قال الله عز وجل: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا. وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾<sup>(١)</sup>

قال ابن كثير (رحمه الله): " وقوله: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ أي: افعل هذا الذي أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقاما محمودا يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى، قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليرجمهم ربهم من عظم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم، ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار عن صلة بن زفر عن حذيفة قال: يُجمع الناس في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قايما لا تكلم نفس إلا بإذنه ينادي يا محمد فيقول "ليبك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ومنك وإليك لا متجى ولا ملجأ منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت" فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل، ثم رواه عن بندار عن غندر عن شعبة عن أبي إسحاق به، وقال ابن عباس: هذا المقام المحمود مقام الشفاعة، وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الحسن البصري، وقال قتادة: هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأول شافع، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تعالى ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ " .<sup>(٢)</sup>

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): " حدّث العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون أن محمد ﷺ يجلسه ربه على العرش معه وروى ذلك محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في تفسير ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ وذكر ذلك من وجوه أخرى مرفوعة وغير مرفوعة قال ابن جرير: " وهذا ليس مناقضاً لما استفاضت به الأحاديث من أن المقام المحمود هو الشفاعة باتفاق الأئمة من جميع من ينتحل الإسلام ويدعيه ولا يقول أن إجلالسه عل العرش منكرًا وإنما أنكره بعض الجهمية ولا ذكره في تفسير الآية منكر." <sup>(٣)</sup>

(١) الإسرائيليات / ٧٨ - ٧٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٥٥.

(٣) مجموع الفتاوى / ج ٤ / ص ٣٧٤.

وأما من السنة المطهرة فإن الأحاديث الثابتة في المقام المحمود كثيرة وقد ذكرها ابن كثير (رحمه الله) بعد تفسيره للآية السابقة ومن ذلك ما رواه البخاري عن آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر يقول: "إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يعثه الله مقاما محمودا"

قال ابن جرير حدثني محمد بن عبدالله بن عبد الحكم حدثنا شعيب بن الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر أنه قال: سمعت حمزة بن عبدالله بن عمر يقول: سمعت عبدالله بن عمر يقول: "قال رسول الله ﷺ: إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فينماهم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ثم بمحمد ﷺ فيشفع بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيؤمنذ يعثه الله مقاما محمودا".

وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن يحيى بن بكير وعلقمة وزاد: "فيؤمنذ يعثه الله مقاما محمودا بحمده أهل الجمع كلهم". قال البخاري: وحدثنا علي بن عياش عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة" انفرد به دون مسلم، وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ سئل عنها فقال: هي الشفاعة" رواه الإمام أحمد عن وكيع عن محمد بن عبيد عن داود عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قال: "هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه".<sup>(١)</sup>

وروى الترمذي في سننه قول الرسول ﷺ: "أنا أول شافع وأول مشفع وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيدخلنيها الله ومعني فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخريين على ربي ولا فخر".<sup>(٢)</sup>

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ٣ / ص ٥٥.

(٢) صحيح الترمذي بشرح ابن العربي / ج ١٣ / ص ١٠٣.



وأخرج المناوي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقلم غيري".<sup>(١)</sup>

وروى مسلم عن يزيد الفقير قال: كنت قد شغفتني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالساً إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون والله يقول ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ و ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم قال فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام يعني الذي يعينه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ الحمود الذي يخرج الله به من يخرج.. "الحديث"<sup>(٢)</sup>

وقال ابن حجر (رحمه الله) في الأقوال في المقام الحمود: "روى النسائي بإسناد صحيح من حديث حذيفة قال: يجتمع الناس في صعيد واحد فأول مدعو محمد فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك المهدي من هديت عبدك وابن عبدك وبك وإليك ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك تباركت وتعاليت فهذا قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ وصححه الحاكم ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر في الباب لأن هذا الكلام كأنه مقدمة الشفاعة، وروى ابن أبي حاتم أنه بلغه أن المقام الحمود الذي ذكره الله أن النبي ﷺ يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه لمقامه ذلك أهل الجمع ورجاله ثقات لكنه مرسل ومن طريق علي بن الحسين بن علي: أخبرني رجل من أهل العلم أن النبي ﷺ قال: "تمد الأرض من الأديم" الحديث وفيه: "ثم يؤذن لي في لشفاعة فأقول أي رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض قال: فذلك المقام الحمود" ورجاله ثقات وهو صحيح إن كان الرجل صحابياً، وقد تقدم في كتاب الزكاة أن المراد بالمقام الحمود أخذه بملقه باب الجنة وقيل إعطاه لواء الحمد وقيل جلوسه على العرش أخرجه عبد بن حميد وغيره عن مجاهد وقيل شفاعته رابع أربعة"<sup>(٣)</sup>

(١) فيض القدير / ج ٥ / ٢٢٨٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب المقام الحمود.

(٣) الفتح / ج ٨ / ص ٢٥١، ٢٥٢. والمقصود حديث ابن عمر الوارد في الباب هو ما رواه آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر (رضي الله عنهما) يقول: "إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يعنه الله المقام الحمود".

وذكر ذلك وزاده بياناً في موضع آخر فقال: "وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة الحمديّة متواترة ودل عليها قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ والجمهور على أن المراد به الشفاعة وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع وقال الطبري: قال أكثر التلويح المقام المحمود هو الذي يقومه النبي ﷺ ليربّحهم من كرب الموقف ثم أخرج عدة أحاديث في بعضها التصريح بذلك وفي بعضها مطلق الشفاعة".<sup>(١)</sup> ثم قال (رحمه الله): بعد سرده لتلك الأحاديث: "قال الطبري وقال: ليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ يجلسه معه على عرشه ثم أسنده والأول أولى على أن الثاني ليس بمدفوع لا من جهة النقل ولا من جهة النظر والراجح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة لكن الشفاعة التي وردت في الأحاديث المذكورة في المقام المحمود نوعان: الأول: العامة في فصل القضاء والثاني الشفاعة في إخراج المذنبين من النار.

وقال الماوردي في تفسيره: اختلف في المقام المحمود على ثلاثة أقوال فذكر القولين الشفاعة والإجماع، والثالث: إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة، قال القرطبي: هذا لا يغيّر القول الأول، وأثبت غيره رابعاً: وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن أبي هلال أحد صغار التابعين أنه بلغه أن المقام المحمود أن رسول الله ﷺ يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه بمقامه ذلك أهل الجمع، قلت: وخامساً: هو ما اقتضاه حديث حذيفة وهو ثناؤه على ربه ولكنه لا يغيّر الأول أيضاً، وحكى القرطبي سادساً: وهو ما اقتضاه حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد والنسائي والحاكم قال: "يشفع نيبيكم رابع أربعة جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نيبيكم لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه" الحديث، وهذا الحديث لم يُصرح برفعه وقد ضعفه البخاري وقال المشهور قوله ﷺ: "أنا أول شافع" قلت: وعلى تقدير ثبوته فليس في شيء من طرقه التصريح بأنه المقام المحمود مع أنه لا يغيّر حديث الشفاعة في المذنبين، وجوّز الخب الطبري سابعاً: وهو ما اقتضاه حديث كعب ابن مالك الماضي ذكره فقال بعد أن أورده: هذا يشعر بأنه المقام المحمود غير الشفاعة، ثم قال: ويجوز أن تكون الإشارة بقوله: " فأقول " إلى المراجعة في الشفاعة، قلت: وهذا هو الذي يتجه، ويمكن رد الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة فإن إعطاؤه لواء الحمد

وثناؤه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه وقيامه أقرب من جبريل كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه يُقضى بين الخلق وأما شفاعته في إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك".<sup>(١)</sup>

وعلى ذلك: فإن جمع النصوص الصحيحة الواردة في المقصود بالمقام المحمود هو الصحيح إذ لا تعارض بينها، فهو إعطاؤه لواء الحمد وثناؤه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه وقيامه أقرب من جبريل كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه يُقضى بين الخلق، ثم يشفع بعد ذلك للمذنبين، والله أعلم.

## المبحث الثالث

### محمد ﷺ خاتم الأنبياء جميعاً

إن من أعظم ما خص الله به نبينا محمد ﷺ ختمه للأنبياء والمرسلين، ولما لهذه القضية من أهمية عظمى رأيت ضرورة تقريرها وبيان أوجه الجمع بين ما تقرر سابقاً من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وقضية ختم النبوة بمحمد ﷺ،، والله المستعان.

#### معنى الختم والخاتم في اللغة:

قال ابن منظور (رحمه الله): "خَتَمَ خَتْمًا وَخَتَامًا: طبعه، والختم على القلب ألا يفهم شيئاً ولا يخرج من شيء كأنه طُبِعَ. فالختم والطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق أن لا يدخله شيء. والختم المنع، وخاتم كل شيء وخاتمته عاقبته وآخره، واختتمت الشيء نقيض افتتاحته وختام القوم وخاتمهم وخاتمهم آخرهم، ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام أي آخرهم." (١)

وقال الفيروز آبادي (رحمه الله) في معنى قريب من المعنى السابق: "خَتَمَهُ يَخْتِمُهُ خَتْمًا وَخَتَامًا طَبَعَهُ، وختم على قلبه جعله لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء، وختم الشيء ختمًا بلغ آخره، والخاتم من كل شيء عاقبته وآخرته، وآخر القوم كالحاتم (٢)".

(١) لسان العرب / ١٢ - ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) القاموس المحيط / ص ١٤٢٠.

## المسألة الأولى: ختم النبوة في القرآن الكريم:

قد ختم الله النبوة بمحمد ﷺ بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. (١)

قال الطبري (رحمه الله) عند هذه الآية: "خاتم النبيين" الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تُفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة. واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من (خاتم النبيين) بمعنى أنه ختم النبيين، دُكر أن ذلك في قراءة عبدالله: (ولكن نبياً ختم النبيين) فذلك دليل على صحة قراءة من قرأ بكسر التاء بمعنى أنه الذي ختم الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وقرأ ذلك فيمسد يُذكر الحسن وعاصم (خاتم النبيين) بفتح التاء بمعنى أنه آخر النبيين كما قرأ (مختوم). خاتمته مسك) بمعنى آخره من قرأ ذلك كذلك". (٢)

وقال ابن كثير (رحمه الله): "هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريقة الأولى والأخرى. لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا يتعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتوترة عن رسول الله ﷺ (٣)".

قال الشيخ محمد الحضر حسين (رحمه الله): "إن علماء التفسير قد اتفقوا على أن (خاتم) بمعنى (آخر) وهذا المعنى الذي يذكره علماء اللغة ويسوقون من شواهد هذه الآية (٤)".

(١) الأحراب/ ٤٠.

(٢) جامع البيان/ مع ١٢/ ج ٢٢/ ص ٢٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم/ ج ٣/ ص ٤٩٣.

(٤) القاديانية والنهاية / محمد الحضر حسين / ص ٦٢.

## المسألة الثانية: ختم النبوة في السنة النبوية:

أما في السنة المطهرة فقد ورد تقرير ختم النبوة بمحمد ﷺ في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما بروايات مختلفة. ومن ذلك:

ما أخرجه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء"<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري أيضا عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: قال النبي ﷺ: " مثلي ومثل الأنبياء كرجل بني دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون: لولا موضع اللبنة"<sup>(٢)</sup>.

وروى أيضا عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر (رحمه الله) معلقا على روايات البخاري في ختم الأنبياء: " وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين وأن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين"<sup>(٤)</sup>.

وأخرج مسلم في صحيحه أربعة أحاديث في معنى الأحاديث السابقة.

قال النووي (رحمه الله) معلقا على هذا الباب: " فيه فضيلته ﷺ وأنه خاتم النبيين"<sup>(٥)</sup>.

وقال ﷺ: " فضلتُ على الأنبياء بست: أعطيتُ جوامع الكلم، ونصرتُ بالرعب،

وأحلت لي الغنائم، وجُعِلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وختم بي النبيون"<sup>(٦)</sup>.

وقال ﷺ: " إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي"<sup>(٧)</sup>.

(١) رواد البخاري في صحيحه / كتاب المناقب / باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٢) رواد البخاري في صحيحه / كتاب المناقب / باب خاتم النبيين.

(٣) رواه البخاري في صحيحه / كتاب المناقب / باب خاتم النبيين.

(٤) الفتح ج ٦/٦٤٦.

(٥) صحيح مسلم شرح النووي مع ج ٥/١٥ ص ٥١.

(٦) رواه البخاري في صحيحه / كتاب التيمم والصلاة.

(٧) رواد الترمذي في سننه / كتاب الرؤيا / باب ذهاب النبوة، ورواه أحمد في مسنده في مرويات أنس بن مالك.

وروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: "أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحي بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبه وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي"<sup>(١)</sup>.

وغير هذه الأحاديث كثير وفيما تقدم ما يكفي إن شاء الله تعالى في تقرير ذلك، وعلى هذا فإن قضية ختم النبوة بمحمد ﷺ معلومة من الدين بالضرورة ولذا فالإجماع منعقد على أن محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ولا عبرة بالفاسقين المارقين الذين ادعوا النبوة في الماضي البعيد أو القريب من أمثال مسيلمة الكذاب والأسود العنسي والحارث بن سعيد وإسحاق الأخرس وغلाम أحمد القادياني وميرزا حسين علي وميرزا علي محمد مبتدعي البابية"<sup>(٢)</sup>.

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير (رحمه الله): "في رحمة الله تعالى بعباده إرسال محمد ﷺ إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الخفيف له. وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة النبوية المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفك دجال ضال مُضِل (ولو تحرق وشعبد) وأتى بأنواع السحر والطلاسم فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما عُلم لكل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام لطف الله تعالى فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرؤن بالمعروف ولا ينهاون عن منكر إلا على سبيل الإتيان أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة

(١) رواه البخاري ومسلم في الصحيحين/ كتاب الفضائل/ باب أسماء النبي ﷺ من حديث جبير بن مطعم.

(٢) انظر خاتم النبيين / عبد الرحمن فودة/ مجلة لواء الإسلام/ العدد السادس/ص٦٨٩. وانظر القاديانية والبهائية/ص٢٠.

(٣) رواه أبو داود في الفتن(١١/ص٣٢٤- مع عون المعبود). وقال الألبان صحيح (انظر صحيح الجامع الصغير حديث:٧٢٩٥).

والسلام فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويأمرون به وينهون عنه مع يؤيدون به من الخوارج للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات<sup>(١)</sup>.

ومما سبق نخلص إلى:

- (١) ثبوت ختم النبوة بمحمد ﷺ بنصوص القرآن والسنة.
- (٢) أهمية الإيمان بختم النبوة بمحمد ﷺ في العقيدة وسد باب المتنبئين من الكذابين والدجالين.



## المسألة الثالثة: نزول عيسى وقضية ختم النبوة بمحمد ﷺ :

قررت فيما سبق بالأدلة الشرعية الثابتة قضية نزول عيسه عليه السلام وقررت هنا قضية ختم النبوة بمحمد ﷺ بالأدلة الصحيحة الثابتة كذلك، فما هي صفة نزول عيسى عليه السلام؟، وكيف يمكن الجمع بين نزول عيسى عليه السلام وختم النبوة بمحمد ﷺ؟.

إن الجمع بين قضية ختم النبوة بمحمد ﷺ وبين نزول عيسى عليه السلام ممكن بأحد الأقوال الآتية:

الأول: إما أن يُقال أن عيسى عليه السلام مستثنى من الأحاديث التي وردت في عدم مجيء نبي بعد محمد ﷺ، وهذا ما يراه ابن حزم (رحمه الله) في مواضع متفرقة من كتبه<sup>(١)</sup>.

وهذا الرأي صحيح غير أن هناك أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه وإن كان مستثنى من الأحاديث الدالة على عدم مجيء نبي بعد محمد ﷺ إلا أنه عندما يأتي نبياً لا يأتي بشرع جديد، وإنما يأتي حاكماً بشريعة أخيه محمد ﷺ وليس ناسخاً لها. حتى أنه ليصلي مأموماً خلف رجل من أمة محمد ﷺ، ثم إنه ليقاتل اليهود والنصارى ولا يقبل ديناً غير الإسلام، ثم بعد موته يصلي عليه المسلمون كما دل على ذلك الأحاديث الصحيحة المتواترة.

قال عبد القاهر البغدادي (رحمه الله): "فإن قال قائل إذا قلتم بأن محمداً آخر الرسل فملا تقولون في نزول عيسى عليه السلام على أي وجه يكون؟ قلنا: أنه ينزل على نصرة دين الإسلام، فيقتل الدجال والخنزير ويريق الخمر ويحي ما أحياه القرآن ويميت ما أماته القرآن".<sup>(٢)</sup>

وهنا مسألة يحسن التنبيه عليها وهي معنى قوله ﷺ (ويضع الحرب) في رواية البخاري السابقة. وقد نقل ابن حجر (رحمه الله) كلام العلماء في ذلك فقال: "قوله (ويضع الحرب) وفي رواية الكشميهني "الجزية" والمعنى أن الدين يصير واحداً فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية، وقيل معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له فترك

(١) انظر كتاب الدرر فيما يجب اعتقاده/ص ١٧٩-١٨١، ص ٢٠٥-٢٠٦. وانظر الفصل/ج ٢/ص ٢٦٩. وكذلك

ما نقله محمد الخضر حسين عن ابن حزم في القاديبية والبهائية/ص ٤٧.

(٢) أصول الدين/ص ١٥٩-١٦٠ و ص ١٦٢.

الجزية استغناء عنها. وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد يوضع الجزية تقريها على الكفار من غير محاباة، ويكون كثرة المال بسبب ذلك. وتعقبه النووي وقال: الصواب أن عيسى لا يقبل إلا الإسلام. قلت ويؤيده أن عند أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة "وتكون الدعوى واحدة" قال النووي: ومعنى وضع عيسى الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة: أن مشروعتها مقيدة بنزول عيسى لما دل عليه هذا الخبر، وليس عيسى ينسخ لحكم الجزية بل نبينا ﷺ هو المين للنسخ بقوله هذا، قال ابن بطال: وإنما قبلناها قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد، ويحتمل أن يقال: أن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معانيته فيصرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجّتهم و انكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم<sup>(١)</sup>.

الثاني: ما ذكره القاضي عياض (رحمه الله) وغيره من أن عيسى عليه السلام لا ينزل بصفة كونه نبياً أو رسولاً إذ أن رسالته أداها إلى قومه وإنما ينزل بصفة كونه تابعاً للنبي محمد ﷺ وخليفة من خلفائه يقاتل الناس على الإسلام ويحكم في الأمة بالقرآن والسنة كمل نطقت بذلك الأحاديث. ففي المعجم الأوسط والصغير وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعاً: "ألا أن عيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول إلا أنه خيلفتي في أمتي من بعدي..." الحديث، وفي كتاب الفتن لأبي الشيخ عن أبي هريرة مرفوعاً: "وينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ويمكث أربعين عاماً يعمل فيهم بكتاب الله وسنتي ثم يموت..." الحديث.<sup>(٢)</sup>

وهذا القول مرجوح حيث أن صفة النبوة والرسالة باقية لعيسى عليه السلام ويقبل بين المسلمين بهذه الصفة. وذكر الرسول ﷺ لعيسى على أنه خليفة له لا يعني رفع صفة النبوة عنه، بل الأحاديث الأخرى دلت على معنى كونه خليفة له من حيث أنه لا يأتي بشرع جديد وإنما يأتي على ملة أخيه محمد ﷺ.

(١) الفتح / ج ٦ / ص ٥٦٧.

(٢) عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام للغماري / ص ٧٣-٧٤.

الثالث: قال السفاريني (رحمه الله): "أجمعت الأمة على نزوله - أي عيسى عليه السلام - ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وقد انعقد الإجماع على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها".<sup>(٢)</sup>

وقال الغماري (رحمه الله) في هذه القضية: "على أن التعارض مدفوع من أصله فإن المقصود من النصوص الدالة على انقطاع النبوة قطع دابر الكذابين المتبين من هذه الأمة كمسيلمة والأسود العنسي وسجاح وإسحاق الأخرس وكذاب قاديان. والأحاديث ترشد إلى ذلك، ففي الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله"، وفي الصحيح أيضاً عن ثوبان مرفوعاً من حديث طويل: "أنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه نبي، وإني خاتم النبيين ولا نبي بعدي". وعيسى عليه السلام معلوم ضرورة أنه أدى رسالته إلى قومه وأن نزوله لقتل الدجال لا يمس الأحاديث المذكورة وما في معناها من قرب ولا بعد. ولهذا لما أخبر النبي ﷺ عن نزوله وصفته لثلاثا يشتهبه علينا أمره بكذاب، وأمرنا أن نبلغه سلامه".<sup>(١)</sup>

وعلى هذا فإن نزول عيسى عليه السلام في آخر لا يعني نفي ختم النبوة بمحمد ﷺ، فوصف نبينا محمد ﷺ بخاتم الأنبياء وصف ثابت له بنصوص القرآن والسنة لا يجوز العدول عنه مطلقاً، كما أن وصف عيسى عليه السلام بالنبوة أو الرسالة وصف باقٍ، غير أنه عندما ينزل في آخر الزمان لا ينزل بشريعته السابقة كم أنه لا ينزل برسالة أو بشريعة جديدة وإنما ينزل حكماً عادلاً على شريعة أخيه محمد ﷺ حتى أنه ليصلي خلف رجل من المسلمين ويعتمر ويحج ثم يموت فيصلي عليه المسلمون.

(٢) مختصر نواع الأنوار/ ص ٣٥٠.

(٣) عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام/ ص ٧٤.

## الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يلي:

- (١) سعة علم البخاري (رحمه الله) وعظيم فقهه لدين الله واتباعه منهج السلف الصالح.
- (٢) الجامع الصحيح للإمام البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل.
- (٣) ثبوت الفرق بين معنى النبي وبين معنى الرسول بدلالة الكتاب والسنة.
- (٤) تحديد الفرق الدقيق بين معنى النبي ومعنى الرسول أمر يصعب الجزم به.
- (٥) آدم عليه السلام أول الأنبياء على الإطلاق.
- (٦) الوحي إلى غير الأنبياء قد يشترك مع الوحي إلى الأنبياء من حيث المعنى اللغوي.
- (٧) الوحي إلى الأنبياء له معنى شرعي خاص، ويستفاد منه نبوة أو رسالة.
- (٨) الجزم بحصول نبوة في النساء غير صحيح لعدم الدليل.
- (٩) مجموع ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون نبياً ورسولاً.
- (١٠) اعتماد ترتيب معين لجميع الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن والسنة لا سيما أنبياء بني إسرائيل، أمر غير صحيح لعدم ثبوت ذلك.
- (١١) وضوح ترتيب مجيء بعض الأنبياء في نصوص القرآن والسنة: كآدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ثم موسى وزكريا ويحيى وعيسى ثم محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام.
- (١٢) ورد في القرآن الكريم أسماء رجال ذُكروا بخير غير أنه لم يرد التصريح بنبوّتهم ومنهم الخضر وذو القرنين ولقمان عليهم جميعاً السلام.
- (١٣) للأنبياء أصول مشتركة بينهم لم يختلف فيها نبي عن الآخر.
- (١٤) شرائع الأنبياء مختلفة وإن اتفقت عقائدهم.

- (١٥) ثبوت التفاضل بين الأنبياء بدلالة الكتاب والسنة.
- (١٦) للأنبياء صفات بشرية شاركهم فيها غيرهم من البشر.
- (١٧) للأنبياء خصائص خُصُّوا بها عن بقية البشر.
- (١٨) المعجزات آيات وغماذج لقدرة الله الباهرة ودليل من أدلة صدق نبوة النبي.
- (١٩) لبعض الأولياء آيات خارقة قد تشابه معجزات الأنبياء من حيث خرقها للعادة غير أنها أصغر منها.
- (٢٠) كرامات الأولياء من أدلة صدق النبي المتَّبَع وهي امتداد للمعجزات النبوية.
- (٢١) لا تكون الكرامة إلا لمن عظم إخلاصه وعظم اتباعه للنبي المبعوث.
- (٢٢) ابتعاد الفرق المنتسبة إلى الإسلام عن القرآن والسنة وعلومهما المتصلة بهما سبب رئيس في ضلالتهم وتخبطهم بل وتناقضهم في كثير من مسائل العقيدة.
- (٢٣) الأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام معصومون من الكبائر والرذائل ومن كل ما يخل بالمروءة ويقدم في الدين ويخل بوظيفة التبليغ الأساسية.
- (٢٤) إمكانية صدور بعض الذنوب من الأنبياء بدلالة الكتاب والسنة غير أنها:
- أ) لا تنافي عصمتهم لأنها من الصغائر.
- ب) أنها قليلة في حقهم مقارنة بحسناتهم وجميل سيرتهم وصالح أعمالهم.
- ج) أنها لا تخل بالمروءة ولا توقع في أسباب الفسق.
- د) أنها لا تخل بوظيفة التبليغ وأمانة التبشير والإنذار.
- هـ) أنها لا تخرجهم عن صفات النبوة ولا تحرمهم مكانتهم ومثلتهم في نفوس الناس ومحبتهم والافتداء بهم والإتساء بهداهم.
- وهم مع ذلك لا يقرون عليها بل يهديهم الله إلى التوبة النصوح.
- (٢٥) ثبوت الخلة لإبراهيم عليه السلام.
- (٢٦) نفي الشك في قدرة الله عن إبراهيم عليه السلام.
- (٢٧) صدور بعض الكذبات عن إبراهيم عليه السلام لا يقدم في عصمته لأنها من المعارض الجائزة التي بسببها حصلت المصالح العظيمة واندفعت المفاسد الجسيمة.

- (٢٨) إثبات صفة الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله بدلالة الكتاب والسنة.
- (٢٩) خص الله موسى عليه السلام بالتكليم المباشر بلا حجاب ولا واسطة في الدنيا.
- (٣٠) عيسى مخلوق لله كآدم عليه السلام.
- (٣١) ثبوت رفع عيسى عليه السلام وحياته في السماء.
- (٣٢) أن ثبوت نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان مع بقاء صفة النبوة له لا يعني أنه يأتي بشريعته القديمة أو أنه يأتي بشرع جديد، بل إنه يأتي إماماً عدلاً وحكماً بشريعة أخيه محمد ﷺ فيقتل الحزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويصلي خلف رجل من أمة محمد ﷺ .
- (٣٣) المهدي رجل صالح يظهر في آخر الزمان يملأ الأرض خيراً وعدلاً بعد ما مُلئت جوراً بدلالة نصوص السنة الثابتة.
- (٣٤) ترامن ظهور المهدي مع نزول عيسى عليه السلام.
- (٣٥) محمد ﷺ أفضل الخلق أجمعين، فهو حبيب الله وخليته وخاتم أنبيائه ورسوله وصاحب المقام المحمود يوم القيامة.

# الفهارس

وتشمل:

- ١ . فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ . فهرس الأحاديث.
- ٣ . فهرس المصادر والمراجع.
- ٤ . فهرس الموضوعات.

## فهرس الآيات

مرتبة حسب السور

الصفحات	بيانات الآية
	سورة البقرة
٤١	قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ [٣٣]
١٠٥	وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ [١٣٢]
٨١، ٧٩	قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ [١٣٦]
٧٩	أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ [١٤٠]
٤٣	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ [٢١٣]
٤٥٣، ٣٩٣، ١٧٤، ١٤٢	تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ [٢٥٣]
٣٧٨	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى [٢٦٠]
١٩١	كُلَّ أَمْرٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَأُفَرِّقَنَّ [٢٨٥]
	سورة آل عمران
١٣٧	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ [١٩]
١٠٢، ١٠١، ٤١	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ [٣٣]
١١٥	فَضَلَّهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ... فَدَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهِيَ [٣٧-٣٩]
٤٤٢	إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ [٤٥]
٤٣٤	وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْبُوتِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ [٤٦]
٤٢٢	قَالَتْ رَبِّ أَلَيْسَ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ [٤٧]
٤٣٤، ٤٢٦	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَى مَرْيَمَ قِيْلَ وَرَافِعْتَ [٥٥]
٣٧٠، ١٣٧	مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ [٦٧]
٢٠٠	مَا كَانَ لِيُبَشِّرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالشُّوْرَةَ ثُمَّ [٧٩]
١٤٨	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ [٨١]
١٣٧	أَفَعَيِّرُ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي [٨٣]
١٣٧، ٧٩	قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ [٨٤]
١٣٧	وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ [٨٥]
١٩٩	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ [١٤٤]
٤١٧	وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بِلْ أَحْيَاءِ [١٦٩]
	سورة النساء
٣٢٤	إِنْ تَحْتَبُوا كِتَابِيَّ مَا مَثُوهُونَ عَنْهُ يُكْفَرُ عَنْكُمْ سِيبَاتِكُمْ [٣١]
١٧٢	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ [٦٩]
٣٧٢	وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا [١٢٥]



٤٢٨	وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ... بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ [١٨٥-١٥٧]
٤٣٣، ٤٣٠	وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ [١٥٩]
١١٢، ١١١، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ [١٦٣]
٣٩٣، ٢٩٩، ١٨٧، ٧٩	وَرَسُولًا فَذُ قَصَصَاتِهِمْ... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا [١٦٤]
٤٢٣، ٢٢٧، ١١٥	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا [١٧١]
٢٢٧	لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ [١٧٢]

### سورة المائدة

٣٦٨	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالذَّمُّ وَلَحْمُ الْخَيْزُرِ [٣]
٢١٨	وَأَقْبَلُ عَلَيْهِمْ تَبَأًا أَنِّي أَدَمَ... فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ [٢٧-٣٠]
١١٥	وَقَفِينَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا [٤٦]
١٦٤، ١٥٦، ١١٦	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ.. لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ فِرْعَوْنَ وَمِنْهَاجًا [٤٨]
٢٣٠، ١٤١	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ [٧٢]
١٩٨	مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِنَّا رَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ [٧٥]
٢٢٧	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ [٧٧]
٣٦٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ... فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ [٩٠-٩١]
٤٣٤	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ [١١٠]
٦٧، ٥٢	وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي [١١١]
١٩٩	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ... عَلَامَ الْغُيُوبِ [١١٦-١١٧]

### سورة الأنعام

٥٩	وَأَوْحِي إِلَيْ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ [١٩]
٢٥٤، ١٥٦	وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا [٣٤]
٢١٩	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِزْ أَسْتَعِذُّ بِأَلِهَا [٧٤]
١٧٢، ١٠٧، ٩٩	وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ [٨٣]
١٧٢، ١١٢، ١٠١، ٨٠، ٧٠، ٦٩	وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا [٨٤]
١٧٢، ١١٤، ١١٣، ١٠١، ٧٠، ٦٩	وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ [٨٥]
١٧٢، ١١٤، ١١١، ١٠١، ٧٠، ٦٩	وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا [٨٦]
١٦٤	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ آخِرَةُ [٩٠]
١٩٨	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ [٩١]
٥٧	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ [١١٢]
٥٧	وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَاوِمُونَ إِلَى أُولِيَائِهِمْ لِيُحَادِّثُوهُمْ. [١٢١]
١٧٢	اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [١٢٤]
٧٢	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ [١٣٠]
٣٧١	قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا [١٦١]

### سورة الأعراف

١٤١	لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [٥٩]
١٤١	وإلى عاد أخاهم هودًا قال يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [٦٥]
١٤١	وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [٧٣]
١٤١	وإلى مدائن أخاهم شعيبًا قال يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [٨٥]
١٥٦	قال موسى لقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا [١٢٨]
١١٢	وقال موسى لأخيه هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ [١٤٢]
٣٩٣	ولما جاء موسى لِحِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ [١٤٣]
٣٣٩، ٣١٧	ولما رجع موسى إلى قَوْمِهِ غَضَبَانَ أَسِيفًا قال بُسْمًا [١٥٠]
٧٩	وقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْطَاطًا أُمًّا [١٦٠]
٣٠٨	وَأَلُّوا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَلَخَ مِنْهَا [١٧٥]

### سورة الأنفال

٥٤	إذ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ [١٢]
٣٤٢، ٣١٨، ٣٥	مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُفْجِرَ [٦٧]
٣١٨	لَوْ أَنَّا كُنَّا مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَحَدْتُمْ عَذَابَ [٦٨]

### سورة التوبة

٢٣٠	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ... سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٣١-٣٠]
٢٥٤	إِنَّا نَنْصُرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا [٤٠]
١٠٤، ١٠٣	أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ [٧٠]
٢١٩	وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا [١١٤]

### سورة يونس

٣٦٣، ٣٤٧	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخْوَفُ... آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [٦٢-٦٣]
----------	--

### سورة هود

١٤٦	أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدًا [١٧]
١٤٧	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبْتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ [٢٣]
١٤٦	ولَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا... عَذَابَ يَوْمِ الْهَمِيمِ [٢٥-٢٦]
١٤٧	حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا [٤٠]
٢١٩	وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ... وَكَانَ فَكَّانَ مِنَ الْمُعْرِضِينَ [٤٢-٤٣]
١٤٧	تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا [٤٩]
١٤١	وإلى عاد أخاهم هودًا قال يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [٥٠]
١٤٧	وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ [٥٢]
١٤٦	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَنزَلْنَاكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ [٥٧]
١٤٧	ولما جاء أمرنا نجيتنا هودًا والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [٥٨]

	وَأَنى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [٦١]
١٤١	قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ ... عَذَابٌ قَرِيبٌ [٦٣ - ٦٤]
١٤٦	فَلَمَّا حَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ... فِي دِيَارِهِمْ حَامِلِينَ [٦٦-٦٧]
١٤٧	فَلَمَّا رَأَى أَنبِيَهُمْ لَّا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ [٧٠]
٣٣٨، ١٠٤	وَأَمْرًا لَهُ قَائِمَةٌ فَصَجَّكَتْ فَجَسَّرْتَاهَا بِإِسْحَاقَ [٧١]
١٠٥	فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ... وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ [٧٤-٧٧]
١٠٤	وَأَلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [٨٤]
١٤١	قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا [٨٧]
٢١١	وَيَا قَوْمِ لَّا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ [٨٩]
١٤٦، ١٠٦	وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَاتِبَكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوِّفَ [٩٣]
١٤٦	وَلَمَّا حَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ [٩٤]
١٤٧	

### سورة يوسف

٢٤٢، ١٠٦	إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا [٤]
٢٤٢، ١٠٦	قَالَ يَا بُنَيَّ لَّا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِيْحَتِيكَ فَيَكِيدُوا لَكَ [٥]
٢٤٢	وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رِبِّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ... [٦]
٢٢٠	لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِيْحَتِيهِ ... إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ [٧-١٠]
٥٣	وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَنُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ [١٥]
٢٢٠	قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقُ وَنَبْرُكُنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا [١٧]
١٥٦	قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ حَسِيلٌ [١٨]
٢٢١	وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ .. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَّا يَعْلَمُونَ [١٩-٢١]
٢٢١	وَرَأَوْدَهُ النَّبِيَّ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ [٢٣]
٢١٠	كَذَلِكَ يَنْصُرُفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا [٢٤]
٢٢١	ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُهُ حَتَّى جِيئَ [٣٥]
٣٧٠، ١٠٦	وَأَتَّبَعَتْ مَلَآةَ آتَانِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ [٣٨]
٢٢٠	وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَيَّ يُوسُفَ وَابْتِضَّتْ عَيْنَاهُ ...
١٥٦	إِنَّهُ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَأُضْيِعُ آخِرَ الْمُحْسِنِينَ
٢٤٢	فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيَّ يُوسُفَ ... قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا [٩٩-١٠٠]
٦٣	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ [١٠٩]
٢٥٤	حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا [١١٠]
	سورة الرعد
١٩٨	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ...

سورة إبراهيم

- ۱۰۳، ۸۸ اَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُوْدَ [۹]  
 ۱۹۸ قَالُوْا اِنَّ اَنْتُمْ اِلَّا بَشَرٌ... فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ [۱۰ - ۱۱]  
 ۱۰۰ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ وَهَبَ لِيْ عَلٰى الْكَبِيْرِ اِسْمَاعِيْلَ وَاِسْحٰقَ [۳۹]

سورة النحل

- ۲۱۰ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوْحِ مِنْ اَمْرِهٖ عَلٰى مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ [۲]  
 ۶۳ وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ اِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَاَسْأَلُوْا [۴۳]  
 ۵۶ وَاَوْحٰى رَبُّكَ اِلَى النَّحْلِ اَنْ اَتِجِدِيْ مِنَ الْجِبَالِ [۶۸]  
 ۳۷۱ ثُمَّ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ اَنْ اَتَّبِعْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيفًا [۱۲۳]

سورة الإسراء

- ۲۷۱ سُبْحٰنَ الَّذِيْ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [۱]  
 ۱۷۴ وَرَبُّكَ اَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا [۵۵]  
 ۴۶۰ اَقْرَبَ الصَّلٰةِ لِدَوْلِكَ... اَنْ يَبْعَثَ لِقَامًا مَّحْمُوْدًا [۷۸-۷۹]  
 ۱۹۸ قُلْ سُبْحٰنَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ اِلَّا بَشَرًا رَّسُوْلًا [۹۳]  
 ۱۹۸ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ اَنْ يُؤْمِنُوْا اِذْ جَاءَهُمُ الْهُدٰى اِلَّا اَنْ قَالُوْا [۹۴]

سورة الكهف

- ۴ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهٖ الْكِتٰبَ  
 ۳۲۴ وَيَقْرُوْنَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هٰذَا الْكِتٰبِ لَا يُغَادِرُ صَعِيْرَةً وَّلَا [۹]  
 ۹۰ وَتَرٰى السَّمْسَ اِذَا طَلَعَتْ تَرٰوْرُ عَنْ كَهْفِهِمْ  
 ۱۲۰، ۱۱۹ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا اٰتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا [۶۵]  
 ۱۲۱ قَالِ لَهٗ مُوسٰى هَلْ اَتَيْتَكَ... اُحْدِثْ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا [۶۶-۷۰]  
 ۳۳۹ قَالِ اَلَمْ اَقُلْ لَكَ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبِيْرًا [۷۵]  
 ۳۳۹، ۱۲۱ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ اَمْرِيْ ذٰلِكَ تَأْوِيْلُ مَا لَمْ تَسْتَطِيْعْ عَلَيْهِ صَبْرًا [۸۲]  
 ۱۲۷ وَيَسْأَلُوْنَكَ عَنْ ذِي الْقُرْبَيْنِ قُلْ سَأَلُوْا عَلَيْهِمْ [۸۳]  
 ۱۲۶ قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْبَيْنِ اِمَّا اَنْ نُعَذِّبَ وَاِمَّا اَنْ نَنْجِيْهُم مِّنْ حُسْنٰا [۸۶]  
 ۴۱۳ وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَحَسَبْتَهُمْ جَمْعًا [۹۹]  
 ۱۹۸ اِنَّمَا اَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحٰى اِلَيَّ اِنَّمَا اِنهٰكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ [۱۱۰]

سورة مريم

- ۵۸ فَخَرَجَ عَلٰى قَوْمِهٖ مِنَ الْمِحْرَابِ فَاَوْحٰى اِلَيْهِمْ اَنْ سَبِّحُوْا [۱۱]  
 ۱۰۰ فَلَمَّا اعْتَرَجْتُهُمْ وَمَا يَعْْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ [۴۹]  
 ۱۱۱ وَاِذْ كُرِّ فِي الْكِتٰبِ... اَسْمَاءُ هٰرُوْنَ نَبِيًّا [۵۱ - ۵۳]  
 ۴۶ وَاِذْ كُرِّ فِي الْكِتٰبِ اِدْرِيسَ... وَرَفَعْنَاهُ مَكَاَنًا عَلِيًّا [۵۶-۵۷]  
 ۵۸ اَوَّلِيْنَكَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّْنَ مِنْ ذُرِّيَةِ اٰدَمَ [۵۸]

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ [٦٥]

٢١١

### سورة طه

١٩٩

قَالَ هِيَ غَصَايَ أَنُوكَمَا عَلَّمَنَا وَأَلْهَمْنَا بِهَا عَلَى عَنِّي [١٨]  
وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي... وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي [٣٢-٢٩]

١١١

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ [٣٨]

٥٣

إِنَّمَا أَنبِئُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا [٩٨]

١٤١

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا [١٠٢]

٤١٣

وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا [١١٥]

٣٣٩

وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ... فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ [١٢١-١٢٢]

٣١٧

### سورة الأنبياء

١٩٧، ٦٣

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ [٧]

١٩٧

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ حَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ [٨]

١٣٤

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي [٢٥]

٣٨٧

قَالُوا أَأَلَّتْ فَعَلْتَ هَذَا.. إِنْ كَانُوا يَتَّقُونَ [٦٢ - ٦٣]

١٠٥

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً [٧٢]

٢١١، ١٧٢

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ [٧٣]

١٩٩

وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ كَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخَصِّصَ لَكُمْ مِنْ تَابِعِكُمْ [٨٠]

٢٢١

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ [٨٣]

١٥٥، ١٠٩، ٩٩، ٩٧

وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ [٨٥]

٣١٧

وَذَا الشُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُعَاضِيًا فَطَنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ [٨٧]

١٣٤

إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ [٩٢]

### سورة الحج

٢٩٦

وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ [١٨]

١٠٦

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودُ [٤٢]

٣٣٤، ٣٣٧، ٣٦٣، ٣٠٤، ٢٨

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى [٥٢]

١٧٢

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ النَّاسِ [٧٥]

### سورة المؤمنون

٤٢

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [٢٣]

١٩٩

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ... إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ [٣٣-٣٤]

٤١٣

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ [١٠١]

### سورة الفرقان

٣٥

وَكَذَّبْتَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ [٣١]

٨٨

وَعَادًا وَتَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ [٣٨]

سورة الشعراء

- ١٩٩ وَالَّذِي هُوَ يُضْعِفُنِي... يُبَيِّنُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ [٧٩-٨١]
- ١٤٦ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَحُوهُمُ نُوحٌ... إِنَّ أَنَا إِنَّا تَلْوِينُ مَبِينٌ [١٠٦-١١٥]

سورة النمل

- ٣١٧ إِنِّي لَأَخَافُ لَذِي الْمُرْسَلُونَ... فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ [١٠-١١]
- ١١٢ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ [١٦]
- ٢١٠ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى [٥٩]
- ٣٠٨ أَمْنٌ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْثِفُ السُّوءَ [٦٢]
- ٤١٣ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَرِجٌ مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي [٨٧]

سورة القصص

- ٥٣ وَأَرْحَمْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضَعِيهِ [٧]
- ٣١٧ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ [١٧]

سورة العنكبوت

- ٢١٩، ١٥٥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ [١٤]
- ١٠٤ فَأَمِنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي [٢٦]
- ١٠٧، ١٠٥ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ [٢٧]
- ١٠٥ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ... كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ [٣١-٣٣]
- ٣٠٨ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [٦٥]

سورة لقمان

- ١٢٩ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ [١٢]

سورة الأحزاب

- ١٠٤، ٤٢ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ [٧]
- ٤٦٦، ١١٦، ٢٩ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ [٤٠]

سورة سبأ

- ٢١١ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ [١٣]
- ١١٦ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا [٢٨]

سورة يس

- ٤١٣ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَحْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَسْئَلُونَ [٥١]

سورة الصافات

- ٢١٠ إِنَّا كَذَّبْنَا نَحْرِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [٨٠-٨١]
- ٣٨٦ فَتَطَّرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ. فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ [٨٨ - ٨٩]
- ٢٢٠ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. [١٠٠]
- ٢٢٠ فَتَسْرَتَاهُ بِعُلَامٍ حَلِيمٍ. [١٠١]

٢٤١،٢٢٠،١٥٦	فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ... مِنَ الصَّابِرِينَ. [١٠٢]
٢٤١،٢٢٠	فَلَمَّا أَسْلَمْنَا وَكُنَّا لِلْحَيِّينَ ... الْبِلَاءَ الْمُؤِمِّنِينَ [١٠٣-١٠٦]
٢١٠	كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [١١٠-١١١]
٢١٠	إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي ... إِيَّاهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [١٢١-١٢٢]
١١٣	وَإِنِ الْيَأْسَ لَعَنِ الْمُرْسَلِينَ [١٢٣]
٢١٠	إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي ... إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [١٣١-١٣٢]
٣٥٤،٢١٠	وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ... وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ [١٧١-١٧٣]

### سورة ص

٣٤١،٣١٧	وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِصِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. [٢١]
٣٤١	إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَرَّعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ [٢٢]
٣٤١	إِن هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً وَّلِي نِعْمَةٌ وَاحِدَةٌ [٢٣]
٣٤١،٣١٧،٢١١	قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تِعَاجِهِ [٢٤]
٣١٨	فَعَقَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ [٢٥]
١١٢	وَرَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ [٣٠]
٣١٨	إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَظِيِّ الصَّافِيَاتِ ... ثُمَّ أَنَابَ [٣١-٣٤]
٣٤١،٢٢٢١	وَأَذْكَرَ عَبْدًا أَيْوَبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ [٤١]
٣٤٢	أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ [٤٢]
١٥٥	إِنَّا وَجَدْنَا صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ [٤٤]
١١٤،١٠٩،٧٧	وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ [٤٨]
١٤١	قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [٦٥]

### سورة الزمر

١٩٩	إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [٣٠]
٤١٣	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ [٦٨]

### سورة غافر

١١٢،١٠٦	وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ [٣٤]
٣٥٤،١٤٧	إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا [٥١]
٣١٨	فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ [٥٥]
٨٨	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَضَيْنَا عَلَيْكَ [٧٨]

### سورة فصلت

٥٥	فَقَضَاهُنَّ سِنْعَ سَمَآتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ [١٢]
١٣٤	مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ [٤٣]

### سورة الشورى

٨٨	حم. عسق. كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ [٣-١]
----	---

٤٥٤١٧٨٤١٦٤٤١٣٥	فَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وُصِيَ بِهِ نُوْحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
٣٢٤	وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَارَ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشَ [٣٧]
٣٩٣.٢٤٤١٩٧٤١٤٧٠٥٩	وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلَا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ [٥١]
	<b>سورة الزخرف</b>
٣٥	وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
١٤١	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي... إِلَا الَّذِي فَطَرَنِي [٢٦-٢٧]
٤٣٥	وَإِنَّهُ لَعَلَّمَكُمُ اللَّسَانَ فَلَمَّا تَمَثَّرْنَ بِهَا وَاتَّبَعُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
	<b>سورة الدخان</b>
٤١٧	لَا يَذُرُّونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى [٥٦]
	<b>سورة الأحقاف</b>
١١٦	يَا قَوْمِنَا أَحْبَبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَأَمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ [٣١]
١٥٦٠٨٣	فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ [٣٥]
	<b>سورة محمد</b>
٣١٨	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ [١٩]
	<b>سورة الفتح</b>
٣١٨	إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ [٢-١]
	<b>سورة النجم</b>
٢٧٢	أَفْصَحَ رُوحَهُ عَلَيَّ مَا يَرَى... آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى [١٢-١٨]
٣٢٤	الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَارَ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّئِمَةَ [٣٢]
	<b>سورة القمر</b>
٢٥٤	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ... فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ [٩-١٦]
١٩٨	فَقَالُوا أَنْبَشْرًا مِثًا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ [٢٤]
٣٢٤	وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ [٥٣]
	<b>سورة الحديد</b>
١١٧٠١٠٧٠١٠٤	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ [٢٦]
١١٥	ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ [٢٧]
	<b>سورة المتحة</b>
٣٧١	فَدَكَانَتْ لَكُمْ أَسْرَةً حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ [٤]
	<b>سورة الصف</b>
١١٧٠١١٥	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ [٦]
١٩٨	ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرٌ [٦]



	سورة التحريم
٢١٩	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا [١٠]
	سورة القلم
٣١٧	فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ... كَلِيدًا بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ [٤٨-٤٩]
	سورة الحاقة
٢٥٤	فَأَمَّا نَمُودُ فَأَهْلِكُومَا بِالطَّاغِيَةِ [٥]
٢٥٥	وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُومَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ [٦]
	سورة نوح
٢١٩، ١٥٥	قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ ... وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا [٥-٩]
	سورة النبا
٤١٣	يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ مَنَادٌ فَأَنبَأَ [١٨]
	سورة عبس
٣٤٢، ٣١٨	عَبَسَ وَتَوَلَّى... فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى [١-١٠]
	سورة الفجر
٢٩٦	فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ [١٥]
	سورة الزلزلة
٥٥	يَوْمَئِذٍ نَحْدَثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا [٤-٥]

## فهرس الأحاديث

مرتبة هجائياً

### الصفحات

### طرف الحديث

٤٤٩	أبشركم بالمهدي يعث في أمي
٤٥٧	أتاني جبريل فقال: يقول ربك أتدري كيف رفعت لك ذكرك
١٧٧	آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟
٢٥٢، ٢٤٧	أتيت موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر
٢٠١	أحل لي أوعك كما يوعك رحلان منكم
٢١٢	أحب الصيام إلى الله صيام داود
١١٥	إذا آمن الرجل بعيسى ثم آمن بي فله أجران
٣٩	إذا أويت إلى مضجعك فتوضأ
٢٤٤	إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن
٤٤٧	إذا بعث الله عيسى بن مريم
٢٤٣	إذا رأى أحدكم رؤيا نبيها
٣١٩، ٢٥٣، ٢٤٦	أرسل ملك الموت إلى موسى
٢٢٣	أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون
٢١٣	أفلا أكون عبداً شكوراً
١٤٤	ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال
١٥٤	ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة
٢١٢	ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار
٣٧٠	أما خم أن سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيت فيه صورة
٢٢٣	إن أبي وأباك في النار
٢٢٣	إن أمي وأمك في النار
٢٢٣	إن أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح
٤٦٧، ٢٩	إن الرسالة والنسوة قد انقطعت
٤٦١	إن الشمس لتندنو حتى يبلغ العرف
٤٠٨	إن الله إذا تكلم بالوحي
١٥٣	إن الله عز و جل حيي ستر
٢٥١	إن الله عز و جل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء
٣٨٥	إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين
١٦٩	أن النبي ﷺ لما قرأ: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا ﴾
٢١٤	إن خير دينكم أيسره

١٥٣	إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريمة
٧٧،٤١	أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟
٥٩	إن روح القدس نفث في روعي
٣٨٦	إن في المعارض لمنذوحة عن الكذب
٤٦٧	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بلا بيتاً
١٥٢	إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى
٢٥١	إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة
٣٠٠	إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره
١٥١	إن موسى كان رجلاً حياً سترأ
٢١٢	إنأ أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق
٣٢	أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة
٣٢	أنا أول الناس يشفع
٤٦١،١٧٦	أنا أول شافع وأول مشفع
٣٢	أنا أول شفع في الجنة
٤٦١،١٧٧،١٧٦	أنا أول من تنشق عنه الأرض
٤٣٩،١٦٢،١٣٨،١١٦	أنا أول الناس بعيسى ابن مريم
٢١٢	أنا أولى بمحسى منهم
٤٥٤،١٨٦	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأنا أول من ينشق عنه القبر
٤٥٤،١٧٦	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر
٤٦٨	أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي
١٣٦	إنأ معاشر الأنبياء ديننا واحد
١٣٦	إنأ معاشر الأنبياء ديننا واحد
٢٠٢	الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل
٢١٤	أنت الذي تقول والله لأصوم من النهار ولأقوم من الليل
٢١٥	أنتم الذين قلتم كذا وكذا
٢٠١	إنأ أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من أمور
٢٠١	إنأ أنا بشر أرضى كما يرضى البشر
٣٤٠	إنأ أنا بشر أنسى كما تنسون فذكروني
٣٤٢،٢٠٠	إنأ أنا بشر وإنه ليأتيني الحصم
٢٠١	إنأ أنا بشر وإن اشترطت على ربي
٢٠٠	إنه لو حدث في الصلاة شيء لسألتكم به
٣٧٥،٢٣٢	إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل
١٤٤	إني أنذركموه وما من نبي إلا أنذر قوموه

٣٥٠	إني جعل الإمام ليؤتم به
٤٥٠	الآيات خرزات منظومات
٢٣١	أيها الناس إياكم والعلو في الدين
٢٢٨	أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهريكم الشيطان
٤٤٤٤١	اتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض
٢٢٣	استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي
١٨٥	استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود
٨٩	بعث الله أربعة آلاف نبي
٢١٣	بل أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد
١٦٩	بُني الإسلام على خمس
٢٤٣	بينما أنا نائم أتيت خزائن الأرض
٢٤٢	بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين
١٨٢	بينما يهودي يعرض سلعته
٢٩٠	بيننا ثلاثة نفر ممن كان قبلكم
٢٣٩	تمام عيني ولا ينام قلبي
١٥١	الحياء شعبة من الإيمان
١٥٢	الحياء والتعطر والسواك والنكاح من سنن المرسلين
٢١٢٠٢٠٢	خفف على داود عليه السلام القرآن
٢١٦	خير الناس قرني
٢٢٤٠٢٠١	دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك
٣٥١	الدين النصيحة
٢٤١	رؤيا الأنبياء في المنام وحي
٢٤٤	الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ست وأربعين
٢٤٤	الرؤيا الصادقة من الله
٢٨٤	رأيت ربي تبارك وتعالى
٤٥٤٤٤	سئل عن آدم أنني مرسل؟ قال: نعم نبي مكلم
١٥٢	صعد موسى وهارون الجبل
٣٢٥	الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة
٣٢	عُرِضت عليّ الأمم
٣٤	العلماء ورثة الأنبياء
٢٠٢	عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه
٢١٦	عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
٢٧٣	فُرح عن سقف بيتي وأنا بمكة

- ١١٥ فرمرت بابني أخالة يحيى وعيسى  
 ٢٣٢ قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد  
 ٣٧٠ قاتلهم الله لقد علموا أنما لم يستقسما بالأزلام أبداً  
 ٣٧٠ قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط  
 ٣١٩ قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة  
 ١٥٧ قد أودى موسى بأكثر من ذلك فصر  
 ٦٢ قد كان في الأمم قبلكم مُحدّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم  
 ١٥٧ قسم النبي ﷺ قسمه كعصم ما كان يقسم  
 ١٥٧ كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي نبي من الأنبياء ضربه قومه  
 ١٥٣ كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيته كاشفاً عن فخذه  
 ١٥٢ كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء  
 ٢٩١ كان رجل من بني إسرائيل يُقال له حريج  
 ٢٩٢ كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر  
 ٣٤١ كانت امرأتان معهما ابناهما  
 ٤٦٧ كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء  
 ١٠٦ الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف  
 ٢٩،٦٦ كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا  
 ١٥٧ كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نحري فأدركه أعرابي  
 ٤٤٦،٤٤٥ كيف أنتم إذا نزل فيكم وإمامكم منكم  
 ١٢٨،١٢٧ لا أدري أتبع كان لعيناً أم لا  
 ١٢٧ لا أدري ذا القرنين كان نبياً أم لا  
 ٢٢٢ لا تكي يا بنية فإن الله مانع أباك  
 ٢٤٤ لا تغرب بتلعب الشيطان بك في المنام  
 ٢٠٢ لا تخيروا بين الأنبياء  
 ١٨٣ لا تخيروني على موسى  
 ٣٥٤ لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم  
 ٤٤١ لا تذهب الساعة أو لا تنقضي الدنيا  
 ٤٤٦،٤٣٧ لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق  
 ٢١٤ لا تسمعه فتهلكه  
 ١٣٩ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم  
 ٢٢٨،٢١٣،٢٠٩،٢٢٢ لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى  
 ١٨٨ لا تفضلوا بين أنبياء الله

	لا تفضلوا بين أولياء الله
١٨٢	لا تفضلوا بين الأنبياء
١٨٧، ١٨٣	لا تفضلوني على الأنبياء
١٨٥، ١٨٣	لا تفضلوني على موسى
١٨٧، ١٨٦، ١٨٣	لا تفضلوني على يونس
١٧٨	لا تقوم الساعة حتى يتزل الروم بالأعماق
٤٤٥	لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل
٢١٣	لا قولنا أحدكم إني خير من يونس
١٨٢	لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس
١٨٧	لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس
١٨٩، ١٨٢	لعن الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
٢٣٢	لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
٢٣٢	لقد رأيتني في الحجر وأنا أخير قریشاً
٢٤٧	لم أنس و لم تقصر
٣٤٠	لم يبق من النبوة إلا المبشرات
٢٤٤	لم يبق بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة
٣٠٠	لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخير
٢٥٣	لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاثاً
٣٨٥	لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات
٢٨٦، ٣٨٥	لم يكن نبي بعد نوح إلا أنذر قومه الدجال
١٤٤	لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح
٣٣٩	لن يُقر نبي إلا حيث يموت
٢٤٦	لن يبلغ الدرجات من تكهن أو استقسام
٣٧٠	لن ينجي أحد منكم عمله
٢١٣	اللهم إني أتخذ عندك عهد لن تخلفنيه
٢٠١	اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد
٢٣٣	لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر
٣٧٥	لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذته خليلاً
٣٧٥	ما تركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به
٩١	ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي
٢٥١، ٢٤٨	ما ينبغي لأحد أن يقول أنا عند الله خير من يونس
١٩٠، ١٨٩، ١٥٢	ما ينبغي لعبد أن يقول إنا خير من يونس
١٨٣	ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس
١٩٠، ١٨٢	ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس

٤٦٧	منلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنا داراً
٤٧	مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح
٤٧	مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح
٤١٢،٢٣٢،٢١٢	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
٣٤٧	من عاد لي ولياً فقد بارزني
١٩٠،١٨٧	من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب
٤٦١	من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة
٤٤٦	منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه
٤٤١	المهدي من عترتي من ولد فاطمة
٤٤١	المهدي مني أحلى الجبهة
١٨٢	الناس يصعقون يوم القيامة
٣٨٠،١٥٧	نحن أحق بالشك من إبراهيم
١٦٠	نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات
٢٥٥	نصرت بالرعب وأهلكت عاد بالدبور
٢٩	نعم نبي مكلّم
٢٨٣	نور أن أراه
١٧٢	هذان سيदा كهيول أهل الجنة
٤٣٦	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم
٣٧٥	والله إني لأحسب
٤٣٧	والله لينزل عيسى بن مريم حكماً عادلاً وليضعن الجزية
٩٣	ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد
٤٠،٣٩،٣٧	ونبيك الذي أرسلت
٢٠٢	وهل من نبي إلا قد رعاها
٣٥١	يا أبا بكر ما معك إذا أمأت
٨٤	يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد
٢٣٩	يا عائشة إن عيني تامان ولا ينام قلبي
٤٤٤،٤٢	يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض
١٥٣	يخضع المؤمنون يوم القيامة
٤٤٧	يخرج الدحان في خفقة من الدين
٤٤١	يخرج في آخر أمي المهدي
٤٤٩	ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير
٤٤١	يوأطن اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي

## فهرس المصادر والمراجع

مرتبة هجائياً

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) ابن حزم الأندلسي ومنهجه في إثبات نوة النبي محمد ﷺ / للباحث علي بن جابر بن يحيى مفرح / رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض / كلية أصول الدين / للعام الجامعي ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م غير مطبوعة.
- (٣) الإلتقان / حلال الدين عبد الرحمن السيوطي / شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر / الطبعة الرابعة / ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- (٤) أحاديث العقيدة في مسند الإمام أحمد : أحاديث أشرطة الساعة الصغرى والكبرى / إعداد خالد بن ناصر سعيد الغامدي / رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض / كلية أصول الدين / للعام الجامعي ١٤١٧هـ غير مطبوعة.
- (٥) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان / ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي / قدم له وضبط نصه: كمال يوسف الخوت / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٦) الارتباط الزمني والعائلي بين الأنبياء والرسل / الدكتور الخاج محمد وصفي / عناية: بسام عبد الوهاب الخاسي / دار ابن حزم للطباعة والنشر / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٧) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات / للإمام محمد بن علي الشوكاني / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (٨) أشرطة الساعة / يوسف بن عبدالله بن يوسف الوائلي / دار ابن الجوزي / المملكة العربية السعودية / الطبعة الثامنة / محرر ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٩) أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة / د. ناصر بن عبدالله القفاري / دار الوطن / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ.
- (١٠) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد / تأليف الدكتور: ناصر عبدالله القفاري / الطبعة الثانية / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (١١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين بن محمد المختار الحكي الشقيقطي / حرج آياته وأحاديثه الشيخ أحمد عبد العزيز الخالدي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (١٢) أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام / للشيخ محمد أمان بن علي الجمالي / المكتب الإسلامي / الطبعة الثالثة / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (١٣) أعلام السنة المنشورة / لشيخ حافظ بن أحمد الحكمي حققه وخرج أحاديثه : شميم أحمد خليل السلفي / طباعة مطبعة المديني / مصر / توزيع مكتبة الأفقي / الرحة / قطر.
- (١٤) إعلم المسلمين بعصمة النبيين / للعلامة الشيخ إسحاق بن عقبل عزوز المكلي / دار ابن حزم / الطبعة الأولى / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.



- (١٥) أعلام النبوة / أبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي / نشر دار الباز / مكة المكرمة، دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- (١٦) الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين / تأليف خير الدين الزركلي / دار العلم للملايين / الطبعة الثالثة.
- (١٧) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم / للشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية / تحقيق وتعليق: الدكتور ناصر عبد الكريم العقل / الطبعة الأولى / ١٤٠٤هـ .
- (١٨) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطف / محمد بن إسماعيل الصنعاني البجلي / تحقيق: مجموعة من طلاب العلم، وأشرف على تحقيقه وراجعاه: حسن بن علي بن حسين العواجي / الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (١٩) الإمام البخاري إمام الحفاظ واخدين / للدكتور: تقي الدين الندوي المظاهري / دار القلم / دمشق / الطبعة الثالثة / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٢٠) أنوار التنزيل وأسرار التأويل / ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي / مطبعة مصطفى البياتي الحلبي / مصر / الطبعة الثانية / ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- (٢١) الإيمان بالأنبياء مجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم / للشيخ عبدالله بن زيد آل محمود / رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية / قطر / الطبعة الثانية / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- (٢٢) الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام / بقلم فضيلة الأستاذ: أحمد عز الدين البانوي / دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- (٢٣) الإيمان: أركانه - حقيقته - نواقضه / الدكتور محمد نعيم ياسين / الطبعة الرابعة .
- (٢٤) البداية والنهاية / أبي الفداء الخافظ ابن كثير القرشي الدمشقي / دقق أصوله وحققه: الدكتور أحمد أبو ملحهم ، والدكتور علي نجيب عطري و الأستاذ فؤاد السيد والأستاذ مهدي ناصر الدين والأستاذ علي عبد المساطر / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٢٥) البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / دار المعرفة / بيروت / لبنان.
- (٢٦) تاريخ بغداد أو (مدينة السلام) / للإمام الخافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي / دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٢٧) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية / للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي / تصحيح وتعليق: الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود / دار الوطن / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ.
- (٢٨) تراجم البخاري / للقاظمي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة / دراسة وتحقيق: علي بن عبدالله الزين / الطبعة الأولى / ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- (٢٩) تفسير القرآن الحكيم / للإمام محمد رشيد رضا / دار الفكر / الطبعة الثانية .
- (٣٠) تفسير القرآن العظيم / للحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي / دار المعرفة / بيروت / لبنان / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

- (٣١) تقريب التهذيب/ للمحافظ ابن حجر العسقلاني / تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف/ دار المعرفة/ بيروت / لبنان / الطبعة الأولى/ ١٣٩٥هـ.
- (٣٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة/ تأليف أحمد محمد لوح/ دار الحجر للنشر والتوزيع/ المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- (٣٣) توجيه القاري إلى القواعد والفوائد الأصولية والحديثية والإسنادية في فتح الباري/ جمعه ورثته: حافظ ثناء الله الزاهدي/ توزيع حديث أكاديمي/ فيصل آباد / باكستان / الطبعة الأولى/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (٣٤) تيسر العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد/ تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب/ الكتب الإسلامي / بيروت/ لبنان/ الطبعة الثامنة/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٣٥) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي / تقدم الشيخ عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل وفضيلة الشيخ محمد الصالح العنمين / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان / الطبع السادسة/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٣٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن / للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / قدم له الشيخ خليل الميس / ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- (٣٧) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح/ لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ مطابع المحمد التجارية.
- (٣٨) الجواب الكافي لمن سأل الدواء الشافي أو (الدواء والدواء) / للإمام ابن قيم الجوزية/ نسخة مشتملة على آراء علماء السنة والحفاظ، ابن حجر، والعراقي، والألباني/ إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز/ مكتبة نزار مصطفى الباز / مكة المكرمة، الرياض.
- (٣٩) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف / إعداد: الدكتور عبدالعزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان / مكتبة العبيكان / الرياض/ الطبعة الأولى/ بإشراف المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٤٠) حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم / للمحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي/ حققه وعلق عليه: الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة/ المملكة العربية السعودية/ الطبعة الأولى/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- (٤١) حياة البخاري/ تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي/ تحقيق محمود الأرنؤوط/ دار الفنايس.
- (٤٢) ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة / للإمام أبو الأعلى المودودي مكتبة الرشد / الرياض / المملكة العربية السعودية / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٤٣) الخضر بين الواقع والتهويل/ محمد خير رمضان يوسف/ دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت/ الطبعة الثامنة/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (٤٤) الخطابي ومنهجه في العقيدة/ بقلم أبي عبد الرحمن الحسن بن عبد الرحمن العلوي / تقدم الشيخ حماد الأنصاري/ دار الرض / الرياض/ الطبعة الأولى / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٤٥) خوارق العادات في القرآن الكريم / عبد الرحمن إبراهيم الحميضي / شركة ومكتبة عكاظ للنشر والتوزيع/ المملكة العربية السعودية/ الطبعة الأولى/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- (٤٦) دراسات في التصوف / تأليف إحسان الهي ظهر/قدم له فضيلة الشيخ: صالح بن محمد اللحيان / الناشر إدارة ترجمان السنة / لاهور / باكستان / الطبعة الأولى/١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- (٤٧) دراسات في البوّة والرسالة / الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر/ مكتبة المعارف/ الرياض/ الطبعة الأولى / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (٤٨) دعوة التوحيد أصولها - الأدوار التي مرت بها- مشاهير دعاة / لفضيلة الدكتور عماد خليل هراس / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٦ / ١٩٨٦م.
- (٤٩) الرحيق المختوم / لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري / طبع دار الوفاء/ المنصورة / نشر دار السلام / الرياض / الطبعة الثامنة/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (٥٠) رسائل في العقيدة / الشيخ محمد بن صالح العثيمين / دار طيبة / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الثانية / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٥١) الرسالة القشيرية في علم التصوف / عبد الكريم القشيري/ تحقيق وإعداد: معروف رزيق، وعلي عبد الحميد بلطعة / حي / دار الجليل / بيروت / الطبعة الثانية.
- (٥٢) الرسالة والرسول/ الدكتور محمد بن سعد بن حسين / دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى / ١٤١٢هـ.
- (٥٣) رسالتان في حياة الأنبياء / تحقيق: محمد أبو صعليك وإبراهيم محمد العلي/ مراجعة وتقديم الدكتور عمر سليمان الأشقر/ دار النفائس / الأردن/ الطبعة الأولى/١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- (٥٤) الرسل والرسالات/ الدكتور عمر سليمان الأشقر/ دار النفائس ومكتبة الفلاح / الكويت/ الطبعة الرابعة/ ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- (٥٥) روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / أبي الفضل شهاب الدين الألوسي / دار الفكر / بيروت / ١٣٩٨هـ.
- (٥٦) الروح للإمام ابن قيم الجوزية/ المكتبة العصرية / صيدا / لبنان / ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- (٥٧) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية/ الحسن بن عبد المحسن المشهور بأبي عذبة/ حققه وقدم له وعلق عليه: الدكتور عبد الرحمن عميرة/ الطبعة الأولى / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٥٨) زاد المعاد في هدي خير العباد / ابن قيم الجوزية / تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤاوط / مؤسسة الرسالة / بيروت / الطبعة الخامسة عشرة / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٥٩) زاد المسير في علم التفسير/ للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرطبي البغدادي/حققه وكتب هوامشه: محمد بن عبد الرحمن عبدالله، حرج أحاديثه: السعيد بن بسويو زغلول/ دار الفكر/ بيروت / لبنان/ الطبعة الأولى/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٦٠) الزهد/ للإمام أحمد بن حنبل الشيباني/ دراسة وتحقيق محمد السعيد بسويو زغلول/ دار الكتاب العربي / بيروت / الطبعة الثالثة/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٨م.
- (٦١) الزهر النضر في نأب الحضر / للحافظ ابن حجر العسقلاني/ شرحه وعلق عليه: سمير حسين حلسي/ دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- (٦٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها/ محمد ناصر الدين الألباني/ المكتبة الإسلامية/ عماد / الأردن/ الطبعة الثانية / ١٤٠٤هـ.
- (٦٣) سير أعلام النبلاء/ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي/ أشرف على تحقيق الكتاب: شعيب الأرنؤوظ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت / الطبعة التاسعة / ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- (٦٤) سيرة الإمام البخاري/ للعلامة الشيخ عبد السلام المباركفوري/ الناشر: إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء/ بالجامعة السلفية بنادس/ الهند / الطبعة الثانية/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٦٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/ للإمام أبي القاسم هبة الله أبي الحسن بن منصور الطبري اللالكائي/ تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي/ دار طيبة/ الملكة العربية السعودية/ الطبعة الثانية/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (٦٦) شرح الأصول الخمسة/ القاضي عبد الجبار بن أحمد/ تحقيق: د. عبد الكريم عثمان/ مكتبة هبة / مصر / الطبعة الأولى / ١٣٨٤هـ.
- (٦٧) شرح العقائد النسفية في أصول الدين وعلم الكلام/ سعد الدين بن مسعود بن عمر الفتازاني/ من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي / دمشق/ ١٩٧٤م.
- (٦٨) شرح العقيدة الأصفهانية/ لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الخليم بن تيمية/ مكتبة الرشد/ الرياض/ الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- (٦٩) شرح العقيدة الطحاوية/ للإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي/ تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي و شعيب الأرنؤوظ / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان / الطبع الثامنة/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- (٧٠) شرح العقيدة الطحاوية/ للعلامة ابن أبي العز الحنفي/ حققها وراجعها: جماعة من العلماء/ خرَّج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الإسلامي / الطبعة التاسعة / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٧١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية/ تأليف: العلامة محمد حليل هراس/ راجعه: عبد الرزاق عفيفي، صححه وعلق عليه: الشيخ إسماعيل الأنصاري/ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/ الرياض / المملكة العربية السعودية/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٤م.
- (٧٢) شرح المقاصد/ سعد الدين بن مسعود بن عمر الفتازاني/ تحقيق عبد الرحمن عميرة / عالم الكتب / بيروت / الطبعة الأولى/ ١٤٠٩هـ.
- (٧٣) شروط الأئمة الستة/ للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، وبله شروط الأئمة الخمسة للحافظ أبي بكر محمد بن موسى الحارزمي/ دار الكتب العلمية / بيروت/ الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- (٧٤) الصحائف الإلهية / لشمس الدين السمرقندي/ حققه وعلق عليه: الدكتور أحمد عبدالرحمن الشريف/ مكتبة الفلاح/ الكويت / الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٧٥) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني/ مكتبة الدليل/ الخليل الصناعية/ المملكة العربية السعودية/ الطبعة الثالثة/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (٧٦) صحيح البخاري/ للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي / دار السلام للنشر والتوزيع / الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٧٧) صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي / دار الكتاب العربي / بيروت .

- (٧٨) الصحيح المسند من دلائل النبوة / تحقيق: مقل بن هادي الوادعي / دار الأرقم / الكويت / الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٧٩) صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند / للشيخ محمد ناصر الدين الألباني إشراف: زهير الشاويش / الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج / الرياض / الطبعة الثالثة / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٨٠) صحيح سنن الترمذي باختصار السند / للشيخ محمد ناصر الدين الألباني إشراف: زهير الشاويش / الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٨١) صحيح مسلم / للإمام مسلم بن الحجاج / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / طبع ونشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد/ المملكة العربية السعودية / ١٤٠٠هـ.
- (٨٢) صحيح مسلم بشرح النووي / دار الريان للتراث / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٨٣) الصفات الواجبة والمستحبة والجانزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام / طه عبدالله العنفي / اندار المصرية اللبنانية / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (٨٤) الصوفية معتقداً ومسلماً / للدكتور صابر طعيمة / دار عالم الكتب للنشر والتوزيع.
- (٨٥) عالم الجن والشياطين / الدكتور عمر سليمان الأشقر / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية.
- (٨٦) العبودية / لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني دمشقي / المكتب الإسلامي / الطبعة السادسة / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٨٧) عصمة الأنبياء / محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين الرازي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- (٨٨) عصمة الأنبياء في الكتاب والسنة والرد على الشبهات الواردة عليها / محمد الحضر بن الناحي ضيف الله / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / قطر.
- (٨٩) عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام / للعلامة عبدالله الغماري الحسيني / مكتبة القاهرة / مصر.
- (٩٠) عقيدة ختم النبوة بالنبوة الخمدية / أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي / دار طيبة / للنشر والتوزيع / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٩١) علوم الحديث / لابن الصلاح / تحقيق: د. نور الدين عثرا / نشر المكتبة العلمية / طبعة الأصيل / حلب.
- (٩٢) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة / عبد الرحمن بن مُعلأ اللويح / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤١٢هـ.
- (٩٣) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني / تحقيق وتوزيع محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، وراجعه قصي محب الدين الخطيب / دار الريان للتراث / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- (٩٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير / محمد بن علي الشوكاني / مطبعة البابي الحلبي / مصر / الطبعة الثانية / ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- (٩٥) فصل المقال في نزول عيسى عليه السلام وقته والدجال / الدكتور محمد خليل هراس / تحقيق وتعليق أبي الفداء السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم الأثري / مكتبة السنة / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- (٩٦) **الفصل في الملل والأهواء والنحل / للإمام أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي الظاهري / وضع حواشيه: أحمد شمس الدين / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.**
- (٩٧) **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة / بقلم عبد الرحمن عبد الخالق / مكتبة ابن تيمية / الكويت / الطبعة الثالثة / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.**
- (٩٨) **فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة / للشيخ آدم عبد الله الألوذي / الطبعة الأولى / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.**
- (٩٩) **فيض القدير شرح الجامع الصغير / زيد الدين محمد عبد الرؤوف المناوي / تحقيق: حمدي الدمرداش محمد / مكتبة نزار مصطفى الباز / مكة المكرمة ، الرياض / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.**
- (١٠٠) **القاديانية والبهائية / للأستاذ الأكبر محمد الحضر الحسين / أشرف على طبعها: محمد إبراهيم الفيومي و عبد المجيد إبراهيم أبو شلوع / مطابع دار الكتاب العربي / مصر.**
- (١٠١) **قاعدة في المعجزات والكرامات / لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية / تحقيق: حماد سلامة / إشراف الدكتور محمد عويضة / مكتبة المنار / الأردن / الزرقاء / الطبعة الأولى / ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.**
- (١٠٢) **القاموس الخليل / للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي / تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة / مؤسسة الرسالة / بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.**
- (١٠٣) **قصص الأنبياء / للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير / تحقيق ومراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر / مكتبة العبيكان / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.**
- (١٠٤) **قصص الأنبياء / للإمام الخافض أبي الفداء إسماعيل بن كثير دمشقي / ضبطه وعلق عليه: محمد عبد القادر الفاضلي / طبع المكتبة العصرية / بيروت / لبنان / نشر مكتبة العبيكان / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.**
- (١٠٥) **القصص النبوي / الدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر / دار الفنايس للنشر والتوزيع / الطبعة الثانية / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.**
- (١٠٦) **قطر الولي على حديث الولي أو ( ولاية الله والطريق إليها ) / للإمام محمد بن علي الشوكاني / تحقيق وتقديم: الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال .**
- (١٠٧) **قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر / للعلامة المحقق الصديق حسن خان / تحقيق وتعليق: الدكتور عاصم بن عبدالله القريوتي / الطبعة الأولى / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.**
- (١٠٨) **كتاب أصول الدين / عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثالثة / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.**
- (١٠٩) **كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد / لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني / تحقيق: أسعد تميم / مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.**
- (١١٠) **كتاب التعريفات / للشيخ علي بن محمد الجرجاني / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.**
- (١١١) **كتاب الدرر فيما يجب اعتقاده / للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم / دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور / أحمد بن ناصر بن محمد الحمد والدكتور / سعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي / مكتبة التراث / مكة المكرمة / الطبعة الأولى / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.**

- (١١٢) كتاب الفروق/ لأبي هلال العسكري: الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى مهران/ تقدم: الدكتور أحمد سليم الحمصي/ حروس/ برس/ طرابلس/ لبنان/ الطبعة الأولى/ ١٩٩٤م - ١٤١٥هـ.
- (١١٣) كتاب النبوات / للإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / دار القلم / بيروت / لبنان.
- (١١٤) كشف الإلباس بما صح وما لم يصح من قصة الخضر أبي العباس/ إبراهيم بن فتحي عبد المقتدر/ تقريب فضيلة العلامة أبة بكر جابر الجزائري/ دار الحمدي / حدة/ الطبعة الأولى/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (١١٥) الكليات / معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء : أيوب بن موسى الحسيني الكفوي / مؤسسة الرسالة / قابله على نسخة الخطية وأعد له للطبع ووضع فهرسه / الدكتور عدنان درويش محمد المصري .
- (١١٦) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان / وضعه محمد فؤاد عبد الباقي/ دار السلام للنشر والتوزيع / الرياض / المملكة العربية السعودية/ الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (١١٧) لسان العرب / للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري/ دار صادر/ بيروت / لبنان/ الطبعة الثالثة/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (١١٨) لقمان الحكيم وحكمه/ محمد خير رمضان يوسف/ دار القلم بدمشق والدار الشامية بيروت/ الطبعة الثانية / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (١١٩) مباحث في النبوات / جامعة أم القرى قسم العقيدة / محاضرات الدكتور : عبدالله القرني للعام الدراسي ١٤١٢هـ / غير مطبوعة.
- (١٢٠) التواري على تراجم أبواب البخاري/ للعلامة ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الاسكندراني/ حققه وعلق عليه: صلاح الدين مقبول أحمد/ مكتبة المعلا/ الكويت/ الطبعة الأولى/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (١٢١) المدخل إلى الصحيح / تأليف الحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد حمدويه النيسابوري/ دراسة وتحقيق الدكتور: ربيع بن هادي عمر المدخلي/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (١٢٢) مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / إشراف الدكتور عبدالله محمد الطيار / ١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ.
- (١٢٣) مجلة لواء الإسلام / العدد السادس.
- (١٢٤) المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين/ فتاوى العقيدة/ جمع وترتيب: فهد بسن ناصر السليمان/ دار الوطن للنشر/ الرياض/ رمضان/ ١٤١هـ.
- (١٢٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم النجدي الحنبلي / مكتبة ابن تيمية .
- (١٢٦) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: للشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز/ أشرف على تجميعه وطبعه: الدكتور محمد بن سعد الشويخ / الطبعة الثانية / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- (١٢٧) مجموعة الرسائل والمسائل / للإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية/ علق عليها وصححها جماعة من العلماء بإشراف الناشر/ دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان/ الطبعة الأولى/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (١٢٨) محبة الرسول ﷺ بين الإتياع والإبتداع / عبد الرؤف محمد عثمان / دار التربية والتراث / مكة / الطبعة الثانية / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- (١٢٩) **الحجة في سير الدُّجَّة** / للحافظ ابن رجب الحنبلي / حققه وحرَّج أحاديثه: يحيى مختار عزراوي / دار الشائرن الإسلامية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (١٣٠) **مختصر لوامع الأنوار البهية شرح الدرَّة المضيئة في عقد الفرقة المرضية** / للشيخ العلامة محمد بن علي سلوم / تحقيق وضبط: محمد زهري النجار / دار الكتب العلمية/ بيروت / لبنان / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (١٣١) **مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد** / للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي / هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة/ طبع دار الصفرة / القاهرة / نشر مكتبة السوادى للتوزيع / جدة / المملكة العربية السعودية/ الطبعة الخامسة / محرم ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (١٣٢) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** / للإمام العلامة أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قتيبة الحوزية / تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (١٣٣) **مشكاة المصابيح** / تأليف محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي/ تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الإسلامي/ بيروت / لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (١٣٤) **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد** / للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي/ المطبعة السلفية ومكتبتها.
- (١٣٥) **معالم النبوة في الكتاب والسنة** / الشيخ خالد عبد الرحمن العك / دار الفنايس / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- (١٣٦) **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي من الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل / مطبعة بريال / لندن / رتبته ونظمه لقيف من المستشرقين/ نشره الدكتور: أي. ونسلك / ١٩٢٦م.**
- (١٣٧) **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف** / محمد فواد عبد الباقي / دار الحديث / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (١٣٨) **المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم** / صبحي عبد الرؤوف عصر/ دار الفضيلة القاهرة.
- (١٣٩) **معجم مقاييس اللغة** / لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا / مكتبة الخانجي / القاهرة / ١٤٠٢هـ
- (١٤٠) **المفردات في غريب القرآن** / لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرأغب الأصفهاني/ تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاي/ دار المعرفة / بيروت / لبنان.
- (١٤١) **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** / للإمام أبي الحسين علي بن إسماعيل/ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية / بيروت / لبنان / ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- (١٤٢) **مقرر علم التوحيد للصف الثالث الثانوي** / للشيخ محمد قطب/ الطبعة الثانية/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (١٤٣) **من معجزات النبي ﷺ** / عبد العزيز محمد السلطان/ الطبعة الحادية والعشرون/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (١٤٤) **من نيا المرسلين** / الدكتور سليمان بن حمد العودة / دار مسلم للنشر والتوزيع / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤١٦هـ.



- (١٤٥) المنحة الإلهية في تذيب شرح الطحاوية للإمام علي بن أبي العز الحنفي/ أعده وحرَّح أحاديته وعلق عليه: عند الآخر حماد الغنيمي/ تقدم فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الحبرين/ طبع دار الصحابة / بيروت / لبنان/ توزيع دار ابن الحوزي / المملكة العربية السعودية/ الطبعة الثانية/ ذو الحجة/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- (١٤٦) منهاج السنة النبوية / لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية/ تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم / أشرف على طبعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية / الطبعة الأولى / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (١٤٧) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة / للدكتور عبدالله نومسوك / مكتبة دار القلم والكتاب / الرياض/ المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (١٤٨) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله / محمد سرور بن نايف زين العابدين / دار الأرقم / برمنجهام / بريطانيا / الطبعة السادسة / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (١٤٩) موقف ابن تيمية مع الأشاعرة / الدكتور عبدالله بن صالح المحمود / مكتبة الرشد / الرياض / الطبعة الثانية / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- (١٥٠) ميثاق النبيين / عبد الوهاب عبد السلام طويلة/ مؤسسة علوم القرآن / بيروت / ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (١٥١) ميلاد عيسى عليه السلام عند اليهود والنصارى والمسلمين / إعداد مسعود بن سعد الغامدي / رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض كلية أصول الدين / للعام الجامعي / ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ / غير مطبوعة.
- (١٥٢) النبوات وما يتعلق بها / للإمام فخر الدين الرازي / تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا / دار الإتحاد العربي للطباعة والنشر.
- (١٥٣) النبوة والأنبياء / محمد علي الصابوني / عالم الكتب / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (١٥٤) النبوة والأنبياء في الفكر الإسلامي / للدكتور علي عبد الفتاح المغربي / مكتبة وهبة / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (١٥٥) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف/للدكتور: محمد عبدالله الوهسي/ دار المسلم للنشر والتوزيع / الرياض/ الطبعة الأولى/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- (١٥٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار/ للشيخ محمد بن علي الشوكاني / مكتبة عباس أحمد الباز/ مكة المكرمة/ الطبعة الأولى/ ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣م.
- (١٥٧) هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني / دار الريان للتراث/ القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- (١٥٨) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً / محمد محمد الخزندار / دار طيبة للنشر والتوزيع / المملكة العربية السعودية / الرياض / الطبعة الثالثة / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
	المقدمة
ب	أهمية الموضوع وأسباب اختياره .....
ب	أهداف البحث .....
ج	تساؤلات البحث .....
د	خطة البحث .....
ي	منهج البحث .....

### التمهيد

٢	المبحث الأول: حياة الإمام البخاري (رحمه الله) .....
٢	نسبه ومولده وذكائه ورحلاته لطلب العلم .....
٤	مشايخه وتلاميذه .....
٧	تصانيفه .....
٨	ثناء الناس عليه .....
٩	سيرته وشماله وزهده وفضائله .....
١١	وفاته .....
١٢	المبحث الثاني: التعريف بالجامع الصحيح للإمام البخاري (رحمه الله) .....
١٢	اسمه .....
١٢	موضوعه .....
١٣	مكانته وميزته عند الأمة .....
١٤	السبب الباعث على تصنيفه .....
١٨	مدد ومكان تأليفه .....
١٨	عدد أحاديثه .....
١٩	المؤلفات في الجامع الصحيح .....
٢٠	المبحث الثالث: التعريف بكتاب الأنبياء ومكانته في صحيحه .....
٢٢	المبحث الرابع: منهج الإمام البخاري (رحمه الله) في عرض العقيدة .....

### الباب الأول

#### معالم النبوة في كتاب الأنبياء

٢٥	الفصل الأول: النبوة والرسالة .....
٢٦	المبحث الأول: الفرق بين النبي والرسول وأول الأنبياء والرسول .....
٢٦	المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للنبوة والرسالة، والفرق بين النبي والرسول .....

٢٦	..... النبي في اللغة.
٢٧	..... الرسول في اللغة.
٢٨	..... النبي والرسول في الاصطلاح.
٢٨	..... القول الأول: رأي القائلين بالفرق بين النبي والرسول.
٣٦	..... القول الثاني: رأي القائلين بعدم الفرق بين النبي والرسول.
٣٧	..... الرد على أصحاب القول الثاني.
٤١	..... المطلوب الثاني: أول الأنبياء وأول الرسل.
٤١	..... أولاً: إثبات نبوة آدم.
٤٢	..... ثانياً: أول الرسل إلى أهل الأرض.
٤٣	..... ثالثاً: ذكر صور الخلاف بين العلماء في رسالة آدم عليه السلام.
٤٦	..... إدريس عليه السلام.
٤٦	..... أولاً: إثبات نبوة إدريس عليه السلام.
٤٧	..... ثانياً: زمن إدريس عليه السلام.
٥٠	..... المبحث الثاني: الوحي إلى غير الأنبياء.
٥١	..... الوحي في اللغة.
٥٢	..... المطلوب الأول: الوحي إلى غير الأنبياء في القرآن الكريم.
٥٢	..... القسم الأول: الآيات التي كان الموحى فيها هو الله سبحانه وتعالى.
٥٧	..... القسم الثاني: الآيات التي كان الموحى فيها غير الله سبحانه وتعالى.
٥٩	..... المطلوب الثاني: الوحي إلى الأنبياء في القرآن الكريم.
٦١	..... المطلوب الثالث: الفرق بين الوحي إلى الأنبياء وإلى غيرهم في القرآن الكريم.
٦٣	..... المبحث الثالث: النبوة في النساء والجن.
٦٣	..... المطلوب الأول: النبوة في النساء.
٦٧	..... الرد على ما ذهب إليه ابن حزم وغيره من إثبات النبوة في النساء.
٧١	..... المطلوب الثاني: النبوة في الجن.
٧٢	..... أدلة القائلين بأن في الجن مُدْرُ وليس رسل.
٧٢	..... أدلة القائلين بأن من الجن رسلاً.
٧٥	..... الفصل الثاني: الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
٧٦	..... المبحث الأول: الأنبياء الذين وردت أسماءهم في القرآن والسنة.
	..... المطلوب الأول: الأنبياء الذين وردت أسماءهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة وبيان أولي العزم
٧٦	..... منهم.
٧٦	..... من هم الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم؟

٨٢	..... أولو العزم من الرسل
٨٣	..... معنى العزم في القرآن الكريم.
٨٣	..... المراد بأولي العزم من الرسل.
٨٤	..... الأقوال في المراد بأولي العزم.
٨٥	..... الأنبياء الذين ورد ذكرهم في السنة المطهرة.
٨٧	..... المطلب الثاني: الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
٨٧	..... شياً.
٨٩	..... المسألة الثانية: نصوص السنة المطهرة الدالة على أن هناك أنبياء ورسول أحصى الله أمرهم.
٩١	..... المسألة الثالثة: الحكمة من إخفاء خبر بعض الأنبياء والرسل.
٩٢	..... المطلب الثالث: أهمية الإيمان بالرسل.
٩٢	..... أولاً: معنى الإيمان بالرسل.
٩٤	..... ثانياً: حكم الإيمان بالرسل.
٩٥	..... ثالثاً: أثر الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.
٩٧	..... المبحث الثاني: ترتيب محيي الأنبياء.
٩٨	..... المطلب الأول: وفيه مسألتان.
٩٨	..... المسألة الأولى: قواعد لا بد منها.
٩٩	..... المسألة الثانية: ذكر اجتهاد بعض العلماء في ترتيب الأنبياء عليهم السلام.
١٠١	..... المطلب الثاني: التحقيق في ترتيب محيي الأنبياء.
١٠١	..... أولاً: آدم عليه السلام.
١٠٢	..... ثانياً: إدريس عليه السلام.
١٠٢	..... ثالثاً: نوح وهود وصالح عليهم السلام.
١٠٤	..... رابعاً: إبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.
١٠٧	..... خامساً: الأنبياء بعد يوسف عليه السلام.
١١٨	..... المبحث الثالث: من احتُلف في نبوتهم من الصالحين.
١١٩	..... المطلب الأول: الخضر عليه السلام.
١٢٠	..... القول الأول: قول من يرى نبوة الخضر عليه السلام.
١٢٣	..... القول الثاني: قول من يرى بعدم نبوة الخضر عليه السلام.
١٢٣	..... أولاً: قول من يرى بولايته.
١٢٤	..... ثانياً: قول من يرى بأنه ملك من الملائكة.
١٢٤	..... القول الثالث: وهم الذين توقفوا في هذه المسألة.
١٢٦	..... المطلب الثاني: ذو القرنين.

١٢٩	.....المطلب الثاني: لقمان
١٣١	.....الفصل الثالث: رسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
١٣٢	.....المبحث الأول: أصول مشتركة بين الأنبياء
١٣٣	.....المطلب الأول: وحدة العقيدة
١٣٧	.....ما هي عقيدة الرسل عليهم الصلاة والسلام؟
١٤٠	.....المطلب الثاني: وحدة الدعوة
١٤١	.....أولاً: دعوة الأنبياء إلى عقيدة التوحيد وترك الشرك والكفر والبدع
١٤٣	.....مميزات دعوة الأنبياء
١٤٤	.....ثانياً: إنذار الأنبياء أقوامهم الدجال
١٤٦	.....ثالثاً: تحذيرهم أقوامهم عاقبة الكفر والمعاصي
١٤٧	.....رابعاً: تبشيرهم المؤمنين بالنصر في الدنيا والآخرة
١٤٨	.....خامساً: أخذهم الميثاق على أمهم بالإيمان محمد ﷺ إن جاء وهم أحياء
١٥٠	.....المطلب الثالث: خلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
١٥١	.....حياء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
١٥٥	.....صر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
١٥٨	.....المبحث الثاني: اختلاف شرائع الأنبياء
١٥٩	.....المطلب الأول: تقرير اختلاف شرائع الأنبياء من القرآن والسنة
١٦٤	.....المطلب الثاني: هل شرع من قبلنا شرع لنا؟
١٧١	.....الفصل الرابع: تفاضل الأنبياء
١٧٢	.....المبحث الأول: النصوص المثبتة لتفاضل الأنبياء
١٧٤	.....المطلب الأول: النصوص المثبتة لتفاضل الأنبياء
١٧٧	.....المطلب الثاني: أفضل الأنبياء والرسل
١٧٩	.....المطلب الثالث: تمّ يتفاضل الأنبياء والرسل؟
١٨١	.....المبحث الثاني: ما جاء من النهي عن التفضيل بين الأنبياء
١٨٢	.....النصوص الدالة على النهي عن المفاضلة بين الأنبياء
١٨٤	.....المبحث الثالث: تحقيق القول في تفاضل الأنبياء
	.....كلام العلماء (رحمهم الله) في الجمع بين النصوص الواردة في مسألة تقرير التفضيل بين الأنبياء والنهي
١٨٥	.....عن المفاضلة
١٩١	.....الجمع بين ما ورد من التفضيل بين الأنبياء وبين قوله تعالى: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾

## الباب الثاني

### صفات الأنبياء وخصائصهم

- الفصل الأول : صفات الأنبياء البشرية: ..... ١٩٥
- المبحث الأول: الأنبياء خلق من خلق الله (بشريتهم)..... ١٩٦
- المطلب الأول: بشرية الأنبياء في القرآن والسنة..... ١٩٧
- أولاً: بشرية الأنبياء في القرآن الكريم..... ١٩٧
- ثانياً: بشرية الأنبياء في السنة المطهرة..... ٢٠٠
- المطلب الثاني: الحكمة من بشرية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام..... ٢٠٣
- المبحث الثاني: عبادة الأنبياء..... ٢٠٨
- المطلب الأول: عبادة الأنبياء في القرآن والسنة..... ٢٠٩
- أولاً: عبادة الأنبياء في القرآن الكريم..... ٢٠٦
- ثانياً: عبادة الأنبياء في السنة المطهرة..... ٢١١
- المطلب الثاني: أثر العبادة في الثبات على طريق الدعوة إلى الله..... ٢١٦
- المبحث الثالث: تعرض الأنبياء للبلاء..... ٢١٧
- المطلب الأول: نماذج من تعرض الأنبياء للبلاء من القرآن والسنة..... ٢١٨
- المطلب الثاني: دلالة شدة البلاء..... ٢٢٤
- المبحث الرابع: النهي عن الغلو في الأنبياء..... ٢٢٦
- المطلب الأول: النهي عن الغلو في الأنبياء في القرآن والسنة..... ٢٢٧
- أولاً: النهي عن الغلو في الأنبياء في القرآن الكريم..... ٢٢٧
- ثانياً: بالنهي عن الغلو في الأنبياء في السنة المطهرة..... ٢٣١
- المطلب الثاني: أساليب الدعوة إلى الاستقامة وترك الغلو والتقصر في القرآن الكريم..... ٢٣٤
- الفصل الثاني: خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام..... ٢٣٧
- مقدمة..... ٢٣٨
- المبحث الأول: خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالنوم والرؤى..... ٢٣٩
- المطلب الأول: تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم..... ٢٣٩
- المطلب الثاني: رؤيا الأنبياء..... ٢٤١
- المسألة الأولى: النصوص الشرعية الدالة على صدق رؤيا الأنبياء بإطلاق..... ٢٤١
- المسألة الثانية: الفرق بين رؤيا الأنبياء وغيرهم من البشر..... ٢٤٣
- المبحث الثاني: خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالموت والبلوى..... ٢٤٦
- المطلب الأول: يقررون حيث يموتون..... ٢٤٦
- المطلب الثاني: حياة الأنبياء في القبور..... ٢٤٧
- المسألة الأولى: النصوص الشرعية الدالة على حياة الأنبياء في القبور..... ٢٤٧

٢٤٨	.....	بيان مستقر أرواح الأنبياء.....
٢٥١	.....	المطلب الثالث: الأرض لا تأكل أحساد الأنبياء.....
٢٥٣	.....	المطلب الرابع: تخيير الأنبياء عند الموت.....
٢٥٤	.....	المبحث الثالث: نصر الأنبياء على أعدائهم.....
٢٥٧	.....	الفصل الثالث: الأنبياء وحواري العادات.....
٢٥٨	.....	المبحث الأول: الأنبياء والمعجزات.....
٢٥٩	.....	المطلب الأول: معنى المعجزة في اللغة والاصطلاح.....
٢٥٩	.....	المعجزة في اللغة.....
٢٦٠	.....	المعجزة في الإصلاح.....
٢٦٠	.....	المعجزة عند الأشاعرة.....
٢٦١	.....	المعجزة عند المعتزلة.....
٢٦٢	.....	المعجزة عند السفاريني.....
٢٦٢	.....	المعجزة عند علماء أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين.....
٢٦٨	.....	المعجزة عند شيخ الإسلام ابن تيمية.....
٢٧١	.....	المطلب الثاني: نموذج لمعجزات الأنبياء (الإسراء والمعراج).....
٢٧١	.....	الأدلة على ثبوت معجزة الإسراء والمعراج.....
٢٧٤	.....	حديث شريك.....
٢٧٦	.....	حديث الإسراء.....
٢٧٨	.....	أبرز المسائل العقدية في حديث الإسراء.....
٢٧٨	.....	تاريخ الإسراء.....
٢٧٩	.....	عدد مرات الإسراء.....
٢٨٠	.....	هل الإسراء كان بالجسد والروح "يقظة" أم بالروح "مناماً".....
٢٨٣	.....	هل رأى النبي ﷺ ربه في ليلة الإسراء.....
٢٨٦	.....	المبحث الثاني: كرامات الأولياء.....
٢٨٧	.....	المطلب الأول: معنى الكرامة، وبيان معتقد أهل السنة والجماعة فيها مع الأدلة.....
٢٨٧	.....	المسألة الأولى: معنى الكرامة في اللغة والاصطلاح.....
٢٨٧	.....	الكرامة لغة.....
٢٨٨	.....	الكرامة في الاصطلاح.....
٢٨٨	.....	المسألة الثانية: معتقد أهل السنة والجماعة وأدلتهم على ذلك.....
٢٨٩	.....	أدلة ثبوت الكرامة من القرآن الكريم والسنة المطهرة.....
٢٨٩	.....	أولاً: أدلة ثبوت الكرامة في القرآن الكريم.....

٢٩٠	..... ثانياً: أدلة ثبوت الكرامة في السنة المطهرة.
٢٩٦	..... المسألة الثالثة: تسمية الكرامة.
٢٩٧	..... المطلب الثاني: الرد على المخالفين لمعتقد أهل السنة والجماعة في الكرامة.
٢٩٨	..... المسألة الأولى: الرد على من أنكر الكرامات.
٣٠١	..... المسألة الثانية: الرق بين المعجزات والكرامات.
	أولاً: تصوير مذهب الأشاعرة في تفريقهم بين خوارق الأنبياء وغيرهم من البشر والرد عليهم في ذلك
٣٠٢	..... مع بيان الفروق الصحيحة بينها.
٢٠٧	..... ثانياً: الردود التفصيلية على ما ذكره عبد القاهر البغدادي في التفريق بين المعجزة والكرامة.
٣١٣	..... الفصل الرابع: عصمة الأنبياء.
٣١٤	..... مقدمة.
٣١٥	..... المبحث الأول: المقصود بعصمة الأنبياء.
٣١٥	..... المطلب الأول: معنى العصمة والنصوص الدالة على إمكانية صدور بعض الذنوب من الأنبياء.
٣١٥	..... المسألة الأولى: معنى العصمة لغة واصطلاحاً.
٣١٥	..... العصمة لغةً.
٣١٥	..... العصمة اصطلاحاً.
٣١٧	..... المسألة الثانية: النصوص الدالة على إمكان صدور بعض الذنوب من الأنبياء.
٣٢٠	..... المطلب الثاني: المسائل الأساسية في قضية عصمة الأنبياء.
٣٢١	..... المسألة الأولى: عصمة الأنبياء قبل البعثة.
٣٢٤	..... المسألة الثانية: عصمة الأنبياء بعد البعثة.
٣٢٤	..... الفقرة الأولى : أقسام المعاصي.
٣٢٦	..... الفقرة الثانية: التحقيق في عصمة الأنبياء من الذنوب بعد البعثة.
٣٢٧	..... قول القاضي عياض (رحمه الله).
٣٢٨	..... قول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) وهو قول الجمهور.
٣٣١	..... المسألة الثالثة: عصمة الأنبياء فيما يتعلق في التبليغ.
٣٣٨	..... المسألة الرابعة : العصمة من العوارض البشرية (الأمر التي تنافي العصمة).
٣٤٤	..... المبحث الثاني: العصمة لغز الأنبياء والرد على من قال بذلك.
٣٤٥	..... المطلب الأول: مفهوم الولاية والإمامة في الكتاب والسنة وعند غلاة الصوفية والرافضة.
٣٤٥	..... المسألة الأولى: مفهوم الولاية والإمامة في الكتاب والسنة.
٣٤٥	..... أولاً: مفهوم الولاية في الكتاب والسنة.
٣٤٥	..... مفهوم الولاية في اللغة.
٣٤٦	..... الولاية في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
٣٥٠	..... ثانياً: مفهوم الإمامة في الكتاب والسنة.



٣٥٠	..... ثانياً: مفهوم الإمامة في الكتاب والسنة.
٣٥٠	..... الإمامة في اللغة.
٣٥٠	..... الإمامة في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
٣٥٣	..... المسألة الثانية: مفهوم الولاية عند غلاة الصوفية والرافضة.
٣٥٤	..... أولاً: مفهوم الولاية عند الصوفية وصفات الولي.
٣٥٦	..... ثانياً: مفهوم الإمامة عند غلاة الرافضة وصفات الإمام.
٣٥٧	..... المطلوب الثاني: الرد على غلاة الصوفية والرافضة في القول بعصمة الأولياء والأئمة.

### الباب الثالث

#### مسائل عقديّة خاصة ببعض الأنبياء

٣٦٦	..... تمهيد.
٣٦٧	..... الفصل الأول: إبراهيم عليه السلام.
٣٦٨	..... المبحث الأول: في استقسام إبراهيم عليه السلام بالأولاد.
٣٧٢	..... المبحث الثاني: إثبات الخلة لإبراهيم عليه السلام.
٣٧٢	..... المطلوب الأول: معنى الخلة وأدلة ثبوتها لإبراهيم عليه السلام.
٣٧٤	..... المطلوب الثاني: الرد على المخالفين ممن نفى الخلة عن إبراهيم عليه السلام.
٣٧٥	..... المطلوب الثالث: هل محمد ﷺ خليل الرحمن أم حبيبه؟
٣٧٥	..... أدلة ثبوت الخلة لنبينا محمد ﷺ.
٣٧٦	..... هل محمد ﷺ حبيب الرحمن.
٣٧٨	..... المبحث الثالث: نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام.
٣٨٥	..... المبحث الرابع: كذبات إبراهيم عليه السلام.
٣٩٠	..... الفصل الثاني: موسى عليه السلام.
٣٩١	..... المبحث الأول: تكليم الله لموسى والرد على من أنكر ذلك.
٣٩١	..... المطلوب الأول: مذهب السلف في كلام الله عز وجل.
٣٩٣	..... المطلوب الثاني: ثبوت تكليم الله لموسى عليه السلام.
٣٩٥	..... المطلوب الثالث: مذهب المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الكلام والرد عليهم إجمالاً.
٣٩٦	..... أولاً: مذهب الجهمية والمعتزلة في صفة الكلام.
٣٩٨	..... ثانياً: مذهب الأشاعرة في صفة الكلام.
٤٠٠	..... ثالثاً: الرد على قول المعتزلة والأشاعرة في الكلام إجمالاً.
٤١٠	..... المبحث الثاني: لطم موسى لملك الموت والرد على من أنكر ذلك.
٤١٠	..... أولاً: إثبات ضرب موسى لملك الموت.
٤١١	..... ثانياً: الرد على من أنكر حديث ضرب موسى لملك الموت.

٤١٣	.....المبحث الثالث: استثناء موسى عليه السلام من الصعق يوم القيامة.
٤١٣	.....أولاً: ثبوت النسخ في الصور في القرآن والسنة.
٤١٥	.....ثانياً: ثبوت الاستثناء من الصعق في القرآن والسنة، ومن هم المستثنون؟
٣١٦	.....ثالثاً: التردد في موسى عليه السلام في حديث الاستثناء من الصعق و الأشكالات الواردة في ذلك مع ذكر الراح من أقوال محققي العلماء في دفعها.
٤٢٠	.....رابعاً: ذكر أقوال بعض أقوال العلماء (رحمهم الله) في حديث استثناء موسى من الصعق يوم القيامة.
٤٢١	.....الفصل الثالث: عيسى عليه السلام
٤٢٢	.....المبحث الأول: عيسى عليه السلام كلمة الله وروح منه والمقصود بذلك
٤٢٢	.....أولاً: النصوص الدالة على أن عيسى عليه السلام (كلمة الله) و (روح منه)
٤٢٣	.....ثانياً: المقصود من كونه (كلمة الله) و (روح منه)
٤٢٦	.....المبحث الثاني: رفع عيسى عليه السلام، وهل مات قبل ذلك؟
٤٣٣	.....المبحث الثالث: نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، وم يخكم؟
٤٣٣	.....المسألة الأولى: النصوص الدالة على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان
٤٣٣	.....أولاً: نصوص القرآن الكريم
٤٣٦	.....ثانياً: نصوص السنة المطهرة
٤٣٨	.....المسألة الثانية: الحكمة في نزول عيسى عليه السلام دون غيره
٤٤٠	.....المبحث الرابع: المهدي وعيسى عليهما السلام
٤٤١	.....أولاً: ما جاء في ذكر اسمه وصفته وكثرة الظلم والفتن قبيل ظهوره
٤٤٢	.....ثانياً: ظهور المهدي عليه السلام وما يصاحب ظهوره من أضرار الساعة الكبرى
٤٤٢	.....موت المهدي وعيسى عليهما السلام
٤٤٣	.....ماذا بعد موت المهدي وعيسى عليهما السلام
٤٤٣	.....مدة بقائهما وما هي صفتها
٤٤٤	.....النصوص الشرعية الدالة على ما سبق بيانه
٤٥٢	.....الفصل الرابع: محمد ﷺ
٤٥٣	.....المبحث الأول: فضل محمد ﷺ على الأنبياء جميعاً
٤٥٩	.....المبحث الثاني: إثبات المقام المحمود لمحمد ﷺ يوم القيامة
٤٦٠	.....النصوص الدالة على إثبات المقام المحمود والمقصود به
٤٦٥	.....المبحث الثالث: محمد ﷺ خاتم الأنبياء
٤٦٥	.....معى الختم والخاتم في اللغة
٤٦٦	.....المسألة الأولى: حتم النبوة في القرآن الكريم
٤٦٧	.....المسألة الثانية: حتم النبوة في السنة المطهرة
٤٧٠	.....المسألة الثالثة: نزول عيسى عليه السلام وقضية حتم النبوة بمحمد ﷺ

٤٧٣	..... الخاتمة
٤٧٦	..... الفهارس
٤٧٧	..... فهرس الآيات القرآنية
٤٨٧	..... فهرس الأحاديث النبوية
٤٩٣	..... فهرس المصادر والمراجع
٥٠٣	..... فهرس الموضوعات

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ.  
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ.  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾